

محمد عجاج الخطيب

السنة قبل التدوين



الناشر

مكتبة وهبة

١٤ شارع الجمهورية - عابدين

تليفون ٣٩١٧٤٧٠

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

نال المؤلف بهذا الكتاب درجة الماجستير في العلوم الإسلامية
« مادة الشريعة الإسلامية » بتقدير ممتاز من كلية دار العلوم بجامعة القاهرة

[حقوق الطبع محفوظة]

الطبعة الثانية

رمضان ١٤٠٨ هـ

أبريل ١٩٨٨ م

أم القرى للطباعة والنشر

٣٩ شارع الزقاق - الساحل

ت ٦٨٥٣٤٠

القاهرة

دليل الكتاب

- ١ - تقديم الكتاب ص آ... - ز
 - ٢ - موضوعات الكتاب ٥٢٧ - ٥٠١
 - ٣ - فهرس المصادر والمراجع ٥٥٦ - ٥٤٠
 - ٤ - فهرس الموضوعات ٥٦٩ - ٥٥٧
 - ٥ - فهرس الآيات القرآنية ٥٧٣ - ٥٧٠
 - ٦ - فهرس الأحاديث الشريفة ٥٨٤ - ٥٧٤
 - ٧ - فهرس الأحاديث الموضوعة ٥٨٩ - ٥٨٥
 - ٨ - فهرس البلدان والأماكن والمشاهد والنزوات ٥٩٥ - ٥٩٠
 - ٩ - فهرس الكتب المعرف بها ٦٠٠ - ٥٩٦
 - ١٠ - فهرس الأعلام ٦٥١ - ٦٠١
- فهرس الأسماء ٦٣٩ - ٦٠٢
 - فهرس الكنى ٦٤٦ - ٦٤٠
 - فهرس من نسب إلى أبيه أو جده ٦٥١ - ٦٤٧

تقديم

بقلم

فضيلة الأستاذ علي صلب

أستاذ الفريعة الإسلامية بكلية دار العلوم - جامعة القاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ، وأنزل عليه كتابه الكريم تبياناً للحق وهدى إلى الصراط المستقيم ، وأمره ببيانه وتنفيذ أحكامه بأقواله وأعماله ليكون للأمة من ذلك دستور كامل ، لا يفادر من أمور معاشهم ومعادهم صغيرة ولا كبيرة إلا وضع قواعدها ، وقرر أصولها ، وأضاء طريق الوصول إلى الحق فيها .

فله الحمد والشكر على ما منح عباده من أسباب الهداية ، وما ضمن لهم من حفظ كتابه ، وما وقَّعهم إليه من العناية به ، والاستهداء في تفسيره وتطبيقه بقول رسوله صلى الله عليه وسلم وعمله .

أما بعد فقد اصطنع الله محمداً صلى الله عليه وسلم لنفسه ، ورباه فأحسن تربيته ، وكمل خلقه حتى قال فيه - وهو أصدق القائلين - : « وإنك لأعلى خلق عظيم »^(١) . ثم بعثه إلى الناس بشيراً ونذيراً : « يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً وبشراً ونذيراً . وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً »^(٢) .

وقد افترض عليه ما افترض على الناس من طاعته والعمل بكتابه ، فقال سبحانه : « يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تَطْعَمِ السَّكَارَىٰ وَالْمُنَافِقِينَ إِنْ كَانَ اللَّهُ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا . وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ إِنْ كَانَ اللَّهُ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا » ^(١) ، وقال تعالى : « اتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ » ^(٢) ، وقال : « ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ » ^(٣) .

وأمره أن يبلغ ما أنزل إليه فقال : « يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ » ^(٤) ، فَبَلَّغَ صلى الله عليه وسلم ما أمره الله بتبليغه ، وشهد الله تعالى له بذلك في قوله : « وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ » ما ضل صاحبكم وما غوى . وما ينطق عن الهوى . إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ . عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ » ^(٥) ، وقوله : « وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ » صراط الله الذي له ما في السموات وما في الأرض » ^(٦) ولو أنه قصر في تبليغ رسالته ، أو بلغ ما لم يؤمر بتبليغه — لَحَلَّتْ بِهِ عَقُوبَةُ رَبِّهِ : « وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضُ الْأَقَاوِيلِ . لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ . ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ . فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ » ^(٧) .

كما أمره أن يبين للناس ما خفي عليهم من مقاصده ، ويشرح لهم طرق تنفيذه فقال تعالى : « وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ » ^(٨) ، وقال سبحانه : « وَمَا أُنْزِلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لَتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّأَقْوَمِ يُؤْمِنُونَ » ^(٩) .

(٢) ١٠٦ : الأنعام .

(٤) ٦٧ : المائدة .

(٦) ٥٣ ، ٥٤ : الشورى .

(٨) ٤٤ : النحل .

(١) أول الأحزاب .

(٣) ١٨ : المائدة .

(٥) أول النجم .

(٧) ٤٤ — ٤٧ : الحاقة .

(٩) ٦٤ : النحل .

هكذا أعد الله رسوله للقيام بأعباء رسالته ، ثم أمر الناس بطاعته :
 أمرهم بطاعته مقترنة بطاعته سبحانه فقال : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ
 وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ » ^(١) ، وقال تعالى : « وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ
 وَلَا مُمْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ . وَمَنْ
 يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا » ^(٢) ، وقال سبحانه : « وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ
 وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّدِيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ
 وَالصَّالِحِينَ ، وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا » ^(٣) .

وأمرهم بطاعته استقلالاً فقال سبحانه : « وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ
 عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ » ^(٤) . وقال تعالى : « فَلَا وَرَبِّكَ
 لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا
 مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا » ^(٥) ، وقال سبحانه : « لَا تَجْلُوا دَعَاءَ الرَّسُولِ
 بَيْنَكُمْ كَدَعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا ، قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لِوَاذًا ، فَلْيَحْذَرِ
 الَّذِينَ يُخَافُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ يُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ » ^(٦) .

ثم قرر سبحانه أن طاعة رسوله طاعة له ، فقال : « إِنْ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ
 إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ، فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ ،
 وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَمِيزَتْهُ أَجْرًا عَظِيمًا » ^(٧) ، وقال سبحانه : « مَنْ
 يَعْصِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ ، وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِظًا » ^(٨) .

ولا يخفاء بعد هذا في أن كتاب الله هو أصل دينه ، وأن سنة نبيه —

(٢) : ٣٦ : الأحزاب .

(٤) : ٧ : الحشر .

(٦) : ٦٣ : النور .

(٨) : ٨٠ : النساء .

(١) : ٢ : الأنفال .

(٣) : ٦٩ : النساء .

(٥) : ٦٥ : النساء .

(٧) : ١ : التوبة .

قولية كانت أو فعالية — هي الموضحة لأحكامه ، والمفصلة لإجماله ، والهادية إلى طرق تطبيقه ، فهما صنوان لا يفترقان ، ومنبعان للتشريع متعاضان ، ولا شبهة في أن طاعة الرسول طاعة لله ، ومخالفة أمره معصية لله تعالى ، ومن عمل بالقرآن على غير المنهج الذي انتهجه الرسول صلى الله عليه وسلم لا يكون عاملا بالقرآن .

وقد جرت سنة الله تعالى في خلقه أن يختلف الناس في تقبل دعوات الرسل ، والأخذ بأسباب الهداية والصلاح مهما قامت الدلائل ووضحت البيانات ، « ولا يزالون مختلفين . إلا من رحم ربك ، ولذلك خلقهم » ^(١) ، فهم من يستجيب لداعى الخير مسرعا مطمئنا ، ويتجنب مزائق الجهل والخسران ، ومنهم من يركب رأسه ويتبع هواء ويضل عن سواء السبيل : « ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت فهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة » ^(٢) . « وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الأنس والجن يُوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا . ولو شاء ربك ما فعلوه فذرهم وما يفترون » ^(٣) ، « يا حسرة على العباد ما يأتيهم من رسول إلا كانوا به يستهزئون » ^(٤) .

وقد ابتلى المسلمون في كل العصور عن محاول صرفهم عن الإسلام ؛ تارة بالطمع في كتابه ، وأخرى بمحاولة انتقاصه من أطرافه ، بالطمع في السنة التي تفصل ما أجمل منه ، وتوضح ما خفى ، وكأنهم حين وقفوا من القرآن أمام جبل شامخ لا يلبين ، ورجعوا بعد العناء مخفي حنين — ظنوا أنهم قادرون على

(٢) ٣٦ : النحل .

(٤) ٣٠ : يس .

(١) ١١٨ ، ١١٩ : مود .

(٣) ١١٢ : الأنعام .

النَّيل منه بتوهين السنة التي هي عماد بيانه ، فسلكوا لذلك طرقا ، وتسكفوا شططا ، فمنهم من تجنى على الرواة وطعن في عدالتهم وصدقهم ، ومنهم من طعن في متن الحديث فأنكر منه ما لم يوافق هواه ، ومنهم من ادعى انقطاع الصلة بين الرسول وما يروى عنه وتعدّر تمييز الصحيح منه من السقيم ، لإهال تدوينه نحو قرنين من الزمان ، وانتشار وضع الحديث انتصاراً لرأى أو إبطالا للذهب ، فدعا إلى إهال الحديث جملة والاكتفاء بالقرآن الكريم ، ومن المؤسف حقاً أن يقول بهذا الرأي من يزعم أنه من المسلمين .

واسكن العلى التقدير الذى تسكفل بحفظ كتابه وأصول دينه بقوله : « إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون » ^(١) كان يمنح معونته وتوفيقه دائماً للمتقين المخلصين ، ويحذل أعداءه المعاندين : « ولقد استهزئ به برسل من قبلك لحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزئون » ^(٢) ، « وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبى إلا إذا تمنى ألقى الشيطان فى أمنيته فينسخ الله ما باقى الشيطان ثم يحكم الله آياته والله عليم حكيم » ^(٣) ، « ولقد سبقت كلمتنا لإبعادنا المرسلين . إنهم لهم المنصورون . وإن جندنا لهم الغالبون » ^(٤) .

فلهذا هياً لدينه فى كل العصور من يرؤد كيد الطاعنين فى محورهم ، وهياً لسنة رسوله صلى الله عليه وسلم من السلف الصالح ومن تهمهم بإحسان — من عنى بالدفاع عنها بعد البحث فى سندها ومتنها ، بتعرف أحوال رواتها ، وتمييز صحيحها من سقيمها ، ثم حفظها تارة فى الصدور ، وأخرى فى السطور . لقد كان المسلمون بين أن يدفعهم الحرص على سنة نبيهم إلى تقبل كل

(٢) : ١٠ : الأنعام .

(١) : ٩ : الحجر .

(٣) : ١٧١ : ١٧٣ : المائدة .

(٤) : ٥٢ : المائدة .

ما يروى حتى لا يفوتهم ما صح منها ، وأن يتأثروا بشبه المضالين فيرفضوه كله
حذراً من الأخذ بالموضوع والوقوع في الباطل ، واسكن الله جنهم الخطين ،
وعصمهم من الوقوع في الورطتين ، ووقفهم إلى الطريقة الوسطى ، طريقة
الاعتدال البعيدة عن التعصب الأعمى والتحامل الذميم ، طريقة الفحص
والتمحيص للسند والمتن ، ووضع القواعد العلمية الصحيحة لمعرفة من يقبل ومن
لا يقبل من الرواة ، وما يقبل وما يرد من الأحاديث ، وبهذا ميزوا الخبيث
من اللطيف ، ونالت السنة بجهودهم ما لم يعهد في شريعة من الشرائع ، ولا في
نص من النصوص غير الكتاب الكريم .

وكان مما أثلج صدورنا ، وفتح باب الأمل في شهاب عصرنا — أن
الطالب المؤمن بربه ، والتبوء على دينه ، والمحبة لسنة الرسول صلى الله عليه
وسلم السيد « محمد عجاج الخطيب » — سار على توفيق من الله ، وهدى من السلف
الصالح ، فاختار لنيل درجة الماجستير في العلوم الإسلامية من كلية دار العلوم
بجامعة القاهرة — موضوع « السنة قبل التدوين » ، ليدفع ببخته ما أثاره
المضللون من انقطاع الصلة بين الرسول وما بين أيدينا من سنته ، ويظهر ما خفي
على كثير من الناس من تدوين بعض السنة في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ،
وبعضها في عهد الصحابة والتابعين ، قبل أن تدون التدوين الرسمي المعروف .

وقد رجَّح أن التدوين الرسمي بدأ في منتصف العقد الهجري الثامن من
القرن الأول حين طلب أمير مصر : عبد العزيز بن مروان بن الحكم من كثير
ابن مرة الحضرمي — الذي أدرك سبعين بدرياً من الصحابة في حمص — أن
يكتب إليه بما سمع من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا حديث أبي هريرة
فإنه كان عنده . ولا يظن بكثير إلا أن يستجيب لطلب الأمير ، فيجتمع له
هذا ما كان عنده من حديث أبي هريرة وما عند كثير ، وحسبك هذا تدويناً

رسمياً لقسط كبير من سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك العصر ، ويكون ما فعله عمر بن عبد العزيز بعد هذا — من العناية بالحديث ومطالبة العلماء في الأقطار المختلفة بكتابتهم والجلوس لمدارسته — ليس إلا امتداداً لما شرع فيه أبوه من قبل . وهو رأى يرجحه ما عرف عن السلف من الحرص على حفظ السنة والعمل بها .

وقد اقتضاه البحث أن يتسكلم عن الوضع وأسبابه ، وجهود الصحابة والتابعين ومن بعدهم في مقاومته وتطهير السنة من أوضاره ، وأن يتحدث عن آراء بعض المستشرقين ومن انخدع بهم من المسلمين ، فنقد مزاعمهم ، ورد الحق إلى نصابه في مقرياتهم ، وبين فضل الصحابة وعداوتهم ، وحرصهم على العمل بالسنة وحفظها ، وثبتهم في روايتها ، واقتداء من جاء بعدهم بهم في ذلك ، كما نعرض لما أثير حول بعضهم من شبهات فنفاها عنهم .

ولا نعدو الحقيقة إذا قلنا : إن للطالب كان أصيلاً في بحثه ، لم يُغورّه تَوَجُّبه وإرشاد ؛ بل جمع بحده كل ما استطاع الوصول إليه من مراجع ، وتناول منها كل ما يلائم بحثه ، ثم عرض ذلك على مقاييس صحيحة في نزاهة وصدق وإيمان ، وبهذا نظمَ نفسه في سلك المحبين للسنة ، الذين بشرم الرسول صلى الله عليه وسلم بالجنة فيما روى الترمذي عن أنس رضي الله عنه : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من أحب سنتي فقد أحبني ، ومن أحبني كان معي في الجنة » . والله المستول أن ينفع الإسلام والمسلمين برسائله ، وأن يحصل من شبابنا شباباً صالحاً لا يتخذ مظاهر المدنية السكاذبة ، فيسكف على دراسة الدين التويم ، والتراث الجيد ، ويدفع عنهما نهم المبتلين ، وضلال المضلين ، وهو الهادي إلى الصراط المستقيم .

المقدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم النبيين -
وسيد المرسلين وعلى آله وصحبه ، ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين

وبعد ، فإن القرآن الكريم هو المصدر التشريعي الأول في الإسلام ،
والسنة هي المصدر الثاني ، لأنها مبينة له ، مفصلة لأحكامه ، مفرعة على أصوله ،
وهي التطبيق العملي للإسلام على يد رسول الإنسانية محمد صلى الله عليه وسلم ،
دان المسلمون لأحكامها من لدن الرسول الكريم إلى يومنا هذا ، وستبقى
إلى جانب القرآن مصدر الأحكام ، ومعين الآداب والأخلاق ، حتى يرث الله
الأرض ومن عليها ، فقد كان التمسك بهما سر نجاح الأمة الإسلامية ،
وتقدمها ، مصداقاً لقوله صلى الله عليه وسلم ، « تَرَكْتُ فِيكُمْ شَيْئَيْنِ أَنْ
تَضِلُّوا بَعْدَهُمَا : كِتَابَ اللَّهِ وَسُنَّتِي » .

ولكنه لم يرق لأعداء الإسلام قديماً وحديثاً ، أن يروا ازدهار الأمة
الإسلامية وتقدمها ، فضلوا على هدم أسس الإسلام ، وتشكيك المسلمين في دينهم ،
وكان من الصعب أن ينالوا من القرآن الكريم ، فوجهوا سهامهم إلى السنة ،
وحاولوا تشويهها ، فوضعوا الأحاديث ، وطعنوا في بعض الصحيح منها ،
واتهموا بعض الرواة بالتفات ، ولكن هذا لم ينل من السنة أمام يقظة الأمة
وعلمائها الذين ذبوا عنها وحافظوها عليها .

وسلك أعداء الاسلام سبلا مختلفة لإنكار السنة جملة بعد التشكيك فيها ،

فادعى بعضهم أن السنة أهملت بعد الرسول صلى الله عليه وسلم أكثر من قرنين إلى أن حممها بعض المصنفين في كتب السنن في القرن الثالث الهجري ، فلم تحفظ كالقرآن الكريم منذ ظهور الإسلام ، ولهذا تسربت إليها الوضع ، وأصبح من الصعب تمييز الحديث الصحيح من الموضوع ١١١ وادعى بعض المستشرقين أن جانباً من الحديث قد وضعه الفقهاء ليدعوا مذهبهم الفقهية ١١١ وادعى آخرون أن السنة كانت أحكاماً مؤقتة لعصر النبي صلى الله عليه وسلم ، وأصبحت الآن عديمة الجدوى ، وتسربت هذه الفكرة إلى بعض البلاد الإسلامية ، وأخذت شكلاً منظماً ، فظهر في الهند جماعة تنادى بعدم الاحتجاج بالسنة ، سميت نفسها (أهل القرآن) ، وألفت كتباً ورسائل كثيرة لنشر أفكارها^(١) .

وفي رأى هؤلاء جميعاً أن السنة لم تعد صالحة لأن تكون مصدراً تشريعياً ، وأنه يعمين لفهم الإسلام الاكتفاء بما جاء في القرآن ، وبخاصة أنه بمقدور العقول النيرة أن تفهمه ، كما فهمه الرسول صلى الله عليه وسلم ١١١

هذه بعض دعاوى أعداء الإسلام ، الذين أرادوا من ورأها إبعاد المسلمين عن دينهم ، وخلخلت العقيدة في نفوسهم ، ليتمكنوا من نشر مبادئهم في بلادنا الإسلامية الطيبة ، والسيطرة عليها مادياً بعد السيطرة عليها فكرياً ، وما يؤسف له أن بعض شبابنا الذين لم يُتبح لهم أن ينتفقوا بثقافة الإسلام قد اعتنقوا هذه الأفكار التي تخدم أعداءنا ، وتفرق صفوفنا . في وقت نحن أحوج ما نكون فيه إلى التمسك بما جاء في السنة من أحكام وأخلاق وآداب وتوجيه وإرشاد ، كما نعتز الأمم بترأسها وتفخر به ، ويشهد المنصفون من علماء الأمم الأخرى

(١) انظر مقالة تحقيق معنى السنة وبيان الحاجة إليها للعلامة السيد سليمان النجدي رحمه الله .

بمظمة تراثنا التشريعي ، فكيف يتنكر له بعض المسلمين ، ونحن أحوج ما نكون إلى التمسك به ، بعد أن على المسلمون وطأة الاستعمار فترة طويلة ، وذاقوا مرارة التفرقة والهوان ، بعد أن كانوا سادة العالم .

نحن - في نهضتنا - بحاجة إلى الرجوع إلى شريعتنا ، إلى قرآننا وسنة رسولنا ، بعد أن حطمنا القيود ، ونفضنا غبار الجهالة ، ومزقنا عصاة العماية عن العيون ، فلا بد لإتمام تحررنا من أن نتخلص من هذه الأفكار التي تسربت إلى صفوفنا ، وحلها بعض إخواننا وأبنائنا ، سواء أكان هذا عن حسن نية منهم أم عن سوء نية ، لأنها تخدم أعداءنا الذين لا يصرم اجتماع كلتنا وسعادتنا .

ولما كانت السنة مبينة للقرآن الكريم ، ولا يمكن الاستغناء عنها ، ولما كان الواقع في حفظ السنة يخالف ما أدعاه المفسرون - كان لا بد من تناول السنة بدراستها وبحث تاريخها ، وقد بين الأصوليون وبعض المحدثين مكانة السنة من التشريع الإسلامي ، وبقى أن تُبين الحقيقة التاريخية للسنة وكيف اعتنى السلف الصالح بها وحفظها ونقلها قبل أن نصلنا في كتبها المشهورة .

وقد رأيت أن أتناول هذا الجانب من البحث في فترة ما قبل التدوين ، وأقصد بالتدوين هنا التدوين والتصنيف المشهور ، الذي كان في مطلع القرن الهجري الثاني تمشيا مع عرف علماء الحديث ، والذي يعود الفضل فيه إلى الخليفة عمر بن عبد العزيز ، فليكن هذا هو التدوين الرسمي ، ذلك لأنه قد ثبت تدوين جانب من السنة في عهده صلى الله عليه وسلم وعهد الصحابة .

تلك أسباب لاختيار هذا الموضوع ، وسبب آخر هو أنه لم يسبق لأحد أن بحث كيف اجتازت السنة تلك الحقبة بحثاً دقيقاً وافياً ، إنما كان بحث السلف في هذه الناحية لا يمدو ذكر لحات عن تلك الحقبة ، لاقتناعهم واقتناع المسلمين بأن

السنة قد حفظت على أحسن وجه ، بفضل حفاظها وعلمائها ، لهذا توزعت مادة البحث في مراجع كثيرة ، في كتب الحديث وشروحها ، وكتب مصطلحه وعلومه ، وفي تراجم الرواة ، وكتب التاريخ والأصول وغيرها . وإذا كانت هذه التنف تشكل معظم مادة الموضوع ، فإنها لا تعطى - كما هي - صورة كاملة عن حقيقة السنة وحفظها آنذاك .

هكذا أقدمت على دراسة السنة في تلك الفترة ، من خلال أمهات المصادر ، المخطوط منها والمطبوع ، قديمها وحديثها ، ويمتد شطر أمهات دور المکتب العامة والخاصة ، في دمشق وحلب والقاهرة . . . ورجعت إلى مخطوطات نادرة ، كما صورت بعض المخطوطات من البلاد التي لم تتيسر لي زيارتها ، فكان البحث شاقاً من جهة ، ويتطلب الدقة من جهة أخرى ، واضحاً حيناً ، ومعقداً أحياناً ، ومع هذا تابعت البحث بروح علمية ، بمحذوئ الصبر ، وتعالى ومضات الأمل . وكان لإشراف فضيلة الأستاذ علي مصعب الله وتشجيعه - أثر طيب في إخراج هذا الموضوع بثوب جديد ، بصور السنة في تلك الفترة تصويراً دقيقاً ، من حيثُ عناية الأمة بها وحفظها ، والاهتمام بنقلها ، والتثبت في روايتها على أسلم القواعد العلمية ، وكتابتها ونشاط العلماء في تبليغها ، وحرصهم على صيانتها ، وعوامل انتشارها ، ودراسة الأسباب التي كادت تسيء إليها ، وجهود العلماء في سبيل حفظها .

وقد تعرضت لسكثير من الشبهات والآراء ، وناقشتها ، ورددت عليها ، وبينت وجه الحق مدعماً بالأدلة والبراهين ، فكان الموضوع في تمهيد وخمسة أبواب وخاتمة .

التمهيد ، وفيه :

أولا : التعريف بالسنة لغة وشرعا .

ثانيا : موضوع السنة ومكانتها من القرآن الكريم .

الباب الأول : السنة في العهد النبوي .

وفيه تحدثت عن الرسول صلى الله عليه وسلم من حيث هو معلم ومرب ،
وبينت موقفه عليه الصلاة والسلام من العلم ، ومنهجه في التبليغ ، وتعليم أصحابه
رضي الله عنهم ، وكيف كان الصحابة يتلقون السنة عنه عليه الصلاة والسلام ،
ثم ختمته بانتشار السنة في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم .

الطلب الثاني : السنة في عصر الصحابة والتابعين ، وفيه فصلان :

الفصل الأول ، وفيه أربعة مباحث :

المبحث الأول : تأسي الصحابة والتابعين بالرسول صلى الله عليه وسلم
وتمسكهم بسنته .

المبحث الثاني : احتياط الصحابة والتابعين وورعهم في رواية الحديث .

المبحث الثالث : تثبت الصحابة والتابعين في قبول الحديث .

المبحث الرابع : كيف روى الحديث في ذلك العصر باللفظ أم بالمعنى ؟

الفصل الثاني : وفيه ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : النشاط العلمي في عصر الصحابة والتابعين .

المبحث الثاني : انتشار الحديث في عصر الصحابة والتابعين .

المبحث الثالث : الرحلة في طلب الحديث .

الباب الثالث : الوضع في الحديث ، وفيه أربعة فصول :

الفصل الأول : ابتداء الوضع وأسبابه .

الفصل الثاني : جهود الصحابة والتابعين ومن تبعهم في مقاومة الوضع وحفظ الحديث .

الفصل الثالث : آراء بعض المستشرقين وأشياعهم في السنة ونقدها .

الفصل الرابع : أشهر ما أُلّف في الرجال والموضوعات ، وهو ثمار جهود العلماء في المحافظة على الحديث .

الباب الرابع : متى دون الحديث ؟ وفيه ثلاثة فصول :

الفصل الأول : حول تدوين الحديث ، وفيه أخبار حول كتابة السنة ، وأخرى حول كراهية كتابتها ، ومناقشة هذه الأخبار ، وخلاصة هذه المناقشة .

الفصل الثاني : مادون في عصر الرسول صلى الله عليه وسلم وفي صدر الإسلام .

الفصل الثالث : آراء في التدوين .

الباب الخامس : بعض أعلام رواة الحديث من الصحابة والتابعين ، وفيه فصلان :

الفصل الأول : بعض أعلام الرواة من الصحابة .

وفيه تعريف الصحابي ، وعدالة الصحابة ، ثم ترجمة المكثرين من الحديث منهم ، وهم :

١ - أبو هريرة . ٢ - عبد الله بن عمر ٣ - أنس بن مالك

٤ - عائشة أم المؤمنين ٥ - عبد الله بن عباس ٦ - جابر بن عبد الله

٧ - أبو سعيد الخدري

الفصل الثاني : بعض أعلام الرواة من التابعين :

- ١ - سعيد بن المسيب .
- ٢ - عروة بن الزبير .
- ٣ - محمد بن مسلم بن شهاب الزهري .
- ٤ - نافع مولى ابن عمر .
- ٥ - عبيد الله بن عبد الله .
- ٦ - سالم بن عبد الله بن عمر .
- ٧ - إبراهيم النخعي .
- ٨ - عامر الشعبي .
- ٩ - علقمة النخعي .
- ١٠ - محمد بن سيرين .

وقد يتبادر للوهلة الأولى أنه يمكننا الاستغناء عن الباب الخامس ، بما جاء في كتب التراجم ، ولكني رأيت من الأهمية بمكان أن أدرس بعض رجال الحديث من الصحابة والتابعين ، لأقدم نموذجاً عظيماً عن القلوب الواعية التي حفظت السنة ، والأيدى الطاهرة التي نقلتها بأمانة وإخلاص ، على أسلم قواعد التثبت العلمي ، وبخاصة أن بعض أهل الأهواء والمشتريين ، كانوا قد طعنوا في مشاهير الرواة منهم . فرأيت إتماماً للبحث أن أفند طعنهم واقترأتهم حين أنرجم لهم ، وأبين الحق من الباطل ، بعد أن أصبحت أمهات كتب تراجم رجال الحديث في عصرنا نادرة جداً ، وقد يمسر على طلاب العلم الرجوع إليها ، فرجح عندي الإقدام على ضم هذا الباب إلى الموضوع ، وبهذا أكون قد بينت حياة السنة في هذه الحقبة ، ودرست مشاهير حفاظها ونقلها .

وكانت الخاتمة خلاصة عامة للبحث .

وإني لأرجو الله الكريم أن أكون قد وفقت لعرض الموضوع بشكل يحقق الغاية منه ، فإني لم آل جهداً ، ولم أدرع وسعاً للوصول إلى الحقيقة ، وأنا مع هذا لا أدعى الكمال في بحثي ، وكل ما قمت به لا يعدو محاولة علمية لدراسة السنة وتاريخها في فترة معينة على منهج علمي يسهل الرجوع إليه .

وَأَسْأَلُ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يُوَفِّقَ الْأَجْيَالَ إِلَى دِرَاسَةِ الشَّرِيعَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ
الْخَالِدَةِ ، وَفَهْمِهَا وَتَطْبِيقِهَا ، وَأَنْ يَجْمَعَ الْعَرَبَ وَالْمُسْلِمِينَ جَمِيعًا عَلَى كِتَابِ اللَّهِ
وَسُنَّةِ رَسُولِهِ ، لِمَهْتَدَى هُدًى ، وَنَعِيدَ لِلْعَالَمِ نَضَارَتَهُ ، وَنَحْقَقَ سَعَادَتَهُ ، كَمَا حَقَّقَهَا
أَسْلَافُنَا الْعَظَامُ .

وَأَخِيرًا أَشْكُرُ فَضِيلَةَ أَسْتَاذِي الْمَشْرِفِ ، الَّذِي شَمَلَنِي بِعَظْمَةِ وَتَوْجِيهِاتِهِ ،
مَعَ كَثْرَةِ وَاجِبَاتِهِ وَتَبَعَاتِهِ ، وَضَيْقِ وَقْتِهِ ، كَمَا أَشْكُرُ كُلَّ مَنْ سَاعَدَنِي مِنْ
أَسَاتِذَتِي وَإِخْوَانِي ، وَسَهَّلَ مَهْمَتِي .

وختاماً أرجو كل من بطع على هذا البحث فيجد ما يحتاج إلى تعديل
أو تبديل ، أن يفيدني بما عنده ، والله أسأله الرشاد والسداد .

* * *

محمد عجاج الخطيب

٢٩ جادى الأول ١٣٨٢ هـ
٢٨ أكتوبر (تشرين أول) ١٩٦٢ م

تمهيد

- التمرير بالسنة لغة وشرهاً ...
- موضوع السنة ومكاتها من القرآن الكريم .

ختم الله عز وجل رسالات السموات الملا إلى الأرض ، برسالة الإسلام ، فبعث محمداً صلى الله عليه وسلم رسولا هادياً ، مبشراً ونذيراً ، « وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً »^(١) .

ونباه بذلك عام ٦١٠ من ميلاد عيسى عليه السلام بعد أربعين سنة من مولده صلى الله عليه وسلم ، فشرفه الله عز وجل بحمل الرسالة السامية الخالدة ، إلى الناس كافة « قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جِئْتُكُمْ بِالْحَقِّ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ نَبَأٌ عَظِيمٌ »^(٢) . لا إله إلا هو يُحْيِي وَيُمِيتُ ، فَآمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ »^(٣) . وأمره أن يبلغ أحكام الإسلام وتعاليمه فقال « يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ ، وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَدَّلَتْ رِسَالَتَهُ ، وَاللَّهُ يَصْطُكُ مِنَ النَّاسِ ، إِنْ اللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ »^(٤) .

وأمره أن يدعو أهله وعشيرته إلى الإسلام فقال : « وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ، وَاخْضَعْ جَنَاحَكَ لِمَنْ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ »^(٥) . ليهدي قومه إلى سبيل الرشاد ، فيحملوا عبء تبليغ الرسالة إلى الأمم الأخرى ،

فيكون لهم شرف المبلغ الهادي ، ويغد اسمهم أبدا الدهر كما أراد الله للرسول الكريم عليه الصلاة والسلام ، وللأمة العربية التي انطلقت تحرر العالم من الظلم والظلمين ، وتوجه مركب الإنسانية إلى شاطئ السلام ، وتخرجه من الظلمات إلى النور سالكة سبيل الهداية والحق . بعد أن تنكب الناس الصراط المستقيم ، وتخطوا في غياهب الجهالة والضلال . تنقذهم أمواج الأهواء كما نشاء ، وتعلمهم لمخاصير الجبابرة كالهباء .

إلا أن هداية العرب لم تكن سهلة ، بل تحمل الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام في سبيلها المشاق الكثيرة ، وأذى في جسمه وماله وأهله وأصحابه ووطنه ، وكان يدعو ليلا ونهاراً وسراً وإعلاناً ، ويسأل الله السداد والرشاد ، متطلعاً إلى هداية قومه ليحملوا الرسالة ويؤدوا الأمانة .

لقد أوحى إلى الرسول صلى الله عليه وسلم ، وقومه على دين آبائهم ، وثنية وأصنام ، يسودهم النظام القبلي ، وتربط بينهم صلة القرابة والدم ، لا يحكمهم نظام عام ، بل يخضعون للعادات والأعراف ، يدفعهم الشرف والمفاخرة بالأنساب إلى المنافسة في المكارم والمروءات ، يعيشون في حلقة القبيلة والأسرة ، في إطار الجزيرة العربية .

وكان لهذا أثر بعيد في صفاء نفوسهم ومحافظةهم على أمجادهم وعاداتهم ، وتقانيهم في سبيل مثلمهم الأعلى ، حتى كانوا يسرفون في ذلك ، فهم كرام يبدلون ما يستطيعون للضيف ، فيبلفون في ذلك حد الإسراف .

ويأبون العار ولو أدى بأعز ما لديهم إلى الردى ، ولهذا وأدوا بناتهم خشية الفقر والزال . ويحبون تحقيق الأجداد والبطولات ، ولسكنهم ضلوا الطريق وحرموا العقيدة الموصلة إلى ذلك ، ترى العفة والكرامة من أخلاقهم ،

والكرم والشجاعة من سجاياهم ، والحمة والثار تسير في عروقهم ، فلا ينامون على ضيم ، وويل لمن غضب عليه العرب ، إذ كانوا يثورون لأنفه الأسباب ، يكفي أن يستفز القبيلة فرد أهنت كرامته ، فتنتطلق جميعها كباراً وصغاراً تدفع عنه ما أصابه . لأن كرامة الفرد من كرامة القبيلة ، وإلى هذا يمكننا أن نرد أكثر الفزوات والغارات التي كانت بين القبائل قبل الاسلام .

وقد حفظت ذاكرتهم القرية أشعارهم وأنسابهم التي كانت بمثابة سجل تاريخي لهم . وكان كل ذلك من المؤهلات التي أعدتهم لحمل الرسالة الإسلامية فيما بعد .

وإذا كانوا قد عبدوا الأوثان فإنهم لم يروها خالقة مدبرة لأمر السكون وشؤونه ، بل عبدوها زلنى إلى الله : « مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى (١) » ولم تسكن عقائدهم معقدة مركبة كما كانت عليه عقائد سكان البلاد المجاورة من الفرس والهند ، بل كانوا أصفياء النفوس ، ويمكننا أن نقول : إن عندهم فراغا عقديا تستره تلك العبادات والمعتقدات الأولية ، التي لم تقف على قدميها أمام عقيدة الإسلام المتماكة السكاملة . ولهذا كان العرب يمتازون عن غيرهم من الأمم بتلك الصفات التي أهلهم فيما بعد لأن يكونوا جنود الإسلام وحمله لوائه إلى العالم .

ومع هذا لم يكن من السهل أن يستجيب العرب جميعا إلى دعوة الرسول الكريم باديء ذي بدء ، إذ كان من الصعب أن يتركوا دين آبائهم وأجدادهم ، فإذا ما دعاهم إلى الله قال له أقرب الناس إليه : تبأ لك !! ألهذا دعوتنا ؟ وأودى صلى الله عليه وسلم في سبيل دعوته كثيراً ، ولم يؤمن به إلا نفر قليل : زوجته ،

وبعض ذويه ، وقليل من أهله . وكان لا يفتقر عن دعوتهم ، ويسخرون منه فيزداد نشاطاً وحيوية وراء أمه ، وبصورهم الله تعالى في قوله : « وَإِذَا قِيلَ لَهُم اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلَىٰ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ » ^(١) « وَإِذَا قِيلَ لَهُم تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَىٰ الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا ، أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ » ^(٢) . إلا أَنَّ الباطل لا يقوى أمام الحق ، فسرعان ما يتقوض ، ويظهر ضعفه ، كما يتلاشى الظلام حين يكون وراءه النور الساطع .

وهكذا بدأ الإسلام يستولى على القلوب في مكة رويداً رويداً ، ثم انتشر بين بعض سكان يثرب (المدينة المنورة) ، وازداد إيذاء المشركين للمسلمين واضطروهم إلى هجر وطهم فراراً بدينهم .

وفي المدينة بدأت الدولة الإسلامية منظمة برئاسة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وانتشر خبر الإسلام في أطراف الجزيرة ، ولم تمنع أضرال المشركين العرب من الدخول في دين الله ، دين المساواة والعدالة ، عقيدة سهلة سامية ، إيمان بالله وطاعة لرسول الله ، وعبادات تدخل السعادة والطمأنينة إلى النفوس ، نظام يضبط الجماعة ويؤمن حقوق الأفراد ... كل هذا جعل القبائل العربية تنهافت إلى المدينة من كل حدب وصوب ، يعلنون إسلامهم ، وعم الإسلام الجزيرة العربية بعد الفتح الأكبر ، ودخل الناس في دين الله أفواجا ، وانقلبت مكة والمدينة بل الجزيرة العربية إلى موطن إسلامي متماسك تنبع منه اشعاعات الهداية لتنير العالم .

وقد تم ذلك للرسول الكريم خلال اثنتين وعشرين سنة وبضعة أشهر .

وخرج العرب باعترافهم هذا الدين الحنيف من نطاق القبيلة المغلق إلى صعيد الإنسانية الواسع ، ومن إطار الصحراء إلى العالم الشاسع ، وانقلبت رابطة الدم والقرابة إلى الأخوة في الدين ، وانتهى نظام القبيلة وحل مكانه نظام الدولة الإسلامية في مختلف مرافق الحياة وانتقلت حميتهم للقبيلة إلى نصرة الحق ، وأصبح اعتزازهم بالإسلام وبما يقدمونه من تضحيات وخدمات بدلا من اعتزازهم بالأنساب . واتجه جهم للأحجاد والبطولات صعداً إلى تحقيق ما يرضى الله ورسوله ، ونحوات شجاعتهم وجراتهم المحصورة في النطاق القبلي إلى شجاعة وجرأة في سبيل نشر الدين الجديد ، وتحول كرمهم الذي بلغ حد السرف إلى إعانة الفقراء وإغاثة الملهوفين ، وتزويد الجيوش للدفاع عن معتقداتهم وعن إخوانهم في الدين ، وتحرير الأمم من نير العبودية إلى الحرية وعبادة إله واحد . . . فكان الإسلام شرفاً عظيماً لهم كما قال تعالى : « وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ » ^(١) وكان العرب يحق كما قال تعالى : « كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ » ^(٢) .

يتبين لنا مما ذكرت أن هؤلاء العرب الذين انطوت نفوسهم على صفات كريمة ، وخصال طيبة ، وراءها دوافع قوية وحيوية فائقة — كان ينقصهم العقيدة الصالحة ، والنظام الحسن ، فما إن وجدوها في الإسلام دين الحنيفية السمحة ، حتى كانوا خير حافظ لها ، وأول داع إليها ، ومن ثم فتحوا قلوبهم للرسول الكريم عليه الصلاة والسلام ، وأصغوا إليه ، والتفوا حوله

(١) ٤٤ : الزخرف ، وإنه ذكر : أي لكرف عظيم . انظر تفسير أبي السعود ٤٥ : ج ٥

(٢) ١١٠ : آل عمران .

ينهلون من معين الذي لا ينضب ، ويتأقون تعاليم الإسلام من رائده ليقوموا بدورهم في هداية الناس جميعاً ، وهكذا تضافر العامل الفطرى الذى تميز به العرب مع العامل المكتسب الجديد (الروحى) ، فظهر الرعيل الأول الذى حمل مشعل النور والحق إلى العالم ، ونقل القرآن الكريم والسنة الطاهرة بكل أمانة وإخلاص . ولما كان موضوعنا متعلقاً بالسنة ، فلنتقل إلى التعريف بها .

أولاً - التعريف بالسنة

١ - السنة فى اللغة :

السنة : السيرة حسنة كانت أو قبيحة . قال خالد بن عتبة الهذلى :
فلا تمجزعن من سيرة أنت سررتها فأول راض سنة من يسرها
وسنتها منا واستنفتها سررتها ، وسنت لسم سنة فاتبعوها .
وفى الحديث : من سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها ، ومن
سن سنة سيئة^(١) ، يريد من عملها ليقضى به فيها .
وكل من ابتدأ أسراً عمل به قوم بعده ، قيل هو الذى سنه .

قال نصيب :

كأنى سننت الحب أول عاشق من الناس إذ أحيت من بينهم وحدى

(١) روى الإمام مسلم بسنده عن المنذر بن جرير عن أبيه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من سن فى الإسلام سنة حسنة فله أجرها ، وأجر من عمل بها بعده ، من غير أن ينقص من أجورهم شئ . ومن سن فى الإسلام سنة سيئة ، كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده ، من غير أن ينقص من أوزارهم شئ . صحيح مسلم ص ٧٠٥ ج ٢ و ص ٢٠٥ ج ٤ .

وقد تكرر في الحديث ذكر السنة وما تصرف منها . والأصل فيه الطريقة والسيرة .

وإذا أطلقت في الشرع فإنما يراد بها ما أمر به النبي صلى الله عليه وسلم ، ونهى عنه ، وندب إليه قولاً وفعلًا ، ولهذا يقال في أدلة الشرع الكتاب والسنة ، أى القرآن والحديث .

وبحوز أن يكون (لفظ سنة) من سنت الإبل إذا أحضت رعيتهما والقيام عنهما^(١) .

٢- السنة في المشرع :

يختلف معنى السنة في اصطلاح المشرعين حسب اختلاف فنونهم وأغراضهم ، فهى عند الأصوليين غيرها عند المحدثين والفقهاء . ولذلك نرى مدلول معناها من خلال أبحاثهم .

(أ) فعلماء الحديث إنما بحثوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الإمام الهادى ، الذى أخبر الله عنه أنه أسوة لنا وقدوة ، فنقلوا كل ما يتصل به من سيرة ، وخلق ، وشماثل ، وأخبار ، وأقوال ، وأفعال ، سواء أثبت ذلك حكماً شرعياً أم لا .

(ب) وعلماء الأصول إنما بحثوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم المشرع الذى يضع القواعد للمجتهدين من بعده ، ويبين للناس دستور الحياة ، ولذلك عتوا بأقواله ، وأفعاله ، وتقريراته التى تثبت الأحكام وتقررها .

(ج) وعلماء الفقه إنما بحثوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، الذى تدلُّ

(١) لسان العرب لى مادة (سنن)

لأفعاله على حكم شرعى ، وهم يبحثون عن حكم الشرع فى أفعال العباد وجوباً ،
أو حرمة ، أو إباحت ، أو غير ذلك^(١)

مما تقدم يتلخص لدينا ما يلى :

السنة فى اصطلاح المحدثين هى : كل ما أُرِيَ عن النبي صلى الله عليه وسلم
من قول ، أو فعل ، أو تقرير ، أو صفة خلقية أو خلقية ، أو سيرة سواء أكان
ذلك قبل البعثة كتمنشه فى غار حراء ، أم بعدها .

والسنة بهذا المعنى مرادفة للحديث النبوى .

السنة فى اصطلاح علماء أصول الفقه هى كل ما صدر عن النبي صلى الله
عليه وسلم غير القرآن الكريم ، من قول ، أو فعل ، أو تقرير ، مما يصلح
أن يكون دليلاً لحكم شرعى .

أما القول فهو أحاديثه صلى الله عليه وسلم التى قالها فى مختلف الأغراض
والمناسبات ، فترتب على ذلك حكم شرعى . كقوله صلى الله عليه وسلم « لا وصية
لوارث » وقوله « لا ضرر ولا ضرار »^(٢) وقوله فى زكاة الزروع « فيما سَقَتِ
السماء والعميون أو كان عَثَرِيًّا : العُشْرُ . وما سقى بالنضح : نصف العُشْرِ »^(٣)
وقوله فى البحر « هو الظهور مأوّه الحِلُّ مَبْنُوعٌ »^(٤) .

(١) انظر فتح الباري بفتح النون بفتح اللام ص ٢٥ ج ٢ والمدخل إلى السنة وعلومها ص ٧ والسنة
ومكانتها فى التفريع الإسلامى ص ٦١ .

(٢) انظر سبل السلام ص ٨٤ ج ٣ ورواه الإمام أحمد وابن ماجه .

(٣) فتح الباري ص ٩٠ ج ٤ ، والعشْر ما امتدت مروقته فغرب من نهر أو مستنق من
غير سقى .

(٤) انظر سبل السلام ص ١٤ ج ١ وقد أخرجه الأئمة وأبو بكر بن أبى شيبة

وأما الفعل فهو أفعاله التي نقلها إلينا الصحابة ، مثل أدائه الصلوات الخمس
بهيئتها وأركانها ، وأدائه صلى الله عليه وسلم مناسك الحج ، وقضائه بالشاهد
والبين^(١) ، وما إلى ذلك .

وأما التقرير فشكل ما أقره الرسول صلى الله عليه وسلم ، مما صدر عن بعض
أصحابه من أقوال وأفعال ، بسكوت منه وعدم إنكار ، أو بموافقة وإظهار
استحسانه وتأييده ، فيعتبر ما صدر عنهم بهذا الإقرار والموافقة عليه صادراً
عن الرسول صلى الله عليه وسلم . ومن ذلك ما رواه أبو سعيد الخدري رضي الله
عنه أنه خرج رجلان في سفر وليس معهما ماء فحضرت الصلاة فتيمما صعيداً
طيباً ، فصليا ثم وجدا الماء في الوقت ، فأعاد أحدهما الصلاة والوضوء ولم يعد
الآخر ، ثم أتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فذكر ذلك له ، فقال للذي
لم يعد : « أَصَبْتَ السَّنَةَ » وقال للآخر : « لَكَ الْأَجْرُ مَرَّتَيْنِ »^(٢) .

ومنه أيضاً إقراره لاجتهاد الصحابة في أمر صلاة العصر في غزوة بني قريظة ،
حين قال لهم « لَا يَصْلَيْنِ أَحَدُكُمْ الْمَصْرَ إِلَّا فِي بَنِي قَرْيَظَةَ » ، ففهم بعضهم هذا
النهي على حقيقته ، فأخروا إلى ما بعد المغرب ، وفهمه بعضهم على أن المقصود
حث الصحابة على الإسراع فصلاها في وقتها ، وبلغ النبي عليه الصلاة والسلام
ما فعل الفريقان ، فأقرهما ولم ينكر على أحدهما^(٣) . ومنه إقراره لطريقة معاذ بن
جبل في القضاء حينما بعثه إلى اليمن . إذ قال له : « كَيْفَ تَصْنَعُ إِنْ عَرَضَ
لَكَ قَضَاءٌ ؟ » قَالَ : أَقْضِي بِمَا فِي كِتَابِ اللَّهِ ، قَالَ : فَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِي كِتَابِ

(١) ثبت قضاء الرسول صلى الله عليه وسلم بشاهد وبمين ، راجع مستند الإمام أحمد :
الأحاديث رقم ٢٢٢٤ و ٢٨٨٨ و ٢٩٦٩ و ٢٩٧٠ ج ٤ وسبل السلام ص ١٣١ ج ٤ .

(٢) سبل السلام ص ٩٧ ج ١ رواه أبو داود والنسائي .

(٣) للدخول إلى السنة وعلومها ص ١٠ ، والسنة ومكانتها في التصريح الإسلامي ص ٦٠ .

الله ؟ قال : فَبِسَنَةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قال : فَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِي سَنَةِ رَسُولِ اللَّهِ ؟ قال : اجْتِهَدْ رَأْيِي لَا آلُو ، قال : فَضَرَبَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَدْرِي ثُمَّ قَالَ : الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَفَّقَ رَسُولَ رَسُولِ اللَّهِ لِمَا يَرْضَى رَسُولَ اللَّهِ ^(١) .

— وأما السنة في اصطلاح الفقهاء : فهي كل ما ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم ولم يكن من باب الفرض ولا الواجب ، فهي الطريقة المتبعة في الدين من غير افتراض ولا وجوب .

— وقد تطلق السنة عند الفقهاء في مقابلة البدعة ^(٢) . والبدعة لغة الأمر المستحدث ، ثم أطلقت في الشرع على كل ما أحدثه الناس من قول وعمل في الدين وشعائره مما لم يؤثر عنه صلى الله عليه وسلم وعن أصحابه . وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ بَدْعٌ » ^(٣) .

ومن ذلك قولهم « فلان على سنة » إذا عمل على وفق ما عمل النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، سواء أكان ذلك مما نص عليه في الكتاب أم لم يكن ، وقولهم : « فلان على بدعة » إذا عمل على خلاف ما عملوه أو أحدث في الدين ما لم يكن عليه السلف .

وتطلق السنة أحيانا عند المحدثين وعلماء أصول الفقه على ما عمل به أصحاب رسول الله عليه وسلم ، سواء أكان ذلك في الكتاب الكريم أم في المأثور عن النبي

(١) إعلام اللوئين ص ٢٠٢ ج ١ .

(٢) انظر للدخل إلى السنة وعلومها ص ١٠ . والسنة ومكانتها في التشريع الاسلامي ص ٦١ من ارشاد النعول ص ٣١ ، وتحقيق معنى السنة وبيان الحاجة اليها ص ٢٢ وتاريخ التشريع الاسلامي ص ٦٤ .

(٣) صحيح مسلم ص ١٣٤٣ ج ٣ .

صلى الله عليه وسلم أم لا^(١) . ويحتج لذلك بقوله عليه الصلاة والسلام : « عليكم بسنتي وسنة الخلفاء المهديين الراشدين تمسكوا بها وعصوا عليها بالتواجد^(٢) » وقوله أيضاً : « تَفْتَرِقُ أُمِّي عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً كُنْتُهَا فِي النَّارِ إِلَّا وَاحِدَةً ، قَالُوا : وَمَنْ هُمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَحِبَّائِي^(٣) » .

ومن أبرز ما ثبت في السنة بهذا المعنى « سنة الصحابة » حد الحمر ، وتضمين الصناعات ، وجمع المصاحف في عهد أبي بكر رأى الفاروق ، وحل الناس على القراءة بحرف واحد من الحروف السبعة ، وتدوين الدواوين . . . وما أشبه ذلك مما اقتضاه النظر المصلحي الذي أقره الصحابة رضي الله عنهم^(٤) .

وأعني بالسنة في بحثي هذا ما أراده المحدثون ، وهي ما يرادف الحديث عند جمهورهم . وإن كان بعضهم يفرق بينهما . فيرى الحديث ما ينقل عن النبي عليه الصلاة والسلام . والسنة ما كان عليه العمل المأثور في الصدر الأول ، ولذلك قد ترد أحاديث تخالف السنة المعمول بها ، فليجأ العلماء حينئذ إلى التوفيق والترجيح ، وعلى ذلك يحمل قول عبد الرحمن بن مهيدي : لم أر أحداً قط أعلم بالسنة ولا بالتحريم الذي يدخل في السنة من حماد بن زيد^(٥) .

وكذلك قوله عندما سئل عن سفيان الثوري والأوزاعي ومالك : سفيان

(١) انظر للدخل إلى السنة وطولها من ١١ والحديث والمحدثون من ٩ والسنة ومكانتها في التصريح الإسلامي من ٦٠ .

(٢) من حديث طويل رواه الربيع بن سارية : سئل أبي حنيفة عن ٥٠٦ ج ٢ الطبعة الأولى لمطبع الباني الحلبي سنة ١٣٧١ .

(٣) (٤ و ٣) انظر للدخل إلى السنة وطولها من ١١ - ١٣ والسنة ومكانتها في التصريح الإسلامي من ٦٠ .

(٥) نفحة الجرح والتعديل من ١٧٧ .

الثورى إمام فى الحديث وليس بإمام فى السنة ، والأوزاعى إمام فى السنة وليس بإمام فى الحديث ، ومالك إمام فىهما^(١) .

ومما يدل على أن السنة هى العمل المتبع فى الصدر الأول قول على بن أبى طالب لعبد الله بن جعفر عندما جلد شارب الخمر أربعين جلدة : « كف » . جلد رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعين وأبو بكر أربعين ، وكلها عمر ثمانين وكل سنة^(٢) .

وبعد أن بينت معنى السنة لغة وشرعاً أرى من واجبى أن أبين معنى بعض الألفاظ التى تداولها أهل هذا الفن فى علمهم .

٣ - معنى الخبر والخبر والامر :

الحديث لغة : الجديد من الأشياء ، والحديث الخبر يأتى على القليل والكثير ، والجمع أحاديث كقطع وأقاطيع وهو شاذ على غير قياس .

وقوله تعالى : « إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفاً »^(٣) ، عنى بالحديث القرآن الكريم ، وقوله تعالى : « وأما بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ »^(٤) ، أى بلغ ما أرسلت به^(٥) .

فالحديث والخبر فى اللغة مترادفان من وجه .

وقد تطور استعمال هذا اللفظ ، وأصبح يطلق على نوع خاص من الأخبار فى الأوساط الدينية بدون أن يخرج ذلك عن معناه العام ، يقول ابن مسعود :

(١) انظر الزرقانى على الموطأ ص ٣ ج ١

(٢) مسند الإمام أحمد ص ٤٨ - ٤٩ حديث ٦٢٤ ج ٢

(٣) (٤) ١١ : الضحى

(٥) : الكهف

(٥) لسان العرب ل مادة (حديث) ص ٤٣٨ ج ٢

« إِنَّ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ ، وَخَيْرُ الْمَدَى هَدَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ »
وهكذا أصبح القرآن أحسن الحديث . ثم حدد معنى الحديث أخيراً بأخبار
الرسول ، سأل أبو هريرة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال يا رسول الله من
أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة ؟ فقال له الرسول : لقد ظننتُ يا أبا هريرة
ألا يسألني عن هذا الحديثِ أحدٌ أولَ منك ، لما رأيتُ من حرصِكَ على
الحديثِ ^(١) .

وقد سبق أن ذكرتُ معنى الحديث مرادفاً للسنّة عند المحدثين . وقيل
الحديث ما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم والخبر ما جاء عن غيره ، ومن ثم
قيل لمن يشغل بالسنّة محدث ، وبالتواريخ ونحوها اخباري ^(٢) .

وقال ابن حجر في شرح نخبه الفسّر : الخبر عند علماء الفن مرادف للحديث
فيطلقان على المرفوع وعلى الموقوف والمقطوع ، فيشمل ما جاء عن الرسول
صلى الله عليه وسلم وعن الصحابة والتابعين ، وقيل بينهما عموم وخصوص مطلق
فكل حديث خبر ولا عكس .

وقد يسمى المحدثون المرفوع والموقوف من الأخبار (أثراً) . إلا أن فقهاء
خراسان يسمون الموقوف بالأثر ، والمرفوع بالخبر ^(٣) .

فتمرصة القول :

إذا أطلق لفظ (الحديث) أريد به ما أضيف إلى النبي صلى الله عليه وسلم

(١) نظرة عامة في تاريخ الفقه الإسلامي ص ١١٦ والحديث أخرجه البخاري : فتح الباري

ص ٢٠٤ ج ١ .

(٢) انظر تدريب الراوي ص ٦ ومنهج ذوي النظر ص ٨ .

(٣) انظر المرجع السابق ص ٦ ومنهج ذوي النظر ص ٨ وللمنهج الحديث في علوم

الحديث ص ٣١ .

من قول، أو فعل، أو تقرير، أو صفة خلقية أو خلقية. وقد يراد به ما أضيف إلى صحابي أو تابعي، ولكن الغالب أن يقيد إذا ما أريد به غير النبي صلى الله عليه وسلم.

ويطلق الخبير والأثر ويراد بهما ما أضيف إلى النبي عليه الصلاة والسلام وما أضيف إلى الصحابة والتابعين وهذا رأى الجمهور. إلا أن فقهاء خراسان يسمون الموقوف أثراً والمرفوع خبراً.

الحديث القدسي

وكل حديث يضيف فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم قولاً إلى الله عز وجل يسمى بالحديث القدسي أو الإلهي، والأحاديث القدسية أكثر من مائة حديث، وقد جمعها بعضهم في جزء كبير^(١)، ونسبة الحديث إلى القدس (وهو الطهارة والتنزيه) وإلى الإله أو إلى الرب، لأنه صادر عن الله تبارك وتعالى (من حيث إنه المتكلم به أولاً والمتشبه له). وأما كونه حديثاً، فلأن الرسول هو الحاكي له عن ربه عز وجل، والفرق بينه وبين سائر الأحاديث، أن هذه نسبتها إليه، وحكايتها عنه فهو القائل وهو الحاكي عن نفسه، وأما تلك فلا.^(٢)

(١) انظر قواعد التحديث ص ٣٩، وانظر الفرق بين الحديث القدسي والقرآن الكريم والحديث النبوي لنوح بن مصطفى الحنفى القونونى مخطوطة دار الكتب المصرية (مجاميع تيمور ٣٣) ص ٧١ - ٧٢.

(٢) المنهج الحديث في علوم الحديث ص ٣١، وقال: وأما الفرق بينه وبين القرآن فقد ذكروا القرآن مزاجاً لم تكن تلك الأحاديث فقالوا: (١) القرآن معجزة باقية على مر الدهور محفوظة من التغير والتبدل، متواترة اللفظ في جميع السجلات والحروف والأسلوب. (٢) حرمة روايته بالخط. (٣) حرمة مسه للحدث وتلاوته لنحو الجنب. (٤) تحية في الصلاة. (٥) تسميته قرآناً. (٦) التمسيد بقراءته بكل حرف منه بمصر حنات. (٧) امتناع يسه في روايته أحمد وكراهيته عند الشافعي. (٨) نسبة الجملة منه آية، ومقدار من الآيات مخصوص سورة. =

وقبل أن ندخل الباب الأول من الكتاب أرى من الواجب أن أبين موضوع السنة ومكانتها من القرآن .

ثانياً - موضوع السنة ومكانتها من القرآن الكريم (١) :

لم يكن للأحكام في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم مصدر سوى الكتاب والسنة . ففي كتاب الله تعالى الأصول العامة للأحكام ، دون التعرض إلى تفصيلها جميعها والتفريع عليها ، إلا ما كان منها متفقاً مع الأصول ثابتاً بثبوتها ، لا يتغير بمرور الزمن ، ولا يتطور باختلاف الناس في بيئاتهم وأعرافهم ، كل هذا حتى يسائر القرآن الكريم كل زمن ، ويبقى صالحاً لكل أمة ، مهما كانت بيئتها وأعرافها ، فتجد فيه ما يكفل حاجتها التشريعية في سبيل النهوض والتقدم . وإلى جانب هذه الأصول في القرآن الكريم نجد العقائد والعبادات وقصص الأمم الغابرة ، والآداب العامة والأخلاق . .

وقد جاءت السنة في الجملة موافقة للقرآن الكريم ، تفسر مبهمه ، وتفصل

== (١) القرآن ما كان لفظه ومعناه من عند الله يوحى جلي ، وأما الحديث القدسي فهو ما كان لفظه من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعناه من عند الله تبارك وتعالى ، بالإلهام أو المنام . وقد يكون يوحى جلي وليس الوحي الجلي شرطاً له بخلاف القرآن الكريم فإنه لا يكون إلا يوحى جلي ، أي ينزل به الملك من عند الله بلفظه ، وعلى هذا قد يكون الحديث النبوي يوحى ، وقد يكون باجتهاد إلا أن الرسول لا يقر على اجتهاد خطأ . والحديث القدسي لا يكون إلا يوحى أهم من أن يكون جلياً ، أو غير جلي ، فيجوز روايته بالمعنى لأن لفظه من رسول الله صلى الله عليه وسلم . انظر المنهج الحديث في علوم الحديث ص ٣١ - ٣٢ وهوامشها نقلنا عنه بإيجاز ويتصرف .

(١) لمرة مرة السنة من القرآن وعلاقتها به ، وأجم :

الرسالة للامام الشافعي رحمه الله ص ٩١ رقم ٢٩٩ ، وأصول التشريع الإسلامي : ص ٤٠ وما بعدها ، والمدخل إلى علم أصول الفقه : ص ٥٥ ، والسنة ومكانتها في التشريع الإسلامي : ص ٢٦ وما بعدها ، وأسباب اختلاف الفقهاء : ص ١١ . والمدخل إلى السنة وعلومها : ص ١٧ وما بعدها ، وعلم أصول الفقه : ص ٤١ - ٤٣ وتاريخ التشريع الإسلامي المبني وإخوانه : ص ٦٦ وما بعدها : وتاريخ التشريع الإسلامي الشيخ محمد الحضري : ص ٣٥ .

عمله ، وتقيد مطابقه ، ونخصص عامه ، ونشرح أحكامه وأهدافه كما جاءت بأحكام لم ينص عليها القرآن الكريم ،^(١) فكانت في الواقع تطبيقاً عملياً لما جاء به القرآن العظيم ، تطبيقاً يتخذ مظاهر مختلفة ، فحيناً يكون عملاً صادراً عن الرسول صلى الله عليه وسلم ، وحيناً آخر يكون قولاً بقوله في مناسبة ، وحيناً ثالثاً يكون تصرفاً أو قولاً من أصحابه صلى الله عليه وسلم ، فيرى العمل أو يسمع القول ثم يقر هذا وذلك ، فلا يعترض عليه ولا ينكره ، بل يسكت عنه أو يستحسنه فيكون هذا منه تقريراً

وهكذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبين ما جاء في القرآن الكريم ، والصحابة يقبلون ذلك منه ، لأهم مأمورون باتباعه وطاعته ، ولم يخطر ببال امرئ منهم أن يترك قول رسول الله عليه الصلاة والسلام أو فعله ، وقد عرفوا ذلك من كتاب الله تعالى ، ففيه « إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ ، يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ ، وَمَنْ أَوْفَى بِمَا طَاعَ عَلَيْهِ اللَّهُ فُتُوْنِهِ أَجْرًا عَظِيماً »^(٢) « وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا »^(٣) « مَنْ بَطَعَ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ »^(٤) « وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا »^(٥) ، « فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يَحْكُمُوا لَكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ، ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً »^(٦) .

فتقبل المسلمون السنة من الرسول صلى الله عليه وسلم كما تقبلوا القرآن^(٧)

(١) انظر من ٢٧ من هذا الكتاب (٢) : ١٠ : النج (٣) : ٩٢ : الأماة (٤) : ٨٠ : النساء .
(٥) : ٧ : الحضر (٦) : ٦٥ : النساء . (٧) انظر كيف تلقى الصحابة السنة وعملوا بها

الكريم استجابة لله ورسوله ، لأنها المصدر الثاني للتشريع بعد القرآن الكريم
بشهادة الله عز وجل ورسوله .

وقد بينت السنة القرآن من وجوه ^(١) ، فبينت ما أجمل من عبادات
وأحكام ، فقد فرض الله تعالى الصلاة على المؤمنين ، من غير أن يبين أوقاتها
وأركانها وعدد ركعاتها ، فبين الرسول الكريم هذا بصلاته وتعليمه المسلمين
كيفية الصلاة ، وقال . « صَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي » ^(٢) . وفرض الحج من
غير أن يبين مناسكه ، وقد بين الرسول عليه الصلاة والسلام كيفيته ، وقال :
« خُذُوا عَنِّي مَنَاسِكَكُمْ » ^(٣) . وفرض الله تعالى الزكاة من غير أن يبين
ما تحب فيه من أموال وعروض وزروع ، كما لم يبين النصاب الذي تحب فيه
الزكاة من كل ، فبينت السنة ذلك كله .

ومن بيان الرسول صلى الله عليه وسلم للقرآن تخصيص عامه ، من هذا ما ورد
في بيان قوله تعالى « يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلَّذِ كَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيْنِ » ^(٤)
فهذا حكم عام في وراثة الأولاد آباءهم وأمهاتهم يثبت في كل أصل مورث ،
وكل ولد وارث فخصت السنة المورث بغير الأنبياء ، بقوله صلى الله عليه وسلم :
« نَحْنُ مَعَاشِرَ الْأَنْبِيَاءِ لَا نُورَثُ مَا تَرَكَنَاهُ صَدَقَةٌ » ^(٥) وخصت الوارث

(١) راجع المصادر المذكورة في هامش (١) من ٢٣ . وخاصة أصول التشريع الإسلامي
لأستاذنا فضيلة الشيخ علي حسب الله : الصفحة ٤٠ وما بعدها . (٢) أخرجه البخاري في حديث
طويل ، انظر صحيح البخاري بحاشية السندی ج ١ من ١٢٥ - ١٢٦ و ج ٤ من ٥٧ وأخرجه
الداري : سنن الدارمي ١٤٨ ط كافر سنة ١٢٩٣ وأخرجه الإمام أحمد . (٣) صحيح مسلم
من ٩٤٣ حديث ٣١٠ و ٢ و راجع جامع بيان العلم من ١٩٠ ج ٢ (٤) ١١ : النساء
(٥) فتح الباري من ٢٨٩ و ٢٣٥ و ٢٣٩ ج ٦ وانظر صحيح مسلم من ١٣٧٨ - ١٣٨٣
ج ٣ ومسنن الإمام أحمد من ١٥٨ و ١٦٠ ج ١ .

بغير القاتل بقوله صلى الله عليه وسلم : « لَا يَرِثُ الْقَاتِلُ »^(١) .

ومن بيانه صلى الله عليه وسلم تقييد مطلق القرآن كما في قوله تعالى :
 « وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا »^(٢) فإن قطع اليد لم يقيد في الآية
 بموضع خاص ، فتنطلق اليد على الكف وعلى الساعد وعلى الذراع .
 ولكن السنة قيدت القطع بأن يكون من الرسغ ، وقد فعل ذلك رسول الله
 صلى الله عليه وسلم عندما « أُنِيَ سَارِقٍ فَقَطَعَ يَدَهُ مِنْ مِفْصَلِ السَّكَفِ »^(٣) .
 وثاني سنة الرسول صلى الله عليه وسلم صبيحة و مؤكدة لما جاء في القرآن
 الكريم أو مفرغة على أصل تقرر فيه . ومن ذلك جميع الأحاديث التي تدل
 على وجوب الصلاة والزكاة والصوم والحج . . .

ومثال السنة التي وردت تقرّباً على أصل في الكتاب^(٤) منع بيع الثمار
 قبل بدو صلاحها . ففي القرآن الكريم قوله تعالى : « لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ
 بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ »^(٥) .

وعندما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ، وجد المزارعين
 يتبايعون ثمار الأشجار قبل أن يبدو صلاحها ، من غير أن يتمكن المشتري
 من معرفة كميتها وصلاحها ، فإذا حان جنى الثمار كانت المفاجئات غير الطيبة
 كثيراً ما تثير النزاع بين المتعاقدين ، وذلك عندما يطرأ طارئ من برد شديد ،
 أو مراض شجرى يقضى على الزهر ، وينعدم معه الثمر . لذلك حرم رسول

(١) سنن الترمذي كتاب الفرائض الباب (١٧) وسنن ابن ماجه في كتاب الديات باب (١٤)
 وكتاب الفرائض باب (١٨) كما أخرجه الإمام مالك وأحمد وغيرهما . (٢) ٣٨ : المائة
 (٣) سبل السلام ص ٢٧ و ٢٨ . وقد روى هذا من حديث عمرو بن شعيب ، وأخرجه
 الدارقطني (٤) انظر المدخل إلى علم أصول الفقه ص ٥٦ (٥) ٢٩ : النساء

الله صلى الله عليه وسلم هذا النوع من البيع ما لم يبدؤ صلاح الثمر^(١) ، ويتمكن المشتري من الثبت من تمام تكونها ، وقال : « أُرِيتَ إِذَا مَنَعَ اللَّهُ الثَّمَرَةَ يَمْ يَأْخُذُ أَحَدُكُمْ مَالَ أَخِيهِ^(٢) » .

— وفي السنة أحكام لم ينص عليها الكتاب وليست بيانا له ، ولا تطبيقا مؤكدا لما نص عليه كتحريم الحر الأهلية ، وكل ذى ناب من السباع ، ونحرى نكاح المرأة على عمتها أو خالتها^(٣) .

بعد هذا التمهيد نتقدم لدراسة السنة ، منذ عهده صلى الله عليه وسلم إلى عصر التصنيف المشهور وبالله التوفيق .



(١) راجع فتح الباري ص ٢٩٨ ج ٥ كتاب البيوع باب بيع الثمار قبل أن يبدؤ صلاحها .
 (٢) المرجع السابق ص ٣٠٢ ج ٥ كتاب البيوع باب إذا باع الثمار قبل أن يبدؤ صلاحها ثم أصابه طاعه فهو من البائع . وقد روى هذا الحديث أس بن مالك .
 (٣) إن النوهين السابقين من البيان : (١) بيان السنة للكتاب بما كسده ما جاء فيه أم التفرع على أصوله كتطبيق له - (٢) بيان السنة لمجمله وتخصيص عامه وتقييد مطلقة - متفق عليهما إجماعا كما ورد في الرسالة ص ٩١ . وأما هنا النوع فقيه خلاف ، والعلماء مناهج في تخرج ذلك وتطيله راجع الرسالة ص ٩٢ وما بعدها وإعلام الموقعين ص ٢٨٨ - ٢٩٠ ج ٢ وأصول التفرع الإسلامي ص ٤٢ وما بعدها والمراجع المذكورة في الصفحة ٢٣ من هذا الكتاب

الباب الأول

السنة في العهد النبوي

- تحدث في هذا الباب عن الرسول صلى الله عليه وسلم من حيث هو معلم وصديق ومن تجاوزه مع دعوته ، وموقفه من العلم ، ومنهج صلى الله عليه وسلم في التعليم .
- وتتناول مادة السنة وحاجة المسلمين إليها ، ثم نبين كيف كان الصعابة بتلقونها عن الرسول صلى الله عليه وسلم .
- ثم نختمه بانتشار السنة في عهد الرسول عليه الصلاة والسلام ، وبيان عوامل هذا الانتشار آنذاك .

تمهيد:

عرفنا البيئة التي ظهر فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والفترة التي قضاها في دعوته الطاهرة وقد كانت مرحلة تعليمية تطبيقية ، وأساساً متيناً لبنيان الحضارة الإسلامية الشامخ ، الذي غير وجه التاريخ ، وأمدّه بذخيرة حضارية في مختلف نواحي الحياة .

فإذا ما نظرنا إلى تلك الحقبة التي لا تتجاوز ربع قرن من عمر الزمن ، منذ بدء دعوة محمد صلى الله عليه وسلم حتى وفاته ، ألفينا أنفسنا أمام مدرسة كبيرة جداً تمر في مرحلة تربوية جديدة ، يشرف على توجيهها وتربية طلابها وتعليمهم محمد صلى الله عليه وسلم ، و « موادها » القرآن والسنة ، وطلابها الصغار رضوان الله عليهم .

وإذا حاولنا أن نحكم على هذه التجربة التربوية ، حكماً علمياً صحيحاً كان لا بد لنا من أن نستعمل طرق القياس والدراسة التربوية ، لنتمكن من معرفة مدى نجاح تلك المدرسة الكبرى ، ومقدار الاستفادة من تلك المادة العلمية التي كانت موضوع الدرس والبحث والتطبيق ، ولا يتحقق لنا هذا إلا بدراسة شخصية المعلم المرئي ، وتفاعله مع مادته ورسائله ، وعلاقته بطلابه وتفاعله معهم ، ومدى تجاوب هؤلاء الطلاب مع مربيهم ومع مادته ، لتعرف من خلال هذا الفائدة العلمية التربوية التي جنوها ، ونطمئن إلى مصير العلم الذي تلقوه وشاركوا في تطبيقه .

لهذا كله كان لزاماً علينا أن نتعرف على شخصية الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام ، مربياً ومعلماً ، ونطلع على منهجه وأسلوبه ، وعلى المادة

التي كانت موضوع العناية والتطبيق من حيث اتصالها ببيئة الطلاب وحياتهم اليومية ونقطع على منهج الصحابة أنفسهم في التلقي ، ومدى نجاحهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتفاعلهم مع الشريعة الفراء ، وخاصة السنة الشريفة ، كل هذا يسكون بحثنا موضوعياً دقيقاً ، بصور الواقع الذي كانت عليه السنة تصويراً صحيحاً .

وإن دراسة المرئي والمادة والطلاب كُتِبْنُ مدى نجاح تلك التجربة لأن لكل جانب من هذه النواحي الثلاثة أثره البعيد في فهم المادة العلمية المدروسة وبقائها مدة طويلة في نفوس الطلاب واضحة جلية ، فكما تضافرت هذه العوامل الثلاثة في طرق الإيجاب ، كانت الفائدة عظيمة جلييلة ، وبقيت المادة في أذهان الطلاب أمداً بعيداً ، وإذا تنافرت هذه العوامل وقل نجاحها فيما بينها لم تثو أكلها ، ونضاءت الفائدة المرجوة منها ، وسرعان ما يأتي النسيان على تلك المادة التي كانت موضوع البحث والدراسة والتطبيق ، وعلى ضوء هذا نتناول البحث من أطرافه الثلاثة المذكورة في هذا الباب .

* * *

١ - الرسول صلى الله عليه وسلم

(١) معلم ومربي :

مهما حاولت أن أصف الدرجة التي وصل إليها الرسول صلى الله عليه وسلم من الخلق الكريم والصلوك المستقيم فلن أستطيع الإحاطة بذلك ، ولا غرابة فأى أديب يمكنه أن يعبر عن العناية الإلهية التي شملت رسول الله صلى الله عليه وسلم في جميع مراحل حياته ؟ وأي مؤرخ يمكنه أن يستقصى جميع أخباره دقيقها

وجليها في هذا المجال ؟ ومع هذا فإن المؤلفات التي دُوِّنت عن حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم في مختلف ظواهرها لم يُدَوَّن مثلها لرجل في التاريخ قط . وأحاول الآن أن أتناول الخطوط الكبرى لموضوعنا هذا .

لقد اصطفى الله تعالى محمداً صلى الله عليه وسلم ، ورباه وعلمه بعنايقه الإلهية ليتمكن من حمل الرسالة وتبليغها ، فأعَدَّ إعداداً عظيماً ، حتى كان القرآن خلقه : برضى رضاه ، وبسخط بسخطه^(١) ، بُعث ليتمم مكارم الأخلاق ، « فلم يكن صلى الله عليه وسلم فاحشاً ولا متفحشاً ، وكان يقول : إن من خياركم أحسنكم أخلاقاً^(٢) » . كان أشد حياءً من المذراء في خدرها^(٣) ، وإذا كره شيئاً عرف في وجهه^(٤) . وإذا سُرَّ استنار وجهه حتى كأنه قطعة قر^(٥) وكان أصحابه يعرفون ذلك منه . ولم يحقد على إنسان قط لنفسه ، وما انتقم لنفسه « إلا أن تنتهك حرمة الله فينتقم لله بها^(٦) » .

كان سيد الناس في أخلاقه ومعاملاته ؛ وكيف لا وقد اختاره الله تعالى ليكون للعالم أسوة حسنة ، وأوحى إليه ليكون لهم بشيراً ونذيراً ؟ « هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَنَافِلٍ ضَالِّينَ^(٧) » فكانت مهمته عليه

(١) روى من عائشة نحوه ، انظر سنن ابن ماجه : الأحكام .

(٢) روى عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما : فتح الباري ص ٢٨٥ ج ٧ .

(٣) من أبي سعيد الخدري : فتح الباري ص ٣٨٧ ج ٧ .

(٤) من طريق شعب بن الحجاج : فتح الباري ص ٣٨٨ ج ٧ .

(٥) فتح الباري ص ٣٨٤ ج ٧ .

(٦) الرجوع السابق ٣٨٧ ج ٧ من حديث عائشة .

(٧) ٢ : الجمعة .

الصلاة والسلام مهمة صعبة جليظة ، يبلغ الناس آيات الله جل وعلا ، ويفقههم في الدين ، ويطهرهم وينقذهم مما كانوا فيه ، لذلك كله كان صلوات الله وسلامه عليه يتمتع بصفات خلقية سامية ، ويتميز بشخصية ربوبية عالية ، تتجلى فيها الآداب الكريمة ، التي تتدفق من خصاله الحميدة الكثيرة ، ويكفيها في ذلك كله شهادة الله سبحانه وتعالى له إذ يقول : « وَإِنَّكَ لَأَكْبَرُ خَلْقٍ عَظِيمٍ »^(١) .

أما من الناحية العلمية فقد شرح الله صدره وعلمه ما لم يكن يعلم ، فبلغ صلى الله عليه وسلم من العلم غاية لم يبلغها بشر سواه ، فكان المرجع الأول للعالمين في أحكام القرآن ، وتعاليم الإسلام ، وعرف سير الأمم الغابرة ، وجمع إلى ذلك علم أهل الكتاب ، وأوتي جوامع الكلم ، إلى جانب معرفته بالعلوم الأخرى التي تتصل بالحياة الإنسانية ، يدرك ذلك من تتبع أخباره صلى الله عليه وسلم وسيرته ، قال تعالى : « ... وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ ، وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا »^(٢) . فلم دقائق أحكام القرآن لعله إلى الناس ، وبينه بسننه الطاهرة وسلوكه المستقيم ، فكان المعلم الأول ، والمرشد الصادق الأمين إلى الطرق القويم ، وكان بحق رحمة للعالمين .

* * *

(ب) تجاوب مع دعوته :

لما كان لتجاوب الربى مع مادته أثر بعيد في إفادة طلابه ، وبقاء المادة العلمية ثابتة واسعة في أذهانهم ، أحيت أن أنبه إلى تجاوب الرسول الكريم مع رسالته ودعوته ، لنذكر فيما بعد أثر ذلك في حفظ السنة الشريفة .

إنه لا يشك إنسان في أن رسول الله عليه الصلاة والسلام ، قد اندفع من صميم قواده وبجميع قواه في سبيل تبليغ رسالته ، وقد تحمل الكثير من الأذى ، وقاسى الصعاب وصبر الصبر الجميل لتدعيم أركان الخيرية السمحة ، واضطهد كثيراً حتى غادر مسقط رأسه . ومع هذا كان يتمنى لقومه الهداية والرشاد ، فيطيب الله خاطره ، ويخفف عنه ، مبيناً أن هدايتهم بيده عز وجل فيقول : « إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ (١) » .

ويصور الله تعالى ضيقه صلى الله عليه وسلم في سبيل هداية قومه فيقول : « فَلَمَّا كَبِخَ نَفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا (٢) » .

حتى إذا مارست دعائم الإسلام وقويت شوكته ، وقامت دولته كان الرسول عليه الصلاة والسلام ، القائد الموجه والرئيس المشرف ، والفقيه المعلم ، والمفتي الصادق يمارس كل هذا بنفسه الصافية ، وروحه العالية مندفعاً في أداء الأمانة فقصى عمره داعياً إلى الله معلماً ومرشداً ، يحب أصحابه حباً جماً ، يشاركونهم آلامهم وأفراحهم ، وفي هذا كله كان منسجماً انسجماً تاماً مع رسالته سعيداً بدعوته ، خير من يهتدى بسيرته في مختلف مظاهر الحياة ، وقد كان الأسوة الحسنة لأصحابه الذين خالطوه وراوه وسمعوا منه وعرفوا عنه كل دقيق وجليل ، فنقلوه إلينا بإخلاص ودقة .

• • •

(ج) موقف الرسول صلى الله عليه وسلم من العلم :

لقد نزل الوحي على رسول الله عليه الصلاة والسلام أول ما نزل بآيات توجه
النظر الإنسانى إلى التعلم ، وتطلبه بالقرادة ، فصدع بقوله تعالى : اقْرَأْ بِاسْمِ
رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ... (١) »

وإنا لنجد القرآن يدعو إلى التعلم ، ويحض على طلب العلم ، ويبين درجات
العلماء ، ويخاطب العقلاء ، ويحضهم على التدبر فى آيات الله تعالى وآلائه ،
من ذلك قوله تعالى : « ... قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ
لَا يَعْلَمُونَ » (٢) وقوله سبحانه : « شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْاَلَانِكَهَ
وَأَوَّلُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ » (٣) وقوله : « يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ
وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ » (٤) ، وقد حض على سؤال العلماء فقال :
« فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ » (٥) وأوجب نشر العلم
وبيان أحكام الله فقال تعالى : « وَإِذَا أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ
لَتُبَيِّنَهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ » (٦) كما حض على طلب العلم والتعليم فقال :
فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا
قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ » (٧) ، بل حث على الاستزادة
من العلم فقال : « وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا » (٨) .

(٢) : الزمر
(٤) : ١١ المجادلة
(٦) : ١٨٧ آل عمران
(٨) : ١١٤ طه .

(١) الملق : ١
(٣) : ١٨ آل عمران
(٥) : ٤٣ النحل
(٧) : ١٢٢ التوبة

ولسنا هنا بصدد إحصاء آيات العلم والتعليم والعلماء في القرآن الكريم ، فإن المقام لا يتسع لذلك ، وإنما الغاية أن نعرف موقف الرسول صلى الله عليه وسلم من العلم والحث على طلبه ، وتشجيعه العلماء وطلاب العلم على ممارسة التعليم والتعلم ، فنطلع على سنته عليه الصلاة والسلام في ذلك ، لأن لهذا أثرًا بعيداً في حفظ « السنة » إلى جانب القرآن الكريم . وإن ما نستعرضه الآن إنما هو غيض من فيض .

١ - مرض الرسول على طاب العلم :

بين رسول الله صلى الله عليه وسلم منزلة العلم وحض على طلبه فقال : « مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ ^(١) » وقال صلى الله عليه وسلم « فَقِيهُ وَاحِدٌ أَشَدُّ عَلَى الشَّيْطَانِ مِنْ أَلْفِ عَابِدٍ ^(٢) » ، وجعل العلم ركناً من أركان الخير وميز الناس به فقال : « النَّاسُ مَعَادِنٌ فَخَيَارُهُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ خَيَارُهُمْ فِي الْإِسْلَامِ إِذَا فَقَّهُوا ^(٣) » .

وجعل طلب العلم الشرعي الذي يحتاج إليه المسلم ليقيم أمور دينه فريضة على المسلم فقال عليه الصلاة والسلام : « طَلَبُ الْعِلْمِ فَرِيضَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ ^(٤) » ،

(١) رواه الإمام أحمد عن أبي هريرة في مسنده من ١٨٠ حديث ٧١٩٣ ج ١٢ استاده صحيح . ورواه الطبراني في الصغير ورجاله رجال الصحيح ، انظر مجمع الزوائد من ١٢١ ج ١ وسنن ابن ماجه من ٤٩ ج ١ ، وأخرجه البخاري في صحيحه في غير موضع مستنداً ومعلقاً على صيغة الجزم فهي في حكم المستند .

(٢) رواه ابن ماجه من ٥٠ ج ١ وذكره ابن عدي البرقي جامع بيان العلم من ٢٦ ج ١ كما أخرجه الترمذي .

(٣) رواه الإمام أحمد عن جابر بن عبد الله انظر مجمع الزوائد من ١٢٦ ج ١ ولان رجاله رجال الصحيح وانظر جامع بيان العلم من ١٨ ج ١ .

(٤) سنن ابن ماجه من ٥٠ ج ١ ، رواه أنس عن الرسول صلى الله عليه وسلم .

وأما العلوم الأخرى التي يحتاج إليها المسلمون في حياتهم فهي من باب فرض الكفاية ، يأتى جميع المسلمين إذا احتاجوا إلى علم ولم يوجد بينهم من يكفيهم إياه ، ثم لا يتحللون من ذلك حتى يسدوا ذلك النقص .

وجعل العلم من الأمور التي يغتبط فيها ويتنافس في مضارها فقال صلى الله عليه وسلم : « لا حسد إلا في اثنتين : رجل آتاه الله مالاً فسلطه على مملكته في الحق ، وآخر آتاه الله حكمة ، فهو يقضي بها ويعلمها » ^(١) .

وحث صلى الله عليه وسلم المسلمين على أن يكون لكل منهم نصيب من العلم فقال : « اغدُ عالماً أو متعلماً أو مستمعاً أو مجتهداً ، ولا تكن الخامسة قهلك » ^(٢) ، قال عطاء : قال لى مسر : زدتنا خامسة لم تكن عندنا ، والخامسة أن تبغض العلم وأهله .

وكان الرسول عليه الصلاة والسلام يحض أصحابه على تفهم أمور دينهم ، ويأمرهم أن يسألوا عما يجهلونه ، ويمنهم أن يفتوا من غير علم ، ومن ذلك ما رواه عبد الله بن عباس : أن رجلاً أصابه جرح في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قد أصابه احتلام ، فأمر بالاعتزال فأتى ، فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقال : « قَتَلُوهُ ۖ قَتَلَهُمُ اللَّهُ ۖ أَلَمْ يَكُنْ شِفَاءً أَلَيْ ۖ السَّوَالُ ۖ ؟ » ^(٣) .

(١) مسند الإمام أحمد من عبد الله بن عباس ص ٧٨ حديث ٤١٠٩ ج ٦ . استاده صحيح ورواه البخاري ومسلم ، وأظن جامع بيان العلم ص ١٧ ج ١ . والراد بالمسد هنا النقطة وهي أن يتنى المرء مثل ما عند غيره من غير أن يتنى زواله عنه . وأما المسد فهو أن يتنى زوال النسة عن غيره لتكون له وهو محرم في الإسلام ونهى عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم .
(٢) مجمع الزوائد ص ١٢٢ ج ١ ورجاله موثق بهم . وقد رواه الطبراني في معجمه الثلاثة ، والبراز .

(٣) مسند الإمام أحمد ص ٢٢ حديث ٣٠٥٧ ج ٥ . بإسناد صحيح . وأخرج أبو داود من جابر بن عبد الله قال : خرجنا في سفر فأصاب رجلاً منا حجر فتجعى في رأسه ثم احطم ، فقال أصحابه قتله : هل نجده في الرخصة في التيمم ؟ فقالوا : ما نجد لك رخصة وأنت تقدر على الماء ، =

غَيْرَ خَزَائِبٍ وَلَا نَدَامَى . قَالُوا : إِنْ أَتَيْتَ^(١) مِنْ شُقَّةٍ بَعِيدَةٍ وَبَيْنَنَا وَبَيْنَكَ هَذَا الْحَيُّ مِنْ كُفَّارٍ مُضَرٍّ ، وَلَا نَسْتَطِيعُ أَنْ نَأْتِيكَ إِلَّا فِي شَهْرِ حَرَامٍ ، فَمُرْنَا بِأَمْرٍ نَحْذَرُ بِهِ مَنْ وَرَاءَنَا ، نَدْخُلُ بِهِ الْجَنَّةَ ، فَأَسْرَمَ بَارِئٌ ، وَهَسَامٌ عَنْ أُرَيْعٍ قَالَ : احْفَظُوهُ وَأَخْبِرُوهُ مِنْ وَرَاءِكُمْ^(٢) . وَلَمْ يَتْرَكْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ طَرِيقَةَ مَنْ طَرَقَ التَّبْلِغَ وَالْإِعْلَامَ فِي ذَلِكَ الْعَصْرِ إِلَّا اسْتَعْمَلَهَا فِي سَبِيلِ تَبْلِغِ الْإِسْلَامِ ، فَأَرْسَلَ الرُّسُلَ ، وَطَيَّرَ الْكُتُبَ ، وَوَجَّهَ الْأَسْرَاءَ وَالْقَضَاةَ ، فَكَانَ مَثَلًا طَيِّبًا لِنُشْرِ الرِّسَالَةِ ، وَتَبْلِغِ الْأَمَانَةِ ، وَمَنْعِ كَيْفَانِ الْعِلْمِ : فَقَالَ « مِنْ سُلِّ عَنْ عِلْمٍ فَكَتَمَتْهُ ، أَجْلَمَ بِلُجَامٍ مِنْ نَارٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ^(٣) » وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَثَلُ الَّذِي يَتَعَلَّمُ عِلْمًا ثُمَّ لَا يَحْدُثُ بِهِ مَثَلُ رَجُلٍ رَزَقَهُ اللَّهُ مَالًا فَكَفَرَهُ فَلَمْ يُنْفِقْ مِنْهُ^(٤) » فَهُوَ بِمَعْنَى الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ : « وَالَّذِينَ يَكْتُمُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ . يَوْمَ يُخْمَى عَلَىهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ

(١) هكذا النسخ -

(٢) فتح الباري ص ١٩٤ ج ١ . وتتمة الحنفيت : أسرم بالإيمان بالله عز وجل وحده ، قال هل تدعون ما الإيمان بالله وحده ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم ، قال : شهادة ألا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وصوم رمضان ، وقطعوا الخمس من الغنم ، ونهائم من الدباء ، والخنم ، والمزفت قال شعبة ربما قال : الفقير ، وربما قال القير . قال : احفظوه وأخبروه من وراءكم .

(٣) مستند الإمام أحمد ص ٥ حديث ٢٥٦١ ج ١٤ وص ٨٦ حديث ٧٩٣٠ ج ١٥ .

(٤) الجامع لأخلاق الراوى وآداب السامع ص ٧١ : ب .

وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كُنْزْنَاهُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ^(١) .

٣ — منزلة العلماء (المعلمين) :

يكفي رجال العلم فضلاً أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رائدهم ، وأول من حمل لواء التحرير من الجهالة والضلال . وقد بين عليه الصلاة والسلام منزلتهم فقال : « العلماء ورثة الأنبياء^(٢) » . وحث الأمة على احترام العلماء ومعرفة حقوقهم فقال : ليس من أمتي من لم يُحِلْ كبيرنا ، ويرحم صغيرنا ، ويعرف لعالمنا حقه^(٣) . وإن للعالم نصيبه عند الله عز وجل من هذا الأجر كما لطالب العلم نصيبه منه . وفي ذلك يقول عليه الصلاة والسلام : « ... العالمُ والمتعلمُ شريكان في الأجر^(٤) » وقال صلى الله عليه وسلم : « مُعَلِّمُ الْخَيْرِ يَسْتَفْتَرُهُ كُلُّ شَيْءٍ حَتَّى الْحَيَاتَانِ فِي الْبَحَارِ^(٥) » .

٤ — منزلة طهروب العلم :

من أعظم ميزات الإسلام ، أن كل عمل يقوم به المسلم يعود عليه بالفائدة

(١) ٣٤ و ٣٥ : التوبة .

(٢) مجمع الزوائد ص ١٢١ ج ١ رواه من أبي الدرداء وقال : « العلماء خلفاء الأنبياء » وله في السنن : « العلماء ورثة الأنبياء » وقال : رواه الزوار ورجاله موثوق بهم .

(٣) مجمع الزوائد ص ١٢٧ ج ١ . رواه الإمام أحمد والطبراني في الكبير وإسناده صحيح .

(٤) جامع بيان العلم وفضله ص ٢٨ ج ١ من حديث طويل ذكره أئمة عبد البر عن أبي أمامة الباهلي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(٥) مجمع الزوائد ص ١٢٤ ج ١ ، وقد رواه الطبراني في الأوسط ، وفيه إسماعيل ابن عبد الله بن زرارته وجه ابن حبان وقال الأزدي منكر الحديث ، ولا يلتفت إلى قول الأزدي في مثله ، وفيه رجاله رجال الصحيح . عن جابر بن عبد الله .

ولم يقتصر حض رسول الله لأصحابه على طلب العلم الشرعي من خلال القرآن والسنة الطاهرة ، بل دعاهم إلى كل علم يفيد المسلمين ، حتى إنه أول ما قدم المدينة ، وسمع من زيد بن ثابت بضع عشرة سورة من القرآن ، وهو صغير السن أعجب به ، وأمره أن يتعلم لغة اليهود ، فقال : « يا زيدُ تعلمُ لي كتابَ يهود ، فإني والله ما آمنُ يهودَ على كتابي » وفي رواية : « إني أكتبُ إلى قوم فأخافُ أن يزيدوا عليّ أو يُنقصوا ، فتعلم السريانية » . قال زيد : فعملتها في سبعة عشر يوماً^(١) .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم كثيراً ما يدعو الله عز وجل فيقول : « اللهم إني أعوذُ بك من علمٍ لا ينفعُ ، ومن دعاءٍ لا يُسمعُ ، ومن قلبٍ لا يخشعُ ، ومن نفسٍ لا تَشعُ »^(٢) .

وذكر عليه الصلاة والسلام العلم النافع في ثلاثة لا ينقطع أجرها بعد الموت ، فقال : « إذا ماتَ الإنسانُ انقطعَ عمله إلا من ثلاثة أشياء : من صدقةٍ جارِيةٍ ، أو علمٍ يُنتفعُ به بعده ، أو ولدٍ صالحٍ يدعو له »^(٣) .

هكذا بين رسول الله صلى الله عليه وسلم مكانة العلم وحض أصحابه

== فَاغْتَسَلَ فَمَاتَ ، فَلَمَّا قَدِمْنَا عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَخْبَرَ بِذَلِكَ فَقَالَ : « تَلَوْهُ فَتِلْهُمُ أَفَهُ ، أَلَا سَأَلُوا إِذْ لَمْ يَعْلَمُوا ، فَأَنَّا شَفَاءُ الْمَيِّتِ سَأَلُوا ، إِنَّمَا كَانَ يَكْفِيهِ أَنْ يَتِيمٌ . . . وَيُعَصَّبُ . . . عَلَى جِرْسِهِ خَرْقَةٌ ثُمَّ يَمْسَحُ عَلَيْهَا وَيُسَلُّ سَائِرَ جَسَدِهِ » انظر سنن أبي داود ص ٨٢ ج ١ .

(١) تاريخ دمشق لابن عساكر ص ٢٨٠ و ٢٨١ ج ٦ ، وطبقات ابن سعد ص ١١٥ قسم ٢ ج ٢ ، والاستزادة راجع كتابنا زيد بن ثابت ص ٤ و ١٧ .

(٢) سنن ابن ماجه ص ٥٦ ج ١ عن أبي هريرة وأخرج نحوه زهير بن حرب في كتاب العلم عن أنس ، انظر : كتاب العلم ص ١٩٤ .

(٣) جامع بيان العلم ص ١٥ ج ١ عن أبي هريرة . ورواه البخاري في الأدب وسلم وأبو داود والنسائي والترمذي .

والمسلمين جميعاً على طلبه ، ولم يكتف بذلك بل أمر بتبليغه .

٢ - مضمّن على تبليغ العلم :

إن الغاية من العلم أن ينتفع أصحابه ، وينفعوا غيرهم به ، ولا فائدة من علم مكتوم أو فقه في صدور العلماء ، لا ينال منه الناس شيئاً ، لذلك أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بنشر العلم ، وحرم كتمانها ، وذكر ذلك في مناسبات كثيرة ، وشهد على هذا أئمة المسلمين . قال ابن مسعود : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « نَصَرَ اللهُ أَمْرًا سَمِعَ مِنْهُ حَدِيثًا فَنَفِظَهُ حَتَّى يَبْلُغَهُ ، فَرُبَّ مُبْلَغٍ أَحْفَظُ لَهُ مِنْ سَامِعٍ ^(١) » ، والحديث مشهور ، وطرقه كثيرة بألفاظ متقاربة ، منها : « رَبِّ مُبْلَغٍ أَوْعَى مِنْ سَامِعٍ ، وَرَبِّ حَامِلٍ فِقْهٍ غَيْرِ فِقْهٍ ، وَرَبِّ حَامِلٍ فِقْهٍ إِلَى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ » ، ومنها : « نَصَرَ اللهُ عَبْدًا سَمِعَ مَقَالَتِي فَوَعَاها ثُمَّ أَدَاها إِلَى مَنْ لَمْ يَسْمَعْها ، فَرَبِّ حَامِلٍ فِقْهٍ لَأَفْقَهُ لَهُ ، وَرَبِّ حَامِلٍ فِقْهٍ إِلَى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ ، ثَلَاثٌ لَا يُعَلُّ عَلَيْهِنَّ قَلْبُ الْمُؤْمِنِ ، إِخْلَاصُ الْعَمَلِ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، وَطَاعَةُ ذَوِي الْأَمْرِ ، وَلُزُومُ الْجَمَاعَةِ ، فَإِنْ دَعَوْتَهُمْ تَكُونُ مِنْ وَرَائِهِمْ ^(٢) » .

وكان يبالغ الوفود التي تقد إليه أن يحملوا الإسلام إلى من خلفهم ، ويفقهوهم في الدين ، ومن ذلك ما فعله عندما قدم إليه وفد عبد القيس ، قال صلى الله عليه وسلم : « مَنْ الْقَوْمُ ؟ » قالوا : ربيعة . قال : مرحباً بالقوم - أو الوفد -

(١) مسند الإمام أحمد ص ٩٦ حديث ٤١٥٧ ج ٦ باسناد صحيح ورواه الترمذى وابن ماجه

وابن حبان .

(٢) الجرح والتعديل ص ٩ و ١٠ و ١١ ج ١ . واظهر سنن ابن ماجه ص ٨٤ - ٨٥ ج ١ ،

وجامع بيان العلم ص ٣٩ ج ١ رواه عن زيد بن ثابت .

والخير يكتب له به عند الله أجره حتى طلب العلم ، قال صلى الله عليه وسلم :
 « مَنْ غدا إلى المسجد لا يريدُ إلّا أن يتعلّمَ خيراً ، أو يعلمهُ كانَ له كأجرِ
 حاجٍ تاماً ^(١) حجَّته ^(٢) » وفي رواية : « كان بمنزلة المجاهد في سبيل الله ^(٣) »
 و « مَنْ طلبَ علماً فأدركه كتبَ اللهُ له كفلين من الأجر ، ومن طلبَ علماً
 فلم يُدركهُ كتبَ اللهُ له كفلاً من الأجر ^(٤) » وقال : « إذا جاء الموتُ
 طالبَ العلمِ وهو على حالِهِ ماتَ شهيداً ^(٥) . . » وإنَّ فضلَ العلمِ ليربو على
 فضلِ العبادة أحياناً لقوله صلى الله عليه وسلم : « فضلُ العلمِ خيرٌ من فضلِ
 العبادة ، وملاكُ الدينِ الورع ^(٦) . »

وإن منزلة طلاب العلم لتبدو محسنة واضحة فيما روى أبو هريرة عن رسول
 الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « . . . وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقاً يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْماً سَهَّلَ
 اللَّهُ لَهُ بِهِ طَرِيقاً إِلَى الْجَنَّةِ ، وما اجتمع قومٌ في بيتٍ من بُيُوتِ اللَّهِ ، يتلونَ
 كتابَ اللَّهِ ويتدارسُونَهُ بينَهُمْ ، إلا نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ ، وغُشِّيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ ،

(١) هكذا النص .

(٢ و٣) مجمع الزوائد ص ١٢٣ ج ١ . الأول رواه الطبراني في الكبير عن أبي أمامة
 ورجاله مؤثوق بهم ، والثاني أخرجه الطبراني أيضاً في الكبير عن سهل بن سعد وفي سنده
 يقوب بن حبيب بن كاسب وثقه البخاري وابن حبان وضمفه الآثاني وغيره ولم يستندوا في تضعيفه
 إلا إلى أنه محدود وصحاح صحيح . مجمع الزوائد ص ١٢٣ ج ١ . واظهر سنن ابن ماجه ص ٥١
 ج ١ وجامع بيان العلم ص ٣٣ ج ١ .

(٤) مجمع الزوائد ص ١٢٣ ج ١ رواه الطبراني في الكبير عن واثقه بن الأسقع ورجاله
 مؤثوق بهم .

(٥) جامع بيان العلم وفضله ص ٣١ ج ١ رواه البزار عن أبي هريرة وأبو ذر .

(٦) المرجع السابق ص ٢٢ ج ١ رواه البزار والطبراني في الأوسط والحاكم .

وحقنهم الملائكة ، وذكرهم الله عز وجل فيمن عنده . ومن أبطأ به عمله ، لم يسرع به نسبه ^(١) .

وقال صفوان بن عسال : أتيت النبي صلى الله عليه وسلم وهو في المسجد متكى على برده أحر ، فقالت له : يا رسول الله ، إني جئت أطلب العلم ، فقال : « مرحباً بطالب العلم ، إن طالب العلم لتحفه الملائكة بأجنحتها ، ثم يركب بعضهم بعضاً حتى يبلغوا السماء الدنيا من محبتهم لما يطلب ^(٢) » وفي رواية « من أحبهم لما طلب ^(٣) » .

٥ - وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم بطالب العلم :

عن أبي هارون العبدى قال : كنا إذا أتينا أبا سعيد الخدرى قال : مرحباً بوصية رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال : قلنا : وما وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : قال : لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنه سيأتى بعدى قوم يسألونكم الحديث عني ، فإذا جاؤكم فآلظفوا بهم ، وحدثوهم ^(٤) . وفي رواية أنه : إذا رأى الشباب قال : مرحباً بوصية رسول الله صلى الله

(١) مستند الإمام أحمد من ١٦١ حديث ٧٤٢١ ج ١٣ باسناد صحيح ، رواه مسلم وأبو داود والترمذي وابن ماجه وابن حبان . ونحوه في مجمع الزوائد من ١٢٢ ج ١ وسنن ابن ماجه من ٥١ ج ١ .

(٢ و ٣) مجمع الزوائد من ٢٣١ ج ٤ رواه الطبراني في الكبير ورجال رجال الصحيح ، وأظفر المرح والتمديد من ١٣ ج ١ .

(٤) شرف أصحاب الحديث من ٧٢ ج ٢ ، وقد رواه الشيخ البزدي في مسنده الآتي : أنا أبو عمر محمد بن محمد بن علي بن حبيش التمار ، حدثنا أبو علي اسماعيل ابن الصفار إملاء ، حدثنا محمد بن علي السرخسي ، حدثنا علي بن طاصم ح وأخبرنا علي بن محمد بن عبد الله بن نصران للمدني ، حدثنا أبو عمر عثمان بن أحمد الدقاق إملاء ، حدثنا أبو بكر يحيى بن جعفر الواسطي ، أخبرنا علي بن طاصم أخبرنا أبو هارون العبدى ولفظ الحديث لابن نصران .

عليه وسلم ، أوصانا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نوسع لكم في المجلس وأن نُفَقِّهَكُم ، فإنَّكم خلَّوُفُنا ، وأهلُ الحديثِ بعدنا ^(١) .

وفي رواية أخرى عن أبي سعيد الخدري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يأمرهم بأن يُرحِّبوا بطلاب العلم ، فيقول : سيأتيكم أقوامٌ يطلبون العلمَ ، فإذا رأيتهم فقولوا لهم مرحباً بوصية رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأفتنهم ^(٢) .

وفي رواية : « وإيَّاهم - أي طلاب العلم - سيأتونكم من أقطار الأرض يتفقهون في الدين فإذا جاؤكم فاستوصوا بهم خيراً » ^(٣) .

تلك لحة سريعة عن موقف رسول الله صلى الله عليه وسلم من العلم ، وتشجيعه العلماء وطلاب العلم على التعليم والتعلم ، فبين فضل العلم والعلماء وطلابه ، وميزة كل منهم وأجره ، حتى إن المرء لا يكاد يسمع شيئاً من ذلك ، إلا اندفع تلقائياً ، ليسكون أحد أطراف الحياة العلمية ، فهل بعد هذا كله وسيلة تشجيعية لطلاب العلم وتحصيله ؟ وهل وراء ذلك ما ينشئ الصحابة ومن بعدهم عن دراسة الحديث وحفظه وإتقانه ؟

إن التشجيع العلمي بالغ أوجه ، وسبيل العلم متيسر للجميع ليس بينه وبين طلابه حاجز أو مانع ، ومعلم الخير يرحب بكل طالب .

وننتقل بعد هذا إلى منهج الرسول الكريم في تعليم أصحابه

• • •

(١) شرف أصحاب الحديث ص ٧٢ : ب .

(٢) سنن ابن ماجه ص ٥٥ ج ١ .

(٣) سنن ابن ماجه ص ٥٦ ج ١ .

(د) منهج صلى الله عليه وسلم في التعليم :

إن منهج الرسول الكريم في تبليغ أصحابه لا يعتمد منهج القرآن العظيم ، إذ كان الرسول مبلغاً لكتاب الله تعالى ، مبيناً أحكامه ، موضحاً آياته ، وقد نزل القرآن منجماً على محمد صلى الله عليه وسلم خلال ثلاث وعشرين سنة ، والرسول الكريم يبلغ قومه ، ومن حوله ، ويفصل تعاليم الإسلام ، ويطبق أحكام القرآن . فكان معلماً وحاكماً وقاضياً ومفتياً وقائداً طيلة حياته عليه الصلاة والسلام ، فكل ما يتعلق بالأمّة الإسلامية في جميع شؤونها ، دقيقها وعظمها ، وكل ما يتناول الفرد والجماعة في مختلف نواحي حياتهم ، مما لم يرد في القرآن فهو من السنة ، العملية أو القولية أو التقريرية ، ومن ثم نجد بين يدينا أحكاماً وآداباً وعبادات وقربات شرعت وطبقت وسنت خلال ربع قرن ، فلم توضع السنة دفعة واحدة (١) كمجموعة من الشرائع الوضعية ، أو الأحكام الخلقية ، التي يملها بعض الحكماء والوعاظ ، وإنما شرعت لتربية الأمّة دينياً واجتماعياً وخلقياً وسياسياً ، في السلم والحرب ، في الرخاء والعسر ، وتتناول النواحي العملية والعملية . فلم يكن من السهل أن ينقلب الناس آنئذ فحاة ، ويتحولوا بين عشية وضحاها عن تعاليمهم القديمة ، وديانتهم

(١) والسنة لم تكن قط نتيجة للتطور الديني والسياسي والإجتماعي للإسلام في القرنين الأول والثاني كما ادعى « جولدميهر » الذي يضيف فيقول : « وليس صحيحاً ما يقال من أنه — أي الحديث — ونية الإسلام في عهده الأول عهد الطفولة ، ولكنه أثر من آثار جهود الإسلام في عصر النضوج » راجع نظرة عامة في تاريخ الفقه الإسلامي عن دراسات إسلامية لجولدميهر . كما ذكر « غاستون ويت » هذا الرأي لجولدميهر في مقالته من الحديث في « التاريخ العام للديانات » ص ٣٦٦ ج ٤ بالفرنسية . وذكر واضع دائرة المعارف الإسلامية قريباً من هذا القول عن جولدميهر في مادة حديث . فخلا من كتابه « دراسات إسلامية » ويرى أن السنة من وضع المسلمين . وهذا محض افتراء سأدرس له في « باب وضع الحديث » ، فراجع .

وعاداتهم وتقاليدهم إلى الإسلام في نظمته وتعاليمه وعقائده وعباداته .

لقد ندرج القرآن الكريم في انتزاع العقائد الفاسدة والعادات الضارة ، ومحاربة المنكرات التي كان عليها الناس في الجاهلية ، وثبت بالتدريج أيضاً العقائد الصحيحة ، والعبادات ، والأحكام ، ودعا إلى الآداب السامية والأخلاق الفاضلة ، وشجع الذين التفوا حول الرسول صلى الله عليه وسلم على الصبر والثبات وفي هذا كله كان الرسول الكريم يبين القرآن ، ويقبض الناس ، ويفصل بين الخصوم ويقسم الحدود ، ويطبق تعاليم القرآن ، وكل ذلك سنة ، وسنتناول الآن منهج الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام ، في ذلك كله ، متوخين الإيجاز ، وإن لدراسة أسلوبه ومنهجه لأثراً بعيداً في تثبيت سنن الرسول صلى الله عليه وسلم ، ولولا ذلك لم تتعرض لدراسته .

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد اتخذ دار الأرقم مقراً له ولأصحابه حين كانت الدعوة سرية ، فيلتف حوله المسلمون الأوائل بعيداً عن المشركين يتذاكرون كتاب الله ، وهو يعلمهم مبادئ الإسلام ، ويحفظهم ما ينزل عليه من القرآن ، وبعد ذلك أصبح منزل الرسول عليه الصلاة والسلام في مكة ندوة المسلمين ، ومعهم الذي يتلقون فيه القرآن الكريم ، وينهلون من الحديث الشريف على يد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ولا شك في أن الصحابة كانوا يستظهرون آيات القرآن ، ويتدارسونها فيما بينهم ، في بيوتهم وفي حوائطهم ، في المدينة وفي البيداء ، ليشبثوا ما سمعوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقد يتذاكرون تفسير ما تنقوه ، وما تفسره إلا شرح رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الحديث . فحفظ حديث رسول الله عليه الصلاة والسلام كان متشعباً جنباً إلى جنب مع حفظ القرآن العظيم من الأيام

الأولى لظهور الإسلام . وقصة إسلام عمر تثبت أن المسلمين كانوا يقرءون القرآن في بيوتهم ، ويتفقهون في الدين . . .

ثم أصبح المسجد فيما بعد - المسكن المهود للعلم والفتوى والقضاء ، إلى جانب العبادة وإقامة الشعائر الدينية ، وعرض لأمر العامة على المسلمين . . . ومع هذا لم يقتصر تبليغ الرسول عليه الصلاة والسلام على مكان محدود ولا على مناسبة معينة ، فقد كان يستغنى في الطريق فيفتى ؛ ويسأل في المناسبات فيجيب ، يبلغ الأحكام في كل فرصة تسنح له ، وفي كل مكان يتسع لذلك : في حله وترحاله ، في سلمه وحره .

وإلى جانب هذا كانت له مجالس علمية كثيرة يتخول فيها أصحابه بالموعظة ، فإذا جلس جلس إليه أصحابه خلقاً خلقاً^(١) . ويقول أنس رضي الله عنه : لما كانوا إذا صلوا الغداة قعدوا خلقاً خلقاً ، يقرءون القرآن ، ويتعلمون الفرائض والسنن^(٢) ومن تاريخ الصحابة وحياتهم العلمية نعلم أن الرسول الكريم لم يكن يرضى على مسلم بالعلم ، وأنه كان يكثر بحالة أصحابه يعلمهم ويؤمهم . وسيظهر لنا ذلك من البحث .

عن ابن مسعود قال : « كان النبي صلى الله عليه وسلم يتخولنا بالموعظة في الأيام كراهة السامة علينا^(٣) » فقد كان عليه الصلاة والسلام يخشى أن يمل أصحابه فيتخولهم بالموعظة بين وقت وآخر ، لأن الاستمرار في تعليمهم وتوجيههم ، يدخل الملل إلى نفوسهم ، فتقل الفائدة ، فمن الحكمة سلوك هذا

(١ و ٢) انظر مجمع الزوائد ص ١٣٢ - ١ . وإن كان في بعض رجالهما مقال فإن الطرق

الكثيرة التي روي بها تؤيد صحة الاشتهاد بهما .

(٣) فتح الباري ص ١٧٢ و ١٧٣ - ١ . ومسنود الإمام أحمد ص ٢٠٢ حديث ٣٥٨١ - ٥٠

الطريق في التعليم ، وهو الطريق الذي تمتد به اليوم المؤسسات التربوية في مناهجها التعليمية ، وهي خير طريقة لتثيت ما يتلقاه الطالب من المعلومات .

— وكان صلى الله عليه وسلم يخاطب الناس على قدر عقولهم ، فإن الكلام الذي لا يبلغ عقول السامعين ولا يفهمونه قد يكون فتنة لهم ، فيأتي بنير المقصود منه .

لقد كان الرسول الكريم يخاطب حضوره بما يدركونه ، فيفهم البدوي الجاني بما يناسب جفاه وقسوته ، ويفهم الحضري بما يلائم حياته وبيئته ، كما أنه كان يراعى تفاوت المدارك ، وانتباه أصحابه وقدرهم الفطرية والمكتسبة ، فتسكني منه الإشارة إلى الأملى الذكي ، واللمحة العابرة إلى الحافظ الحميد .

من ذلك : ما رواه أبو هريرة قال : جاء رجل من بني فزارة إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : إن امرأتى ولدت غلاماً أسوداً وإنى أنكرته فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : « هَلْ لَكَ مِنْ إِبْلِ » قال : نعم . قال : « فَمَا أُلْوَاهُ ؟ » قال : حر . قال : « هَلْ فِيهَا مِنْ أُورَقَ ؟ » قال : إن فيها لورقاً . قال : « فَأَنَّى أُنَاقُ ذَلِكَ ؟ » قال : عسى أن يكون نَزَعَهُ غِرْقُ . قال : « وَهَذَا عسى أن يكون نَزَعَهُ غِرْقُ ^(١) » .

ومن ذلك أن فتى من قريظة أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله ائذن لي في الزنا ، فأقبل القوم عليه وزجروه فقالوا : مه مه ١١ فقال : أدنه فدنا منه قريباً . فقال : « أَتُحِبُّ لِأَمِيكَ ؟ » قال : لا والله جلنى الله

(١) صحيح مسلم ص ١١٣٧ من الحديثين ١٨ و ٢٠ ج ٢ . الأورق الذي فيه سواد ليس بصاف . والمراد بالورق هنا الأصل من النسب .

فذاك . قال : « ولا الناس يُحبونهُ لأُمّهم » قال : « أتحبّه لابنتك ؟ »
 قال : لا والله يا رسول الله جعلني الله فداك . قال : « ولا الناس يُحبونهُ
 لبناتهم » — ثم ذكر له رسول الله أخته وعمته وخالته ، وفي كل ذلك يقول الفتى
 مقالته : « لا والله يا رسول الله جعلني الله فداك » — قال : فوضع يده عليه
 وقال : « اللهم اغفر ذنبه ، وطهر قلبه وحصن فرجه . » قال (الراوى)
 فلم يكن بعد ذلك الفتى يلتفت إلى شيء ^(١) .

لقد اتبع رسول الله صلى الله عليه وسلم أسلوباً جعل الفتى يدرك أثر الزنا
 في المجتمع ، وكيف أنّ الناس جميعاً لا يرضونه لأنفسهم وأهلهم كما أنه
 لا يرضاه هو لذويه ، مما حمله على الاقتناع بالإفلاع عنه ، وخير الأمور ما كان
 الدافع إليه من قرارة النفس .

وكان يخاطب القوم بلغتهم ولهجتهم ، ومن هذا ما رواه الخطيب
 البغدادي بسنده عن عاصم الأشعري قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
 يقول : « ليس من امير اصيام في امّسقر . » أراد ليس من البر الصيام
 في السفر وهذه لغة الأشعريين يقبلون اللام ميماً ^(٢) .

وكان إذا تكلم تكلم ثلاثاً لكي يفهم عنه ^(٣) ، وإذا تكلم تكلم فصلاً
 بينه ، فيحفظه منه من سمعه ^(٤) .

(١) مجمع الزوائد ص ١٢٩ ج ١ من أبي أمامة الباهلي . رجاله رجال الصحيح وقد رواه
 الطبراني في الكبير .

(٢) الكفاية ص ١٨٣ وقد أخرجه الإمام أحمد . وأخرج الشيخان ومالك وأبو داود
 والنسائي « ليس من البر الصوم في السفر » بتسديد الموصول ص ٣١٢ ج ٢ .

(٣) مجمع الزوائد ص ١٢٩ ج ١ من أبي أمامة رواه الطبراني في الكبير بإسناد حسن
 وأخرج البخاري نحوه عن أبي أنس رضي الله عنه صحيح البخاري بإسناد صحيح ص ٢٩ ج ١ .

(٤) كتاب تسمية ماورد به الخطيب ص ٢٩ ج ١ رواه من مروءة من عائشة ، مخطوطة المكتبة
 الظاهرية دمشق مجموع (١٨) .

وعن عائشة أنه صلى الله عليه وسلم كان لا يسرد الكلام كسردهم ، ولكن كان إذا تكلم بكلام فصل يحفظه من سمعه ^(١) . وفي رواية إنما كان النبي يحدث حديثاً لو عده العاد لأحصاه ^(٢) .

ويظهر أنه كان من عادة رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يعيد كلامه ويكرره على السامعين حتى يدركوه جميعاً فلا يفوت أحدهم بعضه فمن أنس ابن مالك رضى الله عنه أن النبي عليه الصلاة والسلام كان إذا تكلم بكلمة أعادها ثلاثاً حتى تفهم عنه ، وإذا أتى على قوم فسلم عليهم سلم عليهم ثلاثاً ^(٣) ولا يفهم من حديث أنس هذا أنه كان يفعل ذلك دائماً بل بقدر ما تقتضيه الحاجة .

فمن جميع ما سبق يتبين لنا أنه صلى الله عليه وسلم كان يبين للناس الأحكام جيداً حتى لا يبقى لسامع سؤال ، ولا لسائل مشكل يقف عنده . حتى إنه كان يجيب السائل بأكثر مما سأله ^(٤) .

كان يتغياً التيسير في جميع أموره ، وينهى عن التشديد والتعقيد ، يريد من المسلمين أن يأتوا الرخص كما يأتون بالعزائم ، وينهى عن التنطع في العبادة . والتضييق في الأحكام ، ولا بعد في ذلك كله ، فإنه ناطق بلسان الشريعة السمعة الميسرة . ويظهر لنا أسلوبه في ذلك كله من تتبع سيرته عليه

(١) الجامع لأخلاق الراوى وآداب السامع ص ٩٦ : ب فتح البارى ص ٣٩٠ ج ٧ القسم الأول من الحديث .

(٢) فتح البارى ص ٣٨٩ ج ٧ وقبول الأخبار ومعرفة الرواة ص ٥٨ ذكره أبو القاسم البخاري يريد الحسن في أبي هريرة فلم يخلج .

(٣) فتح البارى ص ١٩٨ و ١٩٩ ج ١ ، ولعل المراد بالسلام هنا سلام الاستئذان في الدخول .

(٤) انظر في ذلك فتح البارى ص ٢٤١ ج ١ باب من أجاب السائل بأكثر مما سأله .

الصلاة والسلام . ويتجلى مع هذا حلمه تارة ، وحيه لأمنه تارة أخرى وغضبه
 لمحق حيناً ، ونهيه عن التعقيد أحياناً . من ذلك ما رواه أبو هريرة رضي الله
 عنه ، قال : « دخل أعرابي المسجد فصلى ركعتين ، ثم قال اللهم :
 لرحمتي ومحمداً ولا ترحم معنا أحداً ! ! فالتفت (إليه) النبي صلى الله عليه وسلم ،
 فقال : « لقد تمجّرتَ واسعا ! ! ثم لم يلبث أن بال في المسجد ! !
 فأمرع الناس إليه ، فقال لهم رسول الله عليه الصلاة والسلام : « إنما بُسِّمُ
 مُبَسِّرِينَ ، ولم تُبْعَثُوا مُعَسِّرِينَ ، أَهْرِيقُوا عَلَيْهِ دَلْوا من ماء أو سِجْلاً
 من ماء . » ^(١)

وكان يدعو إلى التيسير دائماً ، فعن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه
 وسلم أنه قال : « علّموا ويَسِّرُوا ولا تُعَسِّرُوا ، وإذا غضبَ أحدُكم
 فَلْيَسْكُتْ ^(٢) » وعن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « خيرُ
 دينِكُم أيسرُهُ ، وخيرُ العبادةِ الفقه ^(٣) . » كما كان ينهى عن الأغلوطات

(١) القسم الثاني من الحديث أي يول الأعرابي في المسجد ذكره البخاري عن أنس ومن
 أبي هريرة ، انظر فتح الباري ص ٣٣٥ و ٣٣٦ ج ١ وقصة الدعاء في موضع آخر . والحديث
 المذكور أخرجه الإمام أحمد بإسناد صحيح في مسنده ، انظر المسند ص ٧٤ : حديث ٧٢٥٤
 ج ١٢ ومن ٢٠٩ حديث ٧٧٨٦ ج ١٤ ، قوله صلى الله عليه وسلم « تمجّرتَ واسعاً » :
 أي ضيق ما وسعه الله ، يقال حجرت الأرض واحتجرتها إذا ضربت عليها مناراً تمنعها به عن
 غيرك . ويرد الأستاذ أحمد محمد شاكر على المنتشرق بروكلمان لفته هذا الحديث فيها خاطئ
 راجع هامش ص ٢٤٥ ج ١٢ منه .

(٢) مسند الإمام أحمد : ص ١٢ حديث ٧١٣٦ ومن ١٩١ حديث ٢٥٥٦ ج ٤ ومن ١٥٠
 حديث ٣٤٤٨ ج ٥ وجمع الزوائد ص ١٣١ ج ١ ، وراجع فتح الباري ص ١٩٦ ج ١ .
 فيه غصبة ممن يطول الصلاة وفي المصلين الضيف وذو الحاجة ، وطلب ممن يصل بالناس
 التخفيف لذلك .

(٣) جامع بيان العلم وفضله ص ٢١ ج ١ وقال رواه البخاري في الأدب المفرد .

وصعاب المسائل ^(١) . ومشهور عن معلم الخير صلى الله عليه وسلم أنه « ما خُيرَ بين أمرين إلا أخذَ ^(٢) أبسرهما ما لم يكن إلماً ، فإن كان إلماً كان أبداً الناس منه . وما انتقم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم لنفسه إلا أن تُنْفَتِكَ حُرمةُ الله فينتقمَ الله بها ^(٣) » .

— وكان صلى الله عليه وسلم في معاملته للمسلمين جميعاً أحاطوا متواضعاً ومعلماً حليماً ، بل كان أباً رحيماً ، فإذا ما أراد أن يعلم أصحابه بعض الآداب خاطبهم ألين الخطاب وأحبه إلى نفس الخطاب ، فيقول مثلاً : « إلماً أنا لكم مثلُ الوالدِ إذا أنيتم الغائطَ فلا تَسْتَقْبِلُوا الْقِبْلَةَ ولا تَسْتَدْبِرُوهَا ^(٤) . » وإذا ما أعجب أصحابه به ، وحاول بعضهم الثناء عليه أو إطراءه أبى ذلك وقال : « لا تُطروني كما أطرتِ النصارى عيسى بن مريم ، فإنما أنا عبدٌ ، فقولوا عبده ورسوله ^(٥) » فلم يرض أن يرفعوه عن درجة البشر ويمظموه ، وما كان ينتظر منهم جزاء ولا شكوراً .

تعاليم النساء :

جاء نسوة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقلن يا رسول الله ما تقدر

(١) اظر هيرن الأخبار ص ١١٧ م ٢ ، ذكر حديثاً عن معاوية بن أبي سفيان قال :
نبي رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأغلوطنه . قال الأوزاعي : يعني صعب المسائل .
(٢) كذا في النص .

(٣) فتح الباري في حديث عائشة رضي الله عنها ص ٣٨٥ و ٣٨٦ م ٧

(٤) مسند الإمام أحمد ص ١٠٠ حديث ٧٣٦٢ م ١٣ ونحوه في فتح الباري ص ٧٥٥ م ١

(٥) مسند الإمام أحمد ص ٢٢٦ حديث ١٦٤ م ١ باسناد صحيح عن ابن عباس عن عمر

عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

عليك في مجلسك من الرجال، فواعدنا منك يوماً نأتيك فيه، قال: «موعِدُكُمْ يَتُفْلَانُ» وأتاهُنَّ في ذلكَ اليومِ، ولذلكَ الموعد، قال (أبو هريرة): فكان مما قالَ لهن: «ما مِنْ امرأةٍ تَتَقَدَّمُ ثَلَاثًا مِنَ الْوَلَدِ تَحْسِبُهُنَّ إِلَّا دَخَلَتِ الْجَنَّةَ» فقالت امرأةٌ منهن: أو اثنتان؟ قال: «أو اثنتان»^(١).

وكان النساءُ يسألن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فيجيبهن عن أمور دينهن ولم يكن ذلك صدقة أو نادراً، بل خصص لهن أوقاتاً خاصة يجلسن فيها إليه، ويتأقنن عنه تعاليم الإسلام، ويفتيهن، وقالت عائشة رضي الله عنها: نعم النساء نساء الأنصار، لم يمنعن الحياء أن يتفقهن في الدين^(٢).

وهاي ذى أم سليم - وهي بنت ملحان والدة أنس بن مالك - تأتي رسول الله صلى الله عليه وسلم - وأم سلمة حاضرة - فتقول: يا رسول الله إن الله لا يستحي من الحق، فهل على المرأة من غسل إذا احتلمت؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «إذا رأت الماء» فطفت أم سلمة - تعنى وجهها - وقالت: يا رسول الله، أو تحتمل المرأة؟ قال: «نعم، تربت يمينك، فبِمَ يشبهها ولدُها»^(٣)؟

بهذه الروح الطيبة، والنفس السامية، والصدر الرحب، والمنهج التربوي الصحيح كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلم أصحابه والمسلمين عامة أحكام الإسلام وتعاليمه وآدابه، ولم يكن بين الرسول الكريم والمسلمين حاجب

(١) مسند الإمام أحمد ص ٨٥ حديث ٧٣٥١ ج ١٣ وفتح الباري ص ٢٠٦ ج ١، محطتين أي تحب أجراً على الله في الصبر على المصيبة.

(٢) فتح الباري ص ٢٣٩ ج ١

(٣) فتح الباري ص ٢٣٩ ج ١ عن مقام بن عروة عن زينب، أئمة سلمة عن أم سلمة قالت جاءت أم سليم (أو تحتمل) من غير حمزة في الأصل وفي رواية الكشي (أو تحتمل)

كالمحك والقيصرة ، بل كان المسجد معبده يعلم فيه المسلمين الشريعة ، وقد يرونه في الطريق فيسألونه ، فيبش لهم ويحييهم ، وقد يعترضونه في مناسكه وحجه ، أو على راحلته يستفتونه فيفتيهم^(١) والابتسامه لا تفارق ثغره ، وقد تكون إجابته لسائل عن مسألة وحوله جمع قليل أو كثير ، وقد يكون على منبر مسجده يبلغ الناس الإسلام وتعاليمه ، ويفصل الأحكام ويشرحها فينقل السامعون ما تلقوه إلى إخوانهم وذويهم فإن من سمع وشاهد ووعى سبق آثار ما تلقاه واضحة جليلة في نفسه أمدأ طويلاً ، حتى إذا ماشك فيما سمع ، عاد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ليزيل وهمه ، ويثبت على الصواب ويرده إلى الحق .

من كل ما سبق يتبين لنا أن منهج رسول الله صلى الله عليه وسلم كفيل بأن يحقق ما كان يريد به الرسول الكريم من تعليم أصحابه وتربيتهم وتطبيق أحكام الشريعة ، وكفيل بأن يثبت تلك الأحكام والتعاليم في قلوبهم .

بعد هذا نقدم على دراسة « المادة » لنرى تفاعل الصحابة معها وتجاوبهم

(١) راجع مستند الإمام أحمد ص ١٧ حديث ٥٦٢ ج ٢ حول حج رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيه . . . واستفته جارية شاة من ختم فقالت : إن أبي شيخ كبير قد أفند ، وقد أدركنه فريضة الله في الحج فهل يجزى عنه أن أؤدى عنه ؟ قال : نعم ، فأدى من أيك ، قال (علي بن أبي طالب) وقد لوى عن الفضل ، فقال له العباس : يا رسول الله لم لويت عنك ابن عمك ؟ قال : رأيت شاباً وشابة ، فلم آمن من الشيطان عليهما ، قال : ثم جاءه رجل فقال : يا رسول الله خلقت قبل أن أنحر ؟ قال انحر ولا حرج ، ثم أتاه آخر فقال يا رسول الله إنى أفنت قبل أن أخلق ؟ قال : أخلق أو أنصر ولا حرج

إن هذا القوم من الحديث بطينا صورة حية عن فتاوى الرسول صلى الله عليه وسلم للمسلمين .
وراجع فتح الباري ص ١٩١ و ٢٣٣ ج ١

ولأياها ، ثم تنتقل إلى الصحابة وكيفية تلقيهم الشريعة عن الرسول صلى الله عليه وسلم

* * *

٢ - مادة السنة

عرفنا في مقدمة هذا الباب أن السنة هي المادة التي تلقاها الصحابة رضي الله عنهم مع القرآن الكريم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وشاركوا في تطبيقها واتباعها .

وأنا لنرى هذه المادة تتعلق بالمسلمين في جميع أمور حياتهم : في عقائدهم وعباداتهم ، ومناسكهم ، وبيوعهم ومعاملاتهم ، وفي أحوالهم الشخصية ، وفي آدابهم ، كما تتصل اتصالاً وثيقاً بمختلف مظاهر حياتهم اليومية في السلم والحرب في السر والسر .

والمادة التي تتصف بهذه الصفات تجعل التلميذ متعلقاً بها محباً لها ، حريصاً عليها ، لأنها الناظم لأمواله وأنصرافاته . وقد كان الصحابة حريصين على سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم محبين لها ، يتسابقون إلى مجالس الرسول صلى الله عليه وسلم ، يدفعهم إلى ذلك إيمانهم القوي وحبههم لمعلمهم الكبير ، وقد سمعوا وعرفوا ما للأعلم من فضل ومكانة ، وما للعلماء وطلاب العلم من منزلة وأجر فأقبلوا على تلقى السنة وتطبيقها من قلوبهم صادقين مخلصين . ويظهر لنا ذلك جلياً في دراسة كيفية تلقيهم السنة عن الرسول صلى الله عليه وسلم .

٣ - كيف كان الصحابة يتلقون السنة

عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟

ما كان الإيمان يخاطب قلوب المسلمين أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وينير سبلهم - حتى عرفوا عظمة الإسلام . فانكبوا ينهلون من القرآن الكريم : ذلك المعين الذي لا ينضب بعد أن رأوا فيه المعجزة الكبرى والهداية العظمى وامتلات قلوبهم حباً لله ورسوله عليه الصلاة والسلام ، فتفانوا في الدفاع عن مبادئهم وحماية قائدهم ومعلمهم ، حتى إن الرجل منهم ليفديه بماله ودمه وولده . لقد تحولت جميع قوامم الفطرية ، وفضائلهم الطبيعية ، وحيواناتهم الدائمة ، وتضافرت للمحافظة على الإسلام ونشره ، وإن التاريخ ليحفظ تلك المفارقة الخالدة من التضحيات العظيمة النادرة ... فإذا ما دعت الحاجة إلى المال سارع المسلمون متنافسين في تقديم أموالهم بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا يتبرع بثلث ماله ، وذلك بنصف ماله ، وآخر بماله كله ... ١١ وقد تضيق الحال بالمسلمين أنفسهم ، فترى عثمان رضي الله عنه يهب قافلته التجارية القادمة من الشام للمسلمين ، ويأبى أن يبيعهما بالمبالغ المخرية التي عرضت عليه ويقول : دفع لي بها أكثر من ذلك ..

وقد بذلوا نفوسهم للذود عن حياض الإسلام ، وفدوا الرسول صلى الله عليه وسلم بأرواحهم فإذا ما نزل بهم الخطب في غزوة أحد رأيتهم يتسابقون للدفاع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهذا أبو دجانة يجمعل ظهره ترسا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى أنخته الجراح ، وإلى جانبه على يذب عنه سيفه ، وسعد بن أبي وقاص يرمي بقوسه حتى كتب لهم النصر ..

هذه نماذج قليلة لتفاني الصحابة وبذلهم في سبيل عقيدتهم ودينهم وهذه الروح السامية والحيوية الدائمة أقدموا على تلقى العلم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

كان الصحابة يتعلمون من النبي صلى الله عليه وسلم القرآن الكريم آيات معدودات: يتفهمون معناها، ويتعلمون فقهها، ويطبقونه على أنفسهم، ثم يحفظون غيرها، وفي ذلك يقول أبو عبد الرحمن السلمي: «حدثنا الذين كانوا يقرؤنا القرآن: كعمر بن عفان، وعبد الله بن مسعود، وغيرهما - أنهم كانوا إذا تعلموا من النبي صلى الله عليه وسلم عشر آيات، لم يتجاوزوها حتى يتعلموا ما فيها من العلم والعمل... قالوا فتعلمنا القرآن والعمل جميعاً^(١)».

وكان بعضهم يقيم عند الرسول صلى الله عليه وسلم يتعلم أحكام الإسلام وعباداته، ثم يعود إلى أهله وقومه يعلمهم ويفقههم، ومن هذا ما أخرجه البخاري عن مالك بن الحويرث قال: «أتينا النبي صلى الله عليه وسلم ونحن شبيبة متقاربون، فأقننا عنده عشرين ليلة، فظن أنا اشتقنا أهلنا، وسألنا عن تركنا في أهلنا، فأخبرنا: «وكان رفيقا رحيما، فقال: «ارجعوا إلى أهلبيكم فصلّوهم ومروهم، وصلّوا كما رأيتموني أصلي، وإذا حضرت الصلاة فليؤذن لكم أحدكم، ثم ليؤمكم أكبركم^(٢)».

وكان الصحابة يحرصون على حضور مجالس رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) المدخل لدراسة القرآن الكريم ص ٢٤، وأبو عبد الرحمن الدلسي هو عبد الله بن حبيب ابن ربيعة أحد كبار التابعين الذين سموا من علماء رضي الله عنه وابن مسعود وزيد بن ثابت توفي سنة ٧٢ هـ وقال البخاري بين سنتي (٧٠ و ٨٠) انظر طبقات ابن سعد ص ١١٩ ج ٦ وتهذيب التهذيب ص ١٨٣ ج ٥٠.

(٢) صحيح البخاري بإضافة السندی ص ٥٢ ج ٤ وسنن الدارمی ص ١٤٨ طبعة كاهنور سنة

حرصاً شديداً ، إلى جانب قيامهم بأعمالهم المعاشية من الرعاية والتجارة وغيرها ، وقد يمسر على بعضهم الحضور ، فيتناوبون مجالسه عليه الصلاة والسلام ، كما كان يفعل ذلك عمر رضي الله عنه ، قال : « كنت أنا وجارلي من الأنصار في بني أمية بن زيد ، وهي من عوالى المدينة ، وكنا تتناوب النزول على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ينزل يوماً ، وأزل يوماً ، فإذا نزلت جئته بخير ذلك اليوم من الوحي وغيره . وإذا نزل فعل مثل ذلك ^(١) » ...

ويقول البراء بن عازب الأوسى رضي الله عنه : « ما كل الحديث سمعناه من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كان يحدثنا أصحابنا ، وكنا مشتغلين في رعاية الإبل ، وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا يطلبون ما يفوتهم سماعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيسمعون من أقرانهم ، ومن هو أحفظ منهم ، وكانوا يشددون على من يسمعون منه ^(٢) » . وفي رواية عنه : « ليس كلنا كان يسمع حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كانت لنا ضيعة وأشغال ولكن الناس لم يكونوا يكذبون يومئذ ، فيحدث الشاهد الغائب ^(٣) » .

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه : « .. ليس كل ما نحدثكم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم سمعناه (منه) ولكن كان يحدث بعضنا بعضاً ولا يتهم بعضنا بعضاً ^(٤) » . وفي رواية عن قتادة أن أنسا حدث بحديث فقال له رجل :

(١) فتح الباري ص ١٩٥ ج ١ .

(٢) معرفة علوم الحديث ص ١٤ .

(٣) الحديث الفاصل بين الراوى والراوى ص ٣٢ — ٣٣ . والجامع لأخلاق الراوى وآداب السامع ص ١٢ : آ ونحوه في قبول الأخبار ومعرفة الرجال : ٩ و ١٠ .

(٤) قبول الأخبار ص ٩ . أورد أبو القاسم البلخي في الصفحات الأولى من كتابه من (١ — ٤٦) أخباراً جيدة عن السنة والحديث وسنن المعابة ثم ما لبث أن قلب ظهر الحين لهم وبدأ يظن في أهل الحديث ، وهو معتزى مشهور وفاته (٣١٧ أو ٣١٩ هـ) وسأعرض للرد عليه في مواطن أخرى من هذا الكتاب .

أسمعت هذا من رسول الله ؟ قال : نعم . أو حدثني من لم يكذب والله ما كنا
نكذب ولا كنا ندرى ما الكذب^(١) .

وكان الصحابة يتذاكرون دائماً ما يسمعون من رسول الله صلى الله عليه
وسلم ، قال أنس بن مالك : كنا نكون عند النبي صلى الله عليه وسلم فنسمع
منه الحديث فإذا قمنا تذاكرناه فيما بيننا حتى نحفظه^(٢) .

والى جانب هذه المجالس ، كان الصحابة يتلقون السنة عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم من وجوه يمكن حصرها فيما يأتى :

(١) حوادث كانت تقع للرسول نفسه ، فيبين حكمها ، وينتشر هذا الحكم
بين المسلمين بمن سمعوه منه ، وقد يكون هؤلاء كثرة تمكنهم كثرتهم من
إذاعة الخبر بسرعة ، وقد يكونون قلة فيبعث الرسول الكريم عليه الصلاة
والسلام من ينادى في الناس بذلك الحكم .

مثال ذلك ما رواه أبو هريرة رضى الله عنه : أن رسول الله صلى الله عليه
وسلم ، مر برجل يبيع طعاماً فقال له كيف تبيع فأخبره ، فأوحى إليه أدخل
يدك فيه ، فأدخل يده ، فإذا هو ملول ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
« ليسَ مِنَّا مَنْ غَشَّ »^(٣) .

ومثال ذلك ما رواه القاسم بن محمد أن عائشة أخبرته : أن رسول الله
صلى الله عليه وسلم دخل عليها وهي مستقرة بقرام^(٤) فيها صورة تماثيل ، فتلون

(١) الجامع لأخلاق الراوى وآداب السامع ص ١٧ : آ ورواه البيهقى في محتاج الجنة .

(٢) الجامع لأخلاق الراوى وآداب السامع ص ٤٦ : ب

(٣) مسند الإمام أحمد ص ١٨ حديث ٧٢٩٠ ج ١٣ باسناد صحيح

(٤) القرام بكسر القاف ثوب من صوف ملون . وهو صفيق يتخذ سترًا وقيل هو العتر

الرقيق وقيل هو ستر فيه رمل وقروش وجهه قرم . انظر لسان العرب ص ٣٧٤ ج ١٥

وجهه ، ثم أهوى القيرام ، فتهتك بيده ، ثم قال : « إِنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَذَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ الَّذِينَ يُشَبِّهُونَ مَخْلَقَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ^(١) » .

وقد يرى رسول الله صلى الله عليه وسلم أو يسمع صحابياً يخطئ ، فيصحح له خطأه ، ويرشده ، من ذلك ما رواه عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه رأى رجلاً توضأ للصلاة ، فترك موضع ظفر على ظهر قدمه ، فأبصره النبي صلى الله عليه وسلم فقال : « ارْجِعْ فَأَحْسِنْ وَضُوءَكَ » فرجع فتوضأ ثم صلى ^(٢) .

ومن ذلك ما رواه عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : لما كان يوم خير أقبل نفر من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ، فقالوا : فلان شهيد ، فلان شهيد حتى مروا على رجل فقالوا : فلان شهيد ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : كَلَّا ، إِنِّي رَأَيْتُهُ فِي النَّارِ فِي بُرْدَةٍ غَلَّهَا أَوْ عَبَاءَةٌ ، ثُمَّ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : يَا ابْنَ الْخَطَّابِ : اذْهَبْ فَنَادِ فِي النَّاسِ أَنَّهُ لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلَّا الْمُؤْمِنُونَ . قَالَ : فَخَرَجْتُ فَنَادَيْتُ : أَلَا إِنَّهُ لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلَّا الْمُؤْمِنُونَ ^(٣) .

(ب) حوادث كانت تقع للمسلمين ، فيسألون الرسول عنها ، فيفتيهم ويحييهم ، مبيناً حكم ما سألوا عنه ، من هذه الحوادث ما يتناول خصوصيات السائل نفسه ، ومنها ما يتعلق بغيره ، وجميعها من الوقائع التي تعرض للإنسان في حياته فترى الصحابة لا ينجحون في ذلك كله ، بل يسرعون إلى المعلم

(١) . معرفة علوم الحديث للعاظم ص ١٢٩ ونحوه في صحيح مسلم ص ١٦٦٧ حديث ٩١ ج ٣

(٢) . مسند الإمام أحمد ص ٢١٤ حديث ١٢٤ ج ١ بإسناد صحيح رواه مسلم أيضاً .

(٣) . مسند الإمام أحمد ص ٢٤٢ ج ١ ، وإسناده صحيح .

الأول ، ليقفوا على حقيقة لطمث قلوبهم إليها ، وتلج صدورهم عندها .
وقد ينجل الصحابي من الرسول صلى الله عليه وسلم فيكلف غيره عبء السؤال ،
من ذلك ما يرويه علي بن أوطالب قال : كنت رجلاً مذاء ، فكنت
أستحي أن أسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم لمكان ابنته ، فأمرت
المقداد بن الأسود^(١) ، فساله فقال : ينسل ذكره . ويتوضأ^(٢) .

وروى قيس بن طلق عن أبيه أنه سأل النبي صلى الله عليه وسلم أو سأل
رجل فقال : بينا أنا في الصلاة ذهبت أحك فخذي ، فأصاب يدي ذكرى ؟
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « هل هو إلا بضعة منك^(٣) ؟ » .

وقد يألونه صلى الله عليه وسلم عن أخص من ذلك كما روى عروة عن
عائشة رضي الله عنها ، قال : جاءت امرأة رفاة إلى النبي صلى الله عليه وسلم
فقلت : إن رفاة طلقني ، فأبت^(٤) طلاق ، فزوجت عبد الرحمن بن الزبير ،
وإن ما معه مثل هدية الثوب . فقال : « أتريدن أن ترجعي إلى رفاة ؟ لا ،
حتى تذوق عُسَيْلته وذوق عُسَيْدَكَ » وأبو بكر عند النبي صلى الله عليه وسلم ،
وخالد بن سعيد ينتظر أن يؤذن له ، فقال : يا أبا بكر ، ألا تسمع ما نجر
به عند رسول الله صلى الله عليه وسلم^(٥) ؟

لقد كان المسلمون يألونه عن أمورهم وأحوالهم ، لا يحجبهم عنه حاجب ،

(١) فتح الباري ص ٢٩٤ ج ١ وصحيح مسلم ص ٢٤٧ حديث ١٧ ج ١ .

(٢) مسند الإمام أحمد ص ٣٩ حديث ٦٠٦ و ص ٤٦ حديث ٦١٨ ج ٢ بإسناد صحيح

وفتح الباري ص ٢٩٤ و ٣٩٤ ج ١ ، وصحيح مسلم ص ٢٤٧ حديث ١٧ - ١٩ ج ١ .

(٣) معرفة علوم الحديث ص ١٣٢ وقال الحاكم . . . لم يذكر الزيادة في حك الفخذ غير

عبد الله بن رجا عن همام بن يحيى وهما ثقتان .

(٤) بت وأبت أي طائفتي ثلاثا . وأبى التقطع . ورفاة للذكر هو رفاة القرظي .

(٥) معرفة علوم الحديث ص ١٣٠ وصحيح مسلم ص ١٠٥٥ حديث ١١١ وما بعده ج ٢ .

ولا يمنهم منه مانع ، لذلك رى الأعرابي البعيد عنه يسأله كما يسأله الصحابي الملازم له ، كلهم يريدون الحق ، قال على رضى الله عنه : جاء أعرابي إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا رسول الله ، إنا نسكون بالبادية ، فتخرج من أحدنا الرويحة^(١) ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الله عز وجل لا يستحي من الحق » ، إذا فعل أحدكم فليتوضأ ، ولا تأتوا النساء في أعجازهن^(٢) .

إن هؤلاء الصحابة الذين يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم عن مثل هذه الأمور الشخصية التي قد ينجل منها غيرهم ، كانوا لا يحبون عن سؤاله في معاملاتهم وعباداتهم وعقائدهم وسائر أمورهم ، بل إن بعضهم كان إذا وصله خبر عن رسول الله عليه الصلاة والسلام ، يعود إليه لينهل من معينه ، ويتزود من علمه ، كما حدث لضمام بن ثعلبة وقومه حين جاءهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأنطلق ضمام إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان حوله أصحابه ، فدخل المسجد على جل ، قال أنس : « . . فأناخه في المسجد ، ثم عقله ، ثم قال لهم : أيكم محمد ؟ والنبي متكئ بين ظهرانيهم . قلنا : هذا الرجل الأبيض المتكئ . فقال له الرجل (ضمام) : ابن عبد المطلب ، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : قد أجبتك . فقال الرجل للنبي صلى الله عليه وسلم : إني سألتك فشدد عليك في المسألة ، فلا تجد علي في نفسك . فقال : سل عما بدا لك قال أسألك بربك ورب من قبلك ، الله أرسلك إلى الناس

(١) الرويحة تصغير راحة وكفى بها هنا عن الريح التي ينطلق من البطن عن طريق الفرج .

(٢) مسند الإمام أحمد ص ٦٤ حديث ٦٥٥ ج ٢ (وقال مرة في أدبارهن) .

(٣) انظر معرفة علوم الحديث ص ٥ وقد أخرجه مسلم .

كلهم ؟ فقال : اللهم نعم . قال : أنشدك بالله ، الله أمرك أن تصلي الصلوات الخمس في اليوم والليلة ؟ قال : اللهم نعم . . . فقال الرجل : آمنت بما جئت به ، وأنا رسول من ورأى من قومي ، وأنا ضمام بن ثعلبة أخو بني سعد بن بكر^(١) . ومن ذلك ما حدث لأحد الصحابة حين قيل امرأته وهو صائم ، « فوجد من ذلك وجدا شديدا ، فأرسل امرأته تسأل عن ذلك ، فدخلت على أم سلمة أم المؤمنين فأخبرتها ؟ فقالت أم سلمة : إن رسول الله يقبل وهو صائم . فرجعت المرأة إلى زوجها فأخبرته ، فزاده ذلك شرا ! ! وقال : لينا مثل رسول الله ، يحل الله لرسوله ما شاء . فرجعت المرأة إلى أم سلمة ، فوجدت رسول الله عندها ، فقال رسول الله ما بال هذه المرأة ؟ فأخبرته أم سلمة ، فقال : ألا أخبرتها أني أفضل ذلك ؟ ! فقالت أم سلمة : قد أخبرتها فذهبت إلى زوجها فأخبرته فزاده ذلك شرا ، وقال : لينا مثل رسول الله ، يحل الله لرسوله ما شاء ، فضرب رسول الله ، ثم قال : والله إنى لأتقاكم لله ولأعلمكم محدوده^(٢) . »

لقد حمه ورعه أن يظن هذا الحكم خاصا بالرسول حتى أكد الرسول عليه الصلاة والسلام أنه حكم عام .

وقد كانت السيدة عائشة أم المؤمنين لا تسمع شيئا لا تعرفه إلا راجعت فيه حتى تعرفه^(٣) .

(١) فتح الباري ص ١٥٩ ج ١ ونحوه في معرفة علوم الحديث ص ٥ .

(٢) الرسالة ص ٤٠٤ فقرة ١١٠٩ وهكذا الآية ثابتة في الأصل في (أعلمكم) .

(٣) انظر فتح الباري ص ٢٠٢ ج ١ .

وقد يختصم مسلمان في قضية أو حكم ، فيرجعان إلى رسول الله عليه الصلاة والسلام ليفصل بينهما ويبين وجه الصواب . من ذلك ما رواه المِسْوَرُ بن مَحْرَمَةَ : أن عمر بن الخطاب قال « سمعت هشام بن حكيم بن حزام يقرأ سورة الفرقان ، فقرأ فيها حروفا لم يكن نبي الله صلى الله عليه وسلم أقرأنيها ، قال : فأردت أن أساوره وأنا في الصلاة ، فلما فرغ قلت : من أقرأك هذه القراءة ؟ قال : رسول الله صلى الله عليه وسلم . قلت : كذبت والله ، ما هكذا أقرأك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأخذت بيده أقوده ، فانطلقت به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت : يا رسول الله ، إنك أقرأني سورة الفرقان ، وإنى سمعت هذا يقرأ فيها حروفا لم تكن أقرأنيها ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اقرأ يا هشام ، فقرأ كما كان قرأ ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هَكَذَا أُنزِلَتْ^(١) ثم قال لي : اقرأ ، فقرأت ، فقال : هَكَذَا أُنزِلَتْ . إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف ، فاقروا ما تيسر^(٢) . »

إن في هذه الأجوبة والفتاوى والأقضية مادة كثيرة في مختلف أبواب كتب السنة ، حتى إنها تؤلف جانباً كبيراً من سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويبعد أن ينسى هذه الحوادث من وقعت له وسأل عنها الرسول صلى الله عليه وسلم ، لأنها جزء من حياة السائل بل واقعة بارزة من وقائع عمره .

(ج) وقائع وحوادث شاهد فيها الصحابة تصرفات الرسول صلى الله عليه وسلم . وهذه كثيرة في صلاته وصيامه وحجه وسفره وإقامته ... فنقلوها إلى التابعين الذين بنفوها إلى من بعدهم وهي تؤلف جانباً كبيراً من السنة ، وخاصة

(١) مستد الإمام أحمد ص ٢٢٤ حديث ١٥٨ ج ١ باسناد صحيح .

(٢) مستد الإمام أحمد ص ٢٧٤ حديث ٢٧٧ ج ١ باسناد صحيح ، وليس في هذه الرواية مساورة عمر لهشام في الصلاة . وأخرج البخاري ومسلم نحوه ، انظر فتح الباري ص ٣٩٩ ج ١٠ وصحيح مسلم ص ٥٦٠ حديث ٢٧٠ ج ١ .

هديه صلى الله عليه وسلم في العبادات والمعاملات وسيرته ... ومن ذلك سؤال جبريل النبي صلى الله عليه وسلم عن الإيمان ، والإسلام والإحسان وعلم الساعة ، وإجابته صلى الله عليه وسلم عن ذلك كله ، وبعد ما انصرف جبريل التفت الرسول صلى الله عليه وسلم إلى من حوله وقال : « يا عمرُ ، أتدرى من السائلُ ؟ قال عمرُ : قلت : الله ورسوله أعلم . قال : فإنه جبريلُ أتاكم يعلمكم دينكم »^(١) .

ومن ذلك ما رواه علي بن أبي طالب رضى الله عنه قال : أوتر رسول الله صلى الله عليه وسلم : من أول الليل وآخره وأوسطه فأنتهى وتره إلى السحر^(٢) .

ومن ذلك أيضا ما رواه سالم بن عبد الله عن أبيه عبد الله بن عمر : أنه رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبا بكر وعمر يمشون أمام الجنائزة^(٣) .

ومن ذلك ما رواه علي بن أبي طالب رضى الله عنه قال : بينما نحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم نصلى ، إذ انصرف ونحن قيام ، ثم أقبل ورأسه يقطر ، فصلى لنا الصلاة ، ثم قال : « إني ذكرتُ أني كنتُ جنباً حين قُتُ إلى الصلاة ، لم أغتسل ، فَمَنْ وَجَدَ مِنْكُمْ فِي بَطْنِهِ رِزاً^(٤) ، أو كان على مثل ما كنتُ عليه فليُتصرف حتى يفرغ من حاجته أو غُسله ، ثم يعود إلى

(١) شرح الأربعين النووية ص ١٢ رواه مسلم وانظر فتح الباري ص ١٢٣ - ١٣٢ ج ١ ومسنود الإمام أحمد ص ٣١١ حديث ٣٦٧ ج ١ باسناد صحيح . وكان جبريل عليه السلام قد جاء إلى الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه حوله على هيئة رجل شديد يبيض الثياب شديد سواد الشعر لا تظهر عليه علامة السفر قال عمر (ر) ولا يعرفه منا أحد . والحديث مشهور عن عمر رضى الله عنه .

(٢) مسند الإمام أحمد ص ٦٤ حديث ٦٥٣ ج ٢ باسناد صحيح .

(٣) الرجوع السابق ص ٢٤٧ حديث ٤٥٣٩ ج ٦ باسناد صحيح .

(٤) الرز : الصوت الحني ويريد به التفرقة ، وقيل هو غمز الحدث وحركته للخروج .

صلاته^(١)». وما رواه أيضا فقال: كان آخر كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الصلوة الصلوة، اتقوا الله فيما ملكت أيمانكم»^(٢).

كما سبق يتضح لنا أن عوامل ثلاثة تضامنت وتضافرت في سبيل حفظ السنة المشرفة في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم، وهذه العوامل هي: شخصية الرسول من حيث هو مرب ومعلم، وفوق هذا، وأكثر من هذا من حيث هو رسول رب العالمين، والسنة من حيث مادتها، والصحابة وهم الطلاب الذين تلقوا السنة وشاركوا في تطبيقها، وتجاوبوا مع المعلم الأول والمادة مخلصين، بقلوب عظيمة انطوت على رغبة ملحة، وإرادة قوية في اتباع ما به يتم إيمانهم، ويقطع صلتهم بما كانوا فيه من ضلال. كل ذلك كان له الأثر الكبير في حفظ الصحابة للسنة دقيقها وجليلها، ثم نقلها إلى التابعين الذين نقلوها إلى من بعدهم طبقا لما قاله صلى الله عليه وسلم لأصحابه: «تَسْمَعُونَ وَيُسْمَعُ مِنْكُمْ وَيُسْمَعُ مِنْ يَسْمَعُ مِنْكُمْ»^(٣).

ويمكننا أن نقول - ونحن واثقون مطمئنون - : إن السنة في عهد رسول الله عليه الصلاة والسلام كانت محفوظة عند الصحابة جنبا إلى جنب مع القرآن الكريم، وإن كان نصيب كل صحابي منها يختلف عن نصيب الآخر، فمنهم الأكثر من حفظها، ومنهم القليل، ومنهم المتوسط في ذلك. ومن ثم نستطيع تأكيد أنهم قد أحاطوا بالسنة، وتكفلوا بنقلها إلى التابعين.

ويخطئ من يدعى أن بعض السنن فات الصحابة جميعا بعد أن رأينا مدى

(١) مسند الإمام أحمد ص ٧٤ رقم ٦٦٨ ج ٢.

(٢) المرجع السابق ص ٢٩ ج ٢ واستاده صحيح.

(٣) مسند الإمام أحمد ص ٣٤٠ حديث ٢٩٤٧ ج ٤ وانظر الجرح والتعديل ص ٨ ج ١.

عنايتهم بها ، وحرصهم عليها . فكيف يغيب عنهم شيء منها ، وهم الذين صحبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم نيفا وعشرين عاما قبل الهجرة وبعدها ، لحفظوا عنه أقواله وأفعاله ، « ونومه ويقظته ، وحركته وسكونه ، وقيامه وقعوده ، واجتهاده وعبادته ، وسيرته وسراياه ومقاربه ، ومزاجه وزجره ، وخطبه وأكله وشربه ، ومعاملته أهله ، وتأديبه فرسه وكتبه إلى المسلمين والمشركون ، وعهوده ومواريثه ، والحافظه وأنفاسه وصفاته ، هذا سوى ما حفظوا عنه من أحكام الشريعة ، وما سأله عن العبادات والحلال والحرام أو تحاكموا فيه إليه »^(١) فكانوا بحق خير خلف لخير سلف رضى الله عنهم .

* * *

٤ — انتشار السنة في عهد الرسول

حليه الصلاة والسلام

انتشرت السنة مع القرآن الكريم منذ الأيام الأولى للدعوة ، يوم كان المسلمون قلة يجتمعون سرا في دار الأرقم بن عبد مناف ، يتلقون تعاليم الدين الجديد يقرءون القرآن ، و يقيمون شعائرهم ، وما لبث النبي عليه الصلاة والسلام أن صدع بأمر الله تعالى ، وكثر المسلمون ، وعم الإسلام الجزيرة العربية ، وكان الرسول صلى الله عليه وسلم في جميع مراحل الدعوة يبلغ الناس ، ويفتيهم ويقضى بينهم ، ويخطبهم ويسوسهم في السلم والحرب ، وفي الشدة والرخاء ، ويعلمهم فيحفظون الأحكام ويطبقونها . وقد تضافرت عوامل عدة تسكفت بنشر السنة في الآفاق ، منها :

(١) المدخل إلى كتاب الإكبال في أصول الحديث ص ٧ - ٨ .

١ - نشاط رسول الله عليه الصلاة والسلام ، وجدته في تبليغ دعوته ونشر الإسلام ، فلم يترك وسيلة للدعوة إلا استفاد منها ، ولا سبيلا إلا سلكها ، فخرض نفسه على القبائل ، وتحمل الصعاب وصنوف الأذى ، واتصل بوفود المواسم وعرض عليهم الإسلام . . . فلم يأل جهدا في تبليغ الرسالة . . . حتى عز الإسلام وقويت دولته . . . وفي جميع تلك التطورات كانت السنة تأخذ مكانها في نفوس المسلمين .

٢ - طبيعة الإسلام ونظامه الجديد ، الذي جعل الناس يتساءلون عن أحكامه ، وعن رسوله وأهدافه ، فكان بعض من يسمع بالدعوة يقبل على رسول الله عليه الصلاة والسلام ، يسأله عن الإسلام فيعلن إسلامه ، وينطلق إلى قومه ليبلغهم ما رأى ويحبرهم ما سمع . . .

٣ - نشاط أصحاب الرسول عليه الصلاة والسلام ، واندفاعهم في طلب العلم وحفظه وتبليغه ، وقد سبق أن تكلمت مفصلا عن نشاطهم العلمي في بحث « كيف كان الصحابة يثقلون السنة ؟ » .

٤ - أمهات المؤمنين رضى الله عنهن :

كانت لأمهات المؤمنين فضل عظيم في تبليغ الدين ، ونشر السنة بين نساء المسلمين ، فقد كان بعض النساء ينجطن من أن يسألن رسول الله عليه الصلاة والسلام عن أمورهن فيجذن عند أزواجه ما يشي غليظهن ، لأنهن على صلة دائمة به ، يتعلمن منه الأحكام ، وينقلن عنه ما لا يتاح لغيرهن نقله ، وقد اشتهرت السيدة عائشة رضى الله عنها بعلمها التزير ، وحرصها على فهم الأحكام ، فعن ابن أبي مليكة « أن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم . كانت لا تسمع شيئا لا تعرفه إلا راجعت فيه حتى تعرفه ، وأن النبي صلى الله عليه وسلم قال :

مَنْ حُسِبَ عَذَبٌ ، قَالَتْ عَائِشَةُ : فَقُلْتُ : أَوَلَيْسَ يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى «... فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا » ؟ قَالَتْ : فَقَالَ : إِنَّمَا ذَلِكَ الْعَرْضُ وَلَكِنْ مَنْ نَوَّشَ الْحِسَابَ يَهْلِكُ ^(١) .

وقد عرف المسلمون سمو مكانتها ، وتعمقها في أحكام الإسلام ، فكانت - بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم - محط أنظار طلاب العلم والمستفتين ومرجعهم في كثير من أمور دينهم .

٥ - الصحابييات : كان للنساء أثر عظيم في حفظ السنة وتبليغها لا يقل عن أثر الصحابة رضي الله عنهم ، وقد رأينا حرصهن على حضور مجالس الرسول عليه الصلاة والسلام ، حتى إذا ما رأين الرجال قد غلبوهن على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، طلبن منه أن يعين لهن جلسات خاصة بهن يسألنه فيها عن أمورهن ويتعلمن أحكام الإسلام . . . كما أنهن كن يشهدن بعض المواسم كصلاة العيد ويستمعن إلى أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد كان لهؤلاء الصحابييات أثر عظيم في حمل أحكام كثيرة تتعلق بالنساء وحياتهن الزوجية ، كان من الصعب أن يسأل الصحابة عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم

٦ - رسله صلى الله عليه وسلم وبعوته وولاته :

أصبحت المدينة بعد الهجرة مقر الدولة الإسلامية ، وقاعدة الدعوة : تنبعث منها الهداية إلى الآفاق ، وتتعظم على إثرها أخصام الشرك ، وتتقوض أمامها عروش الطغيان ، فمن يثرب انطلق رسل النبي صلى الله عليه وسلم إلى القبائل المجاورة والثائية ، يدهونهم إلى الإسلام ، ويعلمونهم أحكامه ونظمه ، عندما كانت قريش تحول بين القبائل المسلمة والنبي عليه الصلاة والسلام ، وكان

رسول الله صلى الله عليه وسلم يوجه رسله ويرشدهم ويعلمهم أصول الدعوة ويأمرهم أن يدعوا إلى الله بالحسكة والموعظة الحسنة ، ومن ذلك وصيته لمعاذ ابن جبل ولأبي موسى الأشعري عندما وجههما إلى البين^(١) : قال عليه الصلاة والسلام « يَسْرًا وَلَا تَعْرَاءَ ، وَبَشْرًا وَلَا تُنْفَرًا » ، وقال لمعاذ رضي الله عنه : « إِنَّكَ سَتَأْتِي قَوْمًا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ، فَادْعُهُمْ إِلَى شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَأَنَّي رَسُولُ اللَّهِ ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ فَأَعْلِمِهِمْ أَنَّ اللَّهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ فَأَعْلِمِهِمْ أَنَّ اللَّهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ فَتَرُدُّ فِي قُرَاهِمُ ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ فَيَايَاكَ وَكَرَاهِمُ أُمَوَالِهِمْ ، وَاتَّقِ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ ، فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ اللَّهِ حِجَابٌ »^(٢) : « وَكَانَ يَشْجَعُ عَمَالَهُ وَقَضَايَاهُ ، قَالَ عَلَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : « بَعَثَنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى الْبَيْنِ ، فَقَاتَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّكَ تَبْعُنِي إِلَى قَوْمٍ هُمْ أَسْنُّ مِنِّي لِأَقْضِي بَيْنَهُمْ ، قَالَ : اذْهَبْ ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى سَيَبْنِي لِسَانَكَ وَيَهْدِي قَلْبَكَ »^(٣) .

وقد كانت بعوثه عليه الصلاة والسلام وولائه خير من يحمل الرسالة ويؤدي الأمانة .

وفي السنة السادسة كثرت بعوثه صلى الله عليه وسلم ، فقد وجه بعد صالح الحديبية رسله إلى الملوك ، يحملون إليهم كتبه ، ففي يوم واحد انطلق ستة نفر إلى جهات مختلفة يتكلم كل واحد منهم بلسان القوم الذين بعث إليهم^(٤) ،

(١) انظر صحيح البخاري بحاشية السندی ص ٧٢ ج ٣ وكان ذلك في السنة الخامسة للهجرة .

(٢) صحيح مسلم ص ٥٠ حديث ٢٩ و ٣٠ ج ١ .

(٣) مسند الإمام أحمد ص ٧٣ حديث ٦٦٦ ج ٢ بإسناد صحيح .

(٤) انظر المصباح للمصنف ص ٤٠ .

فقد اشتهر أنه أرسل رسله إلى قيصر الروم^(١) ، وإلى أمير بصرى ، وإلى الحارث بن أبي شمر أمير دمشق من قبل هرقل ، وإلى المفوقس أمير مصر من قبل هرقل يدعوهم إلى الإسلام ، كما وجه كتبه إلى النجاشي ملك الحبشة ، وإلى كسرى ملك الفرس ، وإلى المنذر بن ساوى ملك البحرين ، وأرسل كتبه ورسله إلى عمان واليمامة وغيرها .. وكان الرسل يجيئون عما يسألهم عنه الملوك والأمراء ورؤساء القبائل ، ويبينون لهم الإسلام وغاياته على ضوء ما يزودهم به الرسول عليه الصلاة والسلام من التوجيه والإرشاد ، وكان عليه الصلاة والسلام يولى على كل قوم قبلوا بالإسلام كبيرهم ، وعدمهم بمن يفقههم ويعلمهم .

٧ - غزوة الفتح (الفتح الأعظم) :

في سنة ثمان من الهجرة نقضت قريش صلح الحديبية ، فدعا رسول الله القبائل المسلمة أن تحضر رمضان في المدينة ، وانطلق بعشرة آلاف^(٢) مجاهد إلى مكة ، ففتحها وقوض الوثنية وحطم الأصنام ، ثم قام خطيباً في ألوف المسلمين والمشركين ف دعا عن أعدائه الذين اضطهدوه وآذوه . ثم أعلن كثيراً من الأحكام ، منها ألا يقتل مسلم بكافر ، ولا يتوارث أهل ملتين مختلفتين ، ولا تنكح المرأة على عمتها أو خالتها . . . ثم أقبل الناس يبايعون رسول الله عليه الصلاة والسلام . . .

لقد كان فتح مكة حدثاً تاريخياً عظيماً ، نقله جوع غفيرة ، ونقلت معه خطبة الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام إلى الآفاق ، كما نقل المسلمون

(١) انظر سيرة ابن هشام ص ٢٧٩ ج ٤ وصحيح مسلم ص ١٣٩٣ و ١٣٩٧ ج ٣ وانظر أخبار الرسل إلى الملوك والأمراء مفصلة في الصباح المضيء ص ٦٠ - ١١٤ .

(٢) انظر سيرة ابن هشام ص ١٧ ج ٤

الجلد ما سمعوا من إرشاد وتوجيه إلى أهلهم وذوئهم في مكة وغيرها .

٨ - حجة الوداع :

خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في شهر ذى الحجة من السنة العاشرة للهجرة ، إلى مكة المكرمة وحج بالناس ، وكان معه جمع عظيم يبلغ تسعين^(١) ألفاً ، ووقف في عرفة في هذه الجموع الكثيرة وخطب خطبة جامعة بين فيها كثيراً من الأحكام ، منها حرمة دماء المسلمين وأموالهم ، وأداء الأمانة ، ووضع ربا الجاهلية وإبطاله ، كما وضع دماء الجاهلية التي كانت بينهم ومنع المعادات الباطلة . . . ومنع النسيء تأكيذاً لما في كتاب الله ، وبين بعض حقوق الرجال وحقوق النساء وحث على حسن معاملتهن . . . ومنع الوصية للوارث . . .

لقد كانت هذه الخطبة الجامعة من أهم العوامل في انتشار السنة بين القبائل العربية ، لأنه سمعها عدد كبير جداً ، ونقلوها إلى الآفاق ، طبقاً لما جاء فيها من قوله صلى الله عليه وسلم « أَلَا هَلْ بَلَّغْتُ ؟ اللَّهُمَّ اشْهَدْ ، فليبلغ الشاهد منكم الغائب »^(٢) .

٩ - الوفود بعد الفتح الأعظم وحجة الوداع :

بعد فتح مكة أقبلت وفود العرب من سائر أطراف الجزيرة العربية يبايعون الرسول صلى الله عليه وسلم وينضمون تحت لواء الإسلام ، وتتابعتم هذه الوفود وكثرت بعد حجة الوداع ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يرحب بالوافدين ، ويعلمهم الإسلام ، ويزودهم بنصائحه وإرشاداته ، وكانت بعض الوفود تقيم

(١) اختلف في عدد من حضر حجة الوداع وفي رواية من أبي زرعة أنهم أربعون ألفاً انظر نتائج فہوم اہل الآثار ص ٢٧ : ب .

(٢) انظر سيرة ابن ہمام ص ٢٧٦ ج ٤ ، ونحوه في صحيح مسلم ص ١٣٠٦ ج ٣ .

عنده أياما ثم تعود إلى قبائلها تبليغهم الدين الخفيف ، ومن هذه الوفود وفد
 ضمام بن ثعلبة الذي علمه الرسول صلى الله عليه وسلم الإسلام ، فعاد إلى قومه
 ودعاهم فأسلموا ، وفد عبد القيس ، وفود بني حنيفة وطىء وكندة وأزدشنوة ،
 وفد رسول ملوك حير ، الذين أسلموا وأرسلوا رسولهم بذلك إلى الرسول صلى
 الله عليه وسلم ، فبعث إليهم عليه الصلاة والسلام كتابا يخبرهم أنه علم بإسلامهم ،
 ويحثهم على طاعة الله والتمسك بدينه ، وفيه وصيته لهم برسله وبيعوثه ، ويوصيهم
 الخير في الرعية . . . كما قدمت وفود همدان ، ونجيب - قبيلة من كندة -
 وفود ثعلبة وبني سعد من هذيم وفود كثيرة بضيق المقام عن ذكرها^(١) .

لقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يرى في هذه الوفود الخير ،
 فيكرمهم ويعلمهم ، وكانوا يسألونه ويحييهم ، وقد سمعوا حديثه ، وشهدوا بعض
 موافقه ، وشاركوه في العبادة ، ورأوا كثيرا من تصرفاته . فكان لهذه الوفود
 أثر عظيم في نقل السنة وانتشارها .

ونرى أن تلك العوامل الكثيرة كانت كافية لنشر السنة وتبليغها المسلمين ،
 في مختلف أرجاء الدولة الإسلامية آنذاك .

تلك لحظة مريعة عن انتشار السنة في عهده صلى الله عليه وسلم ، وقد حرص
 الصحابة والمسلمون جميعا على حفظها وتبليغها ، ولم ينتقل رسول الله عليه الصلاة
 والسلام إلى الرفيق الأعلى إلا بعد أن انتشر الإسلام في الجزيرة العربية كلها
 وساد ربوعها ، وملأ القرآن والسنة صدور أهلها ، مصداقا لقوله عز وجل ،
 « الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ، وَاتَّمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي ، وَرَضِيتُ
 لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا »^(٢) .

(١) انظر سيرة ابن هشام ص ٢٢١ ج ٤ .

(٢) ٣ : المائدة .

الباب الثاني

السنة في عصر الصحابة والتابعين

الفصل الأول :

- ١ — اعتداء الصحابة والتابعين بالرسول صلى الله عليه وسلم .
- ٢ — احتياط الصحابة والتابعين وورعهم في رواية الحديث .
- ٣ — ثبت الصحابة والتابعين في قبول الحديث .
- ٤ — كيف روى الحديث في ذلك العصر . . . باللفظ أم بالمعنى ؟

الفصل الثاني :

- ١ — النشاط العلمي في عصر الصحابة والتابعين .
- ٢ — انتشار الحديث في عصر الصحابة والتابعين ،
- ٣ — الرحلة في طلب الحديث .

الفصل الأول

بين يرى الفصل :

كان مصدر التشريع في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم كتاب الله وسنة رسوله : ينزل الوحي ، فيبلغه النبي الكريم عليه الصلاة والسلام إلى الناس كافة ، ويبين مقاصده ، ثم يطبق أحكامه ، فكان صلى الله عليه وسلم المرجع الأعلى في جميع أمور الأمة ، في القضاء والفتوى ، والتنظيم المالي والسياسي والعسكري : يعالج الأمور على مرأى من أصحابه رضى الله عنهم ، وعلى ضوء القرآن الكريم ، فإن وجد حكماً للقضية فصل فيها ، وإن لم يجد اجتهد فيها حيناً ، أو انتظر الوحي أحياناً ، ليعرف حكم الله تعالى ، وقد يجتهد فينزل الوحي مصححاً لاجتهاده ، لأن الله عز وجل لا يقر رسوله على الخطأ .

ثم ما لبث أن انتقل محمد صلى الله عليه وسلم إلى الرفيق الأعلى ، وانقطع الوحي . ولم يبق أمام الأمة إلا القرآن العظيم والسنة الشريفة ، مصداقاً لقوله صلى الله عليه وسلم : « تركتُ فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما : كتاب الله وسنتي ^(١) » . وتمسك الصحابة والتابعون بسنته عليه الصلاة والسلام اتباعاً لأوامر الله تعالى بطاعته وقبول حكمه في قوله تعالى : « وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ^(٢) » ، وقوله : « فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ

(١) أخرجه الحاكم في المستدرک ، وانظر جامع بيان العلم وفضله ص ١٨٠ ج ٢ .

(٢) ٧ : الحشر

حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيَسْلُمُوا تَسْلِيمًا^(١) » وقوله : « وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ^(٢) » .

والاستجابة لرسول الله صلى الله عليه وسلم واجبة في حياته وبعد وفاته . وقد امثل الصحابة لأوامر الله تعالى في عهد الرسول عليه الصلاة والسلام ونفذوها مخلصين ، وحوا الشريعة بالمال والدماء ، وكذلك فعلوا بعد وفاته ، وقوفاً عند وصيته عليه الصلاة والسلام ، التي سمعها منه الصحابة رضوان الله عليهم ، ويروها العرياض بن سارية رضى الله عنه فيقول : « وعظنا رسول الله صلى الله عليه وسلم موعظةً وُجِلَّتْ منها القلوبُ ، وَذَرَفَتْ منها العيونُ ، فقلنا : يا رسول الله ، كأنها موعظةٌ مودِّعةٌ ، فَأَوْضِنَا . قَالَ : أَوْصِيكُمْ بِقَوِي اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ وَإِنْ تَأَمَّرَ عَلَيْكُمْ عَبْدٌ ، فَإِنَّهُ مِنْ بَعْشٍ مِنْكُمْ فسيرى اختلافًا كثيراً ، فعليكم بسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ ، عَصُوا عَلَيْهَا بِالتَّوَّاجِدِ ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحَدَّثَاتِ الْأُمُورِ ، فَإِنَّ كُلَّ بَدْعَةٍ ضَلَالَةٌ^(٣) » . فَأَخَذُوا بِسُنَّتِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ، وَتَمَسَّكُوا بِهَا ، وَأَبَوا أَنْ يَكُونُوا ذَلِكَ الرَّجُلَ الَّذِي يَنْطَبِقُ عَلَيْهِ قَوْلُهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ : « يُوشِكُ الرَّجُلُ مُتَّكِئًا عَلَى أُرْكُتَيْهِ يُمَدِّثُ بِحَدِيثٍ مِنْ حَدِيثِي فَيَقُولُ : بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ كِتَابُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، فَمَا وَجَدْنَا فِيهِ مِنْ حَلَالٍ اسْتَخْلَمْنَاهُ ، وَمَا وَجَدْنَا فِيهِ مِنْ حَرَامٍ

(٢) ١٣٢ : آل عمران

(١) ٦٥ : النساء

(٣) الحديث الثامن والعشرون من الأربعين النبوية ص ٦٧ وقال رواه أبو دواد والترمذي وقال حديث حسن صحيح . وأقول رواه أيضا الهاربي في سننه انظر سنن الهاربي ص ٢٦ ، طبعة سنة ١٢٩٣ هـ .

حَرَّمَناهُ ، أَلَا وَإِنَّ مَا حَرَّمَ رَسُولُ اللَّهِ مِثْلُ مَا حَرَّمَ اللَّهُ^(١) » ، بل وقفوا من السنة موقفا عظيما ، وردوا على كل من فهم ذاك الفهم . روى أبو نصره عن عمران بن حصين : « أن رجلا أتاه فسأله عن شيء ، فحدثه ، فقال الرجل حدثوا عن كتاب الله عز وجل ، ولا تحدثوا عن غيره . فقال إنك اسرؤ أحق !! أتجد في كتاب الله صلاة الظهر أربعاً لا يجهر فيها ، وعدة الصلوات ، وعدة الزكاة ونحوها ، ثم قال : أتجد هذا مفسراً في كتاب الله ؟ كتابُ الله قد أحكم ذلك ، والسنة تُفسرُ ذلك^(٢) . » ، وقال رجل للتابعي الجليل مطرف ابن عبد الله بن الشخير : لا تحدثونا إلا بالقرآن . فقال له مطرف : « والله ما نريد بالقرآن بدلا ، ولكن نريد من هو أعلم بالقرآن منا^(٣) » .

ونسنعرض الآن تأسي الصحابة والتابعين بالرسول وتمسكهم بالسنة المطهرة ، ثم احتياطهم وورعهم في رواية السنة ، ثم تثبتهم في قبول الأخبار والآثار عن النبي صلى الله عليه وسلم .

(١) سنن ابن ماجه ص ٥ ج ١ وسنن البيهقي ص ٦ ج ١ رواه اللقمان بن معلى كرت

(٢) كتاب العلم للقمي مخطوطة الظاهرية ص ٥١ وجامع بيان العلم وفضله ص ١٩١ ج ٢

(٣) جامع بيان العلم وفضله ١٩١ ج ٢ .

اقتداء الصحابة والسابعين برسول صلى الله عليه وسلم

لقد استجاب المسلمون الأوائل إلى قوله عز وجل : « لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ^(١) » ، فتقانونوا في اتباع محمد صلى الله عليه وسلم ، وساروا على هديه ، وهذه صور سريعة عن تمسكهم بالسنة النبوية ، تناول أحوال الرعية والرعاة في مختلف جوانب الحياة .

فما هو ذا أبو بكر الصديق بعقد لواء أسامة بن زيد ، وبأبي أن يحتفظ بجيشه وهو في أشد الحاجة إليه ، ويقول : ما كان لي أن أحل لواء عقده رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبالعقد اللواء لخالد بن الوليد ليقاقل المرتدين ، ويقول : إني سمعتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يقول : « نَعَمْ عَبْدُ اللَّهِ وَأَخُو الشَّيْطَانِ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ » ، وسيفٌ من سيفِ اللَّهِ سَلَّهُ اللَّهُ عز وجل على الكفار والمنافقين ^(٢) .

وتأتيه فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، تطلب سهم رسول الله عليه الصلاة والسلام ، فيقول لها : إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إِنَّ اللَّهَ عز وجل إذا أطعمَ نبيًّا طَعْمَةً ، ثُمَّ قَبَضَهُ جَعَلَهُ لِلَّذِي يَقُومُ مِنْ بَعْدِهِ ، فَرَأَيْتَ أَنْ أُرَدَّ عَلَى الْمُسْلِمِينَ ، فَقَالَتْ : فَأَنْتِ وَمَا سَمِعْتِ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم أَعْلَمَ ^(٣) » وقال في رواية : « لَسْتُ تَارِكًا شَيْئًا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم

(١) : ٢١ : الأحزاب .

(٢) مسند الامام أحمد ص ١٧٣ ج ١ باسناد صحيح عن أبي بكر .

(٣) مسند الامام أحمد ص ١٦٠ ج ١ باسناد صحيح ونحوه في ص ١٧٧ و ١٧٨ ج ١ .

عليه وسلم يعمل به إلا عملت به ، وإني أخشى إن تركتُ شيئاً من أمره أن أزيغ » ^(١) .

ولما ارتد مسيلةُ الكذاب وقومه قال عمر لأبي بكر رضي الله عنهما : « تقاتلهم وقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (أُمِرْتُ أَنْ أَقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، فَإِذَا قَالُواهَا عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّهَا ، وَحَسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى) - ؟ فقال أبو بكر : والله لا أفرق بين الصلاة والزكاة ، وَلَا قَاتِلِينَ مِنْ فِرْقٍ بَيْنَهُمَا . قال أبو هريرة فقاتلنا معه فرأينا ذلك رشداً ^(٢) » .

وعن السائب بن يزيد ابن أختِ عُمَرَ أَنَّ حُوَيْطِبَ بْنَ عَبْدِ الْعَزْزِيِّ أَخْبَرَهُ أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ السَّعْدِيِّ أَخْبَرَهُ : أَنَّهُ قَدِمَ عَلَى عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ فِي خِلَافَتِهِ ، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ أَلَمْ أُحَدِّثْ أَنَّكَ تَتْلِي مِنْ أَعْمَالِ النَّاسِ أَعْمَالًا ، فَإِذَا أُعْطِيتَ الْعِمَالَةَ كَرِهْتَهَا ؟ قَالَ : قُلْتُ : كَيْلَى . فقال عمر : فما تريد إلى ذلك ؟ قال : قلت : إن لي أفراساً وأعبداً وأنا بخير ، وأريدُ أَنْ تَكُونَ عِمَالَتِي صَدَقَةً عَلَى الْمُسْلِمِينَ ، فقال عمر : فلا تفعل ، فإني قد كنت أردت الذي أردت ، فكان النبي صلى الله عليه وسلم يعطيني العطاء فأقول : أعطه أفقرَ إليهِ مني ، حتى أعطاني مرةً مَالاً قُلْتُ : أعطه أفقرَ إليهِ مني ، قال : فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : « خذهُ فَتَمَوَّلْهُ وَاصْدُقْ بِهِ ، فَمَا جَاءَكَ مِنْ هَذَا الْمَالِ ، وَأَنْتَ غَيْرُ مُشْرِفٍ وَلَا سَائِلٍ لِحَظِّهِ ، وَمَا لَا فَلَا تُتْبِعْهُ نَفْسَكَ ^(٣) » .

(١) مستند الإمام أحمد من ١٦٧ ج ١ باسناد صحيح من حديث طويل .

(٢) مستند الإمام أحمد من ١٨١ ج ١ باسناد صحيح ، ما بين القوسين الكبيرين من الحديث الذي ذكره أبو هريرة أولاً ثم ذكر مناقضة عمر وأبي بكر رضي الله عنهما .

(٣) مستند الإمام أحمد من ١٩٧ ج ١ باسناد صحيح قال الحافظ ابن حجر في التهذيب =

وعن فروخ مولى عمان : أن عمر - وهو يومئذ أمير المؤمنين - خرج إلى المسجد ، فرأى طعاماً منشوراً ، فقال : ما هذا الطعام ؟ فقالوا : طعام جلب إلينا . قال : بارك الله فيه وفيمن جلبه ، قيل يا أمير المؤمنين : فإنه قد احتسرك ، قال : ومن احتسركه ؟ قالوا : فروخ مولى عمان وفلان مولى عمر ، فأرسل إليهما فدعاها ، فقال : ما حملكما على احتكار طعام المسلمين ؟ قالا : يا أمير المؤمنين ، نشترى بأموالنا ونبيع . فقال عمر : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « من احتسرك على المسلمين طعامهم ضربه الله بالإفلاس أو مجذام » فقال فروخ عند ذلك : يا أمير المؤمنين ، أعاهد الله وأعاهدك أن لا أعود في طعام أبداً ، وأما مولى عمر فقال : إنما نشترى بأموالنا ونبيع قال أبو يحيى : فلقد رأيت مولى عمر مجذوماً^(١) .

وفي وقعة اليرموك كتب القادة إلى عمر بن الخطاب : « إنه قد جاش إلينا الموت » يستمدونه ، فكان فيما أجابهم « إني أدلكم على من هو أعز نصراً ، وأحضر جنداً ، الله عز وجل ، فاستنصروه ، فإن محمداً صلى الله عليه وسلم ، قد نصر يوم بدر في أقل من عدتكم ، فإذا أناكم كتابي هذا فقاتلوهم ولا تراجعوني^(٢) » ١١

هكذا كان الصحابة يتمسكون بهدى النبي صلى الله عليه وسلم

== ج ٣ ص ٦٦ - ٦٧ في ترجمة حويطب (روى له الشيخان والنسائي حديثاً واحداً في العمالة ، وهو الذي اجتمع في إسناده أربعة من الصحابة) يريد هذا الحديث والصحابة الأربعة : هم السائب وحويطب وعبد الله ابن السدي وعمر (انظر هامش ص ١٦٧ - ١٦٨ من مسند أحمد . ومعنى مشرف في الحديث : متطاع إلى المال .

(١) مسند الإمام أحمد ص ٢١٤ حديث ١٣٥ ج ١ بإسناد صحيح وأبو يحيى الكشي هو راوي الحديث من فروخ .

(٢) مسند الإمام أحمد ص ٣٠٤ ج ١ .

وسنته ، ولو كانوا يشرفون على الموت والهلاك .

وكان الصحابة جميعاً يحرصون على سنن النبي عليه الصلاة والسلام ، ويأسر بعضهم بعضاً باتباعها ، من ذلك أن عمر بن الخطاب رأى زيد بن خالد الجهني يركع بعد العصر ركعتين فثنى إليه وضربه بالدرّة ، فقال له زيد : يا أمير المؤمنين ، اضرب فوالله لا أدعهما بعد أن رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يصليهما ، فقال له عمر : يا زيد ، لولا أني أخشى أن يتخذ الناس سلباً إلى الصلاة حتى الليل لم أضرب فيها^(١) .

ويرى عمر رضي الله عنه الناس قد أقبلوا على طيبات الدنيا مما أحل لهم الله تعالى ، فيذكروهم برسولهم صلى الله عليه وسلم ، فيقول : « لقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يظل اليوم يلتوي ، ما يجرد دَقَلاً يملأ به بطنه »^(٢) .

لقد كان عمر رضي الله عنه وصحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم يتأسون بالرسول الكريم ما استطاعوا في جميع أحوالهم ، فلما طعن عمر رضي الله عنه قيل له : ألا نستخلف ؟ فقال : إن أترك فقد ترك من هو خير مني : رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإن استخلف فقد استخلف من هو خير مني : أبو بكر^(٣) .

حدث مالك بن عبد الله الزيايدي عن أبي ذر : أنه جاء يستأذن على عثمان ابن عفان فأذن له وبيده عصاه ، فقال عثمان : يا كعب ، إن عبد الرحمن توفي وترك مالا فأتري فيه ؟ فقال : إن كان يصل فيه حق الله فلا بأس عليه ، فرفع

(١) كتاب الإجابة لإيراد ما استدركته طائفة على الصحابة من ٩٢ ، وقد روى الإمام مسلم عن أنس قال : كنت عمر يضرب الأيدي على صلاة بعد العصر .

(٢) مسند الإمام أحمد من ٣٠٧ و ٢٢٤ ج ١ باسناد صحيح ، والحق هو روى الترمذي .

(٣) المرجع السابق من ٢٨٤ ج ١ .

أبو ذر عصاه فضرب كعبا ، وقال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :
 « مَا أَحَبُّ لِي هَذَا الْجِلْدَ ذَهَبًا أَنْفَقَهُ وَيَتَقَبَّلُ مِنِّي أَذْرُ خَافِي مِنْهُ سِتْ
 أَوْاقٍ » ، أَتَشَدُّكَ اللَّهُ يَا عُمَانُ ، أَسَمِعْتَهُ ؟ ثَلَاثَ سَرَاتٍ قَالَ : نَعَمْ ^(١) .

وقال عطاء الخراساني : سمعت سعيد بن المسيب يقول : رأيت عثمان قاعدا
 في المقاعد ، فدعا بطعام مما مسته النار فأكله ، ثم قام إلى الصلاة فصلى ، ثم قال
 عثمان : قصدت مقعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأكلت طعام رسول الله
 وصليت صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ^(٢) .

وعن ميسرة بن يعقوب الطهوي قال : رأيت عليا يشرب قائما . قال فقلت
 له : تشرب قائما ؟ فقال : إن أشرب قائما فقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم
 يشرب قائما ، وإن أشرب قاعدا فقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم
 يشرب قاعدا ^(٣) .

وعن عبد خير بن يزيد الحيواني الهمداني (تابعي) عن علي (رضي الله عنه)
 قال : كنت أرى أن باطن القدمين أحق بالمسح من ظاهرهما ، حتى رأيت رسول
 الله صلى الله عليه وسلم يمسح ظاهرهما ^(٤) .

وعن علي بن ربيعة قال . رأيت عليا أتى بدابة ليركبها ، فلما وضع رجله
 في الركاب قال : باسم الله ، فلما استوى عليها قال : الحمد لله ، سبحانه الذي

(١) مسند الإمام أحمد من ٣٥٧ ج ١ . باسناد صحيح .

(٢) المرجع السابق من ٣٧٨ ج ١ . باسناد صحيح . ويظهر أن القاعد مكان في المدجد كانوا
 يتوضؤون عنده ، وقد ورد ذكره في حديث رواية عثمان لوضوء الرسول صلى الله عليه وسلم .

(٣) مسند الإمام أحمد من ١٧٩ حديث ٩١٦ ج ٢ . باسناد حسن ومن طريق زاذان أن
 علي بن أبي طالب شرب قائما فنظر إليه الناس كأنهم أنكروه ، فقال : ما تنظرون ؟ إن أشرب
 قائما الحديث باسناد صحيح نفس المرجع من ١٣٠ ج ٢ حديث ٧٩٥ .

(٤) مسند الإمام أحمد من ١٠٣ حديث ٧٣٧ و ٩١٧ ج ٢ . باسناد صحيح .

سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين ، وإنا إلى ربنا لمنقلبون ، ثم حمد الله ثلاثاً وكبر ثلاثاً ، ثم قال : سبحانك لا إله إلا أنت ، قد ظلمت نفسي ، فاغفر لي ، ثم ضحك ، فقلت : مم ضحكت يا أمير المؤمنين ؟ قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فعل مثل ما فعلت ، ثم ضحك فقلت : مم ضحكت يا رسول الله ؟ قال : « يعجب الربُّ من عبده إذا قال ربِّ اغفر لي ، ويقول علم عبدي أنه لا يَفقرُ الذنوبَ غيري ^(١) . »

وكان الصحابة يتأسون بالرسول الكريم ، ويحافظون على سنته ، سواء أعرَفوا غلة ذلك أم لم يعرفوا ، وسواء أتوقعوا حكمة لما يفعلون أم لم يتوقعوا ، وقد اشتهر عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما بمحافظته الشديدة على سنن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكان الرسول أسوته في كل شيء ، في صلاته وحجه وصيامه ، حتى في قضاء حاجته ^(٢) وكان كثيراً ما يقول : « لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ^(٣) » ، وكان إذا سمع من الرسول صلى الله عليه وسلم شيئاً ، أو شهد معه مشهداً ، لم يُقصر دونه أو يعدوه ^(٤) ، كان يقف عند الحد الوارد في الحديث أو الفعل النبوي من غير لمفراط ولا تفريط . عن مجاهد قال كنا مع ابن عمر في سفر ، فرج مكان لخاد عنه ، فسئل : لم فعلت ؟ فقال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فعل هذا ففعلت ^(٥) ، وكان يأتي

(١) مسند الإمام أحمد من ١٠٩ حديث ٧٥٣ ج ٢ .

(٢) راجع مسند الإمام أحمد من ١٩١ حديث ٦٣٩١ و ٦١٥١ ج ٩ .

(٣) ٢١ : الأحزاب .

(٤) انظر مسند الإمام أحمد من ٢٩٧ حديث ٥٥٤٦ ج ٧ باسناد صحيح ، وسنن ابن ماجه

من ٣ ج ١ .

(٥) مسند الإمام أحمد من ٥٤ حديث ٤٨٧٠ ج ٧ باسناد صحيح .

شجرة بين مكة والمدينة فيقيل تحتها ، ويخبر أن النبي عليه الصلاة والسلام كان يفعل ذلك^(١) .

ووقف عمر بن الخطاب على الركن قائلا : « إني لأعلم أنك حجر ، ولو لم أرحبني صلى الله عليه وسلم قبلك أو استملك ما استملك ولا قبلتك (لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة) »^(٢) .

وكان ينهى أن يزيد إنسان على ما فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يعلى بن أمية : طفت مع عمر بن الخطاب ، فلما كنت عند الركن الذي يلي الباب مما يلي الحجر ، أخذت بيده ليستلم ، فقال : أما طفت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قلت : بلى ، قال : فهل رأيته يستلمه ؟ قلت : لا . قال : فافئذ عنك ، فإن لك في رسول الله أسوة حسنة^(٣) .

وقال علي رضي الله عنه في القيام للحنازة : قد رأينا رسول الله صلى الله عليه وسلم قام فقمنا ، وقعد فقعنا^(٤) .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أمر الصحابة ومن معه يوم الفتح بأن يكشفوا عن منابهم ، ويهرولوا في الطواف ، ليرى المشركون قوتهم وجلدهم ، وقويت دولة الإسلام ورأى عمر أن هذا الأمر قد ذهب علته ، ولكنه قال : « فم^(٥) الرملان الآن والكشف عن المناكب ، وقد أطأ الله الإسلام ونقى الكفر

(١) نظارة عامة في تاريخ الفتنة الإسلامية ص ١٢٦ وقد أخرجه البراز .

(٢) مسند الإمام أحمد ص ٢١٣ و ١٩٧ ج ١ باسناد صحيح .

(٣) المرجع السابق ص ٢٦٥ ج ١ باسناد صحيح .

(٤) مسند الإمام أحمد ص ٥٢ ج ٢ باسناد صحيح .

(٥) في الأصل (فيهما) وانظر الهامش التالي .

وأهل؟ ومع ذلك لا ندع شيئاً كنا نفعله على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم^(١)
وقيل لعبد الله بن عمر: لا نجد صلاة السفر في القرآن؟ فقال ابن عمر:
إن الله عز وجل بعث إلينا محمداً صلى الله عليه وسلم، ولا نعلم شيئاً فإنما نفعل^(٢)
كما رأينا محمداً صلى الله عليه وسلم يفعل^(٣). وفي رواية قال: وكنا ضلّالاً
فهدانا الله به، فيه فتى^(٤).

كان الصحابة رضي الله عنهم لا يرضون ترك سنة كان عليها رسول الله
صلى الله عليه وسلم ولا يقبلون مع السنة رأى أحد مهما كان شأنه، ومهما
علت مكاتته بل كانوا يفضون غضباً شديداً وينكرون إنكاراً قوياً على
من لا يستجيب لسنة الرسول الكريم، أو يخلق تخلفاً به، ولو كان من
ينكرون ذلك عليهم ولدم أو أقرب الناس إليهم.

من ذلك ما رواه سعيد بن جبير عن عبد الله بن مفضل^(٥) أنه كان جالساً
إلى جنبه ابن أخ له، فخذف^(٦)، فنهاه وقال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم
هى عنها وقال: إنها لا تصيد صيدا ولا تنكى عدواً، وإنها تكسر السن،

(١) مسند الإمام أحمد ص ٢٩٣ حديث ٣١٧ ج ١ باسناد صحيح. أظن: نبت وأرمى
والهزمه فيه بدل (وطأ). فنيا: استهامة وظاهر كلام التحوين وجوب حذف ألفها
إذا دخل عليها حرف الجر، ولكن قرأ عبد الله وأبى وعكرمة ويعبى (عما يشألون) بالألف.

(٢) مسند الإمام أحمد ص ٦٨ حديث ٥٦٨٣ ج ٨ ص ٢٠٩ حديث ٥٢٢٣ ج ٧
والسائل في الحديث المذكور هو خالد بن أسيد.

(٣) المرجع نفسه ص ٧٧ حديث ٥٦٩٨ ج ٨.

(٤) عبد الله بن مفضل صحابي جليل من أصحاب الشجرة روى عن النبي (ص) وعن أبي
بكر وعثمان وغيرهم، وعنه روى ثابت البناني. سكن المدينة ثم تحول إلى البصرة وتوفى فيها
سنة (٥٧) هـ وقيل ٦١ وقيل ٦٠. انظر تهذيب التهذيب ج ٦ ص ٤٢.

(٥) خذف: من الخذف وهو أن يجعل الحصة أو النواة بين سبابتيه ويرى بها.

وتفقاً للمين . قال : فعاد ابن أخيه يخذف فقال : أحدثك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عنها ، ثم عدت يخذف إذاً لا أكلمك أبداً (١)

وعن سالم عن عبد الله بن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : لا تمنعوا إماء الله أن يصلين في المسجد ، فقال ابن له : إنما لنمنعن ، فقال : فغضب غضباً شديداً وقال : أحدثك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وتقول : إنما لنمنعن (٢) . وفي رواية فأنهره عبد الله ، قال : أف لك ! أقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وتقول : لا أفعل (٣) .

وعن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : تمتع النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال عروة بن الزبير : نهى أبو بكر وعمر عن المتعة ! فقال ابن عباس : ما يقول عروة ؟ قال : يقول نهى أبو بكر وعمر عن المتعة ! فقال ابن عباس : أراهم سبهل يكون ! أقول : قال النبي صلى الله عليه وسلم ، ويقول : نهى أبو بكر وعمر (٤) !

وهذا عبادة بن الصامت الأنصاري ، النقيب ، صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، غزا مع معاوية أرض الروم ، فنظر إلى الناس وهم يتبايعون كسرة الذهب بالدنانير ، وكسرة الفضة بالدرهم ، فقال : يأبىها الناس ، إنكم تأكلون الربا ، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : هلاقتباعوا الذهب

(١) سنن ابن ماجه ص ٦ ج ١ .

(٢) سنن ابن ماجه ص ٦ ج ١ ونحوه في مسند الإمام أحمد ص ٢٦٦ حديث ٥٤٦٨ .

ج ٧ باسناد صحيح . وابن عبد الله بن عمر هذا هو بلال : كما ذكره في الحديث رقم ٥٦٤٠ من المسند في ص ٤٣ ج ٨ .

(٣) مسند الإمام أحمد ص ٢٩٠ حديث ٦٩-٦٨ ج ٨ وص ١٣٢ حديث ٦٢٩٦ ج ٩ باسناد صحيح وانظر نحوه في جامع بيان العلم ص ١٩٥ ج ٢ .

(٤) مسند الإمام أحمد ص ٤٨ حديث ٣١٢١ ج ٥ باسناد صحيح .

بالذهب إلا مثلاً بمثل ، لا زيادة بينهما ، ولا نظرة » ، فقال له معاوية :
يا أبا الوليد لا أرى الرافى هذا إلا ما كان من نظرة ، فقال عبادة : أحدثك
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وتحدثني عن رأيك ، أن أخرجني الله
لا أساكنك بأرض لك على فيها إمرة فلما قفل لحق بالمدينة ، فقال له عمر بن
الخطاب : ما أقدمك يا أبا الوليد ؟ فقص عليه القصة ، وما قال من مساكنته .
فقال : ارجع يا أبا الوليد إلى أرضك ، قبح الله أرضاً لست فيها وأمثالك ،
وكتب إلى معاوية ، لا إمرة لك عليه ، وأحل الناس على ما قال ، فإنه
هو الأمر^(١) .

أولئك صحابة رسول الله الذين حفظوا سنته ، ووجهوا الأمة إلى السبيل
القويم ، وحلوا الأمراء على تطبيق أحكام الشريعة ، وأبوا أن يماروا في دين
الله صاعين بالحق ، لا يخافون فيه لومة لائم .

وعن الزبير بن عري قال : سمعت رجلاً يسأل ابن عمر عن الحجر قال :
رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يستلمه ويقبله ، فقال رجل : رأيت إن
زُحمتُ ؟ فقال ابن عمر : اجعل (رأيت) باليمين ١١ رأيت رسول الله
يستلمه ويقبله^(٢) .

وعن وبرة بن عبد الرحمن قال : أتى رجل إلى ابن عمر فقال : أيسلحُ أن
أطوفَ بالبيت وأنا محرم ؟ قال : ما يمنعك من ذلك ؟ قال : إن فلانا ينهانا عن

(١) سنن ابن ماجه ص ٧ ج ١ . كسرة الذهب كالقطعة لفظاً ومعنى ، وجهها كسر كقطع .
نظرة : انتظار أى أجل .

(٢) مسند الإمام أحمد ص ١٩٤ ج ٩ . باسناد صحيح وقد أخرجه البخارى . ومن الخطأ أن
يظن ظان من قول ابن عمر أن اليمين كانت تعتمد على الرأى إنما ضرب اليمين مثلاً لجهة قاصية برمي
البيها هذا الامتناع أدباً مع السنة النبوية ، مبدئاً أنه لا مجال للسؤال والجواب إذا ما وجدت السنة
في أمر ما ، وبذلك على ، ذلك رواية الطيالسي وفيها اجعل (رأيت) مع هذا الكوكب .

ذلك حتى يرجع الناس من الموقف ، ورأيت أنه مالت به الدنيا ، وأنت أعجب
 إلينا منه . قال ابن عمر : حج رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فطاف بالبيت ،
 وسمى بين الصفا والمروة ، وسنة الله تعالى ورسوله أحق أن تتبع من سنة ابن
 فلان ، إن كنت صادقا^(١) . وفي رواية أخرى صرح بأن الذي كنى عنه
 بفلان هو ابن عباس .

وكان عبد الله بن عمر يفتي بالذي أنزل الله عز وجل من الرخصة بالتبع
 وبما سن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه ، فيقول ناس لابن عمر : كيف تخالف
 أباك وقد نهى عن ذلك ؟ فيقول لهم عبد الله : ويلكم !! ألا تتقون الله ؟
 إن كان عمر نهى عن ذلك فينتفى فيه الخير يلتمس به تمام العمرة ، فلم تحرمون
 ذلك وقد أحله الله وعمل به رسول الله عليه الصلاة والسلام ؟ ! أفرسول الله
 صلى الله عليه وسلم أحق أن تتبعوا سنته أم سنة عمر ؟ إن عمر لم يقل لكم
 إن العمرة في أشهر الحج حرام ، ولكنه قال إن أتم العمرة أن تفردوها
 من أشهر الحج^(٢) .

وفي ختام ذلك أسوق تمسك عبد الله بن عمرو بن العاص بعبادته التي فارق
 عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقد كان عبد الله بن عمرو من أعبد الصحابة
 وأورعهم وأزهدهم ، كثير الصيام والقيام ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) مسند الإمام أحمد ص ١٦٩ حديث ٥١٩٤ ج ٧ بإسناد صحيح .

(٢) مسند الإمام أحمد ص ٧٧ حديث ٥٧٠٠ ج ٨ وإسناده صحيح . وفي الموطأ كما رواه
 عبد الملك عن نافع ، أن عمر بن الخطاب قال : « افصلوا بين حجكم وعمرتكم ، فإنه أتم الحج
 أحدم وأتم لعمرته أن يعتري في غير أشهر الحج » انظر هامش صفحة ٧٨ في الجزء الثاني .

قد رخص له أن يصوم أياماً من كل شهر إلا أنه وجد في نفسه القوة على الصيام
وأراد أن يصوم الدهر كله ، وفي آخر أيامه ضعف من ذلك فقال : « لأن أكون قبلت
رخصة رسول الله صلى الله عليه وسلم أحب إلي مما عُدلَ به أو عُدل .
لكنني فارقته على أمر أكره أن أخالفه إلى غيره ^(١) »



(١) مسند الإمام أحمد ص ٢٤٠ حديث ٦٤٧٧ ج ٩
عدل به : أى وزن . أى من كل شيء يقابل ذلك من النيويات ، أو عدل أى سارى
والمعنى مقارب في الحرامين :
وانظر الرسالة ص ٤٤٦ فيها أخبار عن تحسك بعض الصعابة بالسنة وعدم قبول رأى لأحد
مع حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم .

اهتباط الصحابة والتابعين في رواية الحديث

لقد عرف الصحابة مرة السنة فتمسكوا بها ، وتبعوا آثار الرسول صلى الله عليه وسلم ، وأبو أن يخالفوها متى ثبتت عندهم ، كما أبوا أن ينحرفوا عن شيء ، فارقهم عليه ، واحتاطوا في رواية الحديث عنه عليه الصلاة والسلام ، خشية الوقوع في الخطأ ، وخوفاً من أن يتسرب إلى السنة المطهرة الكذب أو التحريف ، وهي المصدر التشريعي الأول بعد القرآن الكريم ، ولهذا اتبعوا كل سبيل يحفظ على الحديث نوره ، فأثروا الاعتدال في الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بل إن بعضهم فضل الإقلال منها ، قال ابن قتيبة : « كان عمر شديد الإنكار على من أكثر الرواية ، أو أتى بخبر في الحكم لا شاهد له عليه ، وكان يأمرهم بأن يقلوا الرواية ، يريد بذلك ألا يتسع الناس فيها ، ويدخلها الشوب ، ويقع التدليس والكذب من المنافق والفاجر والأعرابي ، وكان كثير من جلة الصحابة وأهل الخلاصة برسول الله صلى الله عليه وسلم ، كأبي بكر والزبير وأبي عبيدة والعباس بن عبد المطلب — يقولون الرواية عنه ، بل كان بعضهم لا يكاد يروى شيئاً كعميد بن زيد بن عمرو بن نفيل ، وهو أحد المشرة المشهود لهم بالجنة^(١) . »

والتزم الصحابة — في الخلافة الراشدة — منهاج عمر رضي الله عنه ، وأنفقوا أداء الحديث ، وضبطوا حروفه ومعناه^(٢) ، وكانوا يخشون كثيراً أن يقعوا في الخطأ ، لذلك رى بعضهم — مع كثرة تحملهم عن الرسول صلى

(١) تأويل مختلف الحديث : ٤٨ - ٤٩ .

(٢) انظر المبحث الرابع من الفصل الأول في الباب الثاني قبله ، وقد بينت فيه كيف روى الحديث .

الله عليه وسلم — لا يكتر من الرواية في ذلك العهد ، حتى إن منهم من كان لا يحدث حديثاً في السنة ، ونرى من تأخذه الرعدة ، ويقشعر جلده ، ويتغير لونه ورعاً واحتراماً لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومن هذا ، ما رواه عمرو ابن ميمون قال : ما أخطأني بن مسعود عشية خميس إلا أتيته فيه ، قال : فما سمعته يقول بشيء قط « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم » فلما كان ذات عشية قال : « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : ففكرت ، قال فنظرت إليه ، فهو قائم بحالة أزرار قميصه ، قد اغرورقت عيناه ، واستفخت أوداجه ، قال : أودون ذلك ، أو فوق ذلك ، أو قريباً من ذلك ، أو شبيهاً بذلك ^(١) . »

وقال أنس بن مالك رضي الله عنه : لولا أني أخشى أن أخطيء لحديثكم بأشياء سمعتها من رسول الله صلى الله عليه وسلم ^(٢) . وكان إذا حدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثاً ففرغ منه ، قال : أو كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ^(٣) ، وكذلك كان يفعل أبو الدرداء وغيره .

وجالس الشعبي ابن عمر سنة فما سمعه يحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئاً ^(٤) .

وروى عن أنس أنه قال : إنه لينفي أن أحدثكم حديثاً كثيراً

(١) سنن ابن ماجه ص ٨ ج ١ . فكرر أي طأطأ رأسه وجهه .

وانظر نحوه في مسند الإمام أحمد ص ٤٦ حديث ٤٠١٥ ج ٦ وفي الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع ص ٩٨ : آ .

(٢) سنن الداريم ص ٧٧ ج ١ .

(٣) سنن ابن ماجه ص ٨ ج ١ وسنن الداريم ص ٨٤ ج ١ والسنن الكبرى للبيهقي ص ١١ ج ١ .

(٤) سنن الداريم ص ٨٤ ج ١ وانظر السنن الكبرى ص ١١ ج ١ وأخرجه ابن ماجه في سننه ص ٨ ج ١ .

« أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « مَنْ تَعَمَّدَ عَلَى كَذِبٍ فَلْيَتَّبِعُوا مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ »^(١) .

وعن ثابت البناني : أن بني أنس بن مالك قالوا لأبيهم : يا أبانا ، ألا نتحدثنا كما تحدث الغرباء ؟ قال : أي بني إنه من يكتر بهجر^(٢) .

وقال عبد الرحمن بن أبي ليلى : « أدركت مائة وعشرين من الأنصار من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ، ما منهم أحد يحدث بحديث إلا ودَّ أن أخاه كفاه إياه ، ولا يستغنى عن شيء إلا ودَّ أن أخاه كفاه إياه » . وفي رواية : « بسأل أحدهم المسألة فيردها هذا إلى هذا حتى ترجع إلى الأول »^(٣) .

وقال مجاهد : سمعت ابن عمر من مكة إلى المدينة . فاستمعه يحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا هذا الحديث : مثل المؤمن مثل النخلة^(٤) .

وقال السائب بن يزيد إنه سمع سعد بن أبي وقاص من المدينة إلى مكة ، قال : فاستمعه يحدث عن النبي صلى الله عليه وسلم حديثا حتى رجع^(٥) .

وعن عبد الله بن الزبير ، قال : قلت للزبير بن العوام : مالي لا أسمعك تحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم كما أسمع ابن مسعود وفلانا وفلانا ؟ قال : أما إنني لم أفارقة منذ أسلمت ، ولكني سمعت منه كلمة يقول : « من كذب

(١) (صحيح البخاري بحاشية السندي ص ٣١ > ٦)

(٢) طبقات ابن سعد ص ١٤ > ٧ .

(٣) مختصر كتاب المؤمل لرد إلى الأمر الأول ص ١٣ .

(٤) انظر صحيح مسلم ص ٢١٦٥ ج ٤ ، وقبول الأخبار ص ٢٥ .

(٥) طبقات ابن سعد ص ١٠٢ قسم ١ ج ٣ ، وانظر سنن ابن ماجه ص ٩ ج ١ وسنن

البيهقي ص ١٢ ج ١ ، وانظر الحديث الفاصل ص ١٣٤ : آرق قبول الأخبار ص ٢٥ أنه سمع طلحة بن عبيد الله وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص ، والمقداد بن الأسود . الحديث .

على متعمداً فليتبوأ مقعده من النار^(١) » وفي رواية : سمعته يقول : « من كذب على فليتبوأ مقعده من النار^(٢) » .

وعن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال : قلنا لزيد بن أرقم : حدثنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : كبرنا ونسينا ، والحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم شديد^(٣) .

هكذا تشدد الصحابة في الحديث ، وأمسك بعضهم عنه كراهية التحريف ، أو الزيادة والنقصان في الرواية عن الرسول صلى الله عليه وسلم لأن كثرة الرواية كانت في نظر كثير منهم مظنة الوقوع في الخطأ ، والكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد نهى رسول الله عن الكذب عليه وعن رواية ما يرى أنه كذب ، من ذلك قوله عليه الصلاة والسلام : « مَنْ رَوَى عَنِّي حَدِيثًا وَهُوَ يَرَى أَنَّهُ كَذِبٌ فَهُوَ أَحَدُ الْكَاذِبِينَ^(٤) » .

وعن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كفى بالمرء كذباً أن يحدث بكل ما سمع^(٥) » .

وكان الصحابة رضى الله عنهم يخشون أن يقوموا في الكذب عامة ، فكيف

(١) سنن ابن ماجه ص ١٠ ج ١ وقوله « أما إن لم تأمره » يعنى به أن ذلك ليس لقله محبة

(٢) السكفاية ص ١٠٢ وأخرجه البخارى كذلك : انظر فتح البارى ص ٢١٠ ج ١ وانظر الصباح المضي ص ٢٠ : ب و تمييز المرفوع عن الموضوع ص ٢ : ب .
وفي رواية السكفاية قال قلت لأبي الزبير . . . الحديث

وانظر طبقات ابن سعد ص ٧٥ قسم ١ ج ٣ من طريق وهب بن جرير وقال بعد رواية الحديث : والله ما قال متعمداً وأنهم يقولون متعمداً .

(٣) سنن ابن ماجه ص ٨ ج ١ وسنن البيهقي ص ١١ ج ١٠ والحديث التاملي ص ١٣٢ : أ

(٤) مقدمة التمهيد لابن عبد البر ص ١١

(٥) مقدمة التمهيد ص ١١ وفي رواية ابن مسعود (إثماً) بدل (كذبة) وانظر تذكره

الخطاط ص ١٥ ج ١ .

يكذبون على رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال على رضى الله عنه : إذا حدثتكم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثاً فالآن آخر من السماء أحب إلى من أن أكذب عليه . . . (١) »

وقد تشدد عمر بن الخطاب في تطبيق هذا التماس ، لحمل الناس على التثبت مما يسمعون ، والتروى فيما يؤدون ، فكان له الفضل الكبير في صيانة الحديث من الشوائب والدخل ، وقد طبق ذلك الصحابة أيضاً ، يقول ابن مسعود : لمس العلم بكثرة الحديث ، ولكن العلم الخشية (٢) .

وبصور لنا أبو هريرة رضى الله عنه محافظة الصحابة على السنة في عهد عمر بإجابته عن سؤال طرحه عليه أبو سلمة ، قال له : أ كنت تحدث في زمان عمر هكذا ؟ فقال : لو كنت أحدث في زمان عمر مثل ما أحدثكم لضربني بمخفقتي (٣) . وفي رواية قال : لقد حدثتكم بأحاديث لو حدثت بها زمن عمر لضربني حمر بالدرية (٤) .

وقد كان تشدد عمر هذا والصحابة معه للمحافظة على القرآن الكريم ، بجانب المحافظة على السنة ، فقد خشى أن يشتغل الناس بالرواية عن القرآن الكريم ، وهو دستور الإسلام ، فأراد أن يحفظ المسلمون القرآن جيداً ، ثم يعتنوا بالحديث الشريف الذي لم يكن قد دَوَّن كله في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم كالقرآن . فنهج لهم التثبت العلمى والإقلال من الرواية مخافة الوقوع

(١) مسند الإمام أحمد ص ٤٥ ج ٢ .

(٢) مختصر كتاب المؤمل في الرد إلى الأمر الأول ص ٦ .

(٣) تذكرة الحفاظ ص ١٧١ وانظر في هذا الكتاب أبا هريرة القاسم الثاني في دفع شبهات عنه ، وقد اشتهرت الرواية عن أبي هريرة بأن عمر سمع له بالرواية عند ما عرف خشية وورعه .

(٤) جامع بيان العلم وفضله ص ١٢١ ج ٢ .

في الخطأ ، وقد عرف اتفاق بعض الصحابة وحفظهم الجيد فسمح لهم بالتحديث .

ويتجلى منهاج أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه في وصيته التي أوصى بها وفده إلى الكوفة فيما روى عن قرظة بن كعب أنه قال : « بعثنا عمر بن الخطاب إلى الكوفة ، وشيعنا إلى موضع قرب المدينة يقال له : صرار ، قل : أتدرون لم مشيت معكم ؟ قال : قلنا : لحق صحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولحق الأنصار . قال : لكنني مشيت معكم لحديث أردت أن أحدثكم به ، فأردت أن تحفظوه لمشاى معكم : لأنكم تقدمون على قوم للقرآن في صدورهم هزيز كهزيز الرجل ، فإذا رأوكم مسدوا إليكم أعناقهم ، وقالوا أصحاب محمد ، فاقبلوا الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأنا شريككم »^(١) وفي رواية : فلما قدم قرظة بن كعب قالوا : حدثنا ، فقال : نهانا عمر رضى الله عنه^(٢) .

وروى عن أمير المؤمنين عثمان رضى الله عنه أنه اتبع منهج الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضى الله عنه ومنع الإكثار من الرواية ، قال محمود بن لبيد : سمعت عثمان على المنبر يقول : لا يحل لأحد يروى حديثاً عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم أسمع به في عهد أبى بكر ولا عهد عمر ، فإنه لم يمنعتنا أن نحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنزلنا أو نأمر لأصحابه عنه ، إلا إني سمعته يقول :

(١) سنن ابن ماجه ص ٩ ج ١ وطبقات ابن سعد ص ٢ ج ٦ ، والهيئز : الصوت . وقوله وأنا شريككم أى شريككم في الإفلال أى أنصحبكم بذلك وأعمل بفضيقي لا كما ذهب إليه السدي من أنه شريك في الأجر بسبب أنه الدال الباعث لهم على الخير . انظر هامش ص ٩ ج ١ من سنن ابن ماجه ، ذلك لأن المقام لا يحتمله .

(٢) تذكر الحفاظ ص ٧ ج ١ وجامع بيان العلم ص ١٢٠ ج ٢ وشرف أصحاب الحديث ص ٩٧ ج ٢ ، وانظر سنن الداريمى ص ٨٥ ج ١ ، وسنن البيهقي ص ١٢ ج ١ .

« من قال على ما لم أقل فقد تبوأ مقعداً من النار » (١) .

وقد سبق لي أن بينت تطبيق الإمام على رضي الله عنه لمنهج الصحابة رضوان الله عليهم .

ويروى أن معاوية كان يقول : اتقوا الروايات عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا ما كان يذكر منها في زمن عمر ، فإن عمر كان يخوف الناس في الله تعالى (٢) .

تلك طريقة الصحابة ومنهجهم في المحافظة على حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، خشية الوقوع في الخطأ ، أو تسرب الدس إلى الحديث الشريف من الجهلاء وأصحاب الأهواء ، أو أن تحمل بعض الأحاديث على غير وجه الحق والصواب ، فيسكون الحكم بخلاف ما أخذ به . فعملوا ذلك كله احتياطاً للدين ورعاية لمصلحة المسلمين ، لا زهداً في الحديث النبوي ولا تمطيلاً له . فلا يجوز لإنسان أن يفهم من منهج الصحابة ومن تشدد

عمر خاصة — هجر الصحابة للسنة أو زهدهم فيها ، معاذ الله أن يقول هذا إلا جاهل أو صاحب هوى ، لا علم له بقليل من السنة ، ولم تخالط قلبه روح الصحابة ، ولا أنار سبيله قيس من هدام ، فقد ثبت عن الصحابة جميعاً تمسكهم بالحديث الشريف وإجلالهم إياه ، وأخذهم به ، وقد تواتر خبر اجتهد الصحابة إذا وقعت لهم حادثة شرعية من حلال أو حرام ، وفزعهم إلى كتاب الله تعالى ، فإن وجبوا فيه ما يريدون تمسكوا به ، وأجروا (حكم الحادثة) على مقتضاه ، وإن لم

(١) قبول الأخبار ص ٢٩ . والحديث بايعنا في مستند الإمام أحمد ص ٣٦٣ ج ١ .
جاستاد صحيح .

(٢) رد الدارمي على بشر المريسي ص ١٣٥ ، وانظر تذكرة الحافظ ص ٧ ج ١ .

يُجدوا ما يطلبون فزعوا إلى « السنة » ، فإن روى لهم خبر أخذوا به ، ونزلوا على حكمه ، وإن لم يجدوا الخبر فزعوا إلى الاجتهاد بالرأى ^(١) .

وطريقة أبي بكر وعمر في الحكم مشهورة : كان أبو بكر الصديق إذا ورد عليه حكم نظر في كتاب الله تعالى ، فإن وجد فيه ما يقضى به قضى به ، وإن لم يجد في كتاب الله نظر في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإن وجد فيها ما يقضى به قضى به ، فإن أعياء ذلك سأل الناس : هل علمتم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قضى فيه بقضاء ؟ فرمما قام إليه القوم فيقولون : قضى فيه بكذا وكذا ، فإن لم يجد سنة منها النبي صلى الله عليه وسلم جمع رؤساء الناس فاستشارهم ^(٢) .. وكان عمر رضى الله عنه يفعل ذلك .

هكذا كان منهج الصحابة جميعا في كل ما يرد عليهم ، وليس لأحد بعد هذا أن يتخذ بعض ما ورد عن الصحابة ذريعة لهواه . ونستعرض موقف بعض علماء الحديث من ذلك .

١ - رأى ابن عبد البر :

قال : (احتج بعض من لا علم له ولا معرفة من أهل البدع وغيرهم ، الطاعنين في السنن ، بحديث عمر هذا قوله : « ألقوا الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم » .. وجعلوا ذلك ذريعة إلى الزهد في سنن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، التي لا يوصل إلى مراد كتاب الله إلا بها ، والطعن على أهلها ولا حجة في هذا الحديث ، ولا دليل على شيء مما ذهبوا إليه من وجوه قد ذكرها أهل العلم ، منها :

(١) انظر الملل والنحل للشهرستاني ص ٤٤٦ - ٤٤٧

(٢) إلام الوقفين ص ٦٢ ج ١ عن كتاب القضاء لأبي عبيد

— أن وجه قول عمر إنما كان قوم لم يكونوا أحصوا القرآن فخشى عليهم الاشتغال بغيره عنه ، إذ هو الأصل لكل علم . هذا معنى قول أبي عبيد في ذلك .

— وقال غيره إن عمر إنما نهى عن الحديث عما لا يفيد حكمة ولا يكون سنة .

— وطمع غيرهم في حديث قرظة هذا ورده ، لأن الآثار الثابتة عن عمر خلافه ، منها ما روى مالك ومعمر وغيرهما عن ابن شهاب ، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة ، عن عمر بن الخطاب ، في حديث السقيفة أنه خطب يوم جمعه ، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أما بعد فإني أريد أن أقول مقالة قد قدر لي أن أقولها ، من وعائها وعقلها وحفظها فليحدث بها حيث تنهى به راحته ، ومن خشى أن لا يعيها فإني لا أحل له أن يكذب علي . . . (١) وهذا يدل على أن سببه عن الإكثار ، وأمره بالإفلال من الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما كان خوف الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وخوفاً من يكونوا - مع الإكثار - يحدثون بما لم يتيقنوا حفظه ، ولم يعوه ، لأن ضبط من قلت روايته أكثر من ضبط المستكثر ، وهو أبعد من السهو والغلط الذي لا يؤمن مع الإكثار ، فلهذا أمرهم عمر بالإفلال من الرواية ، ولو كره الرواية ، وذمها لنهى عن الإفلال منها والإكثار ، ألا تراه يقول : فمن حفظها ووعاها فليحدث بها ، فكيف يأمرهم بالحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وينهاهم عنه ؟ هذا لا يستقيم ، بل كيف ينهوا عن الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) انظر هذا القول نمر وضيفه عنه رواه الخطيب البغدادي عن ابن عباس

عليه وسلم ويأمرهم بالإفلال منه ، وهو يندبهم إلى الحديث عن نفسه ، بقوله :
من حفظ مقالتي ووعاها فليحدث بها حيث تنهى به راحلته ؟ ثم قال : ومن خشي
أن لا يعيها فلا يكذب علي ، وهذا يوضح لك ما ذكرنا ، والآثار الصحاح عنه
من رواية أهل المدينة بخلاف حديث قرظة هذا ، وإنما يدور على (بيان^(١)) عن
(الشعبي) وليس مثله حجة في هذا الباب ، لأنه يعارض السنن والكتب .

قال الله عز وجل « لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ^(٢) »
وقال : « وَمَا آتَاكُمْ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا^(٣) »
ومثل هذا في القرآن كثير ، ولا سبيل إلى اتباعه^(٤) والتأسي به ، والوقوف عند
أمره ، إلا بالخير منه ، فكيف يقوم أحد على عمر أنه يأمر بخلاف ما أمر الله
به . وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « نَصَرَ اللَّهُ عَبْدًا سَمِعَ مَقَالَتي فَوَعَاها ،
ثُمَّ أَدَّاهَا إِلَى مَنْ لَمْ يَسْمَعْهَا ... الحديث » ، وفيه الحض الوكيد على التبليغ عنه
صلى الله عليه وسلم ، وقال : « خُذُوا عَنِّي فِي غَيْرِ مَا حَدَّثْتُ وَبَلَّغُوا عَنِّي » ،
والكلام في هذا أوضح من النهار لأولى النبي والاعتبار . ولا يخلو الحديث عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم من أن يكون خيرا أو شرا . فإن كان خيرا
ولا شك في أنه خير فالإكثار من الخير أفضل ، وإن كان شرا - فلا^(٥)

(١) هو بيان بن بشر الاحمى أبو بشر الكوفي كما في الملامة . وهو ثقة وطن من جد البر في
روايته هذه لأنه خاف من هو أوثق منه . وهذا لا يمنع صحته ، وأرى أن جميع ما ورد من
عمر غير متعارض كما أبينه بعد قليل وطن ابن حزم في حديث قرظة أيضاً ، وناقض بن عمر رضي
الله عنه من الإكثار من الحديث مناقضة طيبة قريبة من مناقضة ابن عبد البر اظر الأحكام
من ١٣٧ ج ٢ وما بعدها .

(٣) ٧ : الحضر

(٢) ٢١ : الأحزاب

(٤) أي اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم

(٥) في الأصل (ولا) وقد تكون خطأ من الناسخ فأنبتاها (فلا) لأن الفاء راجعة

لجواب (إن) الصرطية .

يجوز أن يقوم أن عمر يوصيهم بالإقلال من الشر^(١) . وهذا يدل أن إمامنا
أمرهم بذلك خوف مواجهة الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
وخوف الاشتغال عن تدبر السنن والقرآن ، لأن المكثرات تكاد تراه إلا غير
متدبر ولا متفقه .

وذكر مسلم بن الحجاج في كتاب التمييز عن قيس بن عباد قال :
سمعت عمر بن الخطاب يقول : من سمع حديثا فأداه كما سمع فقد سلم . وما يدل
على هذا ما ذكرناه فيما يروى عن عمر أنه كان يقول : تعلموا الفرائض والسنة كما
تعلمون القرآن . فسوى بينهما ، وكتب عمر تعلموا السنة والفرائض
واللحن كما تعلمون القرآن قالوا : اللحن معرفة وجوه الكلام وتصرفه
والحجة به ، وعمر هو الناشد للناس في غير موقف بل في مواقف شتى : من
عنده علم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في كذا ، نحو ما ذكره مالك وغيره
عنه في توريث المرأة من دية زوجها ، وفي الجنين يسقط ميتا عند ضرب بطن أمه
وغير ذلك ... وكيف يقوم على عمر ما توهمه القائلون وهو القائل :
« إياكم والراى ، فإن أصحاب الراى أعداء السنن » أعينهم الأحاديث أن
يحفظوها » ... وعمر أيضا هو القائل خير الهدى هدى محمد صلى الله عليه وسلم ،
وهو القائل سيأتى قوم يجادلونكم بشبهات القرآن فتدوم بالسنن فإن أصحاب
الدين أعلم بكتاب الله ...

ويقول ابن عبد البر : « وقد يحتمل عندى أن تكون الآثار كلها من عمر
صحيحة متفقه ، ويخرج معناها على أن من شك في شيء تركه ، ومن حفظ شيئا
وأثق به جاز له أن يحدث به ، وإن كان الإكثار يحمل الإنسان على التحقير في

(١) انظر ما روى عن عمر رضي الله عنه في الحرص على السنن لإعلام الموقنين ص ٥٥ ج ١ .

أن يحدث بكل ما سمع من جيد وردىء، وغث وسمين، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «كفى بالمرء كذباً أن يحدث بكل ما سمع» رواه مسلم... ولو كان مذهب عمر ما ذكرنا، لكانت الحجة في قول رسول الله صلى الله عليه وسلم دون قوله، فهو القائل: «نضر الله عبداً سمع مقالتي فوعاها، ثم أداها بلفظها»... وقال النبي صلى الله عليه وسلم: «تسمعون ويستمعون منكم»، رواه أبو داود والامام أحمد والحاكم (١).

٢ - رأى الخطيب البغدادي:

قال الخطيب: (إن قال قائل: ما وجه إنكار عمر على الصحابة روايتهم (٢) عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتشديده عليهم في ذلك، قيل له: فعل ذلك عمر احتياطاً للدين وحسن نظر للمسلمين، لأنه خاف أن يتكلموا عن الأعمال، ويتكلموا على ظاهر الأخبار، وليس حكم جميع الأحاديث على ظاهرها ولا كل من سمعها عرف فقهها، فقد يرد الحديث مجملًا ويستنبط معناه وتفسيره من غيره، فخشى عمر، أن يحمل حديث على غير وجهه، أو يؤخذ بظاهر لفظه والحكم بخلاف ما أخذ، ونحو من هذا، الحديث الآخر... عن معاذ قال كنت رد رسول الله صلى الله عليه وسلم، على حمار له يقال له عُفَيْر فقال: «يا معاذ، أتندري ما حق الله على العباد، وما حق العباد على الله؟ قلت: الله ورسوله أعلم. قال: فإن حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً، وحق العباد على الله أن لا يعذب من لا يشرك به، قلت أفلا

(١) جامع بيان العلم وفضله ص ١٢١ - ١٢٤ ج ٢ باختصار.

(٢) لم ينكر عمر رضي الله عنه على الصحابة روايتهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، إنما أنكر الإكثار منها عند عدم الحاجة، ولا يكون إكثار إلا عند عدم الحاجة إلى الإكثار.

أبشر الناس ؟ قال : لا ، فيتكلموا^(١) » . . .

وأخبرنا الحسن بن أبي بكر ، قال : قال لنا أبو علي الطوماري كنا عند أبي العباس أحمد بن يحيى ثعلب ، فقال له رجل : إيش معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم لعل وقد أقبل أبو بكر وعمر فقال : « هذان سيدا كهول أهل الجنة^(٢) » ، لا تخبرهما يا علي » ، قل أشفق من التفسير في العمل . قال الشيخ أبو بكر الحافظ : وكذلك نهى عمر الصحابة أن يكثرُوا رواية الحديث ، إشفافاً على الناس أن يتكلموا عن العمل إنكلاً على الحديث .

وفي تشديد عمر أيضاً على الصحابة في رواياتهم — حفظ الحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وترهب لمن لم يكن من الصحابة أن يدخل في السن ما ليس منها ، لأنه إذا رأى الصحابي المقبول القول ، المشهور بصحة النبي صلى الله عليه وسلم ، قد تشدد عليه في روايته ، كان هو أجدر أن يكون للرواية أهيب^(٣) . وبهذا يعلم حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلا يتطرق إليه الكذب ، ولا يزداد عليه ما ليس منه .

وروى الخطيب عن عبد الله بن عامر اليحصبي ، قال : (سمعت معاوية على المنبر بدمشق يقول : أيها الناس ، إياكم وأحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا حديثاً كان يذكر على عهد عمر رضي الله عنه ، فإن عمر كان يخيف الناس

(١) ونحو هذا الحديث رواه البخاري في صحيحه عن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعاذاً وديقه على الرحل قال : يا معاذ بن جبل الحديث وقال في آخر الحديث وأخبر بها معاذ عند موته تأثماً . انظر فتح الباري ص ٢٣٦ ج ١ .

(٢) انظر مسند الإمام أحمد ص ٣٧ حديث ٦٠٢ ج ٢ ذكر نحوه باسناد صحيح وفي زيادة (سيدا كهول أهل الجنة وشبابها بعد النبيين والرسولين) .

(٣) شرف أصعاب الحديث ص ٩٧ - ٩٨ : ب

في الله عز وجل «^(١)». وإلى هذا المعنى الذي ذكرناه ذهب عمر في طلبه من أي موسى الأشعري أن يحضر معه رجل يشهد أنه سمع من رسول الله صلى الله عليه وسلم حديث السلام ، لكن فعله على الوجه الذي بيناه من الاحتياط ، لحفظ السنن والترهيب في الرواية والله أعلم . انتهى ^(٢) .

مما سبق يتبين لنا أن الصحابة جميعا كانوا يتثبتون في الحديث ، ويتأثرون في قبول الأخبار وأدائها ، وكانوا لا يحدثون بشيء إلا وهم واثقون من صحة ما يروون ، وقد حرصوا على المحافظة على الحديث بكل وسيلة تقضى إلى ذلك ، فاتبعوا منهجاً سليماً يمنع الشوائب من أن تدخل السنة النبوية فتفسدها .

وقد حل لواء هذه المحافظة والحرص على السنن جميع الصحابة ، وتميز منهم أمير المؤمنين عمر بن الخطاب . وقد ظهر لنا مما روى عنه اهتمامه بالسنة النبوية وإجلاله للحديث الشريف . وإن الأخبار التي رويت عنه في هذا الشأن ليدعم بعضها بعضاً في سبيل نشر العلم والحرص على سلامة السنة ، ومن ثم ليس لأحد أن يرى تناقضاً بين وصية عمر لأهل العلم والآثار الأخرى المروية عنه ، فهو إذا طالب الإقلال من الرواية فإنما يطلبه من باب الاحتياط

لحفظ السنن والترهيب في الرواية ، وأما من كان يتقن ما يحدث به ويعرف

ققه وحكمه فلا يتناوله أمر عمر رضي الله عنه ، فكل ما ورد عن أمير المؤمنين

إنما يدل على المحافظة على السنة ونشرها وتبليغها صحيحة ، ولا يتيسر نشرها صحيحة ما لم يتثبت حاملوها من مروياتهم ، والإقلال من الرواية مظنة عدم

(١) انظر نحو هذا القول عن معاوية في كتاب رد الحارثي على بشر الراسي ص ١٣٥ ،

وتذكرة الحفاظ ص ٧ ج ١ .

(٢) شرف أصحاب الحديث ص ٩٩ : أ .

الوقوع في الخطأ، ولهذا أمر به رضى الله عنه . وهذا ما رآه ابن عبد البر والخطيب
البغدادي وغيرهما من أئمة الحديث ، وإليه أذهب ، وبه أقول ، فالصحابة لم
يزهدوا في السنة ، بل كان لهم الفضل الأول في المحافظة عليها .

وقبل أن نختم هذا الفصل لابد لنا من أن نتعرض لما روى عن
أمير المؤمنين عمر بن الخطاب من أنه حبس بعض الصحابة لأنهم أكثروا الرواية
عن رسول الله عليه الصلاة والسلام ! فتناول هذا الخبر من حيث صحته ، ثم لو
صح هذا الخبر فكيف كان ذلك الحبس ؟

روى الحافظ الذهبي^(١) عن سعد بن إبراهيم عن أبيه أن عمر حبس ثلاثة :
« ابن مسعود^(٢) ، وأبا الدرداء^(٣) ، وأبا مسعود الأنصاري^(٤) » ، فقال : قد
أكثرتم الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . « هؤلاء ثلاثة من جلة أصحاب
الرسول صلى الله عليه وسلم ، وأتقاهم وأورعهم . هل يعقل من مثل عمر بن الخطاب
أن يحبسهم ؟ وهل يكفي لحبسهم أنهم أكثروا الرواية ؟ »

(١) تذكرة الحفاظ من ٧ ج ١ ، وفيه سيعد بن إبراهيم والصواب سعد ، وهو خفيد عبد
الرحمن بن عوف كما في تهذيب التهذيب ، والحدث الفاصل من ١٣٣ : آ ، وانظر مجمع الزوائد
من ١٤٩ ج ١ .

(٢) عداة بن مسعود الهذلي صحابي جليل من السابقين إلى الإسلام كان مخاطبا لرسول الله
(ص) وصاحب وساده وسواكه ونصيه ، وجهه عمر رضى الله عنه إلى الكوفة - وابن علي
أهلها به - لينفهم في الدين ويعلمهم القرآن ، وقد جمع القرآن في عهد الرسول صلى الله
عليه وسلم ، وقراءته مشهورة تولى سنة ٣٢ هـ في المدينة . انظر بسط ترجمته في سير أعلام
النبل من ٣٣١ - ٣٥٧ ج ١ .

(٣) أبو الدرداء هو عمر بن مالك بن قيس صحابي أنصاري خزرجي كان حكيما ، ولى القضاء
لحواوية في دمشق بأمر عمر بن الخطاب ، وهو أحد من حفظ القرآن في عهد رسول الله صلى الله
عليه وسلم وتوفي في الشام سنة ٣٢ ، انظر تاريخ الإسلام للذهبي من ١٠٧ ج ٢ .

(٤) أبو مسعود الأنصاري هو عتبة بن عمرو بن ثعلبة الأنصاري البصري كان أصغر من
شهد البقيعة مع الأنصار ، توفي في الكوفة سنة ٣٩ أو ٤٠ هـ ، انظر خلاصة الخرجي ، وتقريبه
لتهذيب من ٢٧ ج ٢ .

إن المرء ليقف متسائلاً أمام هذا المطير ويعتريه الشك فيه ، ويتبادر إلى نفسه أن يتساءل عن الحد الذي يمكن أن يعرف به الإقلال والإكثار ؟ وقد ناقش الإمام ابن حزم هذا ورده ، وقال : « هذا مرسل ومشكوك فيه من (شعبة) فلا يصح ، ولا يجوز الاحتجاج به ، ثم هو في نفسه ظاهر الكذب والتوليد ، لأنه لا يحلو عمر من أن يكون اتهم الصحابة ، وفي هذا ما فيه ، أو يكون نهى عن نفس الحديث ، وعن تبليغ سنن رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المسلمين ، وألزمهم كتبها وجعلها وأن لا يذكروها لأحد ، فهذا خروج عن الاسلام ، وقد أعاذ الله أمير المؤمنين من كل ذلك ، ولئن كان سائر الصحابة متهمين بالكذب على النبي صلى الله عليه وسلم ، فاعمر إلا واحد منهم ، وهذا قول لا يقوله مسلم أصلاً ، ولئن كان حبسهم وهم غير متهمين لقد ظلمهم ، فليختر المحتج لمذهبه الفاسد بمثل هذه الروايات الملعونة أي الطريقتين الخبيثتين شاء ، ولا بد له من أحدها ... »

ثم قال : « وقد حدث عمر بن محمد كثير ، فإنه قد روى خمسمائة حديث وثيقاً على قرب موته من موت النبي صلى الله عليه وسلم ، فهو كثير الرواية ، وليس في الصحابة أكثر رواية منه إلا بضعة عشر منهم ^(١) » .

ولو سلمنا جدلاً بصحة الرواية فهناك خلاف في الحبوسين ، فالذهبي يذكر ابن مسعود ، وأبا الدرداء ، وأبا مسعود الأنصاري ، بينما يذكر ابن حزم - ابن مسعود ، وأبا الدرداء ، وأبا ذر ، فهل تكرر الحبس من عمر ؟ ولو تكرر لاشتهر ثم إن حادثة كهذه سيطير خبرها في الآفاق من غير أن تحتل الشك في الحبوسين ، لأنهم من أعيان الصحابة ، ولو سلمنا أن العبرة في الحادثة نفسها من حيث حبس

بعض الصحابة، دون نظر إلى أعيانهم وأشخاصهم، لأنهم أكثروا الرواية، قلنا: قد كان غير هؤلاء أكثر منهم حديثاً، ولم يردنا خبر عن حبسهم، فلا يعقل أن يحبس أمير المؤمنين بعضاً دون بعض في قضية واحدة، هم فيها سواء، وهي الإكثار من الحديث، معاذ الله أن يفعل هذا عمر رضي الله عنه، فيحبس هؤلاء ويترك أبا هريرة مثلاً وهو أكثر حديثاً منهم. فقد روى عن أبي هريرة (٥٣٧٤) خمسة آلاف وثلاثمائة وأربعة وسبعون حديثاً وعن ابن مسعود (٨٤٨) ثمانمائة وثمانية وأربعون حديثاً، وعن أبي الدرداء (١٧٩) مائة وتسعة وسبعون حديثاً، وعن أبي ذر (٢٨١) مائتان وواحد وثمانون حديثاً^(١).

فإن قيل إن أبا هريرة لم يكن من الرواية في عهد عمر رضي الله عنه لأنه خشيه. فنقول لِمَ لم يخشِه هؤلاء؟ بل إن عمر نفسه سمع لأبي هريرة أن يروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، عندما عرف ورعه وخشيته من الله عز وجل، روى الذهبي عن أبي هريرة قال: «بلغ عمر حديثي فأرسل إلى، فقال: كنت معنا يوم كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيت فلان؟ قلت: نعم، وقد علمت لأى شئ سألتني. قال: ولم سألتك؟ قلت: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال يومئذ: من كذب على متعمداً، فليتبوأ مقعده من النار. قال: أما لا، فاذهب فحدث^(٢).» فهل يتصور إنسان أن يحبس عمر بن مسعود وأبا الدرداء وأبا ذر أو أبا مسعود الأنصاري وقد عرف حفظهم وورعهم؟ بل إن أمير المؤمنين امتن على أهل العراق كما أسلفنا عند ما أرسل

(١) ذكر ذلك الإمام الحافظ بق بن محمد في مسنده، انظر الباب النصيح في شرح الجامع الصحيح لأبي البقاء الأحمدي الشافعي مخطوطة دار الكتب المصرية ص ١٣-٩: ب

(٢) سير أعلام النبلاء ص ٤٣٤ ج ٢

إليهم عبد الله بن مسعود فكتب إلى أهل الكوفة ؟ « إلى الله الذي لا إله إلا هو آثرتكم به على نفسي فخذوا منه »^(١) وذكر عمر ابن مسعود فقال : كيف ملئ علماء ، آثرت به أهل القادسية ؟^(٢) كيف يأمر الناس بالأخذ منه ، ويشهد له بالعلم ، ثم يحسه ؟ !!

وما ورد على حبس ابن مسعود يرد على حبس الصحابة الباقين ، فقيهم أبو الدرداء إمام الشام وقاضيا ومعلمها القرآن ...

وهذا البيان ، لا يرقى إلى الصحة خير حبس عمر للصحابة رضی الله عنهم ، لأنهم أكثروا من الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بل إنه يروى عن ابن مسعود أنه نهى عن الاكثار من الرواية ، فهل يتصور منه أن ينهى عن شيء وهو يفعله ؟ وقد روى عنه قوله : « ليس العلم بكثرة الحديث ، ولكن العلم الخشية »^(٣) .

وفي رواية سعد بن إبراهيم عن أبيه ، التي ذكرها الخطيب ، ما يدل على أنه استبقاهم في المدينة حتى عرف لفظهم سواء . وهذه هي رواية الخطيب . قال : بعث عمر بن الخطاب إلى عبد الله بن مسعود وإلى أبي الدرداء ، وإلى أبي مسعود الأنصاري فقال : ما هذا الحديث الذي تكثرون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فبهم بالمدينة حتى استشهد لفظهم سواء^(٤) . فيكون هذا من باب ثبت عمر رضي الله عنه في الحديث ، وهذه الرواية تثبت أنه لم يزعجهم في السجن ، بل استبقاهم في المدينة ريثما يتثبت من لفظهم ، فإن صح هذا فلا ضير عليهم .

(١) و (٢) سير أعلام النبلاء ص ٣٥١ ج ١ ، والكتيف : الرعاء .

(٣) مختصر كتاب المؤمل في الرد إلى الأمر الأول ص ٦ .

(٤) ثurf أصحاب الحديث ص ٩٧ : آ .

وما يؤكد لنا أنه لم يحبس أحدا - وهو ما استنبطناه من مناقشة الروايات السابقة - ما يرويه الزاهر مزمى عن شيخه ابن البرى من طريق سعد بن إبراهيم عن أبيه : (أن عمر بن الخطاب حبس بعض أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ، فيهم ابن مسعود وأبو الدرداء فقال : قد أكثرتم الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال أبو عبد الله بن البرى : يعنى منعهم الحديث ولم يكن لعمر حبس ^(١)) فقد فسر ابن البرى الخبر تفسيراً جيداً وإن جاء مقتضياً ، فهو يريد أنه منعهم كثرة الحديث ، خوفاً من أن لا يتدبر السامعون كلام رسول الله عليه الصلاة والسلام إذا كثر عليهم .

كل ما سبق يبنى صحة ماورد من أخبار حول حبس عمر رضى الله عنه لاصحابه لأنهم أكثروا الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وفى عهد التابعين ازداد النشاط العلمى لانتشار الصحابة فى الأمصار ، ثم ما لبث التابعون أن تصدروا للرواية ، ومع هذا سلكوا سبيل الصحابة ، وساروا على نهجهم ، فكانوا على جانب عظيم من الورع والتقوى ، وليس بعيداً ما نقول ، لأنهم تخرجوا فى مدارس الصحابة تلامذة رسول الله عليه الصلاة والسلام ، فنسمع الشعبى - وهو أحد كبار التابعين الحفاظ الثقات - يقول : لبتنى أنقلت من علمى كفافاً لى ولا على ^(٢) . وكأنه يشعر بأنه أكثر من التحديث فيقول : « كرة الصالحون الأولون الاكثر من الحديث ، ولو استقبلت من أمرى ما استدبرت ما حدثت إلا بما أجمع عليه أهل الحديث ^(٣) » . وكان شعبية ابن

(١) المحدث الفاضل ص ١٣٣ : آ

(٢) جامع بيان العلم ص ١٣٠ ج ٢ . ويرى نحوه من سفيان الثوري انظر : السكائل ص ٥ : ب . ج ٣ فى المجلد الأول فى دار الكتب المصرية تحت رقم (٩٥) . مصطلح الحديث .

و جامع بيان العلم وفضله ص ١٢٩ ج ٢ .

(٣) تذكرة الحفاظ ص ٧٧ ج ١

الحجاج يقول : التدليس في الحديث أشد من الزنا ، ولأن أسقط من السماء إلى الأرض أحب إلى من أن أدلس^(١) . وفي رواية عنه أنه كان يقول : لأن أقع من فوق هذا القصر — لدار حياله^(٢) — على رأسي أحب إلى من أن أقول لكم : قال فلان ، لرجل ترويه ، أي قد سمعت ذاك منه ولم أسمعه^(٣) .

ومنهم من كان يقتصد في رواية الحديث على طلابه ليفهموا ما يحدثهم به ويعقلوه ويتدبروه ، ومن هذا ما رواه خالد الخذاء قال كنا فأتى أبا قلابه ، فإذا حدثنا بثلاثة أحاديث قال : قد أكثرت^(٤) ، ويؤكد هذا ما قاله ابن عبد البر : « إنما عابوا إلا كثار خوفا من أن يرتفع التدبر والتفهم ، ألا ترى إلى ما حكاه بشر بن الوليد عن أبي يوسف قال : « سألني الأعمش عن مسألة وأنا وهو لا غير فأجبت ، فقال لي : من أين قلت هذا يا يعقوب ؟ فقلت : بالحديث الذي حدثني أنت ، ثم حدثته ، فقال لي : يا يعقوب ، إني لأحفظ هذا الحديث من قبل أن يجمع أبواك^(٥) ما عرفت تأويله إلى الآن^(٦) » . وروى نحو هذا : أنه جرى بين الأعمش وأبي يوسف وأبي حنيفة ، فكان من قول الأعمش : « أنتم الأطباء ونحن الصيادلة^(٧) » .

* * *

(١) مقدمة التمهيد ص ٥ : ب

(٢) هكذا النص والمعنى لدار قريبة منه .

(٣) مقدمة الجرح والتعديل ص ١٧٤ ، ويروى نحوه عن مطرف بن طريف انظر نفس المصدر ص ٤٢ .

(٤) انظر الحديث الفاصل ص ١٤٥ - ١٤٦

(٥) أي من قبل أن يخلق ، كناية عن أنه حفظه منذ زمن بعيد .

(٦) هكذا النص والأصواب أن تكون إلا .

(٧) جامع بيان العلم وفضله : ص ١٣٠ ج ٢

تَسَبُّطُ الصَّحَابَةِ وَالطَّائِعِينَ فِي قَبُولِ الْحَدِيثِ

وكما احتاط الصحابة والتابعون في التحديث ، احتاطوا وثبتوا في قبول الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وسنعرض هذا فيما يلي :

(١) ثبت أبي بكر الصديق في قبول الأخبار :

كان أبو بكر رضى الله عنه قدوة حسنة للمسلمين في المحافظة على السنة ، والثبت في قبول الأخبار خشية أن يقع ويقع المسلمون في خطأ يؤدي بهم إلى مالا محمد عتبه . وسأورد بعض الأخبار التي تبين لنا طريق الصحابة ومنهجهم في ذلك .

١ - قال الحافظ الذهبي : كان أبو بكر رضى الله عنه ، أول من احتاط في قبول الأخبار ، فروى ابن شهاب عن قبيصة بن ثوبان أن الجدة جاءت إلى أبي بكر تلتبس أن تورث ، فقال : ما أجد لك في كتاب الله شيئاً ، وما علمت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر لك شيئاً ، ثم سأل الناس مقام المصيرة فقال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يعطيها السدس ، فقال له : هل معك أحد فشهد محمد بن مسلمة بمثل ذلك فأنفذه لها أبو بكر رضى الله عنه (١) .

٢ - عن يونس « بن يزيد (٢) » عن الزهري أن أبا بكر حدث رجلاً

(١) تذكرة الحفاظ ج ٣ ص ١٠٣ ومعرفة علوم الحديث ص ١٥ ، والكفاية ص ٢٦ ، وقد أخرجه الإمام مالك في الموطأ ص ١٣٠ ج ٢ ، كما أخرجه أبو داود والترمذي وابن ماجه .
(٢) يونس بن يزيد بن أبي الجواد سمع من الزهري انظر ص ١٥٣ ج ١ من تذكرة الحفاظ

حديثاً فاستفهمه الرجل إياه ، فقال أبو بكر هو كما حدثتك : أى أرض تقضى
إذا أنا قلت ما لم أعلم ؟!

وصح أن الصديق خطبهم فقال : (إياكم والكذب ، فإن الكذب يهذى إلى
الفجور ، والفجور يهذى إلى النار)^(١) . فأبو بكر يبين للناس جميعاً أنه لا يحدث
إلا بما يعلم ويثق منه ، ثم إنه لم يكتف بالحيلة لنفسه ، بل أمر الناس بذلك
أيضاً ، وحثهم على التثبت فيما يحدثون به أو يستمعونه ، ومن ذلك ما رواه الذهبي
من مراسيل ابن أبي مليكة : (أن الصديق جمع الناس بعد وفاة نبيهم فقال :
إنكم تحدثون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أحاديث تختلفون فيها ، والناس
بعدكم أشد اختلافاً ، فلا تحدثوا عن رسول الله شيئاً ، فن سألهم فقولوا بيننا
وبينكم كتاب الله ، فاستحلوا حلاله وحرّموا حرامه) . ثم قال الحافظ الذهبي :
(بذلك (هذا) أن مراد الصديق التثبت في الأخبار والتحري ، لا سد باب
الرواية ، ألا تراه لما نزل به أمر الجدة ولم يحده في الكتاب كيف سأل عنه
في السنن ، فلما أخبره ما اكتفى حتى استظهر بثقة آخر ، ولم يقل حسبنا كتاب
الله كما تقوله الخوارج)^(٢) .

(ب) ثبت عمر بن الخطاب في قبول الأخبار :

١ - روى الإمام البخارى عن ابى سعيد الخدرى قال : « كنت في مجلس
من مجالس الأنصار إذ جاء أبو موسى كأنه مذعور ، فقال : استأذنت على عمر
ثلاثاً فلم يؤذن لى فرجعت فقال : ما منعك ؟ قلت : استأذنت ثلاثاً فلم يؤذن لى

(١) تذكرة الحفاظ من ٤ ج ١ ، وفي مقدمة التمهيد من ١١ قال أبو بكر الصديق رضى
الله عنه : إياكم والكذب فإنه مجاب الإيعات .

(٢) تذكرة الحفاظ من ٣ - ٤ ج ١ .

فرجعت ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إذا استأذن أحدكم ثلاثاً فلم يؤذن له فليرجع » . فقال : والله لتقيمين عليه بيمينه^(١) ، أمنكم أحد سمعه من النبي صلى الله عليه وسلم ؟ فقال أبي بن كعب : والله لا يقوم معك إلا أصغر القوم ، فكنت أصغر القوم ، فقامت معه ، فأخبرت عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ذلك^(٢) . قال عمر لأبي موسى : أما إني لم أسمعك ، ولكن خشيت أن يتقول الناس على رسول الله صلى الله عليه وسلم^(٣) .

٢ - روى مسلم عن المسور بن مخرمة قال : استشار عمر بن الخطاب الناس في ملاص المرأة^(٤) ، فقال المغيرة بن شعبه : شهدت النبي صلى الله عليه وسلم قضى فيه بغرة^(٥) : عبد أو أمة . قال : فقال عمر انتهي بمن يشهد معك . قال : فشهد له محمد بن مسلمة^(٦) .

٣ - روى صفوان بن عيسى : أخبرنا محمد بن عمار عن عبد الله بن أبي بكر قال : كان للعباس بيت في قبلة المسجد ، فضاقت المسجد على الناس فطلب إليه

(١) وفي رواية مسلم : فقال عمر : أتم عليه البيعة ، وإلا أوجعتك .

(٢) صحيح البخاري بحاشية البندى ص ٨٨ ج ٤ ، وأخرجه الإمام مسلم في صحيحه ص ١٦٩٤ ج ٣ . كما أخرجه الإمام مالك في الموطأ ص ٩٦٤ ج ٢ ، وأظهره موجزاً في الرسالة للإمام الشافعي ص ٣٥ .

(٣) موطأ الإمام مالك ص ٩٦٤ ج ٢ والرسالة ص ٣٥ .

(٤) ملاص : هو جنين المرأة ، والعروف في اللغة أملاص المرأة . يقال أملت به إذا وضعت قبل أوانه . انظر هامش ص ١٣١١ ج ٣ من صحيح مسلم .

(٥) الغرة بضم الغين وراء مشددة مفتوحة : المدة والأمة ، فكأنه خبر في الحديث عن الجسم كله . كقوله رقية ، وأصل الغرة يباض في جبهة الفرس ، وغرة كل شيء أوله وأكرمه . انظر هامش ص ١٣١١ ج ٣ من صحيح مسلم ، ولسان العرب مادة (غرر) .

(٦) صحيح مسلم ص ١٣١١ ج ٣ .

عمر البيع فأبى فذكر الحديث^(١) وفيه فقال عمر لأبي لتأنيبي على ما تقول بينة ، فخرجا فإذا ناس من الأنصار قال : فذكرهم ، قالوا : قد سمعنا هذا^(٢) من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال عمر : أما إنى لم أنهك ، ولكنى أحيت أن أنشيت^(٣) .

٤ - عن مالك بن أوس قال : سمعت عمر يقول لعبد الرحمن بن عوف

(١) وفيه كما رواه ابن سعد عن سالم أبي النضر أن عمر قال له : اخترتني إحدى ثلاث : إما أن تبعنيها بما شئت من بيت مال المسلمين ، وإما أن أخطئك حيث شئت من المدينة وأبنيتها لك من بيت مال المسلمين ، وإما أن تصدق بها على المسلمين فتوسع بها في مسجدهم ، فقال : لا ولا واحدة منها ، فقال عمر : بيني وبينك من شئت ، فقال : أبى بن كعب . فانطلقا إلى أبى ، فتصافيا عليه القصة ، فقال أبى : إن شئنا حدثكما بحديث سمعته من النبي صلى الله عليه وسلم ، فقالا : حدثنا . قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : إن الله أوحى إلى داود أن ابن لى بيتا أذكر فيه ، فخط له هذه الحطة خطة بيت القدس ، فإذا تربيعها بيت رجل من بني إسرائيل ، فأله داود أن يبنيه إياه ، فأبى فحدث داود نفسه أن يأخذه منه فأوحى الله إليه أن يا داود أمرتك أن تبني لى بيتا أذكر فيه ، فأردت أن تدخل في بيتي الغصب ، وليس من شأنى الغصب ، وإن حقوقك أن لا تبنيه . قال : يارب فمن ولهى . قال : من ولها . قال : فأخذ عمر بمجامع ثياب أبى بن كعب وقال : جئت بك بغيري فجئت بما هو أشد منه ، لنخرجن مما قلت . فجاء

يقوده حتى أدخله المسجد فأوقفه على حلقة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم أبو ذر ، فقال : إنى نشدت الله رجلا سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر حديث بيت القدس حين أمر الله داود أن يبنيه إلا ذكره ، فقال أبو ذر : أنا سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم

وقال آخر : أنا سمعته ، وقال آخر أنا سمعته يعني من الرسول صلى الله عليه وسلم . قال : فأرسل عمر أبا . قال : وأقبل أبى على عمر فقال : يا عمر أنتهيتني على حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقال عمر : يا أبا النضر ، لا والله ما انتهت عليك عليه ، ولكنى كرهت أن يكون الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ظاهرا ، وقال عمر لعباس : اذهب فلا أمرض لك في دارك ، فقال العباس : أما إذا فعلت هذا ، فإن قد تصدقت بها على المسلمين أوسع بها عليهم في مسجدهم ، فأما وأنت تخافنى فلا ، فخط عمر لهم دارهم التي هي لهم اليوم ، وبناتها من بيت مال المسلمين .

انظر طبقات ابن سعد ص ١٣ - ١٤ قسم ١ ج ٤ وص ٢٠٣ قسم ١ ج ٣ .

(٢) أى حديث بناء بيت القدس الذى ذكره أبى بن كعب .

(٣) تذكرة الحفاظ ص ٨ ج ١ وانظر طبقات ابن سعد ص ١٣ - ١٤ قسم ١ ج ٤

وطبعة والزبير وسعد : نشدتم بالله الذي تقوم السماء والأرض به أعلمتم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إنا لا نُورثُ ما تركنا صدقة » ؟ قالوا : اللهم نعم ^(١) .

(ح) ثَبَّتَ عُمَرَانَهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي الْحَمِيَّةِ :

عن بسر بن سعيد قال : أتى عُمَانُ المقاعد ، فدعا بوضوء ، فتمضمض واستنشق ثم غسل وجهه ثلاثاً ، وبديه ثلاثاً ثلاثاً ، ثم مسح برأسه ، ورجليه ثلاثاً ثلاثاً ، ثم قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم هكذا يتوضأ ، يا هؤلاء ألكذاك ؟ قالوا : نعم ، لنفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عنده ^(٢) .

(د) ثَبَّتَ عَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي الْحَمِيَّةِ :

عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال : كنت إذا سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثاً نفعني الله بما شاء منه . وإذا حدثني غيره استحلفته ، فإذا حلف لي صدقته ، وإن أبأ بكر حدثني ، وصدق أبو بكر ، أنه سمع النبي عليه الصلاة والسلام قال : « ما من رجل يذنب ذنباً فيتوضأ فيحسن الوضوء ، ويصلي ركعتين فيستغفر الله عز وجل إلا غُفِرَ لَهُ ^(٣) » .

• • •

تلك آثار تبين منهج الصحابة في الثبوت والتأكد من الأخبار ، وهذا لا يعني أبداً أن الصحابة اشترطوا لقبول الحديث ، أن يرويه راويان فأكثر ،

(١) مسند الإمام أحمد من ٢٢٨ و ١٨٦ و ١٨٧ ج ١ . باسناد صحيح

(٢) مسند الإمام أحمد من ٣٧٢ ج ١ . باسناد صحيح

(٣) المرجع السابق من ١٥٤ و ١٧٤ و ١٧٨ ج ١ ونحوه في الكفاية من ٢٨ ، وأخر

تذكرة الحفاظ من ١٠ ج ١ ومقدمة معرفة علوم الحديث . ورواه مسلم .

أو أن يشهد الناس على الراوى أو أن يستحلف ، فإذا لم يحصل شيء من هذا رد خبره !! بل كان الصحابة يشقون في قبول الأخبار ، ويتبعون الطريقة التي ترتاح إليها ضمائرهم ، فأحياناً يطلب عمر سماع آخر ، وأحياناً يقبل الخبر من غير ذلك ، ولا يقصد من وراء عمله إلا حمل المسلمين على جادة الثبوت العلمى والتحفظ في دين الله حتى لا يتقول أحد على الرسول صلى الله عليه وسلم ما لم يقل ، ويتضح هذا في قول عمر رضى الله عنه عندما رجع أبو موسى الأشعرى مع أبى سعيد الخدرى وشهد له ، قال عمر : « أما لى ، لم أتهمك ، ولكنى خشيت أن يتقول الناس على رسول الله صلى الله عليه وسلم ^(١) » . وبظهر ذلك أيضاً من قول الذهبي بعد أن روى قصة أبى موسى : « أحب عمر أن يتأكد عنده خبر أبى موسى بقول صاحب آخر فى هذا دليل على أن الخبر إذا رواه ثقتان كان أقوى وأرجح مما انفرد به واحد ، وفى ذلك حض على تكثير طرق الحديث لسكى يرتقى عن درجة الظن لى درجة العلم ، إذ الواحد يجوز عليه النسيان والوهم ، ولا يكادُ يجوز ذلك على ثقتين لم يخالفهما أحد ^(٢) » .

وكذلك ما قاله بعد إيراد طريقة الصديق فى الثبوت : « إن مراد الصديق بالثبوت فى الأخبار والتحرى ، لا سد باب الرواية ^(٣) » .

وكما طلب الصحابة من الراوى شهادة غيره أيضاً ، قبلوا أحاديث كثيرة برواية الآحاد وبنوا عليها أحكامهم .

ومن الغريب أن يجعل بعض المتطرفين فى الإسلام عمل الصحابة هذا دستوراً فى قبول الأخبار ولا يحملون قبول الصحابة خبر الآحاد دستوراً لهم

(١) موطأ مالك ص ٩٦٤ ج ٢ والرسالة ص ٤٣٥ وتوجيه النظر ص ١٦

(٢) تذكرة الحفاظ ص ٦ - ٧ ج ١

(٣) للرجع السابق ص ٤ ج ١

أيضا بل يردونه ولا يقبلونه، وقد حكى ذلك الحافظ أبو بكر محمد بن أبي عثمان الخازمي^(١) عن بعض متأخري المعتزلة، كما حكى عن بعض أصحاب الحديث، قال شيخ الإسلام (ابن حجر): «وقد فهم بعضهم ذلك من خلال كلام الحاكم في (علوم الحديث)، وفي (المدخل) ... وأعجب من ذلك ما ذكره أبو حفص عمر بن عبد المجيد المياجي^(٢) في كتاب «ما لا يسمع المحدث جهله» «شرطُ الشيخين في صحيحهما أن لا يدخل فيه»^(٣) إلا ما صح عندهما، وذلك ما رواه عن النبي صلى الله عليه وسلم إثنان فصاعداً، وما نقله عن كل واحد من الصحابة أربعة من التابعين فأكثر. وأن يكون^(٤) عن كل واحد من التابعين أكثر من أربعة» انتهى.

قال شيخ الإسلام: «وهو كلام من لم يمارس الصحيحين أدنى ممارسة، فلو قال قائل ليس في الكتانين (البخاري ومسلم) حديث واحد بهذه الصفة لما أبعد، وقال ابن العربي في شرح الموطأ: كان مذهب الشيخين: (البخاري ومسلم) أن الحديث لا يثبت حتى يرويه إثنان، قال: وهو مذهب باطل، بل رواية الواحد عن الواحد صحيحة إلى النبي صلى الله عليه وسلم»^(٥)

(١) المتوفى سنة (٥٨٤ هـ)

(٢) المتوفى سنة (٥٨٠ هـ)

(٣) هكنا في التدريب والأصوب أن يقول «قيهما».

(٤) هكنا في التدريب، والأصوب أن يقول: (وكان رواه).

(٥) تدريب الراوى ص ٢٧. وقد قال باشتراط رجلين عن رجلين في شرط القول إبراهيم ابن إسحاق بن علي (وهو إسحاق بن مقسم الأسدي حافظ من الطبقة الثامنة نسب إلى أمه، وهو ثقة كما في التقريب) توفى سنة ١٩٣ هـ وهو من الفقهاء المحدثين، إلا أنه مهجور القول عند الأئمة لبله إلى الاعتزال، وقد كان الشافعي يرد عليه ويحذر منه. انظر تدريب الراوى ص ٢٨.

ويقول الدكتور السباعي : « وانتقل هذا الفهم - (أن لا يقبل الصحابة إلا ما رواه اثنان) - إلى كثير من كتب في تاريخ التشريع الإسلامي وتاريخ السنة في العصر الحديث ، فأصبح عندم قضية مسلمة لا بدّ كرون غيرها ، ومن ذهب إلى هذا أسانذتنا الأجلاء مؤلفو مذكرة تاريخ التشريع الإسلامي في كلية الشريعة بالأزهر فقد ذكروا في باب شروط الأئمة للعمل بالحديث أن هذا كلن شرط أبي بكر ، وعمر ، وعلي ، للعمل بالحديث ^(١) » .

إن ثبتت الصحابة في بعض الأحاديث بطلب راويين للخبر لم يكن شرطاً لقبول جميع المرويات ، بل قبلوا أخباراً كثيرة عن مخبر واحد ، وعملوا بها في مواضع كثيرة ، مما يدل على أنهم رضوا الله عنهم كانوا يطلبون الراوي الثاني لجرد التثبت والتأكد ، لا لأن الخبر لا يثبت عندم إلا براويين ، والأخبار التي قبلها الخلفاء الأربعة وغيرهم برواية آحاد أكثر بكثير من الأخيلاء التي طلبوا فيها راويين ، وإليكم بعض تلك الآثار :

١ - عن سعيد بن المسيب : « أن عمر بن الخطاب كان يقول : الدية للعاقلة ، ولا ترث المرأة من دية زوجها شيئاً . حتى أخبره الضحاك بن سفيان أن رسول الله كتب إليه : أن يورث امرأة أشيم الضبائي من ديته ، فرجع إليه عمر ^(٢) » .

(١) السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي ص ٨١ . ذكر الأسانذة مؤلفو تاريخ التشريع الإسلامي بالحرف الواحد « أما الآحاد فلمقام الشبهة في ثبوته اختلف طرق الصحابة في الأخذ به ، فلم يكن أبو بكر ولا عمر يقبلان من الأحاديث إلا ما شهد اثنان أنها سمعاه من رسول الله صلى الله عليه وسلم » انظر الصفحة ٩٣ من تاريخ التشريع الإسلامي للسبكي وزلاته وهذا التعميم غير مطابق للواقع كما سنرى .

٢ - عن طاوس : « أن عمر قال : أذكركم الله اسرأ سمع من النبي في الجنين شيئاً ؟ فقام حنبل بن مالك بن النافعة ، فقال : كنت بين جارتين لي ، يعني ضرتين ، فضربت إحداها الأخرى بمسطح^(١) ، فألقت جنيناً ميتاً ، فقضى فيه رسول الله بغرة ، فقال عمر : لو لم أسمع فيه لقضينا بغيره^(٢) » .

٣ - « عن عبد الله بن عباس أن عمر بن الخطاب خرج إلى الشام . حتى إذا كان بسرغ لقيه أهل الأجناد^(٣) أبو عبيدة بن الجراح وأصحابه ، فأخبروه أن الرواء قد وقع بالشام^(٤) » .

واستشار المهاجرين والأنصار ومشيجة قريش من مهاجرة الفتح ، واختلفت آراؤهم حتى جاءه عبد الرحمن بن عوف ، وكان متفبياً في بعض حاجته ، فقال : « إن عندي من هذا علماً ، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إذا سمعتم به بأرض فلا تقدموا عليه ، وإذا وقع بأرض وأنتم بها ، فلا تخرجوا فراراً منه^(٥) » فرجع عمر رضي الله عنه بالناس لخبر عبد الرحمن رضي الله عنهم جميعاً .

٤ - روى الإمام الشافعي عن الإمام مالك عن جعفر بن محمد عن أبيه (على زين العابدين) : أن عمر ذكر الجوس فقال : ما أدرى كيف أصنع في

(١) للمسطح : عود من أعواد الخباء والفسطاط .

(٢) الفرة : البعد أو الأمة . الرسالة ص ٤٢٦ - ٤٢٧ ، الفقرة ١١٧٤ .

(٣) سرغ هي قرية في طرف الشام مما يلي الحجاز . والأجناد : للراد بها هنا مدن الشام الحرة ، وهي فلسطين والأردن ودمشق وحلب وقلسرين . قال الإمام النووي : هكذا فسروه وانفقوا عليه ، ومعلوم أن فلسطين اسم للاحية بيت المقدس ، والأردن اسم للاحية بيسان وطبرية وما يتعلق بهما ، ولا يضر : إطلاق اسم المدينة عليه . انظر هامش الصفحة ١٧٤٠ في ج ٤ من صحيح مسلم .

(٤) صحيح الإمام مسلم ص ١٧٤٠ ج ٤ وخبر الخبر الإمام الشافعي في رسالته ص ٢٩ ، فقرة ١١٨٠ ، وانظر الأحكام لابن حزم ص ١٣ ج ٢ .

(٥) صحيح الإمام مسلم ص ١٧٤٠ ج ٤ .

أمرهم ؟ فقال له عبد الرحمن بن عوف : أشهد لسمعت رسول الله يقول :
« سنوا بهم سنة أهل الكتاب »^(١) .

٥ - وقبل عمر بن الخطاب خبر سعد بن أبي وقاص في المسح على الخفين ،
وأمر ابنه عبد الله ألا ينكر عليه وقال له : (إذا حدثك سعد بشيء فلا ترد
عليه ، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يمسخ على الخفين »^(٢) .

وفي رواية (إذا حدثك سعد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئاً فلا
تسأل عنه غيره »^(٣) . وهذا دليل واضح على قبول خبر الآحاد ، حتى إن عمر
ينهى ابنه عن أن يسأل غير سعد إذا حدثه سعد عن رسول الله . ولو كان شرط
عمر عدم قبول الخبر إلا عن راويين لأمر ابنه أن يطلب مع سعد راوي آخر ،
ولم ينه عن سؤال غيره .

٦ - وأراد رجم مجنونة حتى أعلم بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم :
« رفع القلم عن ثلاث »^(٤) ، فأمر ألا يترجم .

وأمر رجم مولاة حاطب ، حتى ذكره عثمان بأن الجاهل لا حد عليه ،
فأمسك عن رجمها »^(٥) .

(١) الرسالة : ٤٣٠ فقرة ١١٨٢ وأظن الكفاية في علم الرواية ص ٢٧ والإحكام
ص ١٣ ج ٢

(٢) مسند الإمام أحمد ص ١٩١ حديث ٨٧ ج ١ وفي ص ١٩٢ مختصراً وكلاهما باسناد صحيح

(٣) مسند الإمام أحمد ص ١٩٢ حديث ٨٨ ج ١ باسناد صحيح

(٤) أخرج الإمام أحمد وأبو داود والنسائي وابن ماجه والحاكم من البيهقي طائفة عن رسول

الله صلى الله عليه وسلم « رفع القلم عن ثلاثة : من النائم حتى يستيقظ وعن البتلي حتى يبرأ وعن
الصبي حتى يكبر » الجامع الصغير ص ٢٣ ج ٢ باسناد صحيح . وأخرج الأمام أحمد وأبو داود
والحاكم عن عمر وهب رضي الله عنهما عن الرسول صلى الله عليه وسلم « رفع القلم عن ثلاثة :
عن المجنون الملوب على عقله حتى يبرأ ، وعن النائم حتى يستيقظ ، وعن الصبي حتى يحتمل »
المرجع نفسه . (٥) الإحكام لابن حزم ص ١٣ ج ٢ .

٧ - وكان يفاضل بين ديات الأصابع حتى بلغه عن النبي صلى الله عليه وسلم أمره بالمساواة بينها ، فترك قوله وأخذ بالمساواة^(١) .

٨ - وقد اشتهر خبر تناوب عمر رضى الله عنه وجاره في حضور حلقات الرسول صلى الله عليه وسلم ، وفيه يقول عمر : (ينزل يوما ، وأنزل يوما ، فإذا نزلت جثته بجثته ذلك اليوم من الوحي وغيره ، وإذا نزل فعل مثل ذلك^(٢)) وهذا إقرار من أمير المؤمنين رضى الله عنه بقبول خبر جاره ، ولا فرق بين جاره وغيره ممن تقبل روايته .

وهكذا نرى من تلك الأخبار وغيرها أن عمر رضى الله عنه لم يشترط لقبول الأخبار راويين ، وما صدر منه مع أبي موسى رضى الله عنه ببيان سببه بنفسه كما سبق أن ذكرت ذلك ، وكان من باب الاحتياط والتثبت ، لا من باب عدم قبول الخبر إلا من راويين .

ومثل هذا يقال في قيمة الأخبار التي طلب فيها راويين .

وأما ما ذكر عن موقف أبي بكر رضى الله عنه ، وثبته في قبول الأخبار ، فإنه لا يعدو باب الاستظهار والاستيثاق ، ثم لأنه لم يرو عنه أنه طلب راويا آخر إلا في تلك الحادثة التي ذكرها الإمام الذهبي ، وقد ردها ابن حزم^(٣) وأعلمها بالانقطاع ، فهي لا تصلح مقياسا صحيحا لشرط أبي بكر في قبول الأخبار ، وهو

(١) الإحكام لابن حزم ص ١٣ ج ٢ وانظر الرسالة ص ٤٢٢ رقم ١١٦٠ ، إلا أن الشافعي ينس على أن الصحابة بعد وفاة عمر رضى الله عنه وجدوا كتاب آل عمرو بن حزم وفيه أن رسول الله قال : « وفي كل أصبع مما هنالك عشر من الأيل » فصاروا إليه . انظر الفقرة (١١٦٢) من الصفحة ٤٢٢

(٢) فتح الباري ص ١٩٥ ج ١ .

(٣) انظر الإحكام لابن حزم ص ١٤١ ج ٢ .

الذى قبل أخبارا كثيرة برواية مخبر واحد .

وقد سبق أن بينت منهجه في حكمه وقضائه كما ذكره ابن القيم ، ولم يذكر أنه كان يطلب ممن يأتيه بالخبر شاهدا على ما يقول . . . وقد قبل خبر عائشة رضى الله عنها في كفن الرسول صلى الله عليه وسلم^(١) .

وأما عثمان رضى الله عنه فإنه لم يطلب راويين لكل خبر ، وكل ما صدر عنه أنه استشهد بعض من حضر وضوءه ، ليؤكد أنه توشأ وضوء رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقد ثبت عنه أنه عمل بأخبار الآحاد ، فقد سأل الفرقة بنت مالك بن سنان — أخت أبي سعيد الخدرى — عن عدتها لوفاة زوجها^(٢) ، وقضى بخبرها .

وأما ما روى عن علي رضى الله عنه من استحلاف مخبريه ، فإن هذا لم يكن منهجه وديدنه في قبول جميع الأخبار ، بل قبل بعض الأخبار من غير أن يستحلف الرواة ، فقبل أخبار أبي بكر — كما ذكر هو نفسه — ولا فرق بين أبي بكر رضى الله عنه وغيره ممن تقبل روايته ، كما عمل بمخبر المقداد بن الأسود في حكم المذى^(٣) من غير أن يحلفه .

وهكذا يتبين لنا أن الخلفاء الأربعة لم تكن لهم شروط خاصة لقبول الأخبار ، وأن كل ما روى عنهم مما يوم ذلك لا يعدو التثبت والاستظهار ، وقد قبلوا أخبار الآحاد كما قبلها غيرهم من عامة الصحابة وعلمائهم . وكل ما صدر

(١) الإحكام لابن حزم ص ١٢ ج ٢ .

(٢) أخرج حديث فرقة أحمد وأصحاب السنن الأربعة وصححه الترمذى والقهلى . انظر سبل السلام ص ٢٠٣ - ٢٠٤ ، وانظر المكفابة ص ٢٧ والإحكام ص ١٥ ج ٢ .

(٣) انظر مسند الإمام أحمد ص ٣٩ حديث ٦٠٦ و ص ٤٦ حديث ٦١٨ ج ٢ باسناد صحيح ، وفتح البارى ص ٢٩٤ و ٣٩٤ ج ١ ، وصحيح مسلم ص ٢٤٧ حديث ١٧ - ١٩ ج ١ .

عنهم كان في سبيل المحافظة على السنة الطاهرة .

(هـ) ولم يسكن التابعون وأتباعهم أقل اهتماماً من الصحابة بالاحتياط لقبول الحديث ، فكانوا يثبتون من الراوى بكل وسيلة تطمئن إليها قلوبهم ، وإن من يتمتع بتاريخ الرواة ، وكيفية تحملهم الحديث الشريف ليدرك تماماً جهود التابعين وأتباعهم ، تلك الجهود التي بذلوها لنقل السنة إلى خلفهم . وإليك بعض أخبارهم في هذا الموضوع :

قيل لمسر بن كدام : ما أكثر تشككك ؟ قال : تلك محاماة عن اليقين ^(١) .
وكان يزيد بن أبي حبيب يحدث الديار المصرية يقول : إذا سمعت الحديث خائشه كما تنشد الصلاة ، فإن عرف فخذ ، وإلا فدعه ^(٢) .

فلم يكن للتابعين وأتباعهم شروط خاصة في قبول الرواية ، ولم يروعن أحداً أنه اشترط لقبول الخبر راويين أو أكثر ، بل كانوا يتحملون عن كل من توافرت فيه شروط التحمل والأداء ، إلى جانب العدالة التي أجمع عليها المحدثون ، فإذا ما سقطت عدالة راوٍ طرحوا أخباره وامتنعوا عن الأخذ عنه . ومع هذا كانوا يثبتون في قبول الأخبار بكل وسيلة تطمئن إليها قلوبهم ، لأن وصايا الصحابة وكبار التابعين لا تزال قائمة في نفوسهم ، تذكروهم أن هذا الحديث دين فانظروا عمن تأخذون دينكم .

وكانوا يرون الأمانة في الذهب والفضة أيسر من الأمانة في الحديث ^(٣) ،
فتسمع عن سليمان بن موسى أنه لقي طاوساً فقال له : « إن رجلاً حدثني بكيت

(١) الحديث الفاضل ص ١٣٢ : ب

(٢) الجرح والتعديل ص ١٩ : أ

(٣) انظر الجامع لأخلاق الراوى وآداب السامع ص ١٦٠ : أ

وكيت ، فيقول له : إن كان ملياً فخذ منه ^(١) . وكان ابن عون يقول : لا يؤخذ هذا العلم إلا ممن شهد له بالطلب ^(٢) . وبسمع شعبة بن الحجاج عبد الله ابن دينار يحدث في الولاء وهبته عن عبد الله بن عمر ، فيستحلفه : هل سمعته من ابن عمر ؟ فيحلف له ^(٣) . ويحدث الحكم عن سعيد بن المسيب في دية اليهودي والنصراني والمجوسى ، فيقول له شعبة : أنت سمعته من سعيد بن المسيب ؟ فيقول : لو شئت سمعت من ثابت الحداد ، قال شعبة : فأنت ثابتاً الحداد فحدثني عن سعيد بن المسيب عن عمر مثله ^(٤) . فلا يمكننا أن نحكم على شعبة أنه لم يكن يقبل رواية أحد إلا بعد تحليفه ، أو الاستيثاق برواية آخر معه . بل كل هذا كان من باب التثبت والاستيثاق والتأكد مما يسمعون ، حرصاً منهم على حفظ الحديث النبوى الشريف .



(١) الجرح والتعديل ص ٢٧ ج ١

(٢) للرجع السابق ص ٢٨ ج ١

(٣) مقدمة الجرح والتعديل ص ١٧٠

(٤) للرجع السابق ص ١٧٠ ومن هذا الباب ما كان يتأكد منه رجال الحديث فقد قال الألب بن سعد : قدم علينا رجل من أهل المدينة يريد الاسكندرية مراطلا ، فقل على جعفر بن ربيعة ، قال : ففرضوا له بالحلان ، وعرضوا له بالمعونة فلم يقبل ، واجتمع هو وأصحابنا يزيد بن أبي حبيب وغيره فأقبل بمحدثهم : حدثني نافع عن عبد الله بن عمر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : فغمسوا تلك الأحاديث وكتبوا بها إلى ابن نافع ، وقالوا له : إن رجلاً قدم علينا وخرج إلى الاسكندرية مراطلا وحدتنا ، فأجبنا ألا يكون بيننا وبينك فيها أحد ، فكتب إليهم ، والله ما حدث أبى من هذا بحرف قط ، فاظنوا ممن تأخذون واحذروا قصاصنا ومن يأتيكم .

انظر مقدمة التمهيد ص ١٤ ب

كيف رُوي الحديث في ذلك العصر .. باللفظ أم بالمعنى ..؟

رأينا كيف كان الصحابة والتابعون وأتباعهم يثبتون في قبول الأخبار ، وعرفنا ورعهم وخشيتهم عندما يروون حديثاً عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكان أحدهم لا يروي الحديث إلا بعد الاستيثاق من ضبط حروفه وفهم معناه ، وكان الواحد منهم إذا سئل يود لو أن أخاه كفاه مؤونة السؤال ، حتى إن بعضهم كان يأبى أن يروي شيئاً عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مخافة الزيادة والنقصان ، ومن هذا ما يرويه العلاء بن سعد بن مسعود ، قال : « قيل لرجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم : مالك لا تحدث كما يحدث فلان وفلان ؟ فقال : ما بي إلا أكون سمعت مثل ما سمعوا أو حضرت مثل ما حضروا ، ولست أكن لم يدرس الأمر بعد والناس متمسكون ، فأنا أجد من يكفيني ، وأكره التزيد والنقصان في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم »^(١) .

وإلى جانب ما رويناه من أخبار حول ثبت الصحابة والتابعين في رواية الحديث ، ومنهاجهم في الإقلال من الرواية مخافة الوقوع في الخطأ — لا بد لنا من أن نتتبع بعض أخبارهم لنرى كيف كانوا يروون الحديث النبوي ؟ وهل كانوا يحافظون على لفظ الرسول صلى الله عليه وسلم ، أو كانوا يروون ما يسمعون بألفاظ من عندهم دون أن يغيروا معنى ما سمعوا ؟

إذا استعرضنا تلك الأخبار رأينا كثيراً من الصحابة حرصوا على نقل الحديث بألفاظه ، وبعضهم ترخص عند الضرورة في روايته بالمعنى ، وكنا نرى

بعض الصحابة الحديث باللفظ وبعضهم بالمعنى فرى التابعين أيضا قد نهجوا نهج الصحابة رضوان الله عليهم ، ولكن مما لا شك فيه أن جميع الصحابة حرصوا على أداء الحديث كما سمعوه من الرسول عليه الصلاة والسلام ، حتى إن بعضهم ما كان يرضى أن يبدل حرفا بحرف ، أو كلمة مكان كلمة ، أو يقدم كلمة على أخرى وردت في الحديث قبلها ، وقد روى عن عمر رضى الله عنه ، أنه كان يقول : « من سمع حديثا فحدث به كما سمع فقد سلم »^(١) وروى نحوه عن عبد الله بن عمر وزيد بن أرقم .

وقد اشتهر من بين الصحابة الذين كانوا يتشددون في الحرص على لفظ الرسول صلى الله عليه وسلم — عبد الله بن عمر . روى محمد بن سوقة قال : (سمعت أبا جعفر يقول : كان عبد الله بن عمر إذا سمع من نبي الله صلى الله عليه وسلم شيئا ، أو شهد معه مشهدا ، لم يقصر دونه أو يعدوه ، قال : فيينا هو جالس وعبيد ابن عمير يقص على أهل مكة إذ قال عبيد بن عمير : مثل المنافق كمثل الشاة بين الغنمين ، إن أقبلت إلى هذه النعم فطعمتها ، وإن أقبلت إلى هذه نطعمتها ، فقال له عبد الله بن عمر : ليس هكذا ، ففضض عبيد بن عمير ، وفي المجلس عبد الله ابن صفوان ، فقال : يا أبا عبد الرحمن ، كيف قال رحك الله ؟ فقال : قال : مثلُ المنافقِ مثلُ الشاةِ بين الرِّبَاضِ ، إن أقبلت إلى ذا الربيض نطعمتها ، وإن أقبلت إلى ذا الربيض نطعمتها . فقال له : رحك الله هما واحد . قال : كذا سمعت^(٢)) .

وروى ابن عمر حديث نبي الاسلام على خمس ، فأعاده رجل فقال له ابن

(١) الحديث الفاصل ص ١٢٧ : ب والكفاية ص ١٢٢

(٢) مسند الإمام أحمد ص ٢٩٧ حديث ٥٥٤٦ ج ٧ وأظن حديث ٥٣٥٩ ونحوه في

ص ٢٠ حديث ٥٦١٠ ج ٨

عمر : « لا ، اجعل صيام رمضان آخرهن كما سمعت من في رسول الله صلى الله عليه وسلم ^(١) » ولهذا ترى في بعض الأحاديث ، قول الراوى — كذا وكذا — لا أدري بأيهما بدأ . أو أيهما قل قبل ، ونحو ذلك . وهذا تنبيه من الراوى إلى أنه أدرك الحديث وفهمه ، ولكنه لم يتأكد من ترتيب اسمين فيه أو كلثنين فيبين موضع شكه وأن الشك منه ليس في أصل الحديث ، ومن هذا ما رواه خالد بن زيد الجهنى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : قريش والأنصار ، وأسلم . وغفار — أو غفار وأسلم ^(٢) — . .

وتشدد بعض الرواة في المحافظة على نص الحديث بألفاظه ، فنع زيادة حرف واحد ، أو حذفه وإن كان لا يغير المعنى ، ومن هذا ما رواه سفيان قال : حدثنا الزهرى أنه سمع أنس بن مالك يقول : نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الدباء والمزفت أن ينتبذ فيه ، فقيل لسفيان أن ينتبذ فيه ؟ فقال : لا ، هكذا قاله لنا الزهرى « ينتبذ فيه » ^(٣) .

وكان بعض الرواة شديدي الحرص على اللفظ الذى سمعوه ، فلا يمتنعون حرفاً ثقيلاً ، ولا يثقلون حرفاً خفيفاً ، ولا يبدلون حركات الحروف التى يسمعونها ، بل يروونها كما سمعوها ، وإن كان ذلك التغيير لا يبدل معناها ، فهو (نمى — نى) فى حديثه صلى الله عليه وسلم « ليس الكاذب من أصاح بين الناس فقال خيراً أو ننى خيراً » . قال حاد : سمعت هذا الحديث من رجلين ، فقال أحدهم بما خيراً (خفيفة) وقال الآخر نى خيراً (مثقلة) ^(٤) .

(١) الكفاية ص ١٧٦

(٢) المربع السابق ص ١٧٧

(٣) الكفاية ص ١٧٨

(٤) المصدر السابق ص ١٨٠ — ١٨١

وبلغ من حرص بعض الحديثين على لفظ الحديث أنهم لم يكونوا يحدّثون طلابهم إلا إذا كتبوا عنهم ، إذ كانوا يكرهون أن يحفظوا عنهم ، خوفاً من الوهم عليهم ، من هذا ما يرويه الخطيب البغدادي بسنده عن ابن عيينة قال : « قال محمد بن عمرو : لا والله لا أحدثكم حتى تكتبوه ، إني أخاف أن تكذبوا علي - وفي رواية - أخاف أن تفلطوا علي »^(١) .

ومنه ما رواه الرامهرمزي بسنده عن طلحة بن عبد الملك ، قال : « أتيت القاسم وسألته عن أشياء ، فقلت : أكتبها ؟ قال : نعم ، فقال لابنه : انظر في كتابه ، لا يزيد علي شيئاً ، قلت : يا أبا محمد إني لو أردت أن أكذب لم آتتك ، قال : إني لم أرد ، إنما أردت إن اسقطت شيئاً يمدله لك »^(٢) .
وكان الأعشى يقول : « كان هذا العلم عند أقوام ، كان أحدهم لأن يخرّج من السماء أحب إليه من أن يزيد فيه واوا ، أو ألفاً ، أو دالا ... »^(٣) .

وقد أدرك ابن عون ثلاثة ممن يشددون في رواية الحديث على حروفه ، وهم القاسم بن محمد بالحجاز ، ومحمد بن سيرين بالبصرة ، ورجاء بن حيوة بالشام^(٤) ، وكان إبراهيم بن ميسرة وطاوس يحدّثان الحديث على حروفه^(٥) ، وكان طاوس يعد الحديث حرفاً حرفاً^(٦) . وروى عن ابن عيينة قوله « محدّثو الحجاز ابن شهاب وبجي بن سعيد وابن جريج يحدّثون بالحديث على

(١) الجامع لأخلاق الراوى وآداب السامع ص ١٠١ : أ

(٢) المحدث الفاضل ص ١٢٨ : أ

(٣) الكفاية ص ١٧٨

(٤) انظر المحدث الفاضل ص ١٢٦ : ب والكفاية ص ٢٠٥ والجامع لأخلاق الراوى وآداب

السامع ص ١٠٠ : ب وجامع بيان العلم وفضله ص ٨٠ : ج ١

(٥) انظر الكفاية ص ٢٠٥

(٦) المحدث الفاضل ص ١٢٧ : ب

وجهه^(١) ، وكان مالك بن أنس يحرص على أداء حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم على حروفه^(٢) .

وإلى جانب هذه الأخبار نرى أخباراً أخرى تدل على أن بعض الصحابة والتابعين رووا بعض الأحاديث بمعانيها ، أو أنهم أجازوا إبدال كلمة بأخرى عند الضرورة ، وكان أحدهم إذا اضطر إلى هذا أشار إلى أن ما يرويه ليس لقظه صلى الله عليه وسلم . لذلك نرى بعض الصحابة يتورعون كثيراً عند ذكر حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم خشية الخطأ .

وقد روينا أن عبد الله بن مسعود كان إذا قال : « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : هكذا أو نحو من هذا ، أو قريباً من هذا ، وكان يرتعد^(٣) » .

وكان أبو الدرداء إذا فرغ من الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : هذا أو نحو هذا أو شككه ، وقد يقول : « اللهم إلا هكذا ، فكشككه^(٤) » .

وقال محمد بن سيرين : « كان أنس بن مالك قليل الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقال : وكان إذا حدث عنه قال : أو كما قال^(٥) » .

(١) مقدمة الجرح والتعديل ص ٤٣

(٢) انظر الجامع لأخلاق الراوى وآداب السامع ص ١٠٦ : ب وجامع بيان العلم وفضله ص

٨١ ج ١ والكفاية ص ١٨٨

(٣) الجامع لأخلاق الراوى وآداب السامع ص ١٠٧ : آ وجامع بيان العلم وفضله ص ٧٩

ج ١ ، وانظر سنن ابن ماجه ص ٨ ج ١

(٤) والكفاية ص ٢٠٥ وجامع بيان العلم وفضله ص ٧٩ ج ١ والجامع لأخلاق

الراوى وآداب السامع ص ٢٠٧ . وذكر ذلك زهير بن حرب عن أبي الدرداء في كتاب

العلم ص ١٩١ : ب .

وعن عروة بن الزبير قال : « قالت لى عائشة رضى الله عنها : يا بلى
 حيلنى أنك تكتب على الحديث ثم تعود فتكتبه ، فقلت لها : أسمع منك
 على شيء ، ثم أعود فأسمعه على غيره ، فقالت : هل تسمع فى المعنى خلافا ؟
 قلت : لا ، قالت : لا بأس بذلك ^(١) » . وعن أيوب عن محمد بن سيرين قال :
 ربما سمعت الحديث عن عشرة كلهم يختلف فى اللفظ والمعنى واحد ^(٢) .

قال مكحول : دخلت أنا وأبو الأزهر على واثلة بن الأسقع ، فقلنا له :
 يا أبا الأسقع ، حدثنا بحديث سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ليس
 فيه وهم ولا تزيد ولا نسيان ، قال : هل قرأ أحد منكم من القرآن شيئا ؟
 قال : قلنا نعم ، وما نحن له بمحافظين جدا ، إنا ليزيد الواو والألف
 وننقص . قال : فهذا القرآن مكتوب بين أظهركم لا تألون حفظا ، وأنتم
 تزعمون أنكم تزيدون وتنقصون فكيف بأحاديث سمعناها من رسول الله
 صلى الله عليه وسلم ، عسى ألا نكون سمعناها منه إلا مرة واحدة ، حسبكم
 إذا حدثناكم بالحديث على المعنى ^(٣) .

وروى قتادة عن زرارة بن أبى أوفى قال : لقيت عدة من أصحاب النبى
 صلى الله عليه وسلم ، فاختلفوا على فى اللفظ واجتمعوا فى المعنى ^(٤) .

وقال جرير بن حازم : « سمعت الحسن يحدث بالحديث : الأصل واحد
 والكلام مختلف ^(٥) » ، وقال عمران القصير : « قات له (للحسن البصرى) :

(١) الكفاية ص ٢٠٥

(٢) المحدث الفاضل ص ١٢٦ : ب وجامع بيان العلم وفضله ص ٧٩ ج ١ والكفاية ص ٢٠٥

(٣) الجامع لأخلاق الراوى ص ١٠٦ وتدريب الراوى ص ٣١٢ وموجز فى كتاب العلم

لحميد بن حرب ص ١٩١ : ب

(٤) المحدث الفاضل ص ١٢٥

(٥) الجامع لأخلاق الراوى وآداب السامع ص ١٠٦ : آ

إنا نسمع الحديث فلا نحي به على ما سمعناه ، قال : لو كنا لا نحدثكم إلا كما سمعنا ما حدثناكم بحديثين ، ولكن إذا جاء حلاله وحرامه فلا بأس ^(١) .

ورويت إجازة التحديث بالمعنى عن عبد الله بن مسعود وأبي الدرداء وأنس ابن مالك ، وعائشة أم المؤمنين ، وعمرو بن دينار ، وعامر الشعبي وإبراهيم النخعي ، وابن أبي نجيح ، وعمرو بن مرة ، وجعفر بن محمد بن علي ، وسفيان بن عيينة ، ويحيى بن سعيد القطان ^(٢) .

وقد أدرك ابن عون ثلاثة ممن يرخصون في رواية الحديث على المعنى هم : الحسن البصري ، وإبراهيم النخعي ، وعامر الشعبي ^(٣) .

ونرى هؤلاء الذين أجازوا رواية الحديث على المعنى عند الضرورة ، كانوا يبينون للسامعين أنهم رووا بعض الحديث على المعنى بقولهم بعد التحديث ، أو كما قال ، ونحو هذا ، ومنهم من كان لا يبيح لمن يسمع أن يكتب عنه الحديث حتى لا يظن أن ما رواه لفظ الرسول صلى الله عليه وسلم ، فكان عمرو ابن دينار يحدث على المعنى ويقول : « أخرج علي من يكتب عنى ^(٤) » .

ولا بد من أن نقرر أن من أباح رواية الحديث على المعنى أباحها بشروط ، ولم يطلق هذا لأى إنسان ، وأجازوا ذلك للضرورة ، كأن يند اللفظ عن الذاكرة ، أو يغيب لفظ الحديث عن المحدث عند الحاجة إلى روايته فيرويه بالمعنى ، والضرورة تقدر بقدرها . قال الإمام الشافعى في صفات الراوى : « أن يكون من حدث به ثقة في دينه ، معروفاً بالصدق في حديثه ، عاقلاً لما يحدث

(١) الجامع لأخلاق الراوى وآداب السامع ص ١٠٦ : آ

(٢) انظر المرجع السابق ص ١٠٦

(٣) انظر المحدث انفاصل ص ١٢٦ : ب وجامع بيان العلم : ص ٨٠ ج ٢

والكفاية ص ٢٠٥

(٤) تذكرة الحفاظ : ص ١٠٧ ج ٢

به، عالمًا بما يحيل معاني الحديث من اللفظ ، وأن يكون ممن يؤدي الحديث بحروفه كما سمع لا يحدث به على المعنى ، لأنه إذا حدث به على المعنى وهو غير عالم بما يحيل معناه - : لم يدبر لعله يحيل الحلال إلى الحرام وإذا أداه بحروفه فلم يتيق وجه يخاف فيه إحالته الحديث^(١) . . . » .

قال الرامهرمزي : « وقد دل قول الشافعي في صفة الحديث مع رعايته اتباع اللفظ ، على أنه بسوغ للمحدث أن يأتي بالمعنى دون اللفظ ، إذا كان عالمًا بلغات العرب ووجوه خطابها ، بصيرًا بالمعاني والفقهاء ، عالمًا بما يحيل المعنى وما لا يحيله ، فإنه إذا كان بهذه الصفة جاز له نقل اللفظ ، فإنه يحتز بالفهم عن تغيير المعاني وإزالة أحكامها ، ومن لم يكن بهذه الصفة كان أداء اللفظ له لازمًا ، والدول عن هيئة ما يسمعه عليه محظورًا ، وإلى هذا رأيت الفقهاء من أهل العلم يذهبون . ومن حجبتهم في جواز ذلك : أن الله عز وجل قد قص من أنباء ما قد سبق قصصًا كرر ذكر بعضها في مواضع بألفاظ مختلفة ، والمعنى واحد ، ونقلها من ألسنتهم إلى اللسان العربي ، وهو يخالف لها في التقديم والتأخير والحذف والإلغاء والزيادة والنقصان وغير ذلك^(٢) » .

ولم يكن الصحابة والتابعون بدعًا في رواية بعض الأحاديث بمعناها ، بل وجدوا دليل الجواز في منهج القرآن الكريم - كما ذكر الرامهرمزي - وفي سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقد كان يرسل سفراءه ورسله فينقلون رسائله

(١) الرسالة من ٣٧٠ - ٣٧١ الفقرة ١٠٠١ واظهر فيما يتعلق بالرواية على المعنى الفقرات : ٧٤٤ ، ٧٥٧ ، ١٠١٣ - ١٠١٥ و ١٠٣٦ - ١٠٤٢ من الرسالة . ونقل الرامهرمزي قول الشافعي في الحديث الفاصل من ٧٩ : ب و من ١٢٨ : آ ، واظهر أيضا معرفة المتن والآثار

عليه من ١٩ ج ١

(٢) الحديث الفاصل من ١٢٤ : ب

ويترجمونها إلى غير العربية ، فأباحة ترجمة الحديث إلى لغة ثانية دليل على إباحة نقله بنفس اللغة على معناه ، بلفظ عربي هو أقرب إلى لفظ الرسول صلى الله عليه وسلم من ألفاظ اللغة الأجنبية^(١) ، بل هذا أولى بأن يكون مباحا .

والذين كرهوا الرواية على المعنى أدلة منها حديث « نضر الله امرأ سمع منا حديثا فآذاه كما سمعه » ، وما رواه البراء بن عازب « أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : يا براء كيف تقول إذا أخذت مصجحك ؟ قال : قلت الله ورسوله أعلم ، قال : « إذا أويت إلى فراشك طاهرا فتوسد يمينك ، ثم قل اللهم أسلمت وجهي إليك ، وفوضت أمري إليك وألجأت ظهري إليك رغبة ورهبة إليك ، لا ملجأ ولا منجى منك إلا إليك ، آمنت بكتابتك الذي أنزلت وبنيك الذي أرسلت » . فقلت كما علمني غير أني قلت ورسولك فقال بيده في صدري و (بنيك) فن قالها من ليلته ثم مات ، مات على الفطرة^(٢) .

وقد أطلال بعض العلماء القول في أدلة كل من المجيزين للرواية على المعنى والماتنين لها^(٣) . وأجمع العلماء كلهم على أنه لا يجوز للجاهل بمعنى ما ينقل أن يروي الحديث على المعنى . ومن أجاز هذه الرواية لأنها أجازها للعالم بشروط ، قال الماوردي : « إن نسي اللفظ جاز ، لأنه تحمل اللفظ والمعنى ، وعجز عن أداء

(١) انظر الكفاية ص ٢٠٣

(٢) الكفاية ص ١٧٥ والمحدث القائل ص ١٢٥ : آ

(٣) تكلم الخطيب البغدادي في الرواية على المعنى واللفظ وذكر الأدلة في ذلك راجع الكفاية ص ١٩٨ - ٢٠٣ وتكلم العراقي حول الرواية بالمعنى انظر فتح المنبث ص ٤٨ : ٣ وما بعدها ، وكذلك السيوطي في تدريب الراوي انظر ص ٣١١ وما بعدها . وكذلك الحفاظ ابن كثير انظر الباءات الخثيث شرح اختصار علوم الحديث ص ١٥٧ وما بعدها ، وفصل الشيخ طاهر الجزائري أقوال العلماء وأدلتهم في (نوجية النظر) ص ٢٩٨ - ٣١٤ وهو خير من استوفى هذا البحث من التأخرين .

أحدهما ، فيلزمه أداء الآخر ، لاسيما أن تركه قد يكون كتما للأحكام ، فإن لم ينسه لم يحز أن يورده بغيره ، لأن في كلامه صلى الله عليه وسلم من الفصاحة ما ليس في غيره ^(١) . وقال السيوطي : « ولا شك في اشتراط ألا يكون مما تعبد بلفظه ... وعندى أنه بشرط ألا يكون من جوامع الكلم ^(٢) » .

بعد هذا يمكننا أن نحكم أن رواية الحديث بالمعنى كانت للضرورة ، وكانت بقدر وخاصة بعد أن عرفنا ورع الصحابة والتابعين ، ودقتهم في رواية الأخبار ، وتحفظهم وثبتهم مما يروون أو يسمعون ، وهذا يرجح عندى أن للرواية بالمعنى إن وقعت تاريخيا من بعض الصحابة ، فإنما كانت بألفاظ قريبة جدا من ألفاظه صلى الله عليه وسلم ، لأنهم رأوا رسول الله عليه الصلاة والسلام ، وسمعوا منه وتخرجوا بحلقائه ، واستضاءت قلوبهم بتوجيهه وعنايته ، وكانوا على جانب عظيم من البيان والفصاحة ، وهم أعلم الأمة بلغة العرب ، لم يتسرب إلى كلامهم اللحن ، ولم يغير سليقتهم ولسانهم امتزاج الأمم والشعوب .

ويقوى عندى أن معظم ما رواه الصحابة والتابعون كان بلفظ الرسول صلى الله عليه وسلم — أن بعضهم كان يكتب الحديث بين يدي النبي الكريم ، وكانوا يعقدون الحلقات يتذاكرون فيها ما يسمعون منه عليه الصلاة والسلام ، ويصحح بعضهم أخطاء بعض ، وإذا شكوا في أمر أو أشكل عليهم شيء رجعوا إلى النبي الأمين صلى الله عليه وسلم ، وكان أكثر الرواة من التابعين يكتبون ما يسمعون من الصحابة ويحفظونه ، فمنهم من يذاكر الحديث حتى إذا ما وعاه صدره محاه ، ومنهم من يحفظه ويحفظ بصحفه وألواحه ، ومنهم من حرص

(١) تدريب الراوى ص ٣١٣

(٢) المرجع السابق ص ٣١٤

على كتابة الحديث وجمعه في كرايس أو في مصنف كالمصنف^(١).

وأما من كان لا يكتب من التابعين وأتباعهم فقد حرص على حفظ الحديث في صدره ، وكانوا يتذاكرون الأحاديث بين آونة وأخرى ، ويرحلون من بلد إلى آخر ليسمعوا من الصحابة رضي الله عنهم ، أوليتاً كدوا من صحة ما سمعوه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فينموا معناه ويضبطوا حروفه وألفاظه ، ويريدنا ثقة بأن جل ما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان بلفظه عليه الصلاة والسلام ، تلك الحواظ التي وهبها الله عز وجل لحمة الشريعة الإسلامية ، ورواة الحديث الشريف من الصحابة والتابعين وأتباعهم ، فيروى لنا التاريخ ما كان يحفظه أبو هريرة وغيره ، وإن المرء ليعجب عندما يطلع على أخبار صحيحة ، تذكر تلك الحواظ العظيمة التي حملت إلينا السنة كذا كرة عبد الله بن عباس الذي اشتهر بسرعة حفظه ، حتى إنه كان يحفظ الحديث من مرة واحدة ، ويروى أنه سمع قصيدة لابن أبي ربيعة عندها ثمانون بيتاً حفظها من المرة الأولى ، وفي الصحابة أمثاله كزيد بن ثابت الذي حفظ معظم القرآن قبل بلوغه ، وتعلم لغة اليهود في سبعة عشر يوماً ، وفيهم عائشة أم المؤمنين التي كانت آية من آيات الذكاء والحفظ وغير هؤلاء .

وفي التابعين نافع مولى عبد الله بن عمر الذي لم يخطئ فيما حفظ ، وأجمع النقاد على دقة حفظه ، وفيهم ابن شهاب الزهري حافظ زمانه ، وعامر الشعبي ديوان عصره ، وقتادة بن دعامة السدوسي مضرب المثل في سرعة الحفظ والضبط والانتقان .

فإذا طالعنا ما اختلف فيه الرواة من حيث اللفظ ، مما تعددت طرقه وجدنا

(١) تعرضت لهذا في الباب الرابع من هذا الكتاب ، وفصلت القول فيه .

معظمه مما كان أخباراً عن عمل من أعماله صلى الله عليه وسلم ، أو تبليفاً لحكم واقعة شاهدوها بأعينهم ، فنراهم يقولون : « أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بكذا » ، و « نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كذا » ، والمعنى فى كل هذا واحد ، وهذا طبعى لا يدخل الريب فى مروياتهم ، لاختلافهم فى صيغ الأداء ، لأن كل راوٍ عما شاهده بلفظه ، ومن النادر أن نرى اختلافاً فيما نقلوه إلينا من جوامع الكلم ، أو مما يتعبد بلفظه ، كصيغ الأذان والإقامة والدعاء والتشهد وغير ذلك .

وليس جميع ما نقل إلينا مما اختلف لفظه بسبب الرواية بالمعنى ، فله يعود إلى تعدد مجالس الرسول صلى الله عليه وسلم وكثرتها ، فقد يتناول موضوعاً واحداً فى مناسبات مختلفة ، ويجيب السائلين بما يتناسب مع مداركهم ، وقد يستفتيه أكثر من واحد فى واقعة واحدة ، فيفتى كل واحد بما يكفيه ويروى غليله ، بألفاظ مختلفة ، وعبارات متفاوتة ، تؤدى الغاية المقصودة ، وما روى بالمعنى مع هذا لا يكاد يخفى على أهل هذا العلم ، لكثرة دراستهم حديث الرسول صلى الله عليه وسلم ، وللأمانة العلمية التى كان عليها الرواة ، فكانوا مثلاً رائعين فى الضبط والدقة والإنقان ، يتبعون بعض ما يروونه بمباراة تفيد احتياطهم فيما نقلوه ، وينبهون فى أثناء سياق الحديث على موضع السهو أو اللحن ، وكانوا يحرصون دائماً على نقل اللفظ النبوى كما صدر عنه عليه الصلاة والسلام .

بعد هذا لا نرى داعياً للتهويل الذى يثيره بعض الكتاب وبعض المخرضين حول رواية بعض الأحاديث بالمعنى ، ولا وجه لإثارة خلاف أصبح طلى التاريخ ، وكان معظم ما ذهب إليه العلماء من إباحة رواية الحديث بالمعنى وعدم روايته خلافاً عقلياً نظرياً ، وإن وقع تاريخنا فإنما وقع فى الصدر الأول وبقدرة

لا ضرر منه ، لذلك نرى أنه من العبث إثارة مثل هذا الموضوع - الذى انصرم
أوانه - وتشكيك الأمة في حديث رسولها الأمين ، وليس هناك أى مسوغ
لإدخال الريب في النفوس ، بعد أن أجمعت الأمة على قبول الكتب
الصحيح ، وعلى أنها حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، الذى نقل
إلينا بأسمى الطرق العلمية ، على أيدي خيار علماء الأمة من الصحابة
والتابعين ومن تبعهم .

وقد تناول (أبو رية) في كتابه « أضواء على السنة الحمديدية »
هذا البحث ، إلا أنه أحاط الموضوع بهالة ، توهم من لا خبرة له بأن
معظم الحديث النبوى قد روى بألفاظ الرواة^(١) ، وجسم خطر الرواية بالمعنى ،
بما لا يتفق والواقع التاريخى ، وتحدث عن بعض الخلاف العقلى النظرى
على أنه مما وقع بالفعل ، ورتب على جواز الرواية بالمعنى نتائج ، إن صح
ترتيبها على رواية غير الحديث بالمعنى . لا يمكن أن تنتج عن رواية الحديث

(١) افتتح أبو رية موضوعه هذا فقال : « يحسب الدين لاخوة لهم بالعلم ، ولا علم عندهم
بالخبرة أن أحاديث الرسول التى يقرئونها في الكتب ، أو يسمونها من يتحدثون بها ، قد جاءت
صحيحة المبنى بحكمة التأليف ، وأن ألفاظها قد وصلت إلى الرواة مصونة كما نطق النبي بها ، بلا
تحريف ولا تبديل ، وكذلك يحسبون أن الصحابة ومن جاء من بعدهم ، من حلوا عنهم إلى زمن
التدوين ، قد نقلوا هذه الأحاديث بنصها كما سمعوها ، وأدوها على وجهها كما لقنوها ، فلم ينلها
تدبر ولا اعتراض تبديل ، وما قرئ في أذهان الناس أن هؤلاء الرواة قد كانوا جميعاً صفاء خاصا
بين بنى آدم في جودة الحفظ وكمال الضبط وسلامة الذاكرة ... ولقد كان ولا جرم لهذا التهم أثر
بالغ في أذهان كبار شيوخ الدين - إلا من عصم ربك - فاعتقدوا أن هذه الأحاديث في منزلة آيات
الكتاب العزيز ، من وجوب التسليم بها ، وفرض الإذعان لأحكامها ، بحيث يأثم أو يرتد أو
يفسق من خالفها ، ويستتاب من أنكرها أو شك فيها . » انظر أضواء على السنة الحمديدية : ٥ .
ولا مجال الرد على فريضة هذه هنا ، وستظهر لنا نهاية النقاد والرواة وضبطهم في الفصول
التالية من هذا الكتاب .

فضلا عن أنها لم تترتب من جراء رواية بعض الأحاديث بمعناها ، لما عرفنا من دقة النقد والرواية ، وكثرة طرق الرواية ، ومقابلتها ومناقشتها ، وكل ما في الأمر أن بعض الأحاديث رويت بمعناها ، ولم ينتج عن ذلك خطر على الدين ولا غاب ذلك عن المسلمين .

ومن لا يشك أن الرواية بالمعنى قد توقع في الخطأ ، ولكن هذا الخطأ — إذا وقع — لم يخف على علماء الأمة ، فلا وجه لذلك التهوريل والإيهام ، لأن النقد والعلماء اعتنوا عناية عظيمة بحفظ الحديث وروايته ، وأشاروا إلى كل كبيرة وصغيرة ورووا أكثر الأحاديث من طرق عدة تنفي الشك وتطرح الخبث ، فما الداعي — بعد هذا — لأن يثير (أبورية) شبهة حول الحديث وروايته ؟

على أنه لم يكنف بذكر اختلاف السابقين في الرواية وذكر أقوالهم ، بل حاول أن يثبت أن جميع ما روى مختلفا لفظه إنما كان نتيجة لرواية الحديث بالمعنى ، وساق شواهد على هذا ، فذكر اختلاف صبيغ التشهد ، واستطرد وخرج عن الموضوع ، ثم ذكر « حديث الإسلام والإيمان » وحديث « زوجتكم بما معك » وغير ذلك ، وما من شيء استشهد به إلا وللعلماء قول فيه .

وقد رد على (أبورية) العلامة المعاصر (عبد الرحمن بن يحيى الملهي الباني) ردا مفصلا^(١) يكفي أن استشهد بفقرة واحدة منه .

(١) في كتابه الأنوار الكاشفة الذي وضعه ردا على كتاب أبي ربة أضواء على السنة . انظر ص ٨٢ — ٨٨ وانظر ظلمات أبي ربة لمحمد عبد الرزاق حمزة ص ٦٨ — ٩٩ .

قال العلامة الباني : (قال - أبو رية - « ص ٦٠ » : « صيغ التشهد »
 وذكر اختلافها^(١) . أقول : يتوهم أبو رية - أو يوم - أن النبي صلى الله عليه وسلم ،
 إنما عليهم تشهدا واحدا ، ولكنهم أو بعضهم لم يحفظوه ، فأتوا بألفاظ من عندهم
 مع نسبتها إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، وهذا باطل قطعا ، فإن التشهد يكرر
 كل يوم بضع عشرة مرة على الأقل في الفريضة والنافلة ، وكان النبي صلى الله
 عليه وسلم يحفظ أحدهم حتى يحفظ ، وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يقرئ
 المرجلين السورة الواحدة هذا بحرف وهذا بآخر . فكذلك عليهم مقدمة
 التشهد بكل ما صح عن النبي صلى الله عليه وسلم ، وأما ذكر عمر التشهد على
 المنبر ، وسكوت الحاضرين فإنما وجهه المعقول هو تسليمهم أن التشهد الذي
 ذكره صحيح مجزئ . وقد كان عمر يقرأ في الصلاة وغيرها القرآن ولا يرد عليه
 أحد . مع أن كثيرا منهم تلقوا عن النبي بحرف غير الحرف الذي تلقى به عمر ،
 ومثل هذا كثير ، ومن الجائز أن يكونوا - أو بعضهم - لم يعرفوا اللفظ
 الذي ذكره عمر ، ولكنهم قد عرفوا أن النبي صلى الله عليه وسلم علم أصحابه
 بألفاظ مختلفة وعمر عندهم ثقة^(٢) .

(١) بعد أن ذكر أبو رية صيغ التشهد عن الصحابة (ص ٦٠ - ٦٢) قال : « هذه
 تشهدات ثمانية وردت عن الصحابة وقد اختلفت ألفاظها ، ولو أنها كانت من الأحاديث النبوية التي
 رويت بالمعنى لقانا عسى ! وليكنها من الأعمال المتواترة التي كان يؤديها كل صحابي مرات كثيرة
 كل يوم ، وهم يعدون بمئات الآلاف ، وما بلغت النظر أن كل صاحب تشهد يقول ، إن الرسول
 كان يعلمه التشهد كما يعلمهم القرآن ، وأن تشهد عمر قد أفاه من فوق منبر رسول الله والصحابة
 جميعا يسمعون ، فلم ينكر عليه أحد منهم ما قال ، كما ذكر مالك في الموطأ . » أه ، انظر أضواء
 على السنة ص ٦٣ إنه يريد أن يتكسنا حتى فيما تعبد به وفيما ثبت متواترا ، والرد على أبي رية
 وعلى دعواه في طي عبارته ، فلو تجرد وانطلق إلى أفق أوسع من أفقه ما استغرب تعدد هذه
 الصيغ ولا فزع على المسلمين باب الشك والريبة ولا شكك في الصحابة حفظه الفريضة وحراسها .

وأرى أن نستكمل بحثنا هذا بما ذهب إليه أئمة اللغة العربية ، الذين أجازوا الاستشهاد بالحديث النبوي لإثبات قواعد النحو .

قال عبد القادر البغدادي صاحب خزانة الأدب : « وأما الاستدلال بحديث النبي صلى الله عليه وسلم فقد جوزوه ابن مالك وتبعه الشارح المحقق (الرضى) في ذلك ، وزاد عليه بالاحتجاج بكلام أهل البيت رضى الله عنهم ، وقد منعه ابن المصائيم وأبو حيان وسندها أسران :

أحدها : أن الأحاديث لم تنقل كما سمعت من النبي صلى الله عليه وسلم ، وإنما رويت بالمعنى .

وثانيهما : أن أئمة النحو المتقدمين من المصريين لم يحتجوا بشيء منها .
ورد الأول — على تقدير تسليمه — بأن النقل بالمعنى إنما كان في الصدر الأول قبل تدوينه في الكتب ، وقبل فساد اللغة ، وغايته تبديل لفظ بلفظ يصح الاحتجاج به فلا فرق ، على أن اليقين غير مشروط بل الظن كاف .

ورد الثاني : بأنه لا يلزم من عدم استدلالهم بالحديث عدم صحة الاستدلال به .

والصواب جواز الاحتجاج بالحديث للنحو في ضبط ألفاظه ، ويلحق به ما روى عن الصحابة وأهل البيت ، كما صنع الشارح المحقق .

ثم قال قلا عن الدماميني في الرد على من لا يحتج بالحديث في اللغة :

« وقد رد هذا المذهب الذى ذهبوا إليه البدر الدماميني في (شرح التسهيل) — والله دره فإنه قد أجاد في الرد — قال : قد أكثر المصنف من الاستدلال بالأحاديث النبوية ، وشنع أبو حيان عليه ، وقال : إن ما استند إليه من ذلك

لا يتم له ، لتطرق احتمال الرواية بالمعنى فلا يوثق بأن ذلك المحتج به لفظه صلى الله عليه وسلم ، حتى تقوم به الحجة . وقد أجريت ذلك لبعض مشايخنا فصوب رأى ابن مالك فيما فعله بناء على أن اليقين ليس بمطلوب في هذا الباب ، وإنما المطلوب غلبة الظن الذى هو مناط الأحكام الشرعية ، وكذا ما يتوقف عليه من نقل مفردات الألفاظ وقوانين الإعراب ، فالظن في ذلك كله كاف ، ولا يخفى أنه يغلب على الظن أن ذلك المنقول المحتج به لم يبدل ، لأن الأصل عدم التبديل ، ولا سيما أن التشديد في الضبط والتحري في نقل الأحاديث شائع بين النقلة والمحدثين . ومن يقول منهم بجواز النقل بالمعنى ، فإنما هو عندى بمعنى التجويز العقلى الذى لا ينافى وقوع تقيضه فلذلك تراهم يتحرون في الضبط ويتشددون مع قولهم بجواز النقل بالمعنى ، فيغلب الظن من هذا كله أنها لم تبدل ويكون احتمال التبديل فيها مرجوحاً فيلغى ، ولا يقدر في صحة الاستدلال بها .

ثم إن الخلاف في جواز النقل بالمعنى إنما هو فيما لم يدون ولا كتب ، وأما ما دون وحصل في بطون الكتب فلا يجوز تبديل ألفاظه من غير خلاف بينهم ، قال ابن الصلاح بعد أن ذكر اختلافهم في نقل الحديث بالمعنى : « إن هذا الخلاف لا نراه جارياً ولا أجراه الناس - فيما نعلم - فيما تضمنته بطون الكتب ، فليس لأحد أن يغير لفظ شيء من كتاب مصنف ويثبت فيه لفظاً آخر » ١٠ .

وتدوين الأحاديث والأخبار - بل تدوين^(١) كثير من المرويات - وقع

(١) في الأصل (بل وكثير) خذفنا الوارد لأنه لا يجتمع حرفا عطف مما وأخذا كلمة (تدوين) تحريراً للعبارة .

في الصدر الأول قبل فساد اللغة العربية حين كان كلام أولئك المبدلين - على تقدير تبديلهم - يسوغ الاحتجاج به ، وغايته يومئذ تبديل لفظ بلفظ يصح الاحتجاج به ، فلا فرق بين الجميع في صحة الاستدلال ، ثم دون ذلك المبدل - على تقدير التبديل - ومنع من تغييره ونقله بالمعنى ، كما قال ابن الصلاح فبقى حجة في بابه ، ولا يضر توهم ذلك السابق في شيء من استدلالهم المتأخر ، والله أعلم بالصواب ^(١) .

الفصل الثاني

وفيه

النشاط العلمي في عصر الصحابة والتابعين

شعر الصحابة بالتبعية الملقاة على عاتقهم لحفظ الشريعة وتطبيقها ، فصارعوا إلى صيانة مصادرها الأولى خشية ضياع القرآن الكريم من صدور القراء (الحفاظ) ، إثر حروب الردة ، ومن ثم جمعه في مصحف على عهد الصديق ، وخافوا عاقبة الاختلاف في القراءات في الأمصار المختلفة ، فنسخوه في مصاحف وزعت على الأقاليم الإسلامية في عهد عثمان رضي الله عنه وكانوا في أحكامهم يرجعون إلى الكتاب الكريم ثم إلى السنة ، يسألون عن حكم ما ثور عن الرسول فيما يجد لهم من قضايا ، فإذا ما ثبت عندهم شيء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم تمسكوا به وطبقوه ، وقد ذكرت طريقة اجتهداهم فيما سبق .

وقد وجد الصحابة الضرورة تلح لحفظ السنة ، فحاول الصديق ثم الفاروق حفظها كتابة - وما منعهم من ذلك إلا حرصهم على القرآن والسنة كما سيتبين لنا هذا في بحث تدوين السنة - فما كان منهم إلا أن أكتبوا على دراستها والسؤال عنها ، والبحث عن الحديث عند حفاظه ، ويكفينا مثالا لهذا ما كان يفعله ابن عباس بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقد روى عكرمة من ابن عباس أنه قال : « لما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت لرجل من الأنصار : هلم فلنسأل أصحاب رسول الله ، فإنهم اليوم كثير ، قال : وأعجبا لك يا ابن عباس ! أترى الناس يفتقرون إليك ، وفي الناس من أصحاب رسول الله من فيهم ؟ قال : فترك ذلك ، وأقبلت أنا أسأل أصحاب رسول الله عن الحديث ، فإنه كان يبلغني الحديث عن

الرجل ، فأتى بابه وهو قائل ^(١) ، فأتوسد ردائي على بابه ، تسفى الربح على من الثراب ، فيخرج فيقول : يابن عم رسول الله ما جاء بك ؟ ألا أرسلت إلى فأتيتك ؟ فأقول : أنا أحق أن آتيتك ، فأسأله عن الحديث ^(٢) . »

وكانت رغبة الصحابة في سماع حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم عظيمة ، وهل أحب إلى المرء من أن يسمع حكم مربييه وأحكامه وتشريعاته ؟ وهل من شيء أعز على المسلم من أن يجي آثار منقذه من الضلال ورائده إلى الخير ؟ لقد كان الصحابة مندفعين بإخلاص إلى سماع حوادث رسول الله صلى الله عليه وسلم وسيرته وحديثه ، فهذا أبو بكر الصديق يقف عند عازب والد البراء فيشتري منه رحلا وهو للناقة كالسرج للفرس ، ثم يقول له : « مر البراء فليحمله إلى منزلي ، فيقول : لا ، حتى تحدثنا كيف صنعت حين خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنت معه . فقص عليه خبر الهجرة ^(٣) » .

وهذا علي أمير المؤمنين يلتقي بكعب الأحمري فيقول له كعب : يا علي أسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في المنجيات ؟ قال : لا . ولكن سمعته يقول في الموبقات ، فقال كعب لعل : حدثني بالموبقات حتى أحدثك بالمنجيات فقال علي : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « الموبقات : ترك السنة ، ونكث البيعة ، وفراق الجماعة . فقال كعب لعل : المنجيات : كف لسانك ، وجلس في بيتك ، وبكاؤك على خطيئتك » ^(٤) .

(١) أي وهو في نوم الظهيرة من القبلة والناقة .

(٢) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع ص ٢٤ : وأظن ص ٢٤ : ب منه ومذكورة

الحفاظ ص ٣٨ - ١

(٣) مستند الإمام أحمد ١٥٤ - ١٥٦ ج ١ وأظن فيج الباري ص ٤٣٥ ج ٧

(٤) الحديث الفاضل ص ١٤٩ : أ

وقد روى بعض الصحابة عن بعض كثير أسوأ في حياته عليه الصلاة والسلام
 أو بعد وفاته ، من ذلك رواية القاروق عمر عن الصديق رضى الله عنهما عن رسول
 الله صلى الله عليه وسلم حديث « لا تُورَثُ ما تركناه صدقة » وهو حديث صحيح
 أخرجه مسلم ، ومنها رواية عثمان رضى الله عنه عن عمر رضى الله عنه قال : سمعت
 رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إني لأعلم كلمة لا يقولها عبد حقاً إلا حرم
 على النار : لا إله إلا الله » أخرجه مسلم في صحيحه ، ورواية أبي بكر عن بلال
 رضى الله عنهما قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : « يا بلال أصبحوا بالصباح ،
 فإنه خير لكم . » ورواية عبد الرحمن بن عوف عن القاروق رضى الله عنهما قال :
 رجم رسول الله صلى الله عليه وسلم ورجلنا بعده . وما رواه بحالة بن عبدة .
 قال : كنت كاتباً لجريز بن معاوية على مناذر^(١) ، فجاءنا كتاب عمر بن الخطاب
 رضى الله عنه : انظر محوس هجر من قبلك ، فخذ منهم الجزية ، فإن عبد الرحمن
 ابن عوف أخبرني أن النبي صلى الله عليه وسلم أخذ الجزية من محوس أهل هجر ،
 وروت عائشة عن الصديق ، كما روى عنها ، وروى ابن عمر عن ابن عباس ،
 وابن عباس عن ابن عمر ، كما روت عائشة عنه ، وروى ابن عباس عنها وروى
 جابر بن عبد الله عن أبي سعيد الخدري ، كما روى أبو سعيد عن جابر ، وأنس عن
 جابر ، وجابر عن أنس ، وروى ابن عباس عن جابر بن عبد الله كما روى جابر عنه ،
 وروى أبو سعيد الخدري عن ابن عباس كما روى ابن عباس عنه^(٢) ، ومن يراجع
 كتب السنن وتراجم الرواة يجد كثيراً من روايات بعض الصحابة عن بعض ،

(١) مناذر هما بلدتان بتواحي خوزستان ، مناذر الكبرى ومناذر الصغرى ، وهما من كور
 الأهواز ، وقد فتحتهما سنة (١٨) هـ . انظر معجم البلدان ص ١٦٠ ج ٨
 (٢) انظر اللطائف في دقائق المعارف من - علوم الحفاظ الأعارف مخطوطة الظاهرية
 ص ١ : آ - ٣ : ب

وهذا دليل واضح على النشاط العلمى الذى كان بينهم ، يتبادلون الأحاديث
ويسمعون ويسمع منهم ويروون ويروى عنهم . كل هذا فى سبيل معرفة الحق
وحفظ السنة المطهرة .

ولم يكتف الصحابة بدراسة الحديث فيما بينهم ، بل حثوا على طلبه وحفظه
وحضوا التابعين على مجالسة أهل العلم والأخذ عنهم ، ولم يتركوا وسيلة للتعليم
إلا أفادوا منها . من هذا ما روى عن عمر رضى الله عنه قال : « تفقهوا قبل أن
تسودوا »^(١) وقال أيضاً « تعلموا الفرائض والسنة كما تعلمون القرآن »^(٢) .
وكان أبو ذر مثلاً رائداً لنشر الحق وتبليغ سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
يروى عنه أنه قال : « لو وضعتم الصمصامة - السيف الصارم - على هذه ، وأشار
إلى قفاه ، ثم ظننت أنى أنفذ كلمة سمعتها من النبي صلى الله عليه وسلم قبل أن
تجيزوا على لأفذتها »^(٣) . وما كان أبو ذر يدعاه الصحابة ، إنما كان أحد
الألوف الذين ساهموا فى حفظ السنة .

عن أبى قلابة قال : « قال ابن مسعود : عليكم بالعلم قبل أن يقبض ،
وقبضه ذهاب أهله ... »^(٤) وكان ينهى عن البدع ويأمر باتباع السنة فيقول :
« الاقتصاد فى السنة أفضل من الاجتهاد فى البدعة »^(٥) . وقال أمير المؤمنين
على بن أبى طالب : « تراودوا وتناكروا الحديث ، فإنكم لا تفعلوا بدرس »^(٦) .

(١) فتح البارى ص ١٧٥ ج ١

(٢) جامع بيان العلم وفضله ص ٣٤ ج ٢

(٣) فتح البارى ص ١٢٠ ج ١

(٤ و ٥) تذكرة الحفاظ ص ١٥ ج ١ وجمع الزوائد ص ١٢٥ ج ١ وانظر حقه على
هذا ذكر الحديث فى معرفة علوم الحديث ١٤١ .

(٦) شرف أصحاب الحديث ص ٦٩ . وانظر أيضاً معرفة علوم الحديث ص ٦٠ و ١٤١

ووقف عمرو بن العاص على حلقة من قريش فقال : « ما لكم قد طرحتم هذه الأغيامة ؟ لا تفعلوا ، وأسمعوا لهم في المجلس ، وأسمعوم الحديث ، وأنهموم إياه ، فإنهم صغار قوم أو شك أن يكونوا كبار قوم ، وقد كنتم صغار قوم فأنتم اليوم كبار قوم ^(١) » .

وكان ابن عباس يحض طلابه على مذاكرة الحديث ، فيقول : تذاكروا هذا الحديث لا ينفلت منكم ، فإنه ليس بمنزلة القرآن ، القرآن مجموع محفوظ ، وإنكم إن لم تذاكروا هذا الحديث تفلت منكم ، ولا يقل أحدكم حدث أمس لا أحدث اليوم ، بل حدث أمس ، وحدث اليوم ، وحدث غداً . . . كما كان يقول : إذا سمعتم منا شيئاً فذاكروه بينكم ^(٢) .

وكان أبو سعيد الخدري يحب طلاب العلم ويفسح لهم المجالس ، وكثيراً ما كان يقول : تحدثوا ، فإن الحديث يذكر بعضه بعضاً ^(٣) .

ومما يروى عن أبي أمامة الباهلي أنه قال لطلابه : « إن هذا المجلس من بلاغ الله إياكم ، وإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد بلغ ما أرسل به ، وأنتم فبلغوا عنا أحسن ما تسمعون . وفي رواية كان يحدثهم حديثاً كثيراً عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإذا سكت قال : اعتقلوا ، بلغوا عنا كما بلغناكم ^(٤) » .

وهكذا كان الصحابة الكرام يتواصون بحفظ الحديث ومذكراته ويحضون طلابهم على ذلك ، ويحثونهم على تبليغ ما يسمعون منهم .

(١) شرف أصحاب الحديث ص ٨٩ : ب

(٢) شرف أصحاب الحديث ص ٩٩ : آ وانظر نحوه في الجامع لأخلاق الراوى وآداب

السامع نسخة الظاهرية ص ٤٨ : ب

(٣) شرف أصحاب الحديث ص ١٠٠ : آ

(٤) شرف أصحاب الحديث ص ١٠٠ : آ

وقد سار التابعون وأتباعهم على نهج الصحابة ، فكانوا يوصون أولادهم وتلاميذهم بحفظ السنة وحضور مجالس العلم ، فقد أوصى عروة بنيه بهذا كما أوصى طلابه (١) ، وكان علقمة يشجع طلابه على مذاكرة الحديث ودراسته (٢) كما كان عبد الرحمن بن أبي ليلى يقول : إحياء الحديث مذاكرته فتذاكروه (٣) . واشتهرت بين العلماء عبارة « تذاكروا الحديث فإن الحديث يهيج الحديث » (٤) .

وأكثر من هذا ، كان بعض الآباء يشجعون أبنائهم على حفظ الحديث ، ويقدمون إليهم جوائز كلما حفظوا شيئاً منه ، من هذا ما رواه النضر بن الحرث قال : سمعت إبراهيم بن آدم يقول : قال لي أبي : يا بني ، أطلب الحديث ، فكلما سمعت حديثاً وحفظته فلك درهم . فطلبت الحديث على هذا (٥) .

ومهما يكن موقف المربين في هذا العصر من هذا التشجيع فإنه وسيلة مبدئية لحفظ الحديث ودراسته ، إن كانت في نظر الطفل هي الغاية فإنها لا تلبث أن تصبح ، وسيلة فإذا ما ألف حفظ الحديث ، وتمطشت نفسه إليه تحجست الغاية الأصلية أمامه ، وعرف قيمتها ، وقدر نفع الحديث ، وعرف معناه ، وأصبح من عشاقه ، سواء أقطعت تلك الجوائز أم لم تنقطع .

وإن التاريخ ليحفظ لنا أخباراً كثيرة تثبت لإقبال طلاب العلم على طلب

(١) انظر طبقات ابن سعد من ١٣٤ - ١٣٥ قسم ٢ ج ٢ وانظر الحديث الفاصل نسخة دمشق من ١٥ : ب ، ج ، د

(٢) (٣٢ و ٣٣) انظر شرف أصحاب الحديث من ١٠٠ : ب ، وانظر كتاب العلم لأبي زرير بن حرب فان فيه بعض هذا من ١٨٩ : ب وكذلك في الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع من ٤٦ : ب والحديث الفاصل من ١٢٩ : ب - ١٣٠ : ب

(٥) شرف أصحاب الحديث من ٩٠ : ب ، وإبراهيم بن آدم عصر الثوري ويقول أن وفاته سنة (١٦١) كان ورعاً مجاهداً . انظر البدئية والنهاية من ١٣٥ ج ١

الحديث إقبالا لا مثيل له ، بدافع ذاتي ، وميل نفسي ، حتى إن بعض طلاب العلم المتفانيين في حب الحديث كانوا يؤدرون بعض الخدمات من أجل سماع حديث أو حديثين^(١).

وقد كانت المنافسة العلمية المحببة قائمة بين طلاب الحديث في ذلك العصر ، فالذكي من تمكن من حفظ أحاديث في باب كذا وباب كذا ، والمجد من أسرع إلى صحابي وأخذ عنه قبل وفاته ، والمقلع من حظى بحب شيخه ، وتمكن من الانفراد به ، والكتابة عنه ، والقراءة عليه ثم العرض والتصحيح بين يديه . . .

لكل هذا رأينا أصحاب الحديث يجتهدون في طلب العلم الشريف ، ويتبارون في تحصيله^(٢) ، وكثر طلاب العلم كثرة تتلج لها الصدور ، وتشرق بها النفوس حتى إن أحد الصحابة كان يحدث الناس ، فيكثرون عليه ، فيصعد فوق بيت ويحدثهم^(٣) قال أنس بن سيرين : قدمت الكوفة قبل الحجاج ، فرأيت بها أربعة آلاف يطلبون

(١) روى سفيان بن عيينة قال : كان أبي صيرفا بالكوفة فركبة الدين فحملنا إلى مكة فلما رحلنا إلى المسجد لصلاة الظهر ، وصرت إلى باب المسجد إذا شيخ على حمار فقال لي يا غلام اسك على هذا الحمار حتى أدخل المسجد فأركم ، قلت : ما أنا بفاعل أو تحدثني ، قال : وما تصنع أنت بالحديث ؟ واستصغرتي ، قلت : حدثني . فقال : حدثني جابر بن عبد الله وحدثنا ابن عباس فحدثني بشماية أحاديث فأمسكت حماره ، وجلت أعظم ما حدثني به فلما صلي وخرج قال : ما تفعل ما حدثتكم به ، حسنتي ؟ قلت حدثتني بكذا وحدثتني بكذا ، فرددت عليه جميع ما حدثني به فقال : بارك الله فيك فمال غدا إلى المجلس ، فإذا هو عمرو بن دينار (٤٨ - ١٢٦ هـ)

انظر المحدث الفاضل مخطوطة دمشق ص ١٦ : ب - ١٧ : آ هـ ١

(٢) انظر المحدث الفاضل ص ١٤٣ : ب فيها أخبار عن ذلك

(٣) انظر كتاب العلم لزهير بن حرب ص ١٩٢

الحديث^(١) ، وفي رواية زاد : فقال : وأربعائة قد فقهاوا^(٢) . فقبل بداية الربع الأخير من القرن الأول أضحت الكوفة محط أنظار أهل الحديث ، ولم يقتصر هذا النشاط على قطر دون آخر ، بل كان عاماً شاملاً . حلقات العلم كانت تعقد في كل مكان ، ففي جامع دمشق حلقات أبي الدرداء التي تضم نيفاً وخمسة وألف طالب^(٣) إلى جانب حلقات غيره من شيوخ دمشق ، التي كان يكتب فيها الطلاب^(٤) ، كما كانت تعقد في حمص وحلب والقسطنطينية والبصرة والكوفة واليمن إلى جانب حلقات ينبوع الإسلام في مكة والمدينة ، فقد كانت في المدينة كالروضة يختار منها طالب العلم ما يشاء^(٥) .

وفي عهد عبد الملك بن مروان الخليفة الأموي ، كان المسجد الحرام يفيض بطلاب العلم ، حتى إن الخليفة أعجب بهم عندما زاره فوجد فيه حلقاً لا تحصى ، انضم أبناء المسلمين وطلاب العلم ، فسأل عن شيوخ هذه الحلقات ، فكان فيها عطاء ، وسعيد بن جبير ، وميمون بن مهران ، ومكحول ، ومجاهد ، وغيرهم ، فحث أبناء قريش على طلب العلم والحفاظ عليه^(٦) .

وسيتجلى لنا نشاط المراكز العلمية في الدولة الإسلامية عند ما نتكلم عن انتشار العلم في عهد الصحابة والتابعين .

(١) المحدث الفاضل ٨١ : وكانت دير الحجاج وقعة مشهورة بين الحجاج وعبد الرحمن بن الأشعث سنة (٨٢ هـ) وفيها قتل عبد الرحمن بن الأشعث وكثير من القراء . انظر تاريخ الطبري ص ١٥٧ ج ٥ . ودير الحجاج بظاهر الكوفة على سبعة فراسخ منها على طرف البر لساكن إلى البصرة : معجم البلدان ص ١٣١ ج ٤ .

(٢) المحدث الفاضل ص ١٣٥ : ب .

(٣ و ٤) انظر التاريخ الكبير لابن عساكر ص ٦٩ ج ١ .

(٥) انظر المحدث الفاضل ص ٩ : ب .

(٦) انظر للرجع السابق ص ٣٥ : ب - ٣٦ .

وقد قبض الله لهذه الأمة أساتذة أوتوا العلم والأدب وأصول التربية ،
 ترعرعوا بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم وبدي أمهاته الكرام ، واجتهد
 القائمون على التعليم منهم في ذلك العصر في تعليم تلاميذهم وجلسائهم ، واعتنوا
 عناية عظيمة بالنشء الجديد ، فبصر اسماعيل بن رجاء - من أقران الأعشى -
 يجمع الصبيان ويحدثهم^(١) . وسر رجل بالأعشى - سليمان بن مهران - وهو
 يحدث فقال له : تحدث هؤلاء الصبيان ؟ فقال الأعشى : هؤلاء الصبيان يحفظون
 عليك دينك^(٢) . وكان مطرف بن عبد الله يقول : لأنتم أحب إلى مجالسة من
 أهلى^(٣) . وكان سفيان الثوري يقول : لو لم يأتوني - (يعني طلاب الحديث)
 لأنيتهم في بيوتهم^(٤) . وكانوا يعلمونهم الحديث والأدب فيه ، واحترامه
 واجلاله^(٥) ، وكانت حلقات العلم مكانة جليلة ، وكان طلاب الحديث يوقرون
 أساتذتهم ، ويفخرون بخدمتهم ، والأخذ عنهم ، وكان سلوكهم مع أساتذتهم في
 غاية الأدب والاحترام ، سواء أكان هذا في التلقى عنهم أم في مناقشتهم ،
 ويؤثر عن كثير من الصحابة والتابعين نصائح لطلاب العلم في هذا الصدد^(٦) .
 وأما حلقات العلم وشيوخها وطريقة تعليمهم فإنها تحتاج إلى بحث كبير
 قائم بذاته ، وإن لدينا من الأخبار ما يملأ أكثر من مجلد في هذا . ولكن المقام
 يضيق بإيرادها ، ويكفي أن نذكر شيئا موجزا عن الصحابة والتابعين يتناول
 طريقة تعليمهم .

(١) انظر كتاب العلم لزهير بن حرب ص ١٩٠

(٢) شرف أصحاب الحديث ص ٨٩ : أ وانظر الحديث الفاصل نسخة دمشق ص ١٥ ج ١

(٣) شرف أصحاب الحديث ص ١٠٢ : ب

(٤) شرف أصحاب الحديث ص ١٠٣ : ب واشتهر عن عروة بن الزبير أنه كان يتألف

الناس على حديثه ، انظر كتاب العلم لابن حرب ص ١٨٧

(٥) انظر طبقات ابن سعد ص ٣٤٥ ج ٥

(٦) انظر العقد الفريد ص ٧٨ ج ٢

وأول ما يسترعى انتباهنا في هذا خطوط كبرى تعتبر من الأسس الهامة في التربية الحديثة ، من هذه الأسس :

١ - مراعاة أحوال المحدثين :

فقد لاحظ الصحابة والتابعون أحوال طلابهم ملاحظة دقيقة ، فكانوا لا يحدثونهم إلا بما يناسب مداركهم ، وبشرحون الأحاديث ، ويبينون مناسباتها حتى يدرك الطلاب ما يرويه شيوخهم ، يروى عن ابن مسعود أنه قال : « إن الرجل ليحدث بالحديث فيسمعه من لا يبلغ عقله فهم ذلك الحديث ، فيكون عليه فتنة^(١) » وفي رواية عنه « ما أنت محدث قوما حديثا لا تبلغه عقولهم إلا كان فتنة لبعضهم^(٢) » وعن حماد بن زيد قال : قال أيوب : لا تحدثوا الناس بما لا يعلمون فتضروهم^(٣) .

٢ - الحديث لمن هو أهل له :

وكما حرص الصحابة والتابعون على مراعاة أحوال الرواة ، حرصوا على نشر الحديث بين أهل وطلابه ، ورفعوا عن السفهاء وأهل الغايات والأهواء ، فكانوا يحاولون جهدهم ألا يحضر مجالسهم إلا طلاب العلم ، وفي هذا كان يقول الزهري : « ... وهجنته (أى الحديث) نشره عند غير أهله^(٤) » ، وكان الأعمش

(١) الجامع لأخلاق الراوى وآداب السامع ص ١٢٩ : ب

(٢) تذكرة الحفاظ ص ١٥ ج ١ وروى نحو هذا عن عبيد الله بن عبد الله بن هبة ،

انظر المحدث الفاضل ص ١٤٣ : ب

(٣) الجامع لأخلاق الراوى وآداب السامع ص ١٢٩ : ب

(٤) المحدث الفاضل ص ١٤١ : آ والهجنة والتجيين الأمر تقييده .

يرى أن إضاعة الحديث التحديث به عند غير أهله^(١) « وكثيرا ما كان يقول :
« لا تنفروا الأولو على أظلاف الخنازير يعنى الحديث^(٢) » أى لا تحدثوا الحديث
لغير أهله .

ورأى الأعمش شعبة بن الحجاج يحدث قوما ، فقال له : ويحك يا شعبة !
تعلق الدرّ في أعناق الخنازير^(٣) ؟ قال مجالد بن سعيد : حدثني الشعبي
محدث .. فرويته عنه ، فأتاه قوم فسألوه عنه ، فقال : ما حدثت بهذا الحديث قط ،
فأتوني ، فأتيته ، فقلت : أو ما حدثتني ؟ قال أحدثك بمحدث الحكماء ،
وتحدث به السفهاء^(٤) ؟ ! وكان يقول : إنما كان يطلب هذا العلم من جمع
النسك والعقل ، فإن كان عاقلا بلا نسك قيل : هذا لا يناله ، وإن كان ناسكا
بلا عقل قيل : هذا أمر لا يناله إلا العقلاء^(٥) .

وأختم هذه الفقرة بذكر شيء من أساليب الحيلة ، التي كان يفعلها زائدة
ابن قدامة^(٦) مع من يأتيه طالبا الحديث ، حرصا منه على صيانة السنة المطهرة
وحفظها . روى عمرو بن المهلب الأزدى قال : « كان زائدة لا يحدث أحدا
حتى يمتحنه ، فإن كان غريبا قال له : من أين أنت ؟ وإن كان من أهل
البلد قال : أين مصلاك ؟ ويسأل كما يسأل القاضي عن البينة . فإذا قال له
سأل عنه ، فإن كان صاحب بدعة قال : لا تعودن إلى هذا المجلس ،

(١ و ٢) الحديث الفاصل ص ١٤١ : آ

(٣) الحديث الفاصل ص ١٤٢ : آ

(٤) الحديث الفاصل ص ١٤١ : ب ، ولعل الشعبي أنكر ذلك لأنه خفي من القوم السفهاء .
أن ينفذوا ما حدث به فزيلة إلى أهوائهم .

(٥) تذكرة الحفاظ ص ٧٧ : أ

(٦) انظر ترجمته في تذكرة الحفاظ ص ١٩٤ : أ وهو إمام حجة نولى سنة ١٦١ هـ .

فإن يلقه عند خير أدناه وحديثه ، فقيل له : يا أبا الصلت لم تفعل هذا ؟ قال : أكره أن يكون العلم عندهم ، فيصيروا أئمة يحتاج إليهم ، فيبدلوا كيف شاءوا (١) .

قد يُظن أن في تشدد زائدة منعاً للعلم ونشره ، وأن طريقته هذه تتنافى مع رسالة المعلمين المرشدين الهادين ، والحقيقة أن منهجه هذا كان من وسائل المحافظة على السنة ، كما كان حائلاً دون أهل البدع والأهواء من أن يستغلوا الحديث الشريف ، أو يحرفوه تبعاً لأهوائهم .

٣ - طلب الحديث بعد القرآن الكريم :

من البدعي أن يهتم المسلمون بكتاب الله تعالى وحفظه ودراسته وتلاوته ، وفهمه وتفسيره . وقد أجمع المحدثون على أنه لا ينبغي أن يطلب المرء الحديث إلا بعد قراءته القرآن وحفظه كله أو أكثره ، ثم يبدأ سماع الحديث وكتابته عن الشيوخ ، وكان كثير من المحدثين لا يقبلون الطلاب في حلقاتهم إلا إذا وثقوا من دراستهم القرآن الكريم وحفظ بعضه على الأقل ، وفي هذا قال حفص بن غياث : أتيت الأعشى فقلت : حدثني ، قال : أنحفظ القرآن ؟ قلت : لا . قال : اذهب فاحفظ القرآن ، ثم هلم أحدثك . قال : فذهبت لحفظت القرآن ، ثم جئته ، فاستقراني ، فقرأته ، فحدثني (٢) .

٤ - عدم تتبع المنكر من الحديث :

خشى الصحابة والتابعون من بث بعض الأحاديث الواهية والضعيفة ،

(١) المحدث الفاضل ص ١٤٢ : ب

(٢) المحدث الفاضل نسخة دمشق ص ١٩ - ١

فنهوا عن روايتها وطلبوا التثبت في الرواية كما سبق أن ذكرنا ، وحشوا على رواية الأحاديث المعروفة ونشرها بين طلاب العلم وخاصة الجدد منهم . وفي هذا يروى عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب : « حدثوا الناس بما يعرفون ، ودعوا ما ينكرون ! ! اتحبون أن يكذب الله ورسوله ^(١) » . قال الإمام الذهبي : « فقد زجر الإمام علي رضي الله عنه عن رواية المنكر ، وحث على التحديث بالمشهور ، وهذا أصل كبير في الكف عن بث الأشياء الواهية ، والمنكرة من الأحاديث في الفضائل والمقائد ، والرفائق ، ولا سبيل إلى معرفة هذا من هذا إلا بالامعان في معرفة الرجال ^(٢) » .

وأما الأحاديث المنكرة والشاذة وطرقها ، والأحاديث الموضوعية — فقد كان يحفظها الشيوخ حتى إذا ذكر لهم حديث منها بينوه ، وكانوا يروون منها لطلابهم بعد بيان عللها ، وبعد أن يقطع الطلاب مرحلة جيدة في دراساتهم . وسنبين هذا عندما نتكلم عن الحديث الموضوع .

٥ — التنويم والتخيير دفعا للملل :

عرف الصحابة والتابعون ما يحدد نشاط طلابهم ، فعملوا به ، وأكادوا منه لتحقيق الغاية من دروسهم وحلقاتهم ، فكانوا يتناولون دراسة الأحاديث المختلفة حيناً ، ويتكلمون في الرجال أحياناً ، وينتقلون إلى سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم تارة ، ويذكرون أسباب ورود الحديث ومناسبته تارة أخرى .

(١) تذكرة الحفاظ من ١٢ - ١٣ ج ١ وفتح الباري من ٢٣٥ ج ١

(٢) تذكرة الحفاظ من ١٢ - ١٣ ج ١

فكانت دراسة الحديث شيقة ، تجذب الطالب إليها لتعدد موضوعاتها وتناولها كثيراً من الأمور التي تتعلق بدينه ودنياه . ومع هذا كان شيوخ الحلقات يحشون لإدخال السامة إلى نفوس تلاميذهم ، فكانوا يتخولونهم بالموعظة كما كان يفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكما فصل الصحابة من بعده^(١) وكانت السيدة عائشة توصي التابعين بهذا ، فقد قالت لعبيد بن عمير : إياك وإملا ل الناس وتفتيطهم^(٢) . ولهذا كانوا لا يطيلون المجلس حتى لا تضعف القائمة عليهم ، وفي هذا يقول الإمام الزهري : « إذا طال المجلس كان للشيطان فيه نصيب^(٣) » (و يروى عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه كان يقول - إذا فاض من عنده بالحديث بعد القرآن والتفسير - : أحضوا . أى خوضوا في الشعر وغيره . . . ، وعن أبي الدرداء رضي الله عنه أنه قال : إني لأستجم قلبي بالشئ من اللهو ، لأقوى به على الحق^(٤) .)

وقد كان الصحابة أحياناً يتناولون في مجالسهم بعض الشعر وأيام الجاهلية ليسروا عن أنفسهم ، فيبدلوا الموضوع ليستعيدوا نشاطهم ، فمن أبى خالد الوالى قال : « كنا نجالس أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ، فيتناشدون الأشعار ويتذاكرون أيامهم في الجاهلية^(٥) » ، وكان الزهري يحدث ثم يقول :

(١) انظر هذا عن عبد الله بن مسعود في مسند الإمام أحمد ص ٢٠٢ حديث ٣٥٨١ ج ٥ .
وجامع بيان العلم ص ١٠٥ ج ١

(٢) الجامع لأخلاق الراوى وآداب السامع ص ١٣٦ : آ

(٣) الجامع لأخلاق الراوى وآداب السامع ص ١٣٦ : آ

(٤) الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ ص ٤١ والله المقصود هنا اللهو للفروع ما يروح

القلب ويجدد النشاط .

(٥) جامع بيان العلم ص ١٠٥ ج ١

« هاتوا من أشعاركم ، هاتوا من أحاديثكم ، فإن الأذن بحاجة ، وإن للنفس حصة (١) » .

وكان يقول : روحوا القلوب ساعة وساعة (٢)

٦ - احترام حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وتوقيره :

ذكرت تمسك الصحابة والتابعين بالسنة ، وتقديمها على كل شيء بعد القرآن ، فقد كانوا لا يقبلون رأيا مع السنة مهما يكن شأنه ، ومهما تكن منزلة صاحبه ، وكما تمسكوا بالسنة احترموا مجالس الحديث ، وقرروا حفظه ، وتأدب الناس مع حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم شيوخا وطلابا .

عن الأعمش عن ضرار بن مرة قال : كانوا يكرهون أن يحدثوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم على غير وضوء (٣) وكان الأعمش إذا أراد أن يحدث وهو على غير وضوء تيمم (٤) . وقال قتادة : لقد كان يستحب أن لا تقرأ الأحاديث التي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا على طهور ، وفي رواية إلا على وضوء (٥) ، وروى هذا عن كثير من العلماء .

ويذكر سعيد بن المسيب - وهو على فراش المرض - حديثا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيقول : أجلسوني ، فإني أكره أن أحدث حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا مضطجع (٦) .

(١) جامع بيان العلم من ١٠٤ - ١٠٦ . مع الشراب من فيه روى به ، ومع الحديث طهره ومثل سمه والحضة الشهوة للقيء ، وحضت الإبل عن الحوض كرهته وبه اشتبه . انظر القاموس المحيط .

(٢) جامع بيان العلم من ١٠٥ - ١٠٦ .

(٣) جامع بيان العلم وفضله من ١٩٨ - ٢ . والمحدث الفاضل من ١٤٧ : ٢

(٤) جامع بيان العلم وفضله من ١٩٩ - ٢

(٥ و ٦) جامع بيان العلم وفضله من ١٩٩ - ٢ .

قال الرامهرمزي : كان أكثرهم يتطهرون عندما يتصدرون للحديث
 فيلبس الماء أحسن ثيابه ، ويتوضأ وضوءه للصلاة ، ومن ذلك قول أبي
 العالية : « إذا حدثت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثاً فازدهر » ،
 وكان مالك رضى الله عنه إذا أراد أن يخرج يحدث توضأ وضوءه للصلاة ، ولبس
 أحسن ثيابه ، ولبس قلنسوة ، ومشط لحيته ، فقيل له فى ذلك ، فقال :
 « أوقر حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ^(١) » . وكان مالك أحياناً يحدث
 أبناء كل قطر حتى لا يزداد الازدحام فى داره ، فكان مناد على بابه ينادى :
 ليدخل أهل الحجاز ، فلا يدخل غيرهم ، ثم يخرج فينادى أهل الشام ^(٢) ... يفعل
 هذا حتى لا يكثر الطلاب ، فيكثر السؤال ، وتقوت الفائدة جل الحاضرين .
 وهناك آداب كثيرة ، وأصول متبعة للسؤال والقراءة والعرض على المحدث ،
 والجلوس بين يديه ، وحضور حلقات العلم ، تكفلت بذكرها كتب خاصة ^(٣) ،
 وأفردت لها أبواب فى أكثر كتب مصطلح الحديث وعلومه .

٧ - مذاكرة الحديث :

لم يكن طلاب العلم يكتفون بحضور مجلس الحديث ثم ينصرفون إلى أعمالهم
 حتى يحين المجلس القادم ، من غير أن يذكر ما يسمعون . ولم يكن حضور
 حلقات العلم للتسلية وشغل أوقات الفراغ . . متى شاء الطالب حضر ومتى أحب

(١) انظر المحدث الفاضل ص ١٤٦ : ب

(٢) انظر للرجع السابق ص ١٤٧ : ١

(٣) فقد ألف الخطيب كتاباً كبيراً فى هذا سماء (الجامع لأخلاق الراوى وآداب السامع)
 تعرض فيه لجميع ما يتعلق بطلاب الحديث وأساتذتهم ودروسهم ومذاكرتهم . الخ ، ولا يزال هذا
 المؤلف مخطوطاً ، ومنه نسخة كاملة فى دار الكتب فى الإسكندرية ، صورت عنها نسخة ونقلت
 إلى دار الكتب المصرية فى ١٩٦٥ هـ ، لوحة ، كل لوحة فوتوغرافية صفحتان من النسخة
 الأصلية ، وقد باشرت تحقيقه مع بعض أخوانى ، أوجو أن نوفق لنشره فينتفع المسلمون به .

انصرف منها ، كلا ، بل كان الطلاب يحضرون في أوقات معينة يخصصها لهم
أستاذهم بعد صلاة الفجر مثلاً حتى الضحى ، أو بين الظهر والمصر ، فيتسابق
الطلاب إلى الحلقة قبل انقضاءها ، ليتخذوا أما كنهم^(١) ، حتى إذا ما حضر
الأستاذ كان جميع الطلاب على استعداد لتلقى الحديث عنه . وقد يقيم عن الحلقة
طالب ، فيسأل عنه الشيخ ويعرف سبب غيابه ، وقد يكلف بعض إخوانه السؤال
عنه ، فالحلقات في العصور الماضية كانت كالفصول النظامية في مدارسنا الحديثة .
لهذا كان أصحاب الحديث يحرصون على حضور مجالسه ، ويحفظون
ما يسمعون ، وبذا كرونه .

وقد كان الصحابة رضي الله عنهم يفعلون هذا في عهد رسول الله صلى الله
عليه وسلم ، فمن أنس بن مالك قال : « كنا نكون عند النبي صلى الله عليه وسلم ،
فنسمع منه الحديث ، فإذا قمنا تذاكرناه فيما بيننا حتى نحفظه^(٢) » .

وكان التابعون وأتباعهم يذاكرون حديث رسول الله عليه الصلاة والسلام
جماعات وأفراداً ، عن أبي صالح السمان^(٣) قال حدثنا ابن عباس يوماً بحديث فلم
نحفظه ، فتذاكرناه فيما بيننا حتى حفظناه^(٤) . وعن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن عطاء
قال : « كنا نكون عند جابر بن عبد الله فيحدثنا ، فإذا خرجنا من عنده
تذاكرنا حديثه^(٥) » . وعن مسلم البطين قال : « رأيت أبا يحيى الأعرج —
وكان عالماً بحديث ابن عباس — اجتمع هو وسعيد بن جبير في مسجد الكوفة ،

(١) انظر انعقاد المجالس في الجامع لأخلاق الراوى وآداب السامع . حيث بسط القول في هذا .

(٢) الجامع لأخلاق الراوى وآداب السامع ص ٤٦ : ب

(٣) لم يذكر الحاكم لقبه وهو من أصحاب أبي هريرة وقد سمع من ابن عباس وهو ذكوان

المدني . انظر تهذيب التهذيب ص ١٣٢ م ١٧ .

(٤) معرفة علوم الحديث ص ١٤١

(٥) كتاب العلم لأبي حنيفة ص ١٩٠ : آ

فتذاكر الحديث ابن عباس^(١) . وقال مرة عبد الرحمن بن أبي ليلى : « إحياء الحديث مذاكرته ، فتذاكره ، فقال عبد الله بن شداد : يرحمك الله ! كم من حديث أحيطه من صدرى قد كان مات^(٢) » .

وقد تطول مجالس المذاكرة من أول الليل حتى نداء الفجر^(٣) ، وكان من طلاب العلم من ينتظر انصرام الليل ليلقى لإخوانه فيذاكرهم ، وكان إبراهيم النخعي يقول : إنه ليطول على الليل حتى ألقى أصحابي فإذا كرم^(٤) . وما يروى عن شعبة بن الحجاج أنه خرج من عند عبد الله بن عون ، وقد عقد يديه جميعاً فسلمة بعض إخوانه ، فقال : « لا تسكمنى فإني قد حفظت عن ابن عون عشرة أحاديث أخاف أن أنساها^(٥) » .

هكذا كان يذاكر أصحاب الحديث حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى ثبت في صدورهم ولا ينسوه .

وكان بعضهم يتخذ التحديث بما سمع وسيلة إلى حفظه ، فإذا لم يجد من يحدثه حدث خادمه أو بنيه ، وفي هذا يروى عن الإمام الزهري أنه كان يبتغى العلم من عروءه وغيره ، فيأتى جارية له نائمة فيوقظها فيقول لها : حدثني فلان بكذا ، وفلان بكذا فتقول : مالى ولهذا ، فيقول : قد علمت أنك لا تنتفعين به ، ولكن سمعت الآن ، فأردت أن استذكره^(٦) ، ولا يجد إسماعيل بن رجاء من يذاكر الحديث معه فيجمع غلمان المكاتب ويحدثهم كيلا ينسى حديثه^(٧) .

(١) الجامع لأخلاق الراوى وآداب السامع ص ١٨٤ : أ

(٢) كتاب العلم لزهيد بن حرب ص ١٩٠ : أ (٣) انظر للرجع السابق ص ١٩١ : ب .

(٤) الجامع لأخلاق الراوى وآداب السامع ص ١٨٢ : ب

(٥) الجامع لأخلاق الراوى وآداب السامع ص ٤٧ : أ

(٦) تاريخ الإسلام للذهي ص ١٤٨ : ج

(٧) انظر الحديث الفاصل نسخة دمشق ص ١٥ : ب ، وانظر هيون الأخبار ص ١٣٤ : ج

وكثيراً ما كانت تعقد مجالس المذاكرة وتقام المناظرات بين أصحاب الحديث لتعرف طرقه ، ويكشف عن القوى والضعيف منها ، وفي هذا يقول يزيد بن هارون : أدركت الناس يكتبون عن كل - من المشايخ الأقوياء والضعفاء - فإذا وقعت المناظرة حصلوا .^(١)

كما سبق يتبين لنا إهتمام الصحابة والتابعين وأتباعهم بالسنة المطهرة ، وحرصهم على الحديث النبوى الشريف ، فعرفنا كيف كانوا يتحدثون طلابهم ، وكيف كانوا يعتنون بصغارهم ، ويحرصون على تربيتهم التربية الصالحة ، على هدى محمد صلى الله عليه وسلم ، كما عرفنا آدابهم فى الحديث وطلبه ، واحترامهم لعلمائهم ؛ وحرص الطلاب على دراسة السنة وحفظها ومذاكرتها وتثبيتها فى صدورهم والعمل بها ، كل ذلك يعطينا صورة حية عن النشاط الحديثى فى ذلك العصر ، صورة مخطوطة عن الحركة العلمية القوية التى كانت فى عصر الصحابة والتابعين ، تلك الحركة التى كان لها الفضل العظيم فى حفظ السنة .

وإن ما قدمناه لا يمدو المخطوط العريضة لتلك الحركة الواسعة ، التى كانت فى الصدر الأول وقد أغفلنا كثيراً من التفاصيل التى تتعلق بسن السماع وطريقة الرواية والتلقى ، وكيفية القراءة على المحدث ، وكل ما يتعلق بدرجات تحمل الحديث وأدائه ، مما تكفلت بشرحه كتب مصطلح الحديث وعلومه .

وهكذا خرجنا من هذا البحث بخلاصة هامة ، هى أن الحديث الشريف لى عناية وحفظاً واهتماماً عظيماً من أبناء ذلك العصر ، الذين تولوا نقله بأمانة وإخلاص إلى الجيل الذى تلاهم ، ثم أدت الأجيال المتعاقبة هذه الأمانة حتى وصلت إلينا فى أمهات الكتب الصحيحة .

(١) المحدث الفاضل من ٨٣ : ب ، والجوامع لأخلاق الراوى وآداب السامع من ١٦٧ : أ .

انتشار الحديث في عصر الصحابة والتابعين

انتقل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الرفيق الأعلى ، بعد أن عم الإسلام الجزيرة العربية كلها ، وأصبحت هذه البلاد قلعة حصينة للإسلام ، وقاعدة تنبثق منها أضواء الهداية في العالم ، وقد عقد رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل وفاته لواء جيش أسامة لفتح الشام ، ولكن المنية اخترته قبل إنقاذه ، وخلفه الصديق فوجه جيش الرسول صلى الله عليه وسلم إلى بلاد الشام ، واتسعت الفتوحات الإسلامية ، وامتدت الدولة الإسلامية حول الجزيرة العربية ، فتحت بلاد الشام كلها (فلسطين والأردن وسوريا ولبنان) والعراق جميعها في سنة سبع عشرة هجرية^(١) ، وفتحت مصر سنة عشرين من الهجرة^(٢) ، ووصل المسلمون إلى ما وراء النهر في خلافة عثمان بعد أن فتحوا (فارس) سنة إحدى وعشرين ، ووصلوا سمرقند سنة ست وخسين^(٣) ، وما لبثت الرايات الإسلامية أن خفقت في ربوع الأندلس غرباً سنة ثلاث وتسعين^(٤) وارتفعت بنود الإسلام وأعلامه على ذرا جبال البرانس^(٥) سنة ست وتسعين ، وعلى حدود الصين شرقاً سنة ست وتسعين أيضاً^(٦) .

كان في طليعة الجيوش الإسلامية محاربة رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) انظر تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي للدكتور حسن إبراهيم حسن ص ٢٩٩ ج ١ وما بعدها .

(٢) انظر المرجع السابق ص ٢٣٦ ج ١

(٣) انظر المرجع السابق ص ٢٧٩ وما بعدها ج ١

(٤) انظر المرجع السابق ص ٣١٣ ج ١

(٥) انظر المرجع السابق ص ٣١٨ وما بعدها ج ١

(٦) انظر المرجع السابق ص ٣٠٥ ج ١

وكانوا كلما دخلوا بلدًا أقاموا فيه المساجد^(١) ، ومكث فيه بعض الصحابة والتابعين يدبرون أموره ، وينشرون فيه الإسلام ، ويعلمون أبناء القرآن الكريم وسنة رسول الله عليه الصلاة والسلام ، وكان الخلفاء يمدون البلاد الجديدة بالعلماء ، وقد استوطن كثير من الصحابة رضوان الله عليهم تلك الأمصار ، يرشدون أهلها ، ويعلمون أبناءها . وقد دخل الناس في دين الله أفواجا ، والتفوا حول أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم ، ينهلون من ينباع التي أخذت عن الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام ، وتخرج في حلقاتهم التابعون الذين حملوا لواء العلم بعدهم ، وحفظوا السنة الشريفة ، وهكذا أصبحت في الأقاليم والأمصار الإسلامية مراكز علمية عظيمة ، تشع منها أنوار الإسلام وعلومه ، إلى جانب مراكز الإشعاع الأولى التي أمدت هذه الأفطار بالأساتذة الأول .

وبحذر بنا أن نذكر لمحة موجزة عن مراكز التعليم هذه فيما يخص بحثنا ، فنتناول أهم تلك المراكز العلمية والقائمين عليها في الأمصار الإسلامية :

١ - المدينة المنورة :

هي دار الهجرة ، وحاضرة الدولة الإسلامية ، التي آوت الرسول الكريم بعد هجرته ، ومعه الصحابة رضوان الله عليهم ، وشهدت الجانب الشرقي الأول في صدر الإسلام ، وفي مساجدها التف المسلمون حول محمد عليه الصلاة والسلام ، يتلقون القرآن العظيم ، ويسمعون الحديث الشريف ، وفيها شاهدوا قضاء وقسمته للفتن ، واستغفاره للجيش ، وموادعته لخصومه ، وإليها اتجأ المسلمون المهاجرون بدينهم ، تحت ضغط قريش والقبائل الأخرى في أطراف الجزيرة العربية ، وتعلقت بها الأنظار ، وعقدت عليها الآمال ، حتى كان صلح الحديبية

ثم الفتح الأعظم ، فأصبحت مركز الحجاز السياسى ، وعاصمة الدولة الإسلامية إلى أوائل خلافة على رضى الله عنه .

وقد يخطر ببالنا أن المهاجرين عادوا إلى مكة بعد وفاته صلى الله عليه وسلم ، ولكن التاريخ يؤكد لنا أن الصحابة والخلفاء آثروا أن يحاوروا رسول الله صلى الله عليه وسلم ^(١) ، وقيموا حيث أقام . لذلك رى في المدينة كبار الصحابة الذين رسخوا في العلم ، وكانت لهم مكانة عظيمة في الحديث ، ومن هؤلاء أبو بكر وعمر وعثمان وعلى رضى الله عنهم وأبو هريرة وعائشة أم المؤمنين ، وعبد الله بن عمر وأبو سعيد الخدرى ، وزيد بن ثابت الذى اشتهر بفهم القرآن والحديث والفرائض خاصة ، وكانت له مكانة رفيعة عند الخلفاء الراشدين حتى إنهم ما كانوا يقدمون عليه أحداً فى القضاء أو الفتوى والقرائض والقراءة ^(٢) .

وقد تخرج فى المدينة كبار التابعين ، ومنهم سعيد بن المسيب ، وعروة ابن الزبير ، وابن شهاب الزهري ، وعبيد الله بن عتبة بن مسعود ، وسالم ابن عبد الله بن عمر ، ومحمد بن المنكدر وغير هؤلاء ممن كانوا مرجع الأمة فى السنة والقضاء والفتوى .

٢ - مكة المكرمة :

لما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة ، خلف فيها معاذاً يعلم

(١) انظر طبقات ابن سعد ص ٣٢٨ ج ٥ . وفيه كان يكره المسلمون المهاجرون أن يعود أحدهم إلى مكة بعد أن فارق الرسول صلى الله عليه وسلم فى المدينة .

(٢) انظر تاريخ دمشق ص ٢٨٤ ج ٦ وسير أعلام النبلاء ص ٢١٥ ج ١ . وتذكره الحفاظ

أهلها الحلال والحرام ، ويفقههم في الدين ، ويقرئهم القرآن الكريم ، وكان معاذ من أفضل شباب الأنصار علماً وحلماً وسخاء ، شهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم المشاهد كلها ، وكان بعداً من أعلم الصحابة بالحلال والحرام . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه : « معاذ بن جبل أعلم الناس بحرام الله وحلاله ^(١) » وقال عليه الصلاة والسلام : « خذوا القرآن من أربعة من ابن مسعود ، وأبي ، ومعاذ بن جبل ، وسالم مولى أبي حذيفة ^(٢) » وقد روى عنه عدد كبير من الصحابة ، منهم عبد الله بن عباس ، الذي كانت له الصدارة بعد أن عاد من البصرة إلى مكة المكرمة ، كما كان في مكة عتاب ابن أسيد الذي أمره رسول الله صلى الله عليه وسلم للصلاة في أهلها ^(٣) ، وأخوه خالد بن أسيد ، والحكم بن أبي العاص ، وعثمان بن أبي طلحة وغيرهم ^(٤) .

وقد تخرج في مكة على أيدي الصحابة مجاهد بن جبر ، وعطاء بن أبي رباح ، وطاوس بن كيسان ، وعكرمة مولى ابن عباس ، وغيرهم ^(٥) .

ولا بد أن نذكر هنا علو منزلة مكة المكرمة ، وأثرها في تبادل الثقافة ونشر الحديث النبوي في مواسم الحج ، حيث يلتقي فيها المسلمون ويجتمع أكثرهم بصحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم وبالتابعين ، يحملون معهم الكثير الطيب من حديثه عليه الصلاة والسلام إلى بلادهم ، ولا تزال لمكة والمدينة هذه المكانة إلى يومنا هذا ، وستبقى ما بقي الإسلام إلى يوم الدين .

(١) سير أعلام النبلاء ص ٣٢٠ ج ١

(٢) سير أعلام النبلاء ص ٣١٩ ج ١ .

(٣) المرجع السابق ص ٣٢١ ج ١ .

(٤) انظر معرفة علوم الحديث ص ١٩٢ .

(٥) انظر لجر الإسلام ص ١٧٤ .

٣ - الكوفة :

لقد نزل في الكوفة عدد كبير من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، في عهد عمر رضى الله عنه ، حين فتحت العراق للمسلمين ، وأصبحت الكوفة والبصرة قاعدتي الفتح الإسلامي في خراسان وفارس والهند ، فقد هبط الكوفة ثلاثمائة من أصحاب الشجرة ، وسبعون من أهل بدر^(١) من أشهرهم علي بن أبي طالب ، وسعد بن أبي وقاص ، وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل ، وعبد الله بن مسعود وغيرهم^(٢) . وكان لعبد الله بن مسعود أثر كبير في رفع اسم الكوفة ، لما بذله في سبيل تعليم أبنائها ، وقد تخرج في هذه المدرسة كبار التابعين الذين حفظوا الشريعة وحافظوا على السنة المطهرة ، فقد كان في الكوفة ستون شيخاً من أصحاب عبد الله بن مسعود ، وكان في بني ثور الذين نزلوا الكوفة ثلاثون رجلاً ، ما فيهم رجل دون الربيع بن خثيم^(٣) المشهور بعبادته وورعه وعلو مكانته في الحديث ، وكان فيها كميل بن زيد النخعي ، وعامر بن سراحيل الشعبي ، وسعيد بن جبير الأسدي ، وإبراهيم النخعي ، وأبو إسحاق السبيعي ، وعبد الملك بن عير^(٤) وغيرهم .

٤ - البصرة :

ونزل البصرة من الصحابة رضوان الله عليهم أنس بن مالك ، وكان إمام البصرة في الحديث ، وأبو موسى الأشعري ، وعبد الله بن عباس الذي ولى إمرتها لأُمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضى الله عنه ، ونزل فيها غير هؤلاء

(١) انظر طبقات ابن سعد ص ٤ ج ٦ .

(٢) انظر معرفة علوم الحديث ص ١٩١ .

(٣) انظر طبقات ابن سعد ص ٤ ج ٦ .

(٤) انظر معرفة علوم الحديث ص ٢٤٣ - ٢٤٨ .

عتبة بن غزوان ، وعمران بن حصين ، وأبو برزة الأسلمي ، وممقل بن يسار ،
وعبد الرحمن بن سمرة ، وأبو زيد الأنصاري ، وعبد الله بن الشخير ، والحكم
وعثمان بن أبي العاص وغيرهم^(١) .

وأشهر من تخرج في مدرسة البصرة الحسن البصري الذي أدرك خمسمائة
من الصحابة ، ومحمد بن سيرين ، وأيوب السختياني ، وهب بن حكيم القشيري ،
ويونس بن عبيد ، وخالد بن مهران الحذاء ، وعبد الله بن عون ، وعاصم بن
سليمان الأحول ، وقتادة بن دعامة السدوسي ، وهشام بن حسان^(٢) وغيرهم .
وأما بغداد فلم تشتهر إلا منذ عهد المنصور العباسي .

٥ - الشام :

نزل الشام من الصحابة عدد كبير كانوا في جيش الفتح الإسلامي ، وقد
استوطن أكثرهم المدن الكبرى بادية الأمر ، ثم مالبت سكان القرى
أن تمسكوا ببعضهم عندما شعروا بالفائدة العلمية الكبرى التي حملها إليهم
المسلمون ، ومن الصعب حصر عدد الصحابة الذين حلوا في بلاد الشام ، ولكن
الوليد بن مسلم يقرب هذا لنا فيقول : « دخلت الشام عشرة آلاف عين رأيت
رسول الله صلى الله عليه وسلم^(٣) » ، وكان يزيد بن أبي سفيان قد كتب إلى
عمر بن الخطاب ليعينه بالعلماء ، ليفقهوا أهل الشام^(٤) فأرسل إليه معاذ بن جبل ،
وعباد بن الصامت ، وأبا الدرداء — الذين توزعوا في بلاد الشام ، فأقام عبادة

(١) انظر معرفة علوم الحديث ص ١٩٢ .

(٢) انظر معرفة علوم الحديث ص ٢٤٨ .

(٣) التاريخ الكبير ص ١٦٩ ج ١ .

(٤) انظر غرقة دمشق ص ١٣١ .

في حمص ، وأبو الدرداء في دمشق ، ومعاذ في فلسطين ، ثم أرسل عمر بعد هؤلاء
عبد الرحمن بن غنم^(١) .

ونشطت الحركة العلمية في بلاد الشام وخاصة في دمشق أيام الأمويين ،
وما زال بها فقهاء ومحدثون ومقرئون^(٢) ، وانتشر فيها العلماء حتى أضحت قرية
داريا حاضرة العلم والأدب في غوطة دمشق ، ويقول السمعاني : إنه كان في
داريا جماعة كثيرة من العلماء المحدثين قديما وحديثا ، ومن نبغ فيها من الصحابة
عبد الرحمن بن يزيد الأزدي الداراني ، ويمد في الطبقة الثانية من فقهاء الشام^(٣) .

وقد نزل بلاد الشام غير الصحابة المذكورين أبو عبيدة بن الجراح ، وبلال
ابن رباح ، وشر حبيل بن حسنة ، وخالد بن الوليد ، وعياض بن غنم ، والفضل
ابن العباس بن عبد المطلب — وهو مدفون بالأردن — ، وعوف بن مالك
الأشجعي ، والعباس بن سارية^(٤) وغيرهم .

وتخرج على أيدي الصحابة في هذه المدرسة كبار علماء الشام من التابعين ،
منهم سالم بن عبد الله الحارثي قاضي دمشق ، وأبو إدريس الخولاني (عائذ بن
عبد الله) الذي تولى القضاء بدمشق لماوية وابنه يزيد ، ومنهم أبو سليمان
الداراني ، قاضي دمشق لعمر بن عبد العزيز ، وليزيد وهشام ابني عبد الملك ،
قضى لهم ثلاثين سنة ، ومنهم عمير بن هاني العنسي الداراني المحدث^(٥) .

(١) انظر تاريخ الإسلام ص ١٨٨ — ١٨٩ .

(٢) انظر الإعلان بالتاريخ لمن ذم التاريخ ص ١٣٨ .

(٣) انظر غوطة دمشق ص ١٣٤ .

(٤) انظر معرفة علوم الحديث ص ١٩٣ .

(٥) انظر غوطة دمشق ص ١٣٤ — ١٣٥ وانظر تاريخ داريا للقاضي عبد الجبار

الخولاني ص ٢٩ — ٧٢ .

وتخرج في هذه المدرسة عبد الرحمن بن عمرو الأوزاعي ، الذي يقرن بمالك
وأبي حنيفة ويلقب بإمام أهل الشام ، ومكحول الدمشقي ، وعمر بن عبد العزيز ،
ورجاء بن حيوة^(١) ، وبجير بن سعد الكلاعي ، وثور بن يزيد الكلاعي ،
وعبد الرحمن بن يزيد بن جابر^(٢) وغيرهم .

٦ - مصر :

دخل المسلمون مصر في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، بإمرة عمرو بن
العاص رضي الله عنه ، وكان معه من الصحابة عدد كبير منهم الزبير بن العوام ،
وعبادة بن الصامت ، وسلمة بن مخلد ، والمقداد بن الأسود ، كانوا على رأس
المدد الذي أرسله عمر بن الخطاب إلى عمرو بن العاص^(٣) ، كما كان معه عبد الله
ابن عمرو : أحد الصحابة المكثرين عن رسول الله عليه الصلاة والسلام ، والذي
كان يدون الحديث بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقد مكث بمصر
إلى ما بعد وفاة والده ، وحته روى كثير من محدثيها .

ونزل مصر من الصحابة عقبة بن عامر الجهني ، وخارجة بن حذافة وعبد الله
ابن سعد بن أبي سرح ، ومحمية بن جزء ، وعبد الله بن الحارث بن جزء ،
وأبو بصرة الغفاري ، وأبو سعد الخير ، ومعاذ بن أنس الجهني ، ومعاوية بن حُذيم ،
وزياد بن الحارث الصدائي وغيرهم^(٤) .

وتخرج على أيدي هؤلاء في هذه المدرسة ، يزيد بن أبي حبيب محدث

(١) انظر فجر الإسلام ص ١٨٩ .

(٢) انظر معرفة علوم الحديث ص ٢٤٢ .

(٣) انظر تاريخ الإسلام السياسي ص ٢٣٦ - ١ .

(٤) انظر معرفة علوم الحديث ص ١٩٣ وانظر فتوح مصر لابن عبد الحكم ص ٢٤٨ -

٣١٩ ، وانظر حسن المحاضرة ص ٧٢ وما بعدها ج ١ .

الديار المصرية ، وعمر بن الحارث ، وخير بن نعيم الحضرمي ، وعبد الله بن سليمان الطويل ، وعبد الرحمن بن شريح النافقي ، وحيوة بن شريح التجيبي ، وغيرهم ، وقد كان ليزيد بن أبي حبيب أثر بعيد في نشر الحديث في مصر ، فقد تتلمذ عليه الليث بن سعد ، وعبد الله بن لهيعة^(١) اللذان تتلمذ عليهما خلق كثير ، وكانا في عصرهما عُدَي الديار المصرية .

٧ - المغرب والأندلس :

كان عمرو بن العاص قد وصل إلى يرة وطرابلس سنة (٢١هـ) في عهد عمر بن الخطاب ، فاستأذن عمرو الخليفة بفتح إفريقية فلم يأذن له ، فاستجاب لأمر أمير المؤمنين وعاد إلى مصر ، فكان عمرو وأصحابه أول المسلمين الذين دخلوا أطراف المغرب ، وعندما تولى عثمان رضى الله عنه الخلافة أذن لأمر مصر عبد الله بن سعد بن أبي سرح بغزو إفريقية ، وكان ذلك سنة (٢٥هـ) ثم أمدّه بجيش من المدينة فيه جماعة من الصحابة ، منهم عبد الله بن عباس وعبد الله بن عمرو بن العاص ، وعبد الله بن جعفر ، والحسن والحسين ، وعبد الله بن الزبير ، ولقيهم عقبة بن نافع بيرة ، فتابعوا فتح البلاد^(٢) ، ثم خرج لفتح المغرب معاوية بن حُديج سنة (٣٤هـ) وكان في غزاته هذه جماعة من المهاجرين والأنصار^(٣) ، وقال سليمان بن يسار : (غزونا إفريقية مع بن حُديج ومعنا من المهاجرين والأنصار بشر كثير^(٤)) . ثم ولى عقبة بن نافع المغرب ، وكان في جيشه كثير من الصحابة والتابعين وهو الذي فتح المغرب الأقصى ووطد أركان الإسلام في شمال إفريقية^(٥) .

(١) انظر معرفة علوم الحديث ص ٢٤١ .

(٢) انظر الاستبصار لأخبار دول المغرب الأقصى ص ٦٧ - ٧٠ ج ١ .

(٣) و (٤) فتوح مصر وأخبارها لابن عبد الحكم ص ١٩٣ .

(٥) انظر فتوح مصر وأخبارها ص ١٩٣ وما بعدها . والاستبصار ص ٦٩ - ٧٠ ج ١ .

وقد نزل أفريقية من الصحابة غير الذين ذكرناهم مـعـود بن الأسود البـلـوى
أحد الصحابة الذين تابعوا الرسول صلى الله عليه وسلم تحت الشجرة ، والمِسْوَرُ
ابنُ خُزَيمَةَ ، والمقداد بن الأسود الكندي أحد الصحابة السابقين^(١) ، وبلال
ابن حارث بن عاصم المزني صاحب لواء مزيـنة يوم الفتح ، وجبلـة بن عمرو
ابن ثعلبة أخو أنى مـعـود البـدرى ، كان فاضلا من فقهاء الصحابة ، وسـلـمة
ابن الأكوـع الصحابي المشهور وغيرهم كثير^(٢) .

ودخل أفريقية من التابعين خلق كثير منهم السائب بن عاصم بن هشام ،
ومعبد أخو عبد الله بن عباس . وعبد الرحمن بن الأسود ، وعاصم بن عمر بن
الخطاب ، وعبد الملك بن مروان ، وعبد الرحمن بن زيد بن الخطاب ، وسليمان بن
يسار فقيه المدينة ، وعكرمة مولى ابن عباس^(٣) ، وأبو منصور والديـزـيد بن منصور
من كبار التابعين ، كما أرسل عمر بن عبد العزيز عشرة من التابعين يفقهون أهل
أفريقية منهم : حبان بن أبي جبلة ، وإسماعيل بن عبيد الله الأعور ، وإسماعيل بن
عبيد^(٤) ، وعبد الرحمن بن رافع التنوخي الذي ولي قضاء أفريقية ، وسعيد بن
معوـد النـجـيـي وغيرهم^(٥) ممن ساهموا في نشر الإسلام وتعليم أبناء
البلاد وتفتيحهم .

(١) انظر الاستقفا ص ٢٥ — ٨٠ ج ١ .

(٢) انظر فتوح مصر وأخبارها ص ٢٤٨ — ٣١٩ . وطبقات علماء أفريقية ص
١٦ — ١٧ .

(٣) لم يدخل عكرمة غازيا ، وكان له مجلس في مؤخر مسجد الجامع في غربي المنارة ،
الموضع الذي يسمى بالركيبة . انظر طبقات علماء أفريقية ص ١٩ .

(٤) هو صاحب سوق مسجد إسماعيل والأحباس ، وهو الذي يقال له تابع الله انظر طبقات
علماء أفريقية ص ٢٠ .

(٥) انظر طبقات علماء أفريقية ص ١٩ — ٢١ .

وقد تخرج على أيدي هؤلاء من أهل أفريقية خلق كثير منهم : زياد بن أنعم المعافري ، وعبد الرحمن بن زياد ، ويزيد بن أبي منصور ، والمغيرة بن أبي بردة ، ورقاعة بن رافع ، وعمرو بن راشد بن مسلم السكناني ، وعمران بن عبد المعافري ، والمغيرة بن سلمة ، ومسلم بن يسار الأفريقي ، وغيرهم ممن حل لواء العلم^(١).

وما لبثت مدينة القيروان أن أضحت محط أنظار أهل المغرب فكان فيها سحنون بن سعيد ، وسعيد بن محمد الحداد^(٢) . كالمعت قرطبة واشبيلية وغرناطة وبلنسية ، من بلدان الأندلس في مطلع القرن الثالث الهجري يبيحي بن يبيحي ، وابن حبيب ، وبيحي بن مخلد وغيرهم^(٣) .

٨ - اليمين :

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد وجه معاذ بن جبل وأبا موسى الأشعري إلى اليمين ، كما نزل غيرهما من الصحابة فيها ، وتخرج في اليمين علماء من الملح التابعين . منهم هام ووهب بنو منبه ، وطاوس وابنه ، ثم معمر بن راشد ، ثم عبد الرزاق بن هام وأصحابه^(٤) .

٩ - خراسان :

نزل خراسان من الصحابة وتوفي بها يزيد بن حصيب الأسلي ، وهو مدفون بمرور ، وأبو برزة الأسلي ، والحكم بن عمرو الفغاري ، وعبد الله بن

(١) انظر طبقات علماء أفريقية ص ٢١ - ٢٤ .

(٢) انظر إعلام الموقعين ص ٢٧ ج ١ .

(٣) انظر الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ ص ١٤٠ ، وانظر إعلام الموقعين ص ٢٧ ج ١ .

(٤) انظر الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ ص ١٣٩ - ١٤٠ .

خازم الأسلى المدفون بنيسابور ، وقثم بن العباس المدفون بسمرقند^(١) ، وفى
هذه البلاد ظهر كبار المحدثين .

فى (بخارى) كان عيسى بن موسى غنجار ، وأحد بن حفص الفقيه ،
ومحمد بن سلام البيهكندى ، وعبد الله بن محمد السندى ، ثم أبو عبد الله محمد
ابن اسماعيل البخارى .

وفى (سمرقند) أبو عبد الله بن عبد الله بن عبد الرحمن الدارمى ، ثم محمد
ابن نصر المروزى .

كما ظهر فى الشاس فيما بعد الحسن بن الحاجب والمهيم بن كليب .

وفى (فرياب) تخرج جماعة من العلماء أقدمهم محمد بن يوسف الفريابى
صاحب الثورى ، ثم القاضى جعفر بن محمد الفريابى صاحب التصانيف المتوفى
سنة (٢٢٦ هـ)^(٢) .

من كل ما تقدم يتبين لنا أن المسلمين عند ما ساروا إلى البلاد المجاورة ، لم
يسيروا وراء دنيا يصيبونها ، ولا خلف تجارة يربحون منها ، وإنما انطلقوا ليحرروا
الأمم من الظلم والظلميان ، وينشروا بين أبناء البلاد الجديدة تعاليم الإسلام ،
ويأخذوا بأيديهم إلى جادة الصواب ، ويفتحوا عيونهم على نور الهداية والحق .
وبهذا ، تتميز الفتوحات الإسلامية عن جميع الفتوحات التى عرفها التاريخ ،
إلى جانب ميزات كثيرة يضيق المقام بذكرها ، ومن أجل تحقيق تلك الغاية
المذكورة ، استقر علماء الصحابة فى الأفطار المختلفة ، وأمد الخلفاء الأمصار

(١) انظر معرفة علوم الحديث ص ١٩٤ .

(٢) انظر الامعان بالتويع لمن ذم التاريخ ص ١٤٣ .

بالعلماء ليسرعوا في حركة التحرير والهداية والتعليم ، وقد التف المسلمون الجدد حول من عندهم من الصحابة .

وكان الصحابة يتفاوتون في العلم ، ولم يكن عند كل واحد منهم جميع ما قاله الرسول صلى الله عليه وسلم وشرعه ، ولهذا بدأت الرحلات العلمية في سبيل جمع الحديث وتلقيه ، وقد ظهرت هذه أيضاً بين الصحابة ، وكثرت الرحلات من التابعين وأتباعهم ليسمعوا ما فاتهم ، أو ليتأكدوا مما سمعوا ، ولهذا نرى كثيراً من التابعين يقصدون الصحابة في أقاصى البلاد يسافرون الليالى والأيام في طلب حديث أو حديثين كما سيظهر لنا بعد قليل . وقد رأينا بروز بعض الصحابة ولعائهم في الأقطار المختلفة ، فانتطع تلامذتهم بطائهم وساروا على نهجهم ، ثم حلوا محلهم وحلوا لواء العلم ونشروه .



الرحلة في طلب الحديث

كانت الرحلة في طلب الحديث قائمة في عهده صلى الله عليه وسلم ، فكان بعض من يسمع بالرسالة الجديدة ، يسافر إلى الرسول عليه الصلاة والسلام يسمع القرآن الكريم ، ويتفهم تعاليم الإسلام ، ثم ينصرف إلى قومه بعد أن يعلن إسلامه كما فعل ضمام بن ثعلبة .

فأرحمة في عهد الرسول كانت عامة من أجل معرفة تعاليم الدين الجديد .

وأما في عهد الصحابة والتابعين وأتباعهم فقد تمت رحلات كثيرة من العلماء في طلب الحديث خاصة ، وكثيرا ما كانوا يقطعون المسافات الطويلة لسماع حديث أو التأكد من حديث وضبطه ، أو للالتقاء بصحابي وملازمته ، للأخذ عنه ، لأن الصحابة في عهد التابعين توزعوا في البلدان وقلوا في صدورهم الحديث النبوي ، فكان لا بد لمن أراد أن يجمع حديث محمد صلى الله عليه وسلم من أن ينتقل من بلد إلى آخر ، وراء الصحابة الذين سمعوا منه ورأوه وأخذوا الأحكام عنه ، ثم رحل أتباع التابعين إلى التابعين ، ولازموم وأخذوا عنهم ، حتى تم جمع الحديث في مصاحمه الكبرى ، ومع هذا لم تنقطع رحلة العلماء في سبيل المذاكرة والعرض على الشيوخ المشهورين .

ومما يروى في رحلة الصحابة ما حدث به عطاء بن أبي رباح قال : (خرج أبو أيوب الأنصاري إلى عقبة بن عامر ، يسأله عن حديث سمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولم يبق أحد سمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، غيره وغير عقبة ، فلما قدم إلى منزل مسلمة بن مخلد الأنصاري - وهو أمير مصر -

فأخبره فعجل عليه ، فخرج إليه فعاثقه ، ثم قال له : ما جاء بك يا أبا أيوب ؟ فقال : حديث سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لم يبق أحد سمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم غيرى وغير عقبة ، فأبعث من يدلنى على منزله ، قال : فبعث معه من يدلّه على منزل عقبة ، فأخبر عقبة ، فعجل فخرج إليه فعاثقه ، فقال : ما جاء بك يا أبا أيوب ؟ فقال : حديث سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يبق أحد سمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم غيرى وغيرك فى ستر المؤمن ، قال عقبة : نعم سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « مَنْ سَتَرَهُ مُؤْمِنًا فِي الدُّنْيَا عَلَى خِزْيَةٍ ^(١) سَتَرَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » . فقال له أبو أيوب : صدقت . ثم انصرف أبو أيوب إلى راحلته ، فركبها راجعاً إلى المدينة ، فما أدركته جائزة مسلمة بن مخلد إلا بعريش مصر ^(٢) .

لقد خشى أبو أيوب أن يكون نسي شيئاً من حديث « ستر المؤمن » ، فأحب أن يتأكد من ذلك ، ويتثبت من صحة ما يحفظه عن الرسول الكريم ، فرحل من الحجاز إلى مصر ، يقطع الفيافي والتقفار فى سبيل ذلك ١١ .

وعن ابن عقيل أن جابر بن عبد الله حدثه : أنه بلغه حديث عن رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قال : (فابتعت بعيراً ، فشددت إليه رحلي شهراً حتى قدمت الشام ، فإذا عبد الله بن أنيس ، فبعثت إليه أن جابراً بالباب ، فرجع الرسول فقال : جابر بن عبد الله ؟ فقلت : نعم فخرج فاعتنقني . قلت : حديث بلغنى لم أسمعه ، خشيت أن أموت أو تموت ، قال : سمعت النبي

(١) الخزية هو الشيء الذى يبيعها منه . وانظر لسان العرب ص ٢٤٧ ج ١٨ .

(٢) معرفة علوم الحديث ص ٨ وجامع بيان العلم وفضله ص ٩٣ - ٩٤ ج ١ وذكره زهير ابن حرب فى كتابه « العلم » عن رجل ولم يذكر أبا أيوب الا نصارى انظر ص ٥٨٧ : بذكر الخليل مثله فى الجامع لأخلاق الراوى ص ١٦٨ : ب - ١٦٩ : آ

صلى الله عليه وسلم يقول : « يحشر الله العباد - أو الناس - عرأةً غرلاً ^(١) بهما » قلنا : ما بهما ؟ قال : ليس معهم شيء ، فيناديهم بصوتٍ يسمعه من بُعد - أحسبه قال : - كما يسمعه من قُرب : أنا الملك ، لا ينبغي لأحدٍ من أهل الجنة يدخل الجنة وأحدٌ من أهل النار يطالبه بمظلمة ، ولا ينبغي لأحدٍ من أهل النار يدخل النار ، وأحدٌ من أهل الجنة يطالبه بمظلمة ، قلت : وكيف ؟ وإنما نأتى الله عرأةً بهما ؟ قال : « بالحسنات والسيئات » ^(٢) .

وتنشط الرحلات في طلب الحديث بين التابعين وأتباعهم ، حتى لقد كان أحدهم يخرج وما يخرج إلا حديث عند صحابي يريد أن يسمعه منه لأنه سمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وفي هذا يروى عن أبي العالية قوله : « كنا نسمع الرواية عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بالبصرة ، فلم نرض حتى ركبنا إلى المدينة فسمعناها من أفواههم » ^(٣) .

وخرج الثمبي في ثلاثة أحاديث ذكرت له ، فقال لعل : التي رجلا لتي رسول الله صلى الله عليه وسلم ^(٤) ، وروى الزهري عن سعيد بن المسيب قال : إن كنت لأسير ثلاثاً في الحديث الواحد ^(٥) . وأقام أبو قلابة بالمدينة وليس له بها حاجة إلا رجل عنده حديث واحد يسمعه منه ^(٦) . ويزيرون أن « مسروقاً »

(١) غرلاً جمع (أغرل) وهو القى لم يحتمل .

(٢) الأدب المفرد ص ٢٣٧ وجامع بيان العلم وفضله ص ٩٣ ج ١ والجامع لأخلاق الراوى

وآداب السامع ص ١٦٨ : ب

(٣) الجامع لأخلاق الراوى وآداب السامع ص ١٦٨ : ب والكتابة ص ٤٠٢

(٤) انظر المحدث الفاضل ص ٢٩ : آ

(٥) انظر المحدث الفاضل ص ٢٨ : ب والجامع لأخلاق الراوى وآداب السامع ص ١٦٩

ب : ب وتذكرة الحفاظ ص ٥٢ ج ١ وجامع بيان العلم وفضله ص ٩٤ ج ١ .

(٦) انظر المحدث الفاضل ص ٢٨ : ب

رحل في حرف^(١) ، ويظهر أن « مسروقاً »^(٢) كان كثير الترحال ، ولذلك قال عامر الشعبي : ما علمت أن أحداً من الناس كان أطلب لعلم في أفق من الآفاق من مسروق^(٣) . ويروى عن الشعبي أنه حدث بحديث ثم قال لمن حدثه : (أعطيتك بغير شيء ، وإن كان الراكب ليركب إلى المدينة فيما دونه^(٤)) .

وكان الصحابة الكرام يشجعون على طلب العلم ، وعلى الرحلة من أجله ، من هذا ما روى عن عبد الله بن مسعود أنه قال : « لو أعلم أحداً أعلم بكتاب الله تعالى نني تبليغه الإبل لأنيته^(٥) » وكانوا يرحبون بطلاب العلم كما سبق أن ذكرنا ، وكل هذا حبيب إلى التابعين الرحلة ، حتى إن عامراً الشعبي قال : « لو أن رجلاً سافر من أقصى الشام إلى أقصى اليمن ، ليسمع كلمة حكمة ما رأيت أن سفره ضاع^(٦) » ، وفلا كانوا يرحلون إلى الصحابة ولا يرون أن سفرهم قد ضاع .

عن كثير بن قيس قال : كنت جالسا عند أبي الدرداء في مسجد دمشق ، فأتاه رجل ، فقال : يا أبا الدرداء ! أتيتك من المدينة ، مدينة رسول الله

(١) جامع بيان العلم وفضله ص ٩٤ ج ١

(٢) ومسروق هو ابن الأجدع الهمداني أبو عائشة تميمي ثقة يعني الأصل ، رحل إلى المدينة أيام أبي بكر ثم سكن الكوفة وشهد حروب علي وكان يفتي توفي سنة (٦٢) هـ . انظر : تهذيب التهذيب ص ١٠٩ ج ١٠ .

(٣) جامع بيان العلم وفضله ص ٩٤ ج ١ والمحفت الفاضل ص ٢٩ : آ

(٤) جامع بيان العلم وفضله ص ٩٤ ج ١ ، ومعرفة علوم الحديث : ٧ وقد أخرج الشيخان نحوه انظر صحيح البخاري بحاشية السدي ص ١٧١ ج ٢ وانظر الأدب المفرد ص ٨١ ، وصحيح مسلم ص ١٣٥ ج ١ ، كما أخرجه الترمذي والنسائي وابن ماجه .

(٥) السكافية ص ٤٠٢ .

(٦) جامع بيان العلم وفضله ص ٩٥ ج ١ ، والرحلة الحجازية والرياض الأنسية ص ١٤

صلى الله عليه وسلم لحديث بلغني أنك تحدث به عن النبي صلى الله عليه وسلم . قال : فما جاء بك تجارة ؟ قال : لا . قال : ولا جاء بك غيره ؟ قال : لا . قال : فأني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ ، وَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ لَتَضَعُ أجنحتها رِضا لطالب العلم ، وَإِنْ طَالَبَ الْعِلْمَ يَسْتَغْفِرُ لَهُ مِنْ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ، حَتَّى الْخِيتَانِ فِي الْمَاءِ ، وَإِنْ فَضَلَ الْعَالَمَ عَلَى الْعَابِدِ كَفَضَلَ الْقَمَرَ عَلَى سَائِرِ السُّكُوكِ . إِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ إِنْ الْأَنْبِيَاءُ لَمْ يورثُوا دِينًا وَلَا دَرَاهِمًا ، إِنَّمَا وَرَثُوا الْعِلْمَ مِنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحِطَّةٍ وَافِرٌ ^(١) . »

وعن زُرَّ بن حبیش ^(٢) ، قال : أتيت صفوان بن عسال المرادي ، فقال : ما جاء بك ؟ قلت : أنبط العلم . قال : فأني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « ما من خارج خرج من بيته في طلب العلم إلا وضعت له الملائكة أجنحتها ، رِضا بما يصنع ^(٣) . »

وأخبار العلماء ورحلاتهم كثيرة يضيق المقام بذكرها ، ويكتفينا أن نذكر شيئاً منها ، فقد رحل ابن شهاب إلى الشام ليلقي عطاء بن يزيد و ابن محبريز و ابن حيوة ؛ ورحل يحيى بن أبي كثير إلى المدينة للقاء من بها من أولاد الصحابة ، ورحل محمد بن سيرين إلى السكوفة فلقى بها عبيدة وعلقمة وعيد الرحمن

(١) سنن البيهقي ص ٨١ ج ١ ، والجرح والتعديل ص ١٢ ج ١ . وقد رواه ابن ماجه في سننه ص ٨١ ج ١ .

(٢) زر بن زبى مسكورة فراء مشددة بوزن هر

(٣) سنن ابن ماجه ص ٨٢ حديث ٢٢٦ ج ١ . طيبة عيسى الباني الحلبي وأظفر بجمع الزائد ص ١٣١ ج ١ ، والجرح والتعديل ص ١٣ ج ١ . وأنبط العلم أى أطله وأسخرجه من عند أمه .

ابن أبي ليلى ، ورحل الأوزاعي إلى يحيى بن أبي كثير باليمامة ودخل البصرة ،
ورحل سفيان الثوري إلى الين ثم دخل البصرة ، ورحل عيسى بن يونس
إلى الأوزاعي بالشام ورحل شعيب بن أبي حمزة إلى الزهري وهو يومئذ
بالشام . وأما رحلة العلماء من بلد إلى بلد في الإقليم الواحد ، فكثيرة كثيرة
تفوق الحصر ^(١) .

وكان لرحلات العلماء في طلب الحديث أثر بعيد في انتشار السنة ،
فما لا شك فيه أن الراوى يرى من يروى عنه ، ويقف على سيرته ، ويسأل
أهل بلده عنه ، وكثيراً ما كانوا يتشددون في السؤال عن الراوى ، حتى يقال
لهم أريدون أن تزوجوه ؟

كذلك كان لرحلات قائمة عظيمة في معرفة طرق كثيرة للحديث
الواحد فقد يسمع الراوى من علماء مصر القى رحل إليه زيادات لم يسمها
من علماء مصره وكثيراً ما يجد عندهم ما لم يجده عند شيوخه ، وقد تقع
مناظرات بين علماء الأمصار ، تعارض فيها طرق الحديث الواحد ؛
فيحصل فيها القوى ويعرف الضعيف ، ويزداد طلاب العلم معرفة
لأسباب ورود الأحاديث ، حين يلقون من سمع من رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
أو أقناه أو قضى له .

ويكفى الرحلة قائمة أن تساعد على نشر الحديث وجهه ، وتمحيصه
والثبوت فيه ، فكان لرحلات الصحابة والتابعين وأتباعهم أثر جليل
في المحافظة على السنة وجهها وتدلنا تراجم الرواة على الصعاب التي كانوا

(١) انظر الحديث القائل ص ٣١ : ب و ٣٢ : ب و طبع جامع بيان العلم ص ٩٤

يستعذبونها في سبيل حفظ السنة، وسماع أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم من منابعها الصحيحة ، ويكفيها أن تقرأ في ترجمة أحدهم ، هو فلان البني ، ثم المسكي ، ثم المسدي ، ثم الشامي ، ثم الكوفي ، ثم البصري ، ثم المصري ، لتعرف مقدار ما قاسى في قطع الفياق والبعد عن الأهل والأوطان ، وما تحملته من مشاق حتى أصبح من رجال الحديث في عصره . فلم يصلنا الحديث النبوي في مصنفاته وكتبه ، مرتباً بأسانيد ، وعلى أبواب جامعة كل منها في موضوع خاص ، إلا بعد أن خدمه الصحابة ، والتابعون وأتباعهم ، والعلما من بعدهم ووقفوا عليه حياتهم ، فجزام الله عنا خير الجزاء ، وأسكنهم فسيح جناته .

لا نشك في أن الحديث النبوي قد انتشر جنباً إلى جنب مع القرآن الكريم ، ووصل إلى الأقاليم الإسلامية الجديدة ، ولا نشك في أن العلم لم يبق مقصوراً على مكة والمدينة ، بل تعددت مراكزه ومجاسنه ، وشهدت الأمصار البعيدة ما شهدته حواضر العالم الإسلامي ، من نشاط على أي يدي الصحابة رضوان الله عليهم ، ويمكننا أن نتصور مدارس متنقلة في مختلف الأمصار ، روادها الصحابة وكبار التابعين ، إذ كان يكفي لأهل خراسان مثلاً أن يحل بينهم محابي حتى يسرعوا إليه ، ويلتفتوا حوله ويسألوه ويستقرئوه القرآن ويسمعوا منه حديث الرسول صلى الله عليه وسلم .

هذا جانب عظيم يصور لنا انتشار السنة في أهد حدود الدولة الإسلامية ولكن لا بد لنا من أن نقول الحق وإن كان مرأ ، فإن بعض من دخل الإسلام - إثر الفتح - إنما دخله نفاقاً ، أو اعتنقه على

أقراض عقائد فاسدة بقيت روايتها في نفسه ، فجعلته ينتمز أية فرصة
للطعن في الدين الجديد ، الذي قوض أمجاد آيائه ، وأطاح بمصالحه
الشخصية ، ومنهم من كان متعصبا لقومه وبلده . وهناك بعض الخلافات
السياسية التي حدثت عقب الفتنة وظهور الفرق والأحزاب ، كل هذا كان عاملا
في ظهور الوضع في الحديث الشريف إلى جانب انتشاره في الآفاق . وهذا
ما سندرسه في الباب التالي ونفصل أسبابه ونبين جهود الصحابة والتابعين
وأتباعهم ، والعلماء من بعدهم ، في سبيل المحافظة على السنة ، وصيانتها من عبث
أعداء الدين .

الباب الثالث

الوضع في الحديث...

الفصل الأول : ابتداء الوضع وأسبابه .

الفصل الثاني : جهود الصحابة والتابعين ومن تبعهم في مقاومة الوضع وحفظ الحديث .

الفصل الثالث : آراء بعض المستشرقين وأشياءهم في السنة ونقدها .

الفصل الرابع : أشهر ما ألف في الرجال والموضوعات وهو ثمار جهود العلماء في المحافظة على الحديث .

الفصل الأول

ابتداء الوضع وأسبابه ..

أولاً - ابتداء الوضع :

بقى الحديث النبوى صافيا لا يمتريه الكذب ، ولا يتناوله التحريف والتلفيق طوال اجتماع كلمة الأمة على الخلفاء الأربعة الراشدين ، قبل أن تنقسم إلى شيع وأحزاب ، وقبل أن يندس في صفوفها أهل المصالح والأهواء ، وكانت البادرة الأولى التي ترتبت عليها الاضطرابات الكثيرة في القرن الهجرى الأول هي فتنة عثمان رضى الله عنه واستشهاده ، فقد هزت العالم الإسلامى هزة عظيمة ، وأورثت الأمة عواقب وخيمة ، امتدت آثارها إلى يومنا ، ثم اجتمعت - بعد الفتنة - كلمة المسلمين على أمير المؤمنين على رضى الله عنه ، إلا أن الأحداث كانت أقوى من أن تفسح للهدوء والسلام سبيلا إلى الدولة آنذاك ، فحصل انقسام كبير في صفوف الأمة ، تجسم في معسكر أمير المؤمنين على الذى انطوى تحت جناحه أهل الحجاز والعراق ، ومعسكر أمير الشام معاوية الذى انضم إليه أكثر أهلها وأهل مصر .

وقد جر هذا الانقسام على الأمة الحروب الطاحنة ، وما لبث أن انتهى بالحكيم الذى كان سببا لظهور فرق سياسية مختلفة^(١) ، فالجمهور يؤيدون عليا

(١) انظر تاريخ الإسلام للدكتور حسن إبراهيم ص ٢٦٨ - ١ ، والتبصير في الدين ص ٦ ، وغير الإسلام ص ٢٥٦ .

رضى الله عنه ، لأنه الخليفة الذي بايعته الأمة بعد مقتل عثمان رضى الله عنه ،
وحزب معاوية قام مطالبا بدم عثمان ، وانتهى به الأمر إلى طلب الخلافة ،
وممارسة الحكم فعلا بعد التحكيم ، والخوارج قوم من شعبة أمير المؤمنين على
انشقوا عنه لأنه قبل التحكيم ونادوا (لا حكم إلا لله) ، وقسموا على معاوية
لأنه يريد أن يقول أمر المؤمنين ، وهذا لا يكون إلا بالشورى بينهم ، وكان
هؤلاء أشداء أقوياء ، جلهم من العرب الجفاة القساة ، وكان لأمير المؤمنين على
رضى الله عنه معهم مواقع كثيرة وحروب دامية مدة خلافته ، كما كان لهم أثر
بميد في إقلاق مضاجع خلفاء بني أمية طيلة الحكم الأموى .

وبعد استشهاد على رضى الله عنه قام بعض شيعة يطالبون بمحهم
في الخلافة .

وهكذا نشأت الأحزاب والفرق التي اتخذت شكلا دينيا كان له أبلغ الأثر
في قيام المذاهب الدينية في الإسلام^(١) . وقد حاول كل حزب أن يدعم ما يمدى
بالقرآن والسنة ، ومن البدهى ألا يجد كل حزب ما يؤيد دعواه في نصوص
القرآن الكريم والسنة الشريفة ، فتأول بعضهم القرآن ، وفسروا بعض نصوص
الحديث بما لا تحتمله ، إلا أن هذا لم يحقق ما يرمون إليه ، ولم يجد بعضهم
إلى تحريف القرآن أو تأويله سيلا ، لكثرة حفاظه ، فتناولوا السنة بالتحريف
وزادوا عليها ، ووضعوا على رسول الله ما لم يقل^(٢) ، ونشطت حركة الوضع مع
الزمن ، حتى اختلط الحديث الصحيح بالموضوع ، وظهرت أحاديث موضوعة
في فضائل الخلفاء الأربعة وغيرهم من رؤساء الفرق وزعماء الأحزاب ، ثم ظهرت

(١) انظر السنة ومكانتها في التشريع الإسلامى ص ٨٩

(٢) انظر الآل. المصنوعة ص ٢٤٨ ج ٢

أحاديث صريحة في دعم المذاهب السياسية والفرق الدينية ، وكانت الأحاديث الموضوعية تولد مع ظهور الفرق ، فينبغي من يضع أحاديث تنقص تلك الفرق ، كما يقف الواضعون من الخصوم للدفاع عنها وهكذا ، حتى تكونت مجموعة من الأحاديث الموضوعية التي كشف عنها جهابذة هذا العلم ورجاله ، ولم يقتصر الوضع على فضائل الأشخاص ، ودعم الآراء والأنكار العقائدية والمذاهب السياسية ، بل تعداها إلى مختلف أبواب الحديث ، وكادت الأحاديث الموضوعية تتناول جميع جوانب الحياة الخاصة والعامة ، فوضعت أحاديث في الفضائل والمثالب ، وأحاديث في مناقب البلدان والأيام ، وأخرى في العبادات المختلفة وفي المعاملات والأطعمة والأدب والزهد ، والفكر والدعاء ، وفي الطب والمرض والفتن والمواريث وغيرها .

ويجدر بنا أن نبين أن الوضع لم يصل إلى ذروته في هذا القرن ، لأنه نشأ قبل منتصف القرن الهجري الأول بقليل ، وسرعان ما كان يعرف الحديث الموضوع لسكته الصحابة والتابعين الذين عرفوا الحديث وحفظوه ، ولم يؤخذوا بأراجيف الكذابين ، وأخبار الوضاعين ، هذا إلى أن أسباب الوضع في ذلك القرن لم تكن كثيرة ، وكانت الأحاديث الموضوعية تزداد بازدياد البدع والفتن ، وكان الصحابة وكبار التابعين وعلمائهم في معزل عنها .

وبصور لنا الإمام ابن تيمية ذلك في قوله : « والصحابة رضي الله عنهم كانوا أقل فتناً من سائر من بعدهم ، فإنه كلما تأخر العصر عن النبوة كثر التفرق والخلاف ، ولهذا لم يحدث في خلافة عثمان بدعة ظاهرة ، فلما قتل وتفرق الناس حدثت بدعتان متقابلتان بدعة الخوارج المكفرين لملى ، وبدعة الرافضة المدعين لإمامته وعصمته أو نبوته

أو إلهيته^(١)، ثم لما كان آخر عصر الصحابة في إمارة ابن الزبير وعبد الملك حدثت بدعة المرجئة والقدرية . ثم لما كان في أول عصر التابعين ، في أواخر الخلافة الأموية ، حدثت بدعة الجهمية والمشبهة الممثلة ، ولم يكن على عهد الصحابة شيء من ذلك ، وكذلك فتن السيف ، فإن الناس كانوا في ولاية معاوية رضى الله عنه متفقين يغزون العدو ، فلما مات معاوية قتل الحسين ، وحوصر ابن الزبير بمكة ، ثم جرت فتنة الحرة بالمدينة^(٢) ، ثم لما مات يزيد جرت فتنة بالشام بين مروان والضحاك بمرج راهط ، ثم وثب المختار على ابن زياد فقتله وجرت فتنة ، ثم جاء مصعب بن الزبير فقتل المختار وجرت فتنة ، ثم ذهب عبد الملك إلى مصعب فقتله وجرت فتنة ، وأرسل الحجاج إلى ابن الزبير فحاصره مدة ثم قتله وجرت فتنة ، ثم لما تولى الحجاج العراق خرج عليه محمد ابن الأشعث مع خاق عظيم من العراق وكانت فتنة كبيرة ، فهذا كله بعد موت معاوية ، ثم جرت فتنة ابن المهلب بخراسان ، وقتل زيد بن علي بالكوفة وقتل خلق كثير آخرون ، ثم قام أبو مسلم وغيره بخراسان وجرت حروب وفتن يطول وصفها^(٣) .

وعلى هذا فإننا نستبعد ظهور الوضع قبل الفتنة ، كما نستبعد تطوع أحد من الصحابة بوضع الحديث على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا يعقل أن أن يتصور مسلم الصحابة الأجلاء ، الذين بذلوا نفوسهم وأموالهم في سبيل الله

(١) على اختلاف الرافضة في ذلك بحسب فرقهم وما ذهبت إليه كل فرقة منهم .

(٢) وأمة الحرة مشهورة كانت سنة ثلاث وستين أيام خلافة يزيد بن معاوية ، وسميت بذلك نسبة إلى « حرة واهم » قرب المدينة . انظر هامش صفحة : ٢٩٣ من الثاني من منهاج الاعتدال .

(٣) الثاني من منهاج الاعتدال ص ٣٨٦ - ٣٨٧

ودافعوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهجروا أوطانهم وقاسوا ألوان العذاب ، ومراة العيش استجابة للرسول الكريم عليه الصلاة والسلام ، لا يعقل أن يتصورهم يفترون ويكذبون على رسول الله صلى الله عليه وسلم . وهم الذين نشؤوا في رعايته ، وتخرجوا في جامعته ، ونهلوا من معينه ، وتأسوا بعمله ، فكانوا على جانب عظيم من التقى والورع والخشية ، لذلك ننفي إقدام الصحابة الكرام على الكذب على رسول الله .

وإن ما نقله بعض أهل الأهواء — من أن بعض الصحابة والتابعين كانوا يضعون في على عليه السلام الأخبار القبيحة التي تقتضى الطعن فيه والبراءة منه ، إرضاء لمعاوية الذي (جعل لهم على ذلك جُعلا يرغب في مثله فاختلفوا ما إرضاه . منهم : أبو هريرة ، وعمر بن العاص ، والمغيرة بن شعبة ومن التابعين عروة بن الزبير ^(١)) إن ما نقله هؤلاء وغيرهم لا يرقى إلى الصحة ، وتاريخ الصحابة ينفي هذه الادعاءات ويدحض مثل هذه المزاعم .

وإن الواقع التاريخي في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعد وفاته ينفي كل افتراء على الصحابة في هذا الموضوع ، والصحابة أسمى بكثير من أن يخوضوا في الكذب والوضع ، وهم الذين سمعوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم في مواطن كثيرة قوله : « مَنْ تَعَمَّدَ عَلَى كَذِبٍ فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ » ^(٢) وقوله صلى الله عليه وسلم « إِنْ كَذَبَ عَلَى لَيْسَ ككَذِبٍ عَلَى أَحَدٍ ،

(١) نقله ابن أبي الحديد عن شيخه أبي جعفر الإسكافي ، انظر شرح نهج البلاغة طبعة بيروت ص ٤٦٧ ج ١ وقد ردنا رداً مفصلاً على هذا الادعاء في الفصل الثاني من (أبو هريرة) ، وانظر كتابنا « أبو هريرة رادة الإسلام » .

(٢) أخرجه الشيخان والترمذي والنسائي وابن ماجه والبيهقي وأخرج نحوه الإمام أحمد . انظر تمييز المرفوع عن الموضوع ص ٢ .

مَنْ كَذَبَ عَلَىٰ فَلْيَنْبِئُوا مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ^(١) ، فلا يعقل أن يقدم أحد من الصحابة — بعد أن عرف جزاء الكذب على رسول الله — على وضع واختلاق ما لم يقله صلى الله عليه وسلم ، ولا يعقل أن يجازف أحد منهم بالنور النبوي الذي خالط قلبه وروحه ، فيطفئه بوضع حديث في سبيل دعم فكرة أو للانتصار لحزب أو للتقرب من شخص ، وإن أية محاولة في سبيل إثبات الوضع من قبل الصحابة ستبوء بالفشل ، لكثرة الأدلة الفاطمة على ورعهم وخشيتهم وبعدهم عن المعاصي ، واعتزال أكثرهم الفتن وابتعادهم عن الضلالات والبدع ، بل إن الأدلة على أنهم كانوا حفظة للشريعة يذوبون عن السنة التحريف والتأويل أكثر من أن تحصى ، ولو فرضنا جدلا وقوع الوضع من بعض الصحابة — وهذا بعيد — فإن ذلك سينكشف أمره وينتقل إلينا كما انتقلت أخبار كثير من الحوادث الجليطة والدقيقة^(٢) ويقوى هذا عندنا ، ذلك الوعي الرفيع الذي كان يتميز به الصحابة وكبار التابعين ، إلى جانب رسوخهم في الحديث النبوي الشريف ، الذي يسهل عليهم معرفة الصحيح من الموضوع ، وراء هذا كله جراتهم

(١) أخرجه الشيخان والترمذي عن المنيرة بن شعبة ، انظر تمييز المرفوع عن الموضوع

ص ٢ : ب .

(٢) وقد ذكر لنا المؤرخون والمحدثون حادثة واحدة كذب فيها رجل عن رسول الله فكانت

مصيره الموت : أخرج الطبراني في الأوسط عن عبد الله بن عمرو أن رجلا لبس حلة مثل حلة النبي صلى الله عليه وسلم ثم أتى أهل بيت من المدينة فقال : إنه عليه الصلاة والسلام أمرني أي أهل بيت من المدينة شئت استطلعت ، فأعدوا له بيتا وأرسلوا رسولا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأخبروه ، فقال : لأبي بكر وعمر انطلقا إليه فإن وجدناه ميتا قد كفيتهما ، ولا أراكما إلا قد كفيتهما ، فخرقا ، فأتياه فوجداه قد خرج من الليل يول ظلمة حية فات ، فخرقا بالنار ثم رجعا إليه صلى الله عليه وسلم فأخبراه الخبر ، فقال عليه السلام : « من كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار » . انظر : تمييز المرفوع عن الموضوع ص ٤ : ب . وفي سنده خطأ . بن

الصاب قد اخطأ . انظر مجمع الزوائد ص ١٤٥ ج ١ .

الثالثة في الحق ، وهي جرأة لم ترض لهم أن يسكتوا عن آباؤهم وأعر
الناس إليهم إذا انحرفوا عن سواء السبيل ، ولم يكن يخفيهم آنذاك سلطان
الحاكم ، ولا نفوذ القوى ، بل كثيرا ما كانوا يعترضون على الأحكام
والعلماء وغيرهم ، يبينون وجه الحق ، لا يخافون فيه لومة لائم .
وإن التاريخ الإسلامي يميز بذلك الجيل الذي تمثل الإسلام ، وعمل به فكان
قدوة حسنة للأجيال التالية ، وإن هذا كله ليدفع كل شبهة تخوم حول إيقاع
الصحابة في نار الوضع^(١) .

وكما نفينا عن الصحابة انغماسهم في الوضع ننفي عن كبار التابعين
وعلمائهم ذلك أيضا ونقرر أنه إذا حصل الوضع في النصف الأول من
القرن الهجري الأول ، فإنما صدر عن بعض المستهترين الجاهلين من طبقة
التابعين وأتباع التابعين ، الذين حملتهم الخلافات السياسية والأهواء
الشخصية على انتحال الكذب ، ووضع الأحاديث على رسول الله صلى الله عليه
وسلم . وفي هذا العصر — عصر التابعين — كان الوضع أقل من الوضع
في عصر أتباع التابعين ، لكثرة الصحابة والتابعين الذين مارسوا السنة وبيتوا
السقيم من الصحيح ، ولعدم تفشي التحلل والكذب في الأمة ، لقربها من
عصر الرسول صلى الله عليه وسلم ، إذ لا تزال متأثرة بتوجيهاته ، محافظة على
وصاياه ، تعصبا تقوى والورع والخشية ، كل هذا خفف من انتشار الكذب
والوضع ، إلى جانب أن دواعي الوضع وأسبابه كانت ضيقة محدودة في نشأتها
الأولى ، ثم كثرت وازدادت فيما بعد .

(١) لقد سبق أن بينت أن الصحابة كانوا لا يكذبون في عهد الرسول وبعد وفاته في بحث
(تلقى الصحابة السنة من الرسول الكريم) صفحة : ٥٧ وكيف كانوا يصدق بعضهم بعضا ،
واقطر المحدث الفاضل ص ٣٢ : ب - ٣٣ : آ والمنع لأخلاق الراوى وآداب السامع ص ١٢ : آ
(١٣ - السنة)

ونرى الأحاديث الموضوعة قد ظهرت بكثرة في العراق ، حيث قامت أكثر الفن والحوادث في هذا الإقليم ، كما نشأت بذور الفرق الدينية فيه ، وكادت ثقة المحدثين تفقد بلاء هذا القطر ، لولا قيام نقاد الحديث ورجاله وعلمائه بالكشف عن الكذابين ، وبيان أحوالهم وتبجيهم .

وقد اشتهرت العراق بالوضع حتى سميت « دار الضرب » تضرب فيها الأحاديث كما تضرب الدراهم ، وكان أهل المدينة يتوقون أحاديثهم ، وكان مالك يقول : « نزلوا أحاديث أهل العراق منزلة أحاديث أهل الكتاب : لا تصدقوهم ولا تكذبوهم . » وقال له عبد الرحمن بن مهدي : يا أبا عبد الله ، سمعنا في بلدكم - (المدينة) - أربعائة حديث في أربعين يوما ، ونحن (أي في العراق) في يوم واحد نسمع هذا كله ، فقال له : يا عبد الرحمن ، من أين لنا دار الضرب التي عندهم ؟ دار الضرب تضربون بالليل وتنفقون بالنهار ^(١) . وقال ابن شهاب : « يخرج الحديث من عندنا شهرا فيعود في العراق ذراعا ^(٢) » وقال عبد الله بن عمرو بن العاص لجماعة من أهل العراق جاؤوا يسألونه أن يحدّثهم : « إن من أهل العراق قوماً يَكْذِبُونَ ويَكْذِبُونَ ويسخرون ^(٣) » .

* * *

ثانياً - أسباب الوضع

ذكرت فيما سبق أن أسباب الوضع الرئيسية هي انقسام الأمة إلى أحزاب سياسية ، اتخذت شكلا دينيا ، وحاول كل حزب أن يدعم موقفه ويؤيد آراءه

(١) المتفق من منهاج السنة ص ٨٨ ، ثم قال ابن تيمية بعد هذا : (ومع هذا إنه كان في الكوفة وغيرها من الثقات الأكابر كثير .)

(٢) ضحى الإسلام ص ١٥٢ ج ٢ .

(٣) طبقات ابن سعد ص ١٢ قسم ٢ ج ٤ .

بوضع أحاديث على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم ازدادت الأسباب التي كان لها أثر بعيد في وضع الحديث ، وبجمل هذه الأسباب فيما يلي :

١ - الأمزاج السياسية :

كان أول ما ظهر عقب فتنه أمير المؤمنين عثمان رضي الله عنه شيعة الإمام علي ، وحزب معاوية ، ثم ظهر الخوارج بعد وقعة « صفين » ، وسنقاتل يا بخارج أثر كل حزب في وضع الحديث .

(١) أثر الشيعة ومقصودهم في وضع الحديث :

قال ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة : « إن أصل الأكاذيب في أحاديث الفضائل كان من جهة الشيعة ، فإنهم وضعوا في مبدأ الأمر أحاديث مختلفة في صاحبهم ، حملهم على وضعها عداوة خصومهم . فلما رأت البكرية ما صنعت الشيعة وضعت لصاحبها أحاديث في مقابلة هذه الأحاديث (١) » .

ومما يؤسف له أن بعض أهل الأهواء وأعداء الإسلام اتخذوا التشيع ستاراً لتحقيق أهوائهم ، والوصول إلى مآربهم ، فكان كثير من الفتن يقوم باسمهم ، فنسب أهل البيت نكبات متوالية ، ذهب ضحيتها خيرة أبناء أمير المؤمنين علي رضي الله عنه وأحفاده ، وسجل لهم التاريخ مآسي تنفطر لها القلوب ، وتقشع لها الأبدان ، كل ذلك بسبب استغلال أعداء الدين اسم أهل البيت ، وهؤلاء المستغلون هم الذين وضعوا الأحاديث في سبيل تأييد حركاتهم وشجعوا على وضعها (٢) .

(١) شرح نهج البلاغة ص ٢٦ - ٣ .

(٢) من هذا ما روى عن أبي أنس الحراني قال : قال المختار (الثقي) لرجل من أصحاب الحديث — اضع لي حديثاً عن النبي صلى الله عليه وسلم كأن كان بعده خليفة مطالباً له بعهده ولده ، وهذه عشرة آلاف درهم وخلمة ومرتكوب وخدام فقال له الرجل : أما عن النبي صلى الله عليه وسلم

وإنا لا نتصور قط أن يوافق الحسن أو الحسين أو محمد بن الحنفية أو جعفر الصادق أو زيد بن علي وغيرهم من أهل البيت على الكذب على رسول الله جدم وهم على جانب عظيم من الورع والنقي والصفاء ، وإن أهل البيت لأرفع بكثير من أن يكذبوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لهذا أحببت أن أبين من أول هذا البحث أن أهل البيت براء من هذا كله ، وإنما حمل إثم الوضع باسمهم من لف حولهم من شيعتهم ، وكثر الوضع ، وأسأوا إلى إمامهم على رضى الله عنه أكثر مما أحسنوا إليه بذلك ، قال أبو الفرج بن الجوزي : « فضائل على الصحيحة كثيرة ، غير أن الرافضة لا تفنع ، فوضعت له ما يضع ، لا ما يرفع ^(١) » .

وقد كثر الوضع منهم حتى أساءوا إلى سمعة العراق ، وأصبح أهل المدينة يتوقون حديثهم ، (وصار الأسر يشبهه على من لا يميز بين هذا وهذا ، منزلة الرجل الغريب إذا دخل إلى بلد نصف أهله كذابون خوانون ، فإنه يحترس منهم حتى يعرف الصدوق الثقة ^(٢)) ، وقال أحد أصحاب على رضى الله عنه : « قاتلهم الله ! أى علم أفسدوا ^(٣) » ، وقال عاصم الشعبي : « ما كُذِبَ على أحد في هذه الأمة ما كُذِبَ على على رضى الله عنه ^(٤) » ، ويقول ابن تيمية : « وكُذِبَ الرافضة مما يضرب به المثل ^(٥) » ، وقال ابن المبارك : « الدين لأهل الحديث ، والكلام والحيل لأهل الرأي ، والكذب للرافضة ^(٦) » ، و « سئل

== عليه وسلم فلا ، ولكن اختر من خشت من الصحابة ، وحط لي من الثن ما شئت ، قال : من النبي صلى الله عليه وسلم أو كد ، والمغتاب عليه أهد . انظر الآلية المصنوعة من ٢٤٨ ج ٢ نقله عن ابن الجوزي .

(١) المتن من منهاج الاعتدال ص ٤٨٠

(٢) المرجع السابق ص ٨٨

(٣) صحيح مسلم بشرح النووي ص ٨٣ ج ١

(٤) تذكرة الحفاظ ص ٧٧ ج ١

(٥ و ٦) المتن من منهاج الاعتدال ص ٤٨٠ .

مالك رضى الله عنه عن الرافضة ، فقال : لا تكلمهم ، ولا تروعهم ، فإنهم يكذبون^(١) » ، وقال الشافعى : « لم أر أحدا أشهد بالزور من الرافضة^(٢) » ، وقال يزيد بن هارون : « يكتب عن كل مبتدع — إذا لم يكن داعية — إلا الرافضة ، فإنهم يكذبون^(٣) » ، وقال حماد بن سلمة : « حدثني شيخ لهم تاب — يعنى الرافضة — قال : كنا إذا اجتمعنا ، فاستحسننا شيئا — جعلناه حديثا^(٤) » .

وقد صنع الشيعة أحاديث كثيرة ، وحرفوا بعض الأحاديث حسب أهوائهم وفرقهم التي كانت تزداد يوما بعد يوم ، فوضعوا أحاديث في مناقب على رضى الله عنه ، وأخرى وضعوها في مثالب معاوية والأمويين ، وكتب الموضوعات مخلوطة بأكاذيبهم ، وسنذكر بعض ما وضعوا على سبيل المثال ، ونبين أثره في الأحزاب المعادية لهم .

وكان يهم الشيعة إثبات وصية الرسول صلى الله عليه وسلم لعلى بالخلافة من بعده ، فوضعوا كثيرا من الأحاديث في هذا ، منها : « وصي ، وموضع سرى ، وخليفة فى أهلى ، وخير من أخلف بعدى — على^(٥) » و « يا على ، أخصك بالنبوة ولا نبى بعدى^(٦) » . « وإن لسكل نبى وصيا ووارثا ، وإن وصي ووارثى على بن أبى طالب^(٨) » وحديث « لما أن عرج بالنبى صلى الله عليه وسلم أراه الله من

(١) المتن من منهاج الاعتدال ص ٢١ ، وانظر الكفاية ص ١٢٦ .

(٢) للتنقى من منهاج الاعتدال ص ٢١ ، وانظر الكفاية ص ١٢٦ .

(٣) المتن من منهاج الاعتدال ص ٢٢ وانظر الجرح والتعديل ص ٢٨ قسم ١ ج ١ .

(٤) الجامع لأخلاق الراوى وآداب السامع ص ١٨ : ب والآلء للصنوعة ص ٢٤٨ ج ٢ .

(٥) الفتاوى المجموعة فى الأحاديث للوضوعة ص ٣٦٩ .

(٦) الآلء للصنوعة ص ٣٢٣ ج ١ .

(٧) الآلء للصنوعة ص ٣ ج ١ .

العجائب في كل سماء ، فلما أصبح جعل يحدث الناس من عجائب ربه ، وكذبه من كذبه من أهل مكة ، وصدقه من صدقه ، فعند ذلك انقض نجم من السماء ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : في دار من وقع هذا النجم فهو خليفتي من بعدي ، وطلبوا ذلك النجم فوجدوه في دار علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، فقال أهل مكة : ضل محمد وغوى ، وهوى أهل بيته ، ومال إلى ابن عمه ، فعند ذلك نزلت هذه السورة « والنجم إذا هوى ... ١ (١) » وحديث « خُلقت أنا وعلى من نور ، وكنا على عيين العرش ... (٢) » واقتنوا في وضع الأحاديث كما يحبون ويهونون ، من ذلك « ستكون فتنة ، فإن أدركها أحد منكم فعليه بمحصلتين : كتاب الله وعلي بن أبي طالب ... وهو خليفتي من بعدي (٣) » ، و « من لم يقل على خير الناس فقد كفر (٤) » ، و « النظر إلى علي عبادة (٥) » ، و « حب علي يأكل السيئات كما تأكل النار الحطب (٦) » ، و « من أراد أن ينظر إلى آدم في علمه ، ونوح في فهمه ، وإبراهيم في حكمه ، ويحيى في زهده ، وموسى في بطشه — فليتنظر إلى علي (٧) » ، و « من مات وفي قلبه بغض لعلي بن أبي طالب — فليمت يهوديا أو نصرانيا (٨) » ، وحديث « مثلي مثل شجرة ، أنا أصلها ، وعلي فرعها ، والحسن والحسين نمرتها ، والشيمة ورقها ، فأى شيء يخرج من الطيب إلا الطيب (٩) » ، وحديث : « من أحبني فليحب عليا ، ومن أخض عليا

(١) الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة ص ٣٦٩ وأظهره في المنتقى من منهاج السنة ص ٤٢٦ وفي رواية « فهو الوصي من بعدي » ، واختراع أسطورة الوصي كانت من عند عبد الله بن سبأ انظر هامش الصفحة ٣٠٧ من المنتقى من منهاج السنة .

(٣) الفوائد المجموعة ص ٣٤٥

(٢) الفوائد المجموعة ص ٣٤٢

(٥) المرجع السابق ص ٣٥٩

(٤) الفوائد المجموعة ص ٣٤٧

(٧) المرجع السابق ص ٣٦٧

(٦) المرجع السابق ص ٣٦٧

(٩) المرجع السابق ص ٣٧١

(٨) الفوائد المجموعة ص ٣٧٣

قد أنفضى ، ومن أنفضى فقد أنفض الله ، ومن أنفض الله أدخله الله النار^(١) ، وحديث : « يا على ، إن الله غفر لك ولذريتك ولوالديك ولأهلك ولشيعتك ولحبي شيعتك^(٢) » .

وإلى جانب هذا وضع الشيعة أخبارا بشعة تنال من أبي بكر وعمر وغيرها يزعمون فيها إساءة هؤلاء الصحابة إلى على رضى الله عنه وأهله ، وفي هذا يقول ابن أبي الحديد : (فأما الأمور الشيعة المستهجنة التى تذكرها الشيعة من إرسال قنفذ إلى بيت فاطمة . . . وأن عمر ضغطها بين الباب والجدار . . . وجعل فى عنق على جبلا يقاد به فكاه لا أصل له عند أصحابنا ولا يشبهه أحد منهم ، ولا رواه أهل الحديث ولا يعرفونه ، وإنما هو شيء تفرد الشيعة بنقله^(٣)) .

لقد رأى بعض الرضاة من الأحزاب الأخرى أن هذه الأحاديث تنتقص أبا بكر وعمر وعثمان ومعاوية ، فوضعوا مقابلها أحاديث أخرى ترفع من شأن الشيخين ومعاوية ، من ذلك الحديث الموضوع : « لما خرج بى إلى السماء قلت : اللهم اجعل الخليفة من بعدى على بن أبى طالب ، فأرتجت السموات ، وهتف بى الملائكة من كل جانب ، يا محمد اقرأ وما تشاؤون إلا أن يشاء الله ، قد شاء الله أن يكون من بعدك أبو بكر الصديق^(٤) » ، وما روى عن عهد الله بن جراد قال : « كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأتى بفرس فركبه ثم قال : يركب هذا الفرس من يكون الخليفة بعدى ، فركبه أبو بكر^(٥) » .

(٢) للرجع السابق ص ٣٨٤

(١) الفوائد الموجهة ص ٣٨٣

(٣) شرح نهج البلاغة ص ١٥٨ - ١٥٩ ج ١ (٤) تنزيه الصريفة للرفوعة ص ٣٤٥ ج ١

(٥) المصدر السابق ص ٣٤٦ ج ١

وحديث « أن أبا بكر قال للنبي صلى الله عليه وسلم : إني كنت معك في الصف الأول ، فكبرت وكبرت فاستفتحت بالحمد فقرأتها ، فوسوس إلي شيء من الطهور فخرجت إلى باب المسجد ، فإذا أنا بهاتف يهتف بي وهو يقول : وراءك ، فالتفت ، فإذا أنا بقدر من ذهب مملوء ماء أبيض من الثلج وأعذب من الشهد ، وألين من الزبد ، عليه منديل أخضر مكتوب عليه لا إله إلا الله الصديق أبو بكر ، فأخذت المنديل فوضعت على منكمي ، وتوضأت للصلاة وأبغت الوضوء ، ورددت المنديل على القدر ، ولحقتك وأنت راكم الركعة الأولى فتممت صلاتي معك يا رسول الله ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : أبشر يا أبا بكر ، الذي وضأت للصلاة جبريل ، والذي منذلك ميكائيل ، والذي مسك ركبتي حتى لحقت الصلاة إسرافيل ^(١) »

وحديث « إن الله جعل أبا بكر خليفتي على دين الله ووحيه ، فاسمعوا له تفلحوا ، وأطيعوه ترشدوا ^(٢) » ، وحديث « عرج بي إلى السماء ، فامررت بسماء إلا وجدت فيها إسمي مكتوباً بمحمد رسول الله ، وأبو بكر الصديق من خلفي ^(٣) » ، وحديث « إن الله في السماء يكره أن يخطأ أبو بكر الصديق ^(٤) » ، وحديث « لما أسرى بي رأيت في السماء خيلاً موقوفة مسرجة ملجمة . . . رؤوسها من الياقوت الأحمر . . . ذوات أجنحة ، فقلت : لمن هذه ؟ فقال جبريل : هذه لحبي أبي بكر وعمر ، يزورون الله عليها يوم القيامة ^(٥) » ، وحديث عن

(١) الفوائد المجموعة ص ٣٣٠ ، وقد روى نحو هذا لعل بن أبي طالب وفيه : ذكر الدليل

والمنديل ، والسكل كغيب موضوع . انظر الفوائد المجموعة ص ٣٣١

(٢) المرجع السابق ص ٣٣٢

(٣) الفوائد المجموعة ص ٣٣٣

(٤) المرجع السابق ص ٣٣٥

(٥) تنزيه العريضة المرفوعة ص ٣٤٧ ج ١ والفوائد المجموعة ص ٣٣٧

عبد الله بن أبي أوفى « رأيت النبي صلى الله عليه وسلم متكئاً على على ، وإذا أبو بكر وعمر أقبلا ، فقال : يا أبا الحسن أحبهما فبحبهما تدخل الجنة ^(١) » ، وحديث « إن في السماء الدنيا ثمانين ألف ملك يستغفرون الله لمن أحب أبو بكر وعمر ، وفي السماء الثانية ثمانون ألف ملك يلعنون من أبغض أبو بكر وعمر ^(٢) » ، وحديث « ما في الجنة شجرة إلا مكتوب على كل ورقة منها لا إله إلا الله ، محمد رسول الله ، أبو بكر الصديق وعمر الفاروق ، وعثمان ذو النورين ^(٣) » .

ووضع بعض الكذابين من حزب معاوية بعض الأحاديث ، منها « أن جماعة من بني هاشم سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يحول الكتابة من معاوية ، فنزل الوحي باختياره ^(٤) » ، ووضعوا أحاديث مطولة في كتابته آية الكرسي وغيرها ، ذكرتها كتب الموضوعات ، منها « أنه صلى الله عليه وسلم أخذ القلم من يد علي فدفعه إلى معاوية ^(٥) » ، و « الأمانة عند الله ثلاثة : أنا وجبريل ومعاوية ^(٦) » . ، وحديث « أن النبي صلى الله عليه وسلم ناول معاوية سهماً وقال : خذ هذا السهم حتى تلقاني به في الجنة ^(٧) » ، وما روى عن ابن عباس أنه « جاء جبريل إلى النبي صلى الله عليه وسلم بورقة آسن أخضر مكتوب عليها : لا إله إلا الله محمد رسول الله ، حب معاوية فرض على عبادي ^(٨) » ،

(١) تنزيه الشريعة المرفوعة ص ٣٤٧ ج ١ والفوائد المجموعة ص ٣٣٨

(٢) الفوائد المجموعة ص ٣٣٨ (٣) للرجع السابق ص ٣٤٢

(٤) الفوائد المجموعة ص ٤٠٣ وانظر تنزيه الشريعة المرفوعة ص ١٩ ج ٢ ذكره بطوله .

(٥) الفوائد المجموعة ص ٤٠٣

(٦) تنزيه الشريعة المرفوعة ص ٤ ونحوه في ص ٦ ج ٢

(٧) تنزيه الشريعة ص ٦ ج ٢

(٨) المرجع السابق ص ٢١ ج ٢

وحرف الشيعة حديث « اللهم ازرهم ما في القلعة رزقاً » اللهم وهبهم إلى النار دعا^(١) » في أنه قيل في معاوية وعمر بن العاص حين كانا يتغنيان ، والواقع أنهما لم يفعلا شيئاً من هذا ، إنما قيل هذا في معاوية بن رافع وعمر بن رفاع ابن التابوت ، فحرف الراوى الأسماء .

ووضع بعضُ المخرضين من أتباع حزب معاوية « . . . ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم : يا أبا هريرة ، إن في جهنم كلاباً زرق الأعين ، على أعرافها شعر كأمثال أذنان الخيل ، لو أذن الله تعالى لكل منها أن تبلع السموات السبع في لقمة واحدة لما ن ذلك عليه ، تسلط يوم القيامة على من لمن معاوية بن أبي سفيان »^(٢) .

وأمثال هذه الأحاديث كثيرة ، كلها من صيغة الأحزاب المتناوئة ، التي حاولت أن تدعم بها موقفها ، وترفع من قدر أصحابها وزعمائها ، وكان يوسع هؤلاء الابتعاد عن الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم مكتفين بما للصحابة من فضائل ثابتة ، ولكن الهوى ساق بعضهم إلى ذلك والجهل أعمى قلوب بعضهم .

وقد رأى بعض ذوى النيات الحسنة ما كان من هذه الأحزاب ، وما دار بينهم من طعون مختلفة تناولت الصحابة ، وانتقصتهم وكادت تقضى على فضائلهم ، فدفعهم حبهم للصحابة جميعاً إلى وضع أحاديث تذكر فضلهم ، وترفع من شأنهم ، وتبين أنه لا فرق بين الخلفاء الأربعة ، وقد ظن هؤلاء — بحسن نيتهم — أنهم يفعلون خيراً ، لأنهم يعمنون بوضع هذه الأحاديث اللعن التي

(١) تحفة الشريعة ص ١٦ ج ٢ ، والقوائد المجموعة ص ٤٠٧ .

(٢) تحفة الشريعة للرفوعة ص ٢٣ ج ٢ .

كان يتبادل له اتباع كل صحابي ، ويقطعون دابر الشتم والسباب فيجمعون أمر الأمة وكأنهم لم يعلموا أنهم يفتشون على رسول الله الكذب . ومن ذلك حديث : « إن الله أمرني أن أخذ أبا بكر والدا ، وعمر مشيراً ، وعثمان سنداً ، وأنت يا علي ظهراً . أنتم أربعة ، قد أخذ الله لكم الميثاق في أم الكتاب ، لا يحكم إلا مؤمن نقي ، ولا يفضكم إلا منافق مسيء ، أنتم خلفاء نبوتي ، وعقد ذمتي ^(١) » حديث « ينادى مناد يوم القيامة من تحت العرش : أين أصحاب محمد ؟ فيؤتى بأبي بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم ^(٢) » ، و « أبو بكر وزيرى ، والقائم فى أمتى من بعدى ، وعمر حبيبى ينطق على لسانى ، وأنا من عثمان وعثمان منى ، وعلى أخى وصاحب لوائى ^(٣) » ، و « أبو بكر أوزن أمتى وأرحمها ، وعمر بن الخطاب خير أمتى وأكملها ، وعثمان بن عفان أحي أمتى وأعدلها ، وعلى بن أبى طالب ولي أمتى وأوسسها ، وعبد الله بن مسعود أمين أمتى وأوصلها ، وأبو ذر أزهد أمتى وأرقها ، وأبو الدرداء أعدل أمتى وأرحمها ، ومعاوية بن أبى سفيان أحلم أمتى وأجودها ^(٤) » . ، و « من شتم الصديق فإنه زنديق ، ومن شتم عمر فأواه سقر ، ومن شتم عثمان فخصمه الرحمن ، ومن شتم علياً فخصمه النبي صلى الله عليه وآله وسلم ^(٥) » ومن حديث طويل : « .. ثم قال - رسول الله صلى الله عليه وسلم : ألا لعنة الله على مبغضى أبى بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلي ^(٦) » .

وإذا رجعنا إلى كتب الموضوعات رأينا أن الشيعة قد أسرفوا فى الوضع أكثر من غيرهم .

(١ و ٢) الفوائد المجموعة ص ٣٨٤ .

(٣) المرجع السابق ص ٣٨٦ .

(٤) الفوائد المجموعة ص ٤٠٩ .

(٥) المرجع السابق ص ٣٣٩ .

(٦) المرجع السابق ص ٣٣٨ .

(ب) الخوارج و وضع الحديث :

لم نعلم في المراجع القريبة منا على ما يدل على وضع الخوارج للحديث ،
أو على اعتمادهم على ذلك لدعم موقفهم وإثبات دعواهم ، اللهم إلا ما ذكر عن
ابن لهيعة قال : سمعت شيخنا من الخوارج تاب ورجع ، وهو يقول : « إن هذه
الأحاديث دين ، فانظروا عن تأخذون دينكم ، فإننا كنا إذا هويتنا أسرا صيرناه
حديثاً ^(١) » . وما رواه عبيد الله بن عمرو عن عبد الكريم قل : « قال لي رجل
من الخوارج : إن هذا الحديث دين ، فانظروا عن تأخذون دينكم ، إنا كنا إذا
هويتنا أسرا جعلناه في حديث ^(٢) » . وما رواه السيوطي : « روى عن شيخ
خارجي أنه قال : إن هذه الأحاديث دين ، فانظروا عن تأخذون دينكم ، فإننا
كنا إذا هويتنا أسرا صيرناه حديثاً ^(٣) » .

هذه أخبار ثلاثة بمعنى واحد ، وطرق مختلفة ، تدل على وضع الخوارج
للحديث . إلا أننا لم نجد دليلاً يثبت عليهم هذا بين الأحاديث الموضوعة ، وربما
كان عدم كذبهم هذا لاعتقادهم أن مرتكب الكبيرة كافر ، والكذب
من الكبائر .

وهناك أدلة كثيرة على أنهم أصدق من نقل الحديث ، ومن هذا ما قاله
ابن تيمية للرافضة في الرد عليهم : « ونحن نعلم أن الخوارج شر منكم ، ومع هذا
فما تقدر أن يرميهم بالكذب ، لأننا جربناهم ، فوجدناهم يتحرون الصدق لهم

(١) الجامع لأخلاق الراوى وآداب السامع ص ١٨ : ب وانظر المدخل للمعالم ص ١٩

(٢) المحدث الفاصل بين الراوى والراوى ص ٨٣ : آ

(٣) الآلء للصنوعة ص ٢٤٨ - ٢

وعليهم^(١)»، كما قال أيضا: «ومن تأمل كتب الجرح والتعديل رأى المعروف عند مصنفها بالكذب في الشيعة أكثر منهم في جميع الطوائف، والخوارج مع مروقهم من الدين فهم من أصدق الناس حتى قيل إن حديثهم من أصح الحديث^(٢)». وقال أبو داود «ليس في أصحاب الأهواء أصح حديثا من الخوارج^(٣)».

لا بد لنا بعد هذا من مخرج لما روى عنهم من الكذب، فالأخبار الأولى تدل على وقوع الوضع منهم، باعتراف أحد شيوخهم، إلا أننا لم نعرف هذا الشيخ إلا وقد روى الخطيب عن حماد بن سلمة^(٤) نحو حديث ابن لهيعة عن (شيخ من الرافضة)، في نفس الصفحة التي روى فيها خبر ابن لهيعة، فيمكن أن يحمل على أنه خطأ من الكاتب أو الراوى. وإذا فرضنا أنه خطأ، فما موقفنا من الخبرين الآخرين اللذين لا سبيل إلى تسرب الخطأ إليهما؟ إلا أن الأخبار التي تدل على صدقهم تعارض هذه الروايات، والبحث لا يؤدي إلى دليل يدين الخوارج بالوضع فلا بد من حل تلك الأخبار على وهم الراوى: أن «الشيخ» خارجي، وهو ليس كذلك. وأرجح من هذا أن الخبرين ضعيفان بلهالة «الشيخ».

وأما ما روى عن عبد الرحمن بن مهدي: أن الخوارج والزنادقة قد وضعوا هذا الحديث «إذا أتاكم عن حديث فاعرضوه على كتاب الله فإن وافق كتاب الله فأنطقوه...» - فقد فند الدكتور مصطفى السباعي هذا القول، وبين أنه

(١) المتق من منهاج الاعتدال ص ٤٨٠

(٢) المرجع السابق ص ٢٢

(٣) الكفاية ص ١٣٠

(٤) الجائع لأخلاق الراوى وآداب السامع ص ١٨ : ب

من وضع الزنادقة^(١) . وهكذا ثبت أن الخوارج لم ينفسوا في حجة الوضع ،
لما عرف عنهم من الورع والتقوى .

٢ — أعمد الأسس (الزنادقة) :

لقد قوضت دولة الإسلام دولتي كسرى وقيصر ، وقضت على عروش
الملوك والأمراء الذين كانوا يحكمون الشعوب الخاضعة لهم ، يذيقونها العذاب
ويستنزفون خيراتها ، ويسترقون أبناءها ، وكان حول هؤلاء الحكام طبقة من
الخواص والمستغلين ، الذين يفيدون من وراء أولئك الملوك والأمراء ، وكانت
لهم وسائلهم الخاصة في استغلال رعاياهم ، فعندما انتشر الإسلام ، وخالط
قلوب الأمم المظلومة ، والشعوب المظلومة على أسرها من قبل رعاياها — تذوق
هؤلاء نعمة الحرية ، وشعروا بالكرامة الإنسانية ، في حين أفانت السلطة
من يد الحكام ، وخسروا مناصبهم ، وضاعت تلك المنافع التي كانوا ينالونها
باستغلال أبناء الشعب ، الذي عرف قيمة الحياة بعد أن حطم قيود الظلم باعتناق
الإسلام ، ولم يرق الوضع الجديد أولئك المتسلطين ، فأضرموا الحقد والكيد
للإسلام والمسلمين ، ولم يستطيعوا أن يحققوا آمالهم بقوة السيف ، اقوة الدولة
الإسلامية ، فراحوا ينفرون المسلمين من العقيدة الجديدة ، بدس الأباطيل
والأكاذيب السخيفة على رسول الله ، قاصدين من وراء ذلك إبعاد الناس عن
الإسلام ، الذي حاولوا أن يصوره أشم الصور في عقائده وعباداته وأفكاره ،
وظهر هؤلاء بمظاهر مخنفة ، ونحت أسماء فرق متعددة ، إلا أنهم لم يوفقوا إلى

(١) انظر الدنة ومكانها في الفهرست الإسلامي ص ٩٧ .

ما أرادوا ، وبات محاولاتهم بالفشل أمام قوة الإسلام ، وسمو مقاصده ،
وصفاء عقيدته

وسنذكر أمثلة موجزة مما صنعوه ليضلوا أتباع الدين ، وينفروا منه من
محب اعتناقه ، فمن ذلك : ما رواه : « أن نفرا من اليهود أتوا الرسول صلى الله
عليه وسلم فقالوا من يحمل العرش ؟ فقال : تحمله الهوام بقرونها ، والحجرة التي
في السماء من عرقهم ، قالوا : نشهد أنك رسول الله صلى الله عليه وسلم ^(١) » .
قال أبو القاسم البلخي : « هذا والله تقول ، وقد أجمع المسلمون على أن الذين
يحملون العرش ملائكة ^(٢) » ، وحديث « عن النبي صلى الله عليه وسلم :
الحجرة التي في السماء عرق الأنبياء التي تحت العرش ^(٣) » . وقال أبو القاسم :
« وما يستجيز أن يروى مثل هذا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا من
لا يبالي بدينه ، ومتى قال المسلمون إن تحت العرش أنبياء ؟ وهل يجوز أن يكون
هذا إلا من دسيس الزنادقة ليقبحوا الإسلام ^(٤) » ؟ ، وحديث : « قيل :
يا رسول الله ، مم ربنا ؟ قال : من ماء مرور ، لا من أرض ولا سماء ، خلق
خيلا فأجراها ، فعرقت ، فخلق نفسه من ذلك العرق ^(٥) » . إنه لا يضع مثل هذه
الأحاديث مسلم ولا عاقل ! !

وإن هؤلاء لأشد ضررا وبلاء على الإسلام من غيرهم ، فقد كان منهم من
يفتحش في الكذب والافتراء ، ومن هؤلاء عبد الكريم بن أبي العوجاء ، الذي
اعترف قبل أن تضرب عنقه بوضعه الحديث ، فقال : « والله لقد وضعت فيكم

(١ و ٢ و ٣ و ٤) قبول الأخبار ص ١٤

(٥) تنبيه الشريعة المرفوعة ص ١٣٤ ج ١

أربعة آلاف حديث ، أحرم فيها الحلال ، وأحل فيها الحرام^(١) » وقال المهدي : « أقر عندي رجل من الزنادقة أنه وضع أربعائة حديث ، فهي تجول في أيدي الناس^(٢) » وقال حماد بن زيد : « وضعت الزنادقة على رسول الله صلى الله عليه وسلم إثني عشر ألف حديث ، بثوها في الناس^(٣) » ، وفي رواية قال : « وضعت الزنادقة على رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعة عشر ألف حديث^(٤) » .

إلا أن هذه الأحاديث لم تخف على رجال هذا العلم ، فبينوها وتبعوها الكاذبين الذين وضعوها .

٣ — التفرفة العنصرية والتمصيب للقبيلة والبلد والاعمام :

اعتمد الأمويون في إدارة دولتهم وتسيير أمورها على العرب خاصة ، وتمصّب بعضهم للعرب والعربية ، وربما نظر بعض العرب إلى المسلمين من العناصر الأخرى نظرة لا توافق روح الإسلام ، حتى إن طبقة الموالي « وهم المسلمون من غير العرب » شعرت بهذه العنصرية ، فكانوا يحاولون المساواة بينهم وبين العرب وانهزوا أكثر الاضطرابات والحركات الثورية فانضموا إليها في سبيل تحقيق ذلك ،^(٥)

(١) اللآلئ المصنوعة ص ٢٤٨ ج ٢ . وعبد الكريم هذا خال بمن بن زائدة الشيباني المعروف وقد أمر بضرب هبة محمد بن سليمان بن علي أمير مكة وقال القهس في الميزان : أمير البصرة ، انظر توضيح الأفيكار ص ٧٥ ج ٢ ، وانظر ميزان الاعتدال ص ١٤٤ ج ٢ .

(٢) الكفاية ص ٤٣١ ، واللآلئ المصنوعة ص ٢٤٨ ج ٢ .

(٣) مقدمة التمهيد لابن عبد البر ص ١٢ ، والكفاية ص ٤٣١ .

(٤) تدرب الراوي ص ١٨٦ وتوضيح الأفيكار ص ٧٥ ج ٢ . وذكر عنه أربعة آلاف ، انظر اللآلئ المصنوعة ص ٢٤٨ ج ٢ ، وأعلن أنه خطأ مطبع أو خطأ من الراوي .

(٥) انظر تاريخ الإسلام للدكتور حسن إبراهيم حسن ص ٣٤٢ ج ١ .

وإلى جانب هذا كانوا يبادلون العرب الاعتزاز والفخار ، فحلمهم هذا على وضع أحاديث ترفع من قدرهم ، وتبين فضائلهم ، ومن ذلك حديث : « إن كلام الذين حول العرش بالفارسية ، وإن الله إذا أوحى أمراً فيه لين أوحاه بالفارسية ، وإذا أوحى أمراً فيه شدة أوحاه بالعربية »^(١) فوضع مقابله حديث « أبغض الكلام إلى الله الفارسية ، وكلام الشياطين الخوزية ، وكلام أهل النار البخارية ، وكلام أهل الجنة العربية »^(٢) ، وحديث : « دعوني من السودان إنما الأسود لبطنه وفرجه »^(٣) .

ومنشأ وضع الأحاديث في فضائل بعض القبائل العربية يرجع - في غالب ظني - إلى إثارة تلك العصبية القبلية التي ظهرت في الدولة الأموية عقب وفاة يزيد بن معاوية^(٤) .

وكما وضعت أحاديث في الجنس والقبيلة واللغة وضعت أحاديث في تفضيل البلدان والأئمة ، وأظن أن انتقال مركز إدارة الدولة الإسلامية من بلد إلى آخر كان له أثر بعيد في دفع بعض المتعصبين إلى وضع الأحاديث في فضائل بلدانهم أو أئمتهم .

وعما لا شك فيه أن التعصب للأئمة لم يظهر إلا في القرن الثالث الهجري ، ولم تبد هذه الظاهرة إلا من الأتباع الجاهلين ، فوضعت أحاديث كثيرة في فضائل البلدان منها : « أربع مدائن من مدن الجنة في الدنيا : مكة ، والمدينة ،

(١) تنزيه الشريعة المرفوعة ص ١٣٦ ج ١

(٢) تنزيه الشريعة المرفوعة ص ١٣٧ ج ١

(٣) المرجع السابق ص ٣١ ج ٢

(٤) انظر تاريخ الإسلام لـ دكتور حسن إبراهيم حسن ص ٣٣٧ ج ١

وبيت المقدس ، ودمشق^(١) ... » وفي الأئمة حديث : « يكون في أمتي رجل يقال له محمد بن إدريس أضر على أمتي من إبليس ، ويكون في أمتي رجل يقال له أبو حنيفة هو سراج أمتي^(٢) » ، و « سيأتي من بعدى رجل يقال له النعمان ابن ثابت ويكنى أبا حنيفة ، ليحيين دين الله وسنتي على يديه^(٣) » .

٤ — القصاصون :

ظهرت حلقات القصاصين والوعاظ في أواخر عهد الخلافة الراشدة^(٤) ، وكثرت هذه الحلقات فيما بعد في مختلف مساجد الأقطار الإسلامية^(٥) ، وكان بعض القصاص لا يهيمه إلا أن يجتمع الناس عليه ، فيضع لهم ما يرضيهم من الأحاديث التي تستثير نفوسهم ، وتحرك عواطفهم ، وقد كان معظم البلاء من هذا الصنف الذي يكذب على رسول^(٦) الله صلى الله عليه وسلم ، ولا يرى في ذلك إثماً ولا بهتاناً .

ومما يؤسف له أن هؤلاء القصاص — على تعاملهم وكذبهم على رسول الله

(١) تسمية الصربية المرفوعة من ٤٨ ج ٢

(٢ و ٣) المرجع السابق من ٣٠ ج ٢

(٤) استشار تميم الدار — صاحب مشهور — عمر رضى الله عنه ليقص على الناس فأبى عليه ولم يسمع له انظر من ١٨ : ب من تميز الرفوع من الموضوع . ومن نافع عن ابن عمر أنه لم يقص على عهد النبي صلى الله عليه وسلم ، ولا على عهد أبي بكر ولا عمر ولا عثمان وإنما قص حين وقت الفتنة انظر كتاب العلم للمقدمي من ٥٢ ، وانظر ذكر أخبار أصبهان من ١٣٦ ج ١ ، طبع ليدن سنة ١٩٣١ .

(٥) انظر المخطوط للقريري من ٢٤٦ و ٢٥٦ ج ٢ حيث يذكر بعض القصاص والمساجد التي كانوا يقصون فيها ، وكذلك البيان والبيان من ٣٦٨ ج ١

(٦) انظر الآله للصنوعة من ٢٤٩ ج ٢

صلى الله عليه وسلم — قد وجدوا آذاناً تسمع لهم وتصدقهم وتدافع عنهم ، وكان هؤلاء من جهة العامة التي لا يهتمها البحث والتقصي .

ومما وضعه القصاص حديث : « إن في الجنة شجرة يخرج من أعلاها الحلل ، ومن أسفلها خيل بلق من ذهب مسرجة ملجمة بالدر والياقوت ، لا تروث ولا تبول ، ذوات أجنحة ، فيجلس عليها أولياء الله فتطير بهم حيث شاءوا (١) .. »

وقد قاوم رجال الحديث القصاص ، وبينوا كذبهم ، فلقوا من أتباعهم الإنكار والأذى ، وفي ذلك حوادث طريفة منها : أن الشعبي أنكر على أحد القصاص في بلاد الشام ، فقامت عليه العامة تضربه ، ولم يدعه أتباع القاص حتى قال الشعبي برأى شيخهم نجاة بنفسه (٢) .

وكان رجال الحديث ينهون طلابهم وإخوانهم عن مجالسة القصاص ، من ذلك ما رواه عاصم قال : « كنا فأتى أبا عبد الرحمن السلمي ونحن غلة أبقاع ، فكان يقول لنا : لا تجالسوا القصاص غير أبي الأحوص ، وإياكم وشقيقا ، قال وكان شقيق هذا يرى رأى الخوارج وليس بأبى وائل (٣) . »

وكان بعض هؤلاء القصاص شحاذين يضمنون من الحديث ما يرغب الناس في الإحسان إليهم والعطف عليهم ، من هذا ما روى ابن الجوزي باسناده إلى أبي جعفر بن محمد الطيالسي ، قال : « صلى أحمد بن حنبل ويحيى بن معين في مسجد الرصاة ، فقام بين أيديهم قاص فقال : « حدثنا أحمد بن حنبل ويحيى بن معين ، قالوا حدثنا عبد الرزاق عن معمر عن قتادة عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من قال لا إله إلا الله خلق الله من كل كلمة طيرا منقاره من ذهب ،

(١) تنزيه الدرر المرفوعة ص ٣٧٨ ج ٢

(٢) انظر تمييز المرفوع عن الموضوع ص ١٦ ب ، والجامع لأخلاق الراوى وآداب السامع .

(٣) صحيح مسلم بفتح النوى ص ١٠٠ ج ١

ورثه من مرجان ١١ وأخذ في قصة نحو من عشرين ورقة ، فجعل أحمد بن حنبل ينظر إلى يحيى بن معين ، وجعل يحيى بن معين ينظر إلى أحمد ، فقال له : حدثه بهذا ؟ فيقول : والله ما سمعت هذا إلا الساعة ، فلما فرغ من قصصه وأخذ العطيات ، ثم قعد ينتظر بقيتها ، قال له يحيى بن معين بيده : تعال ، فجاء متوها لنوال ، فقال له يحيى : من حدثك بهذا الحديث ؟ فقال أحمد بن حنبل ويحيى بن معين ١ فقال : أنا يحيى بن معين ، وهذا أحمد ابن حنبل ، ما سمعنا بهذا قط في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ! فقال : لم أزل أسمع أن يحيى بن معين أحق ، ما تحققت هذا إلا الساعة ! كأن ليس فيها يحيى بن معين وأحمد بن حنبل غيركما ؟ وقد كتبت عن سبعة عشر أحمد بن حنبل ويحيى بن معين ١١ فوضع أحمد كفه على وجهه ، وقال : دعه يقوم ، فقام كالمستهزئ بهما ^(١) ١١

وكان من هؤلاء القصاص المتكسبين من يحفظون أسانيد مشهورة ، يكررونها كاللبغاء ويلصقون بها ما يضمنون من الأحاديث العجيبة بكل وقاحة وصفاقة وجه ، كما فعل القاص المذكور مع أحمد بن حنبل ويحيى بن معين ، وكما فعل قاص آخر حكى عنه أبو حاتم البستي جهله وكذبه ، قال أبو حاتم : دخلت مسجدا ، فقام بعد الصلاة شاب فقال : « حدثنا أبو خليفة : حدثنا أبو الوليد عن شعبة عن قتادة عن أنس ، وذكر حديثا ، قال أبو حاتم : « فلما فرغ دعوته ، قلت : رأيت أبا خليفة ؟ قال : لا ، قلت : كيف تروى عنه ولم تره ؟ فقال : إن المناقشة معنا من قلة المروءة ! أنا أحفظ هذا الإسناد ،

(١) الباعث الحديث من ٩٣ - ٩٤ ، والجامع لأخلاق الراوى وآداب السامع من ١٤٩

١٤٩ - ب ، وتغيير المرفوع من الموضوع من ١٦ : ب ، وتوضيح الأفكار من ٧٦ - ٧٧ - ج ٢

فمسلما سمعت حديثاً ضمنه إلى هذا الإسناد!!^(١)» .

وقد بين أيوب السخيتاني أثر القصاص في إفساد الحديث فقال : ما أفسد على الناس حديثهم إلا القصاص وقال أيضاً : ما أمارت العلم إلا القصاص^(٢) .
والأحاديث التي وضعها القصاص في القرن الأول قليلة ، ازدادت فيما بعد ، وقد كشف عنها رجال هذا العلم وبينوا واضعها وتبعوم حتى تميز بالصحيح من الباطل .

٥ - الرغبة في الخير مع الجهل بالمعنى :

بينت فيما تقدم أن بعض ما حدث من الفتن ، وما ترتب عليه من ظهور الفرق والأحزاب السياسية والدينية ، قد دفع هذه الأحزاب إلى وضع الأحاديث لتأييد مذاهبهم ، ورفع شأن زعمائهم ، والحط من قيمة خصومهم ، وقد ظهر لمر هذا بعض الصالحين والزهاد والعباد ، الذين ساءم هذا الإنشقاق وتفرقة الأمة ، فوضعوا الأحاديث يقرّبون فيها بين المتخاصمين ويرفعون قدر زعمائهم جميعاً ، ومع الزمن ساء هؤلاء أن يروا إنشغال الناس بالدنيا عن الآخرة ، فوضعوا أحاديث في الترهيب والترغيب حسبة لله^(٣) ، وقد حملهم جهلهم بالدين

(١) الباعث الحديث ص ٩٣ .

(٢) الجامع لأخلاق الراوى وآداب السامع ص ١٤٧ : ب .

(٣) ومن هنا ما برويه علي بن الحسين أن جرير بن عبد الواحد روى أن عبد الله بن السور كان يضع الحديث على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا يضع إلا ما فيه أدب أو زهد ، فيقال له في ذلك ، فيقول : إن فيه أجراً . انظر ص ٧ - ٨ قبول الأخبار . وعبد الله بن السور هو نفسه أبو جعفر المدائني الهاشمي الذي أرسل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم كلاماً =

على استغاة ما سولت لهم أنفسهم ليرغبوا الناس في صالح الأعمال ، وكان هذه البروة من الأحاديث النبوية التي لا يدرك البيان وصفها — لم نشف صدورهم ، ولم ترو ظلمهم ، فراحوا يضعون الأكاذيب على رسول الله ، وإذا ما ذكروا بقوله صلى الله عليه وسلم « مَنْ كَذَبَ عَلَىَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ » قالوا : نحن ما كذبتنا عليه ، إنما كذبتنا له ^(١) . ومن الغريب والمؤسف أن صلاحهم خلع العامة ، فكانوا يصدقونهم ويثقون بهم ، فكان خطرهم شديداً على الدين ^(٢) ، بل هم أعظم ضرراً من غيرهم ، لما عرفوا به من الصلاح والورع والزهد ، الذي لا يتصور معه العاصي إقدام مثل هؤلاء الصالحين على الكذب ، وفي هذا يروى محمد بن يحيى بن سعيد القطان عن أبيه قوله : « لم نر الصالحين في شيء أكذب منهم في الحديث ^(٣) . » وقال أبو عاصم النبيل : « ما رأيت الصالح يكذب في شيء أكثر من الحديث ^(٤) » ، وفي رواية عن يحيى بن سعيد القطان : « ما رأيت الكذب في أحد أكثر منه فيمن ينسب إلى الخير والزهد ^(٥) » .

ومما وضعه الصالحون أحاديث فضائل السور ، وفي هذا يروى الحاكم بسنده

== حقا ليس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فاحتمله الناس في الدماء ونحوه . انظر أيضا قبول الأخبار من ١٥ . وعبد الله بن المسور هذا هو الذي يروى عنه خالد بن أبي كريمة انظر ترجمته في ميزان الاعتدال من ٧٨ ج ٢ ترجمة (٥٦٣) وذكر الإمام مسلم هذا في صحيحه : انظر مسلم هجر النورى من ١٠٧ ج ١ .

(١) انظر اختصار علوم الحديث من ٨٦

(٢) انظر تقريب الراوى من ١٨٤

(٣) صحيح مسلم هجر النورى من ٩٤ ج ١ ، ونحوه في مقدمة التمهيد من ١٤ : آ ، وفي

الجامع لأخلاق الراوى وآداب السامع من ١٥٩ : آ

(٤) الحديث الفاسل من ٨٣ : آ

(٥) الآلى للصنوعة من ٢٤٨ ج ٢

إلى أبي عمار المروزي أنه قيل لأبي عصمة نوح بن أبي مريم : « من أين لك ،
عن عكرمة عن ابن عباس في فضائل القرآن سورة سورة وليس عند أصحاب عكرمة
هذا ؟ فقال : إني رأيت الناس قد أعرضوا عن القرآن ، واشتغلوا بفقهِ أبي حنيفة ،
ومغازي ابن إسحاق ، فوضعت هذا الحديث حصة ^(١) » ، وقال ابن مهدي
لميسرة بن عبد ربه : « من أين جئت بهذه الأحاديث : من قرأ كذا فله كذا ؟
قال : وضعتها أرغب الناس فيها ^(٢) » ، وقال أبو عبد الله النهاوندي لعلام خليل
— هو أحمد بن محمد بن غالب الباهلي — : « ما هذه الرقائق التي تحدث بها ؟
قال : « وضعتها ليرقق بها قلوب العامة ^(٣) » ، وقد كان مشهوراً بزهد حتى
عرف زاهد بغداد ، وقد غلقت أسواق بغداد لموته ^(٤) ، وحل في تابوت إلى
البصرة ، وكان يحفظ علماً كثيراً ، ومع هذا لم يحل عنه العلماء وبينوا أمره
وأمر غيره .

٦ — الخرافات المذهبية والكنهية :

وكما دعم أتباع الأحزاب السياسية آراءهم وأحزابهم بوضع الأحاديث ؛
وضع أتباع المذاهب الفقهية والكلامية أحاديث لتأييد مذاهبهم ؛ من هذا
ما روى أنه قيل لـ محمد بن عكاشة السكرماني : إن قوما يرفعون أيديهم في
الركوع وفي الرفع منه ، فقال : حدثنا المسيب بن واضح عن أنس مرفوعاً

(١ و ٥) تدريب الراوي ص ١٨٤ ، والآله المصنوعة ص ٢٤٨ ج ٢

(٢) ميزان الإعتدال ص ٦٦ - ٦٧ ج ١ ، وتدريب الراوي ص ١٨٥ والآله المصنوعة

ص ٢٤٨ ج ٢ .

(٤) كانت وفاته في رجب من سنة (٢٧٥ هـ) . انظر ميزان الإعتدال ص ٦٧ ج ١

« من رفع يديه في الركوع فلا صلاة له ^(١) » ، وحديث : « كل ما في السموات والأرض وما بينهما فهو مخلوق غير الله والقرآن ، وذلك أنه كلامه منه بدأ وإليه يعود ، وسيجيء أقوام من أمتي يقولون القرآن مخلوق ، فمن قاله منهم فقد كفر بالله العظيم ، وطلعت امرأته من ساعته ، لأنه لا ينبغي للمؤمن أن تكون تحت كافر إلا أن تكون سبقتة بالقول ^(٢) » . وعلائم الوضع ظاهرة جليلة في تمليلاته وركاكة لفظه .

ومن هذا ما رواه زهير بن معاوية قال أخبرنا محرز أبو رجاء - وكان يرى رأى القدر فتاب منه - فقال : لا ترووا عن أحد من أهل القدر شيئاً ، فوالله لقد كنا نضع الأحاديث ندخل بها الناس في القدر تحتسب بها ، ولقد أدخلت أربعة آلاف من الناس . قال زهير : فقلت له : كيف تصنع بمن أدخلتهم ؟ قال : ها أنا ذا أخرجهم الأول فالأول ^(٣) .

٧ - التقرب من الخطام وأسباب أغرى :

لم يذكر أحد - فيما اطلمت - أن أحداً من رجال الحديث أو غيرهم تقرب من خلفاء بني أمية وأمرائهم بوضع ما يرضى مبولهم من الحديث ، اللهم إلا ما اتهم به الشيعة بعض الصحابة والتابعين في ذلك ، وقد رددنا هذا في الفصل

(١) تدريب الراوي ص ١٨١ ، والباعث الحديث ص ٩٠ وقال فيه عن الحاكم : فهذا مع كونه كتاباً من أنجس الكتب ، فإن الرواية عن الزهري بهذا السند بائنة مبلغ القطع بانبات الرفع عند الركوع وعند الاحتدال ، وهي في اللواط وسائر كتب الحديث أهم من لسان الميزان ص ٢٨٨ - ٢٨٩ ج ٥ .

(٢) نذبة الثرية المرفوعة ص ١٣٤ ج ١ .

(٣) الجرح والتعديل ص ٣٢ ج ١ وفيه (هوذا) وما أنبت أصوب .

الثاني من «أبي هريرة»، وطبيعي أن يتقرب بعض المرائين إلى الطبقة الحاكمة بوضع ما يرضيهم من الحديث، وقد حدث هذا فعلا في عهد العباسيين، فقد أسند الحاكم «عن هارون بن أبي عبيد الله عن أبيه قال: قال المهدي ألا ترى ما يقول لي مقاتل؟ قال: إن شئت وضعت لك أحاديث في العباس، قلت لا حاجة لي فيها»^(١).

وقد كذب غياث بن إبراهيم للمهدي في حديث «لا سبق إلا في نصل أو خف أو حافر»، فزاد فيه أو جناح حين رآه يلعب بالحمام، فتركها المهدي بعد ذلك، وأمر بذبحها، بعد أن أعطاه عشرة آلاف درهم، وقال فيه بعد أن ولى: «أشهد على قفاك أنه قفا كذاب على رسول الله صلى الله عليه وسلم»^(٢). وإن هذا الإنكار من المهدي لا يكفي، بل كان عليه ألا يعطيه عشرة آلاف درهم من أموال المسلمين، لكذبه على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأن يمنعه من هذا ويزجره ويحبسه إذا لم يشأ أن يقتله^(٣).

وهناك أسباب أخرى بينها رجال الحديث، وضربوا لها الأمثال، مثال ذلك ما أسنده الحاكم عن سيف بن عمر التميمي، قال: كنت عند سعد ابن طريف، فجاء ابنه من الكتاب يبكي، فقال: مالك؟ قال: ضربني المعلم. قال: لأخزينهم اليوم، حدثني عكرمة عن ابن عباس مرفوعا: مملو صبيانكم

(١) تدريب الراوي ص ١٨٧ والباث الحديث ص ٩٤ وأبو عبيد الله هو وزير للمهدي.

(٢) للدخل ص ٢٠ - ٢١ والباث الحديث ص ٩٤، وتدريب الراوي ص ١٨٧، وتوضيح الأنسكار ص ٧٦ - ٧٧.

(٣) راجع السنة ومكانتها في التفرع الإسلامي ص ١٠٤ فقد كتب أستاذنا الدكتور السباعي كلمة طيبة جريئة لما كان اتساع الخلفاء والأمراء مع الوضاعين من أثر سيء في الدين.

شراركم ، ألقنهم رحمة لليتيم ، وأغلظهم على المسكين^(١) » . وحديث : « خير تجارتكم البر ، وخير أعمالكم الخرز^(٢) » ، و « من سيادة المراء خفة عارضيه^(٣) » ، و « الناس أكفاء إلا حائك أو حجام^(٤) » .

ومن المواضيع من جعل الأسانيد المشهورة للحكم القديمة ، وللأقوال المعسولة ، ومنهم من وضع الحديث للإغراب ليُقصدوا بالطلب لما عندهم من غريب الحديث ، وهؤلاء من جهال أهل الحديث ، بل من المتطفلين على الحديث النبوي وعلمائه ، ومنهم من وضع الأحاديث في أصناف معينة من المآكل لترويجها ، أو في مهن خاصة للرفع من قدرها .. وفي غير هذا وذاك ، وقد بين العلماء جميع هذا ، ووضعوا قواعد علمية دقيقة لحفظ الحديث .

(١) انظر تدریب الراوی ص ١٨٠ - ١٨١ ، والباعث للحديث ص ٨٩ حيث قال : وسعد بن طارق هذا ، قال فيه ابن مین : « لا یصل لأحد أن یروی عنه » وقال ابن حبان : « كان یضع الحديث » وروای القصة عنه سیف بن عمر ، قال فيه الحاکم : اتهم بالزندقة وهو فی الروایة ساقط » أ . هـ .

(٢ و ٣ و ٤) قبول الأخبار ص ٢١ وانظر فی المدخل ص ٢٤ بعض ما وضعه السکناویون فی الشهوات والذوات .

الفصل الثاني

جهود الصحابة التابعين أنباغهم في مقاومة الوضع

كاد الوضاهون يسبون إلى الدين لساء خطيرة ، ويشوهون بكذبهم وجه الإسلام ، ويدخلون في تعاليمه ما ليس منه ، لولا عناية الله عز وجل الذي حفظ الإسلام من التحريف والتبديل ، وصان كلام نبيه صلى الله عليه وسلم عن أن يكون مطية لأهل الأهواء ، وقبض للأمة رجالاً أمناء مخلصين ، قاوموا الوضاهين وتبعوهم ، وماروا الباطل من الصحيح ، فلو لا الجهود التي بذلها الصحابة والتابعون وعلماء الأمة من بعدهم لاشتبه على كثير من الناس بعض أمور دينهم ، لكثرة ما اختلقه الكذبة الوضاهون ، ونسبوه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم زوراً وبهتاناً . وإن المنصف لا يسعه إلا أن يقف أجلاً واكباراً لجهود علماء الأمة التي بذلوها — منذ عصر الصحابة إلى أن تم تدوين السنة — في تنقيح السنة الشريفة وتطهيرها مما أدخلته فيها يد الوضع ، وإن المرء ليزداد إعجاباً بتلك القواعد العلمية الدقيقة التي طبقها العلماء ، وبذلك المنهج الخاص الذي اتبعوه في سبيل الحفاظ على حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولندرك قيمة مجتهدهم ودراسهم وصبرهم وتبهم إزاء تلك الكثرة من الأحاديث الموضوعة ، التي يصعب استقصاؤها وحصرها — يكفيها لهذا أن نعلم أنه قد وضع أعداء الإسلام بشهادة حماد بن زيد أربعة عشر ألف حديث ، وأن عبد الكريم بن أبي العوجاء اعترف بوضع أربعة آلاف حديث ، وأقر محرز أبو رجاء القدرى النائب بأنهم وضعوا أحاديث في القدر أدخلت أربعة آلاف

إنسان فيه ، وغير هؤلاء كثيرون ، فكانت مهمة العلماء شاقة لما يحف بها من الحذر ، وما يترتب عليها من الآثار الجليطة في الدين والدنيا ، وبفضل الله ورحمته ذلت تلك الصعوبات على أيدي جهابذة الأمة ، الذين شهد بعلمهم وفصلهم وحسن منهجهم ودقة قواعدهم علماء المشرق والمغرب ، وحفظت السنة من عبث العابثين وتأويل المخرضين ، وتحريف الجاهلين المضلين ، وصدق ابن المبارك حين قيل له : هذه الأحاديث الموضوعة ١١ ؟ فقال تعيش لها الجهابذة « إنا نحن نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَكَاْفِظُونَ ^(١) » .

ونستعرض الآن ما بذله علماء الأمة في سبيل حفظ الحديث الشريف ، فقد بحثوا في كل ما يتعلق بالحديث النبوي رواية ودراية ، وخطوا خطوات جليطة كفلت سلامة السنة من العبث ، ونحن نلخصها فيما يلي :

أولا - التزام الإسناد :

لم يكن المسلمون في صدر الإسلام - منذ عهد الرسول صلى الله عليه وسلم إلى فتنة عثمان - يكذب بعضهم بعضا ، بل كانت الثقة تملأ صدورهم ، والإيمان يعمر قلوبهم ، حتى إذا ما وقعت الفتنة ، وتكونت الفرق والأحزاب ، وبدأ الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يُتخذ مطية لأهل الأهواء - وقف الصحابة والتابعون من هذه الظاهرة وقفة قوية للحفاظ على الحديث الشريف ، وأصبحوا يشددون في طلب الإسناد من الرواة ، والتمزموه في الحديث ، لأن السند للخبر كالنسب للمرء ، ويخبرنا الإمام محمد بن سيرين عن ذلك فيقول : « لم يكونوا يسألون عن الإسناد ، فلما وقعت الفتنة قالوا سموا

(١) تدريب الراوي ص ١٨٤ والكفاية ص ٣٧ ، والجرح والتعديل ص ١٨ ج ١ وروى عن عبد الرحمن بن مهدي نحو هنا في توضيح الأفكار ص ٧٩ ج ٢ والآية ٩ : الحجر .

لها رجالكم ، فينظر إلى أهل السنة فيؤخذ حديثهم ، وينظر إلى أهل البدع فلا يؤخذ حديثهم ^(١) .

وهذا لا يدل على أن الصحابة والتابعين لم يكونوا يسندون الأحاديث قبل الفتنة بل كان بعضهم يسند ما يروى تارة ولا يسنده أخرى ، لأنهم كانوا على جانب كبير من الصدق والأمانة والاخلاص ، وهناك أمثلة واضحة تبين اسناد الصحابة للروايات قبل الفتنة ، من هذا ما حدث به على رضى الله عنه البراء بن عازب « أن فاطمة أخبرته أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرها أن تحمل ، فحلت ونضحت البيت بنضوح ^(٢) » . وكان أبو أيوب الأنصاري يحدث عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما لم يسمعه من رسول الله عليه الصلاة والسلام ^(٣) . وقد حدث الصحابة بعضهم عن بعض .

وخلاصة القول أن المسلمين قبل الفتنة لم يلتزموا الإسناد دائماً لما كانوا عليه من الصدق والأمانة ، علماً بأن الاسناد لم يكن طارئاً وجديداً على العرب بعد الإسلام ، بل عرفوه قبل الإسلام ، وكانوا أحياناً يسندون القصص والاشعار في الجاهلية ^(٤) . وإنما التزم هذا التثبت في الاسناد بعد الفتنة في عهد صفار الصحابة وكبار التابعين ، وفي هذا يروى الامام مسلم بسنده المتصل عن

(١) صحيح مسلم بفتح النون ص ٨٤ ج ١ وصنن الفاري ص ١١٢ ج ١ ومحمد بن سيرين تابعي جليل ولد سنة ٣٣ هـ وتوفى سنة ١١٠ هـ انظر ترجمته في الباب الخامس من هذه الرسالة .

(٢) الجامع لأخلاق الراوى وآداب السامع ص ١٨٢ : ب

(٣) انظر البداية والنهاية ص ١٠٩ ج ٨ ، وسير أعلام النبلاء ص ٤٣٦ ج ٢

(٤) وقد ينتهي الإسناد إلى الشاعر أو إلى راويه ، ولم يكن للزام الإسناد للتصل دائماً بل من النادر ، أما الإسناد المرسل فهو أكثر و « يكاد يكون ملتزماً في رواية الأدب التزاماً لا إخلال فيه » انظر : مصادر الشعر الجاهلي ص ٢٥٨ .

مجاهد قال : « جاء بشير العدوى ^(١) إلى ابن عباس ، فجعل يحدث ويقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فجعل ابن عباس لا يأذن لحديثه ، ولا ينظر إليه ، فقال : يا ابن عباس ، مالي لا أراك تسمع لحديثي ، أحدثك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا تسمع ؟ فقال ابن عباس : إنا كنا مرة إذا سمعنا رجلاً يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ابتدرته أبصارنا ، وأصغينا إليه بأذاننا ، فلما ركب الناس الصعب والذلول لم نأخذ من الناس إلا ما نعرف ^(٢) » . وفي رواية عن طاوس « فجعل — بشير — يحدثه فقال له ابن عباس : عد لحديث كذا وكذا ، فعاد له ، ثم حدثه ، فقال له : عد لحديث كذا وكذا ، فعاد له ، فقال له : ما أدرى أعرفت حديثي كله وأنكرت هذا أم أنكرت حديثي كله وعرفت هذا ؟ فقال له ابن عباس : إنا كنا نحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إذ لم يكن يُكذّب عليه ، فلما ركب الناس الصعب والذلول تركنا الحديث عنه ^(٣) » ، وكان بعدهم التابعون يسألون عن الإسناد ويلتزمونه ، ومن هذا ما يرويه ابن عبد البر عن الشعبي عن الربيع بن خثيم قال : « من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد يحيي ويميت ، وهو على كل شيء قدير ، عشر مرات كن له كعتق رقاب أو رقبة : قال الشعبي فقلت للربيع بن خثيم : من حدثك بهذا الحديث ؟ فقال : عمرو بن ميمون الأودي فقلت عمرو بن ميمون ، فقلت : من حدثك بهذا الحديث ؟ فقال : عبد الرحمن بن أبي ليلى . فقلت ابن أبي ليلى فقلت : من

(١) هو بشير — مصفراً — ابن كعب بن أبي الحبر العدوى ، أبو أيوب البصري ثقة ، مضمّن من الطبقة الثانية ، وفاته قبل سنة مائة من الهجرة . انظر تقريب التهذيب ص ١٠٤ ج ١

(٢) صحيح مسلم يشرح النووي ص ٨١ ج ١

(٣) صحيح مسلم يشرح النووي ص ٨٠ ج ١

حدثك؟ قال: أبو أيوب الأنصاري صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم^(١) قال يحيى بن سعيد: « وهذا أول ما قُتس عن الإسناد^(٢) » .

وقال أبو العالية: « كُنّا نسمع الرواية بالبصرة عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإرضينا حتى رحلنا إليهم ، فسمعناها من أفواههم^(٣) » وكان التابعون وأتباعهم يتواصون بطاب الإسناد ، قال هشام بن عروة: « إذا حدثك رجل بحديث فقل عن هذا^(٤) ؟ » ، وكان الزهري إذا حدث أتى بالإسناد ويقول: « لا يصلح أن يُرْفَى السطحُ إلا بدرجة^(٥) » ، وقال الأوزاعي: « ما ذهب العلم إلا ذهب الإسناد^(٦) » ، وقال سفيان الثوري: « الإسناد سلاح المؤمن ، فإذا لم يكن معه سلاح فبأى شيء يقاتل^(٧) ؟ » ، ويقول عبد الله ابن المبارك: الإسناد من الدين ، ولولا الإسناد لقال من شاء ما شاء^(٨) ، وعنه أنه قال: « بيننا وبين القوم القوائم يعنى الإسناد^(٩) » .

وقد اتقن التابعون الإسناد وبرزوا فيه كما برزوا في غيره من علوم الحديث وفي هذا يقول أبو داود الطيالسي: « وجدنا الحديث عند أربعة: الزهري ، وقتادة ، وأبي إسحاق ، والأعمش ، فكان قتادة أعلمهم بالاختلاف ، والزهري

(١) مقدمة التمهيد لابن عبد البر ص ١٤ : ب ، ونظر المحدث التفاصيل ص ٢٠ : آ

(٢) المحدث التفاصيل ص ٢٠ : آ

(٣) مقدمة التمهيد ص ١٥ : آ ونحوه في الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع ص ١٦٨ : ب

(٤) الجرح والتمديد ص ٣٤ : ١

(٥) للرجع السابق ص ١٦ : ١

(٦) مقدمة التمهيد ص ١٥ : ب

(٧) شرف أصحاب الحديث ص ٨٠ : ب مخطوط دار الكتب المصرية ضمن مجموعة برقم

(ب — ٢٣٧٣٦) وعن مخطوطة المكتبة الظاهرية بدهشق ص ٣٩ : ١ .

(٨) صحيح مسلم بفتح الزوى ص ٨٧ : ١

(٩) المرجع السابق ص ٨٨ : ١

أعلمهم بالإسناد ، وأبو اسحاق أعلمهم بحديث علي وابن مسعود ، وكان عند الأعمش من كل هذا . (١) » .

وأصبح الإسناد أمراً بديهياً مسلماً به عند العامة والخاصة ، ويظهر هذا فيما يرويه الأصبى فيقول : « حضرت ابن عيينة وأتاه أعرابي فقال : كيف أصبح الشيخ رحمه الله ؟ فقال سفيان : بخير نحمد الله ، قال : مات قول في امرأة من الحاج حاضت قبل أن تطوف بالبيت ؟ فقال : تفعل ما يفعل الحاج غير أنها لا تطوف بالبيت ، فقال : هل من قدوة ؟ قال : نعم ، عائشة حاضت قبل أن تطوف بالبيت ، فأمرها النبي صلى الله عليه وسلم أن تفعل ما يفعل الحاج غير الطواف ، قال هل من بلاغ عنها ؟ قال نعم حدثني عبد الرحمن بن القاسم عن أبيه عن عائشة بذلك . قال الأعرابي : لقد استسمت القدرة ، وأحسنت البلاغ ، والله لك بالرشاد (٢) » ، وقال المدائني سمع أعرابي رجلاً يحدث بأحاديث غير مسندة فقال : لِمَ ترسلها بلا أزمة ولا خطم (٣) ؟ » .

ولا يظن فيما قررناه من التزام التابعين للإسناد المتصل ماروي عن بعض التابعين من المراسيل ، لأن هناك روايات تؤكد أن التابعي كان يذكر من حدثه عندما يسأل عن الإسناد ، ومن هذا ما يرويه ابن عبد البر بإسناده المتصل عن مالك بن أنس قال : « كنا نجلس إلى الزهري وإلى محمد بن المنكدر فيقول الزهري : قال ابن عمر كذا وكذا ، فإذا كان بعد ذلك جلسنا إليه فقلنا له : الذي ذكرت عن ابن عمر من أخبرك به ؟ قال : ابنه سالم . وقال حبيب بن الشهيد : قال لي محمد بن سيرين : سل الحسن عن سمع حديث العقيقة ، فسأته ، فقال :

(١) تذكرة الحفاظ ص ١٠٨ ج ١

(٢) الكفاية ص ٤٠٤

(٣) الجلام لأخلاق الراوي وآداب السامع ، نسخة الإسكندرية ص ١٦٤ : ب .

من ممرة . قال أبو عمر (ابن عبد البر) : فهكذا مراسيل الثقات ، إذا سئلوا أحادوا على الثقات . وقال سليمان الأعمش : قلت لإبراهيم : إذا حدثني حديثاً فأسنده ، قل : إذا قلت : عن عبد الله يعني ابن مسعود فأعلم أنه عن غير واحد (عنه) ، وإذا سميت أحداً فهو الذي سميت ^(١) .

ومن هنا يتبين لنا أن أكثر من أرسلوا الحديث كانوا على جانب كبير من العلم ، وكانوا يعرفون السند ، وإنما لم يذكره اختصاراً ، ويظهر لنا هذا فيما روى عن حماد بن سلمة قال : « كنا ، أنى قتادة فيقول : بلغنا عن النبي صلى الله عليه وسلم ، وبلغنا عن عمر ، وبلغنا عن علي ، ولا يكاد بسند ، فلما قدم حماد بن أبي سليمان البصرة جعل يقول : حدثنا إبراهيم وفلان وفلان ، فبلغ قتادة ذلك ، فجعل يقول : سألت مطرفاً . وسألت سعيد بن المسيب ، وحدثت أس بن مالك ، فأخبر بالإسناد ^(٢) » ، ولم يكونوا يسألونه عن السند لثقة القوم به ، ويدل على هذا ما رواه ابن سعد عن معمر قال : « كنا نجالس قتادة ونحن أحداث ، فنسأل عن السند ، فيقول مشيخة حوله : مه ، إن أبا الخطاب سند ، فيكسرونا عن ذلك ^(٣) » .

ويقول شعبة : « كنت أجالس قتادة ، فيذكر الشيء فأقول : كيف إسناده ؟ فيقول المشيخة الذين حوله . إن قتادة سند ، فأسكت ، فسكت أكثر مجاسته ، فرمى بذكر الشيء فأذكره ، فمرف مكان ، ثم كان بعد بسند لي ^(٤) » .

وهكذا نرى أن الإسناد المتصل كان قد أخذ نصيبه من العناية والاهتمام

(١) مقدمة التمهيد لابن عبد البر ص ١٠ ، وإبراهيم هو ابن يزيد النخعي .

(٢) طبقات ابن سعد ص ٧ قدم ٢ ج ٢ .

(٣) للمرجع السابق ص ٧ قدم ٢ ج ٢ .

(٤) مقدمة المرح والتصديق ص ١٦٦ .

في عهد التابعين حتى أصبح من واجب الحديث أن يبين نسب ما يروى ،
وقد شبه بعضهم الحديث من غير إسناد بالبيت بلا سقف ولا دعائم ، ونظموه
في قولهم :

والعلم إن فاتهُ إسنادهُ مسندُهُ كالبيت ليس له سقف ولا طنب^(١)
وكان الحديث بإسناده الحديث يرفع العهدة عن نفسه ، ويطمئن إلى صحة
ما ينقل عند ما ينتهي سنده المتصل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم^(٢).

ثانياً: مضاعفة النشاط العلمي والتثبت في الحديث :

من نعم الله عز وجل على المسلمين أن انبث الصحابة في الأمصار والبلدان ،
وكتب بعضهم طول العمر ليساهموا في حفظ السنة الحميدة إثر الفتنة ، وبعد
ظهور الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكان طلاب العلم يسمعون

(١) الحديث الفاصل ص ٢٢ : آ

(٢) وثبت هنا كلمة للدكتور صادم الدين الأسد عن مراد التزام الإسناد المتصل في رواية
الحديث : يقول : « ويبدو لنا أن مراد التزام الإسناد المتصل في رواية الحديث إلى أمرين : أمر
داخلي ، وآخر خارجي ، أما الداخلي فثبت من نفس الراوي ، ومصدره شعوره بالتعرج الديني ، وذلك
أنه ينقل كلاماً من كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو الذي قال في حديثه المشهور :
« من كذب على فليتبوأ مقعده من النار » وفي الإسناد المتصل ما يجعل الحديث يطمئن إلى أن
غيره من شيوخه وشيوخ شيوخه ، ثم التابعين والصحابة — يشتركون معه في تحمل تبعه حسناً
الحديث ونقله ، وأنه لا يستقل وحده بحمل هذا العبء ، وأن تبعه لا تصدق النقل الأمين لما
سمعه من شيخ ثقة ثبت .

وأما الأمر الخارجي ، فترجمه إلى ساهمي الحديث من الحديث ، وذلك أن الحديث يتضمن جزءاً
كبيراً من السنة ، أو هو السنة كلها ، وهو من أجل ذلك مصدر من مصادر التفرع الإسلامي ،
بل إنه هو المصدر الثاني الذي يلى في القبة كتاب الله ، فذلك كان من التدقيق والتحقيق ، وما
يمت الطمأنينة في قوس السامعين ، وروحهم بالثقة في حديث الحديث — أن يصل بين
عصره وعصر الرسول الكريم بسلسلة متصلة من الرواة المحدثين ، كلهم يشهد أنه سمعه ممن قبله
حتى يصل الإسناد إلى الصحابة فالرسول . مصادر الشعر الجاهلي ص ٢٥٨ - ٢٥٩ .

من الصحابة ، وإذا ما سمعوا من غيرهم أسرعوا إلى من عندهم من أصحاب رسول الله عليه الصلاة والسلام ليتأكدوا عما سمعوا ، فكانوا يبينون لهم الفث من السمين ، من هذا ما فعل ابن عباس مع ابن أبي مليكة ، قال ابن أبي مليكة : « كتبت إلى ابن عباس أسأله أن يكتب لي كتاباً ويخفي عني ^(١) . فقال : ولد ناصح أنا أختار له الأمور إختياراً وأخفي عنه . قال : فدعا بقضاء على فجعل يكتب منه أشياء ويمر به الشيء فيقول والله ما قضى بهذا على إلا أن يكون ضل ^(٢) » .

وكان كثير من طلاب العلم يرحلون إلى الصحابة ، يقطعون القباب والقفار ، للتأكد من حديث سمعوه من تابعي عندهم ، وهذا معنى قول أبي العالية السابق : كننا نسمع الرواية عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بالبصرة فلم نرض حتى ركبنا إلى المدينة فسمعناها من أفواههم . بل إن الصحابة رحل بعضهم إلى بعض في سبيل هذا ، فقد ارتحل أبو أيوب إلى عقبة بن عامر في مصر ^(٣) ورحل جابر بن عبد الله إلى عبد الله بن أنيس في حديث ^(٤) ، وغير هؤلاء ممن سبق ذكرهم .

وأما التابعون وأتباعهم فقد كانوا على نطاق واسع من التنقل والارتحال في سبيل تحمل الحديث عن الثقات ومذاكرة الأحاديث ، فهناك من ارتحل

(١) يخفي عن أي يكتم عن أشياء ولا يكتبها . انظر صحيح مسلم بشرح النووي ص ٨٢ ج ١ ، وامله كان يخفي عنه ما لا يثق بصحته .

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي ص ٨٢ ج ١ .

(٣) انظر جامع بيان العلم ص ٩٣ ج ١ .

(٤) انظر الجامع لأخلاق الراوى وآداب السامع ص ١٦٨ : ب ، وجامع بيان العلم ص ٩٣ .

ج ١ ، وتهذيب التهذيب ص ١٤٩ - ١٥٠ ج ٥ .

إلى أبي الدرداء الحديث عنده في دمشق^(١) ، كما رحل ابن شهاب إلى الشام إلى عطاء بن يزيد وابن محيرز وابن حيوة ، ورحل يحيى بن أبي كثير إلى المدينة للقاء من بها من أولاد الصعابة ، ورحل محمد بن سيرين إلى الكوفة لباقي عبيدة وعلقمة وعبد الرحمن بن أبي ليلى ، ورحل الأوزاعي إلى يحيى بن أبي كثير بالإسامة ودخل البصرة ، كما رحل سفيان الثوري إلى ابن^(٢) وقال سعيد بن المسيب : « إن كنت لأسير الليالي والأيام في طلب الحديث الواحد^(٣) » وعن الزهري عن ابن المسيب « إن كنت لأسير ثلاثاً في الحديث الواحد^(٤) » .

وقد كان مسروق كثير الرحلة في طلب الحديث ومذاكرته^(٥) ، وحدث الشعبي بحديث ثم قال لسامعه : « خذها بغير شيء ، قد كان الرجل يرحل فيما دونها إلى المدينة^(٦) » .

وكثيراً ما كان التابعون وأتباعهم يتذاكرون الحديث ، فيأخذون ما عرفوا ويتركون ما أنكروا ، قال لإمام الأوزاعي « كنا نسمع الحديث فنعرضه على أصحابنا كما يعرض الدرهم الزيف ، على الصيارفة فما عرفوا منه أخذنا ، وما تركوا تركناه^(٧) » وكانوا دائماً يرجعون إلى من يثقون به ، فإذا ما اختلف سعيد وأبو

(١) انظر الجرح والتعديل ص ١٢ ج ١

(٢) انظر الحديث الفاصل ص ٣١ : آ

(٣) جامع بيان العلم ص ٩٤ ج ١ ، وتذكرة الحفاظ ص ٥٢ ج ١ ونحوه في الجامع لأخلاق

الراوى ص ١٦٩ : آ .

(٤) الحديث الفاصل ص ٢٨ : ب

(٥) انظر جامع بيان العلم وفضله ص ٩٤ ج ١

(٦) جامع بيان العلم وفضله ص ٩٢ ونحوه في ٩٣ و ٩٤ ج ١ .

(٧) الجرح والتعديل ص ٢١ ج ١ والحديث الفاصل ص ٦٤ : آ

هلال وشعبة في قنادة رجعوا إلى هشام الدستوائي^(١)، وإذا اختلفت شعبة وسفيان الثوري قالوا: « اذهبنا بنا إلى الميزان مسعر^(٢) ». وعن الأعمش قال: « كان إبراهيم النخعي صيرفيا في الحديث، وكنت أسمع من الرجال فأجعل طريق عليه، فأعرض عليه ما سمعت، وكنت آتي زيد بن وهب وضرباه في الحديث في الشهر مرة والمرة، وكان الذي لا أكاد أغبه إبراهيم النخعي^(٣) ».

وكان أئمة الحديث في هذا العصر على جانب عظيم من الوهم والاطلاع، فقد كانوا يحفظون الصحيح والضعيف والموضوع حتى لا يختلط عليهم الحديث، وليبرزوا الحديث من الطيب، وفي هذا يقول الإمام سفيان الثوري: « إني لأروى الحديث على ثلاثة أوجه، أسمع الحديث من الرجل أنخذة ديننا، وأسمع من الرجل أقف حديثه، وأسمع من الرجل لا أعبا بحديثه وأحب معرفته^(٤) » ويزيد لنا أبو بكر بن الأثرم « أن أحمد بن حنبل رأى يحيى بن معين بصنعا في زاوية، وهو يكتب صحيفة معمر بن أبان عن أنس، فإذا طلع عليه إنسان

(١) انظر المحدث القائل ص ٧٦: آ وسعيد أرجح أنه ابن أبي صدقة البصري من الطبقة السادسة، وأبو هلال هو محمد بن سليم الرازي بصرى من الطبقة السادسة مات سنة ١٦٧ هـ، وشعبة هو ابن الحجاج الإمام المشهور من الطبقة السابعة توفي سنة ١٦٠ هـ، وهشام الدستوائي هو ابن عبد الله حافظ مشهور من كبار الطبقة السابعة، توفي سنة ١٥٤ هـ وله (٧٨) سنة. انظر تفصيل تراجمهم في تهذيب التهذيب.

(٢) المحدث القائل ص ٧٥ ب وسفيان هو ابن سعيد الثوري أبو عبد الله الكوفي أمير المؤمنين في الحديث، إمام حجة من رؤوس الطبقة السابعة، كان آية في الحفظ توفي سنة (١٦١ هـ) وله أربع وستون سنة. تهذيب التهذيب ص ١١١ - ١١٥ ج ٤ وانظر طبقات ابن سعد ص ٢٥٧ ج ٦، ومسعر هو ابن كندام الهلالي العامري، أبو سلة الكوفي، كان آية في الحفظ ثقة من الطبقة السابعة توفي سنة (١٥٢ هـ). تهذيب التهذيب ١١٣ ج ١.

(٣) الجرح والتعديل ص ١٧ ج ١، انظر ترجمة إبراهيم النخعي في الباب الخامس من هذا الكتاب.

(٤) الكفاية ص ٤٠٢، وانظر الكامل لابن عدي ص ٢ ج ١ وعنه إني لأكت الحديث على ثلاثة وجوه... انظر الجامع لأخلاق الراوي ص ١٥٧ ب.

كنتمه ، فقال له أحمد بن حنبل : نكتب صحيفة معمر عن أبان عن أنس وتعلم أنها موضوعة ، فلو قل لك قائل : إنك تتكلم في أبان ثم تكتب حديثه على الوجه ؟ فقال : رحك الله يا أبا عبد الله ، أكتب هذه الصحيفة عن عبد الرزاق عن معمر على الوجه فأحفظها كلها ، وأعلم أنها موضوعة حتى لا ينجى بهدم إنسان فيجعل بدل أبان ثابتاً ، ويروى بها عن معمر عن ثابت عن أنس بن مالك ، فأقول له : كذبت إنما هي عن معمر عن أبان لا عن ثابت ^(١) ! » .

ثالثاً : تتبع الكذبة :

إلى جانب احتياط العلماء وتثبتهم في قبول الأخبار كان بعضهم يحاربون الكذابين علانية ويمنونهم من التحديث ، ويستعدون عليهم السلطان . فقد كان عامر الشعبي « يمر بأبي صالح صاحب التفسير ، فيأخذه بأذنه ويقول : ويحك ! كيف تفسر القرآن وأنت لا تحسن أن تقرأ ^(٢) . » وقال الشافعي : « لولا شعبة ما عرف الحديث بالعراق ، كان ينجى به إلى الرجل فيقول : لا تحدث وإلا استعديت عليك السلطان ^(٣) » . وقد كان شعبة شديداً على الكذابين ، قال عبد الملك بن إبراهيم الجدي الثقة المأمون : « رأيت شعبة مفضباً مبادراً فقلت : « مه يا أبا بظام ، فأراني طينة ^(٤) في يده وقال : أستعدي على جعفر

(١) الجامع لأخلاق الراوى ص ١٥٧ : ب .

(٢) قبول الأخبار ص ٤٢ ، وفيه أن أبا صالح اعترف للكلبي بأن كل ما حدثه كان كذباً .

(٣) الجامع لأخلاق الراوى وآدب السامع ص ١٤٩ : آ .

(٤) هكذا في الأصل . والطينة واحدة الطين وهو الوحل ، ولعل الراوى أراد بها (اللبنة)

بفتح اللام وكسر الباء واحدة اللبن التي يبنى بها الجدار ، ولعله قال ذلك باعتبار أصلها .

ابن الزبير يكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم^(١). « وفي رواية « على هذا
يعنى جعفر بن الزبير ، وضع على رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعائة
حديث كذب^(٢) . »

وعن حماد بن زيد قال : « كلنا شعبة أنا وعباد بن عباد وجرير بن حازم في
رجل ، فقلنا : لو كفت عنه ؟ قال : فكأنه لان ، وأجابنا ، قال : فذهبت يوماً
أريد الجمعة ، فإذا شعبة ينادى من خافي فقال : « ذلك الذي قلت لي فيه لا أراه
يسعى^(٣) . » وكان شعبة يفعل هذا كله حسبة لله^(٤) .

وعن أحمد بن سنان قال : سمعت عبد الرحمن بن مهدي يقول استعذبت ،
على عيسى بن ميمون في هذه الأحاديث التي يحدّثها عن القسم ، فقال :
لا أعوذ^(٥) .

وكان الإمام سفيان الثوري شديداً على الكذابين ، لا يتوانى عن إظهار
همومهم ، وفي هذا يقول ابن أبي غنية : « ما رأيت رجلاً أصفق وجهاً في ذات
الله من سفيان الثوري رحمه الله^(٦) . » وحدث حماد المالكى^(٧) — وكان
كذاباً — حديثاً نجاءه عمرو الأنماطى وقال له : « والله لا تفارقني حتى استعدي
عليك ، فأقر أنه لم يسمعه من الحسن ، وحلف لا يحدث به ، (قال) فسكت عليه
كتاباً وأشهدت عليه شهوداً^(٨) ، وكان بعض المحدثين لا يتحملون كذب هؤلاء ،

(١) الجامع لأخلاق الراوى وآداب السامع ص ١٤٩ ب

(٢) تهذيب التهذيب ص ٩١ ج ٢ (٤٣) انظر الجرح والتعديل ص ٢١ ج ١

(٣) الجامع لأخلاق الراوى وآداب السامع ص ١٥٠ ب وروى نحو هذا عن أبي الوليد

الطياللى انظر تهذيب التهذيب ص ٢٤٢ ج ١٠ .

(٤) الكامل لابن عدى ص ٢ ج ١ .

(٥) هو حماد بن مالك ويقال للمالكى شيخ روى من الحسن وهو بالكذب ص ٢٨٢ ج ١

ميزن الاعتدال .

(٨) المحدث الفاضل ص ٦٣ ب والجامع لأخلاق الراوى وآداب السامع : ١٥٠ أ

فيضربونهم ويهددونهم بالقتل، (وى الامام مسلم باسناده المتصل عن حمزة الزيات قال : « سمعَ امرأةُ الهمداني من الحارث (الأعور) شيئاً فقال له : أقعد بالباب ، قال : فدخل مرةً وأخذ سيفه ، قال : وأحس الحارث بالشر فذهب^(١) ».

وكان نتيجة هذا أن توارى كثير من الكذابين ، وكفوا عن كذبهم ، كما أصبح عند العامة وعى جيد : يميزون به بين المتطفلين على الحديث وأهله ورجاله الثقات ، ويدل على هذا ما رواه ابن حجر عن يزيد بن هارون قال : « كان جعفر بن الزبير وعمران بن حدير في مسجد واحد مصلاهما ، وكان الزحام على جعفر بن الزبير وإيس عند عمران أحد ، وكان شعبة يمرهما فيقول : يا عجبا للناس ! اجتمعوا على أكذب الناس وتركوا أصدق الناس ، قل يزيد : فما نقي عليه قليل حتى رأيت ذلك الزحام على عمران ، وتركوا جعفرا وإيس عنده أحد^(٢) » . ، وكان الناس لا يجرؤون على الكذب في زمن سفيان الثوري ، لأنه كان شديداً على الكذابين : يكشف عنهم ، ويبين عوارم ، وفيه قال قتيبة بن سعيد : « لولا سفيان الثوري لانت الورع^(٣) » .

رابعا : بيان أحوال الرواة :

وكان لابد للصحابة والتابعين ومن تبعهم من معرفة رواة الحديث ،

(١) صحيح مسلم بشرح النووي ص ٩٩ ج ١ ، وكان الحارث الأعور كذاباً من غلاة الشيعة توفي سنة (٦٥) هـ انظر صحيح مسلم بشرح النووي ص ٩٨ و ٩٩ ج ١ وانظر ميزان الاعتدال ص ٢٠٢ ج ١ ، ومرة هو ابن شراحيل الهمداني أبو اسماعيل السكوني تابعي ثقة عابد جليل توفي سنة (٧٦ هـ) انظر تهذيب التهذيب ص ٨٨ - ٨٩ ج ١٠ .
(٢) تهذيب التهذيب ص ٩١ ج ٢ .
(٣) السكال لابن هدي ص ٢ ج ١ .

معرفة تمسكهم من الحكم بصدقهم أو كذبهم ، حتى يتمكنوا من تمييز الحديث الصحيح من المكذوب ، لذلك درسوا حياة الرواة وتاريخهم ، وتبعوهم في مختلف حياتهم ، وعرفوا جميع أحوالهم ، كما بحثوا أشد البحث (حتى عرفوا الأحفظ فالأحفظ ، والأضبط فالأضبط ، والأطول مجالسة لمن فوقه ممن كان أقل مجالسة^(١)) .. ، وقد قال سفيان الثوري : « لما استعمل الرواة الكذب استعملنا لهم التاريخ^(٢) » .

وكانوا يبينون أحوال الرواة وينقدونهم ويعملونهم حسبة لله ، لا تأخذهم خشية أحد ولا تملكهم عاطفة ، فليس أحد من أهل الحديث يجأى في الحديث أباه ولا أخاه ولا رله ، فهذا زيد بن أبي أنيسة يقول : « لا تأخذوا عن أخى^(٣) » وقال علي بن المديني لمن سأله عن أبيه : « سلوا عنه غيري ، فأعادوا المسألة ، فأطرق ، ثم رفع رأسه فقال : هو الدين ، إنه ضعيف^(٤) » ، « وكان وكيع بن الجراح لسكون والده كان على بيت المال يقرن معه آخر إذا روى عنه^(٥) » .

وكان أئمة النقاد يعينون أياما للتكلم في الرجال وأحوالهم ، قال أبو زيد الأنصاري النحوي : أتينا شعبة يوم مطر ، فقال ليس هذا يوم حديث ، اليوم يوم غيبة ، تمالوا نفتاب الكذابين^(٦) » ، وكانوا يأسرون طلابهم وإخوانهم أن يبينوا حال الراوى الذى يكتر غلظه ، والمتهم فى حديثه ، قل عيد الرحمن

(١) شرف أصحاب الحديث ص ٣٨ : ب .

(٢) السكال لابن عدى ص ٤ : ب ، ج ٣ ، والكفاية ص ١١٩ .

(٣) صحيح مسلم بشرح النووي ص ١٢١ ج ١ .

(٤) (٥) الاعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ ص ٦٦ .

(٦) الكفاية ص ٤٥ .

ابن مهدي : « سألت شعبة وابن المبارك والثوري ومالك بن أنس عن الرجل يُتهم بالكذب ، فقالوا : انشروه ، فإنه دين ^(١) » ، وعن يحيى بن سعيد قال : « سألت سفيان الثوري وشعبة ، ومالكاً وابن عيينة عن الرجل لا يكون ثبثاً في الحديث ، فيأثني الرجل فيسألني عنه ، قالوا : أخبر عنه أنه ليس بثبت ^(٢) » .

وكان طلاب العلم يسألون الأئمة ويكتبون إليهم ليخبروهم عن الرواة . من ذلك ما رواه الإمام مسلم بإسناده عن عبيد الله بن معاذ العنبري عن أبيه قال : « كتبت إلى شعبة أسأله عن أبي شعبة قاضي واسط ، فكتب إلي : لا تكتب عنه ، ومزق كتابي ^(٣) » .

وكان النقاد يدققون في حكمهم على الرجال ، يعرفون لكل محدث ماله وما عليه ، قال الشعبي : « والله لو أصبت تسماً وتسعين مرة وأخطأت مرة لعدّوا على تلك الواحدة ^(٤) » . وكانت المظاهر لا تغريهم ، وكل ما يهمهم أن يخلصوا العمل لله ، ويصلوا إلى ما تراتح إليه ضارهم ، لخدمة الشريعة ودفع ما يشوبها ، وبيان الحق من الباطل ، قال يحيى بن معين : « إنا لنظن على أقوام لعظم قدر خطوار حالهم في الجنة منذ أكثر من مائتي سنة ^(٥) » قال السخاوي : « أي أناس صالحون ، ولكنهم ليسوا من أهل الحديث ^(٦) » .

وعن أبي بكر بن خلاد ، قال : قلت إيجي بن سعيد القطان : أما نخشى

(١) مقدمة التهيد ص ١٢ : ب .

(٢) صحيح مسلم بهرج الثوري ص ٩٢ ج ١ .

(٣) المرجع السابق ص ١١٠ ج ١ .

(٤) تذكرة الحفاظ ص ٧٧ ج ١ .

(٥) الجامع لأخلاق الراوى وآداب السامع ص ١٦٠ : آ .

(٦) الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ ص ٥٢ .

أن يكون هؤلاء الذين تركت حديثهم خصماءك عند الله تعالى ؟ قال : قال :
لأن يكون هؤلاء خصمائي أحب إليّ من أن يكون خصمي رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول : « إِمَّ حَدَّثْتُ عَنْ حَدِيثٍ أَرَى أَنَّهُ كَذِبٌ ^(١) ؟ » .

وهكذا تكون علم الجرح والتعديل الذي وضع أسسه كبار الصحابة والتابعين
وأتباعهم على ضوء الشريعة الحنيفة متأسين برسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقد
قال تعالى : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا
قَوْمًا بِمِحْمَلَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ ^(٢) » وقال النبي صلى الله عليه وسلم
في الجرح : « بئس أخو المشيرة » ، وفي التعديل : « إن عبد الله رجلٌ
صالح ^(٣) » ، وقال السخاوي : (وأما المتكلمون في الرجال فخلق من نجوم
الهدى ومصاييح الظلام المستضاء بهم في دفع الردى ، لا يتهماً حصرهم في زمن
الصحابة رضي الله عنهم ، سرد ابن عدي في مقدمة كامله منهم خلقاً إلى زمنه
(٢٧٧ - ٣٦٥ هـ) فالصحابة الذين أوردهم : عمر ، وعلى ، وابن عباس ،
وعبد الله بن سلام ، وعبادة بن الصامت ، وأنس ، وعائشة — رضي الله عنهم ،
و « أورد » ^(٤) تصريح كل منهم بتكذيب من لم يصدقه فيما قاله ، وسرد من
التابعين عدداً كالشعبي ، وابن سيرين ، وسعيد بن المسيب ، وابن جبير ،
ولكنهم فيهم قليل بالنسبة لمن بعدهم لقلة الضعف في متبوعهم ، إذ أكثرهم
صحابة عدول وغير الصحابة من المتبوعين أكثرهم ثقات ، ولا يكاد يوجد
في القرن الأول الذي اقتصرت فيه الصحابة وكبار التابعين ضعيف إلا الواحد

(١) الكفاية ص ٤ .

(٢) ٦ : الحجرات .

(٣) الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ ص ٥٢ وانظر الكفاية ص ٣٨ - ٣٩ .

(٤) ليست في النص زديناها لتتقيم العبارة .

بعد الواحد ، كالحارث الأعور ، والحذار الكذاب .

فلما مضى القرن الأول ودخل الثاني كان في أوله من أوساط التابعين جماعة من الضعفاء الذين ضعفوا غالباً من قبل تحملهم وضبطهم للحديث .

فلما كان عند آخرهم ^(١) عصر التابعين وهو حدود الخمسين ومائة تسكلم في في التوثيق والتجريح طائفة من الأئمة ، فقال أبو حنيفة : ما رأيت أ كذب من جابر الجعفي ، وضعف الأعمش جماعة ووثق آخرون ، ونظر في الرجال شعبة وكان متنبهاً لا يسكاد يروي إلا عن ثقة ، وكذلك كان مالك . وعمن إذا قال في هذا العصر قبل قوله : معمر ، وهشام الدستوائي ، والأوزاعي ، والثوري ، وابن الماجشون ، وحامد بن سلمة ، ولأبي بن سعد ، وغيرهم ، ثم طبقة أخرى بعد هؤلاء : كإبن المبارك ، وهشيم ، وأبي إسحاق الفزاري ، والمعاني بن عمران الموصلي ، وبشر بن الفضل ، وابن عيينة ، وغيرهم . . . ^(٢) « وقد بين هؤلاء من تقبل روايته ومن لا تقبل ، وتكلموا في العدالة وموجباتها ، وفي الجرح وأسبابه ، وقد نص عمر رضي الله عنه في كتابه إلى أبي موسى الأشعري على العدالة ، ووضع أول الأسس في ذلك ، وبين من تقبل شهادته ومن لا تقبل ، ولما كانت الرواية لا تختلف عن الشهادة من ناحية التحمل والأداء ، فهو سنعنا أن نقول : إن عمر رضي الله عنه قد نص على العدالة التي يجب أن يتحمل بها كل مسلم حتى تقبل شهادته وروايته ، فقد قال رضي الله عنه : « والمسلمون عدول بعضهم على بعض ، إلا مجرباً عليه شهادة زور ، أو مجلوداً في حد . . . فإن الله تعالى تولى من البعاد السرأر ^(٣) » وتسكلم بعده الصحابة والتابعون ، وبينوا

(١) أي ما كان عند آخر التابعين انتهاء عصر التابعين .

(٢) الإعلان بالتاريخ لمن ذه التاريخ من ١٦٣ - ١٦٤ .

(٣) إعلام الموقعين ص ٨٦ - ١ .

من ترك روايته مطلقاً ، ومن لا تقبل روايته ولو تاب ، كالوضاعين الكاذبين على رسول الله ، وأصحاب البدع الداعين إلى بدعهم إذا استحلوا الكذب ، قال الإمام مالك : « لا يؤخذ العلم عن أربعة ، ويؤخذ عن سوى ذلك : لا يؤخذ من صاحب هوى يدعو الناس إلى هواه ، ولا من سقى معلى بالسفاهة وإن كان من أروى الناس ، ولا من رجل يكذب في أحاديث الناس وإن كنت لا تنهيه أن يكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا من رجل له فضل وصلاح وعبادة إذا كان لا يعرف ما يحدث ^(١) » . وقيل لشعبة بن الحجاج : متى يترك حديث الرجل ؟ قال : إذا روى عن المعروفين ما لا يعرفه المعروفون فأكثر ، وإذا أكثر الغلط ، وإذا اتهم بالكذب ، وإذا روى حديثاً غلطاً مجتمعاً عليه فلم ينههم نفسه فيتركه ، طرّح حديثه . وما كان غير ذلك فأروا عنه ^(٢) .

وقال الإمام الشافعي : « كان ابن سيرين ، وإبراهيم النخعي ، وطائوس ، وغير واحد من التابعين — يذهبون إلى ألا يقبلوا الحديث إلا عن ثقة يعرف ما يروى ويحفظ ، وما رأيت أحداً من أهل الحديث يخالف هذا المذهب ^(٣) » .

هكذا بين جماعة هذا العلم — منذ صدر الإسلام إلى عهد التدوين والتصنيف — أحوال الرواة : المقبول منهم والمتروك . وتكامل علم الجرح والتعديل ، وألفت مصنفات ضخمة في الرواة وأقوال النقاد فيهم ، حتى إنه لم يعد يختلط الكذابون والضعفاء بالعدول الثقات ، كما ألفت مصنفات ومعاجم خاصة

(١) الحديث الفاصل من ٧٩ : ٢ - ٧٩ : ب ، والجرح والتعديل من ٣٢ ج ١ ، والكفاية من ١١٦ .

(٢) الجرح والتعديل من ٣٢ ج ١ والحديث الفاصل من ٨١ : ب - ٨٢ : أ وروى نحوه هذا عن ابن المبارك أظن الكفاية من ١٤٣ ، وأيضاً نحوه عن الإمام أحمد أظن الكفاية من ١٤٤ .

(٣) مقدمة التمهيد من ١٠ : ب .

بالضعفاء والمتروكين ، وأصبح من السهل جداً على أصحاب الحديث أن يميزوا الخبيث من الطيب في كل عصر ، وقد بنى النقاد حكمهم في الرواة على قواعد دقيقة ، فقدموا للحضارة الإنسانية أعظم إنتاج في هذا المضمار ، يفخر به المسلمون أبد الدهر ، وتتميز به الأمة الإسلامية التي شهد لها كبار العلماء بأيادها البيضاء في خدمة السنة الشريفة ، قال المستشرق الماني « شبرنجر » في تصدر كتاب الإصابة لابن حجر — طبعة كلكتا سنة ١٨٥٣ — ١٨٦٤ — : « لم تكن فيما مضى أمة من الأمم الساقفة ، كما أنه لا توجد الآن أمة من الأمم المعاصرة أتت في علم أسماء الرجال بمثل ما جاء به المسلمون في هذا العلم العظيم الخطر ، الذي يتناول أحوال خمسمائة ألف رجل وشؤونهم ^(١) . . . »

ولم يكنف العلماء بالتزام الإسناد ، والتثبت من الأحاديث بالارتحال إلى الصحابة وكبار التابعين ، وبمراجعتها ومقارنتها ومعرفة طرقها وأسانيدھا ومعرفة روايتها وأحوالهم ، والثقة منهم والمجروح ، بل قسموا الحديث إلى درجات يعرف بها المقبول من الردود ، والقوى من الضعيف ، ققسموه إلى صحيح وحسن وضعيف ، وبينوا حد كل منها وما يندرج تحته ، أما الحديث الحسن فلم يكن معروفاً عند المحدثين في القرن الهجري الثاني ، وإنما عرف بعد ذلك ، ويعتبر كتاب الترمذی أصلاً في معرفة الحسن ^(٢) ، كما (يوجد — الحسن — في متفرقات من كلام بعض مشايخه والطبقة التي قبله ، كأحمد والبخاري وغيرهما ^(٣)) وتكلموا في أنواع الضعيف ، وبنوا ذلك على منشا الضعف من السند أو المتن ،

(١) أضواء على التاريخ الإسلامي ص ١٣٦ .

(٢) انظر اختصار علوم الحديث ص ٤٣ .

(٣) الباعث الحديث ص ٤ ، أي في كلام بعض مشايخ الترمذی .

وقد قسمه ابن حبان تسعة وأربعين قسماً^(١) ، وقسمه ابن الصلاح أقساماً كثيرة باعتبار الصفة التي فقدوها من صفات القبول الستة ، وهي : الاتصال ، والعدالة والضبط ، والمتابعة في المستور ، وعدم الشذوذ ، وعدم العلة ، وباعتبار فقد صفة مع صفة أخرى تليها أولاً ، أو مع أكثر من صفة إلى أن تفقد الستة ، فبلغت فيما ذكره العراقي في شرح الألفية اثنين وأربعين قسماً^(٢) ، وقسمه غيره إلى أنواع أكثر من ذلك لا يتسع المجال لذكرها .

خامساً : وضع قواعد لمعرفة الموضوع من الحديث :

وكما وضع العلماء قواعد دقيقة لمعرفة الصحيح والحسن والضعيف من الحديث ، وضعوا قواعد لمعرفة الموضوع منه ، وذكروا ما يدل على الوضع في سند الحديث ، وما يدل عليه في متنه ، ومنوجز هذه العلامات فيما يلي :

(١) علامات الوضع في المتن :

١ - أن يعترف راوي الحديث بكذبه ، ويقر باختلافه ما يروى ، كما أقر عبد الكريم الوضع ، وأبو عصمة نوح بن أبي مرثد ، وكما اعترف أبو جزي وهو مريض فقال : « لولا أنه حضرني من الله ما ترون كنت خليفاً ألا أقر ولا أعترف ، ولكني أشهدكم أنني وضعت من الحديث كذا وكذا ، وإنني أستغفر الله منها وأتوب إليه^(٣) » . وهذا أقوى دليل على كون الحديث موضوعاً .

(١) انظر تدريب الراوي ص ١٠٥ .

(٢) انظر للرجع السابق ص ١٠٥ ، وفتح الميث ص ٥٥ ج ١ .

(٣) قبول الأخبار ص ٦ .

٢ - وجود قرينة تقوم مقام الاعتراف بالوضع :

كان يروى عن شيخ لم يلقه ، أو يروى عن شيخ في بلد لم يرحل إليه ، أو يروى عن شيخ ولد بعد وفاته ، أو توفي هذا الشيخ والراوى صغير لا يدرك ، قيل لشعبة : لم لا تحدث عن عثمان بن أبي اليقظان ، وهو عثمان بن عير ؟ فقال : كيف أحدث عن رجل كنت جالسا معه فسألته عن سنة ، فأخبرني بمولده ثم حدث عن رجل قد مات قبل أن يولد^(١) ؟ وإن هذا الصنف لا يمكن معرفته إلا بمعرفة مولد الشيوخ ووفاتهم ، والبلدان التي رحلوا إليها ، ولأماكن التي أقاموا فيها ، كيلا يستعمل الوضعون الشيخ الثقات لترويج ما يضمون ، وقد وفق علماء الأمة في هذا ، فقسموا الرواة طبقات ، وعرفوا كل شيء عنهم ، ولم يخف عليهم من أحوالهم شيء ، وفي هذا قل حفص بن غياث : « إذا اتهم الشيخ فاسبوه بالتاريخ - يعنى احسبوا سنة وسن من كتب عنه - وقال حسان ابن زيد : لم نستعن على الكذابين بمثل التاريخ ، نقول للشيخ : كم سنة ؟ وفي أى تاريخ ولد ؟ فان أقر بمولده عرفنا صدقه من كذبه^(٢) » .

٣ - أن يتفرد راو معروف بالكذب برواية حدث ، ولا يرويه ثقة غيره فيحكم على روايته بالوضع وقد استقصى جماعة لأمة الكذابين ، وبينوا ما كذبوا فيه حتى لم يخف منهم أحد .

٤ - ومن القرائن التي يدرك بها الوضع ، ما يؤخذ من حال الراوى ، كما وقع للامون بن أحمد ، أنه ذكر بحضرته اختلاف في كون الحسن سمع من

(١) قبول الأخبار ص ١٦ .

(٢) تهذيب التاريخ الكبير لابن هاشم ص ٢٦ - ١ .

أبي هريرة أولاً ، فساق في الحال إسناده إلى النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال :
سمع الحسن من أبي هريرة ^(١) .

ومن هذا ما ذكرناه عن سيف بن عمر الذي روى خبر وضع سعد بن طريف
لحديث «معلمو صبيانكم شراركم ...» ^(٢) .

• • •

(ب) علامات الوضع في المتن :

مقدمة : قال الإمام ابن قيم الجوزية : (وسئلت : هل يمكن معرفة الموضوع
بضابط ، من غير أن ينظر في سنده ؟ فهذا سؤال عظيم القدر ، وإنما يعلم ذلك
من تضلع في معرفة السنن الصحيحة ، واختلطت بدمه ولحمه ، وصار له فيها ملكة ،
وصار له اختصاص شديد بمعرفة السنن والآثار ، ومعرفة رسول الله صلى الله عليه
وسلم وهديه ، فيما يأمر به وينهى عنه ، ويحذر عنه ويدعو إليه ، ويحبه ويكرهه ،
وبشرعه للأمة بحيث كأنه مخالط للرسول صلى الله عليه وسلم كواحد من أصحابه ،
ومثل هذا يعرف - من أحوال الرسول صلى الله عليه وسلم وهديه وكلامه ،
وما يجوز أن يخبر عنه ، وما لا يجوز - ما لا يعرفه غيره ، وهذا شأن كل متبع
مع متبوعه ، فلأخص به ، الحريص على تتبع أقواله وأفعاله في العلم بها والتميز
بين ما يصح أن ينسب إليه وما لا يصح - ما ليس لمن لا يكون كذلك .
وهذا شأن المقلدين مع أئمتهم : يعرفون من أقوالهم ونصوصهم ومذاهبهم
وأساليبهم ومشاربهم - ما لا يعرفه غيرهم) ^(٣) .

(١) قواعد التحديث ص ١٣٣ وقيل لأبون بن أحمد الهروي : ألا ترى إلى الشافعي ومن تبعه
بجراسان ؟ فقال : حدثنا أحمد بن عبد الله . . . من أس مرفوعاً يكون في أمي رجل يقال له
محمد بن إدريس أضر على أمي من إبليس . انظر تدريب الراوي ص ١٨١ .
(٢) انظر ص ٢١٧ - ٢١٨ في الفصل السابق من هذا الباب .
(٣) المنار لابن قيم الجوزية ص ١٥ وانظر قواعد التحديث ص ١٤٨ .

قال ابن دقيق العيد : « وكثيراً ما يحكمون بذلك (أى بالوضع) باعتبار يرجع إلى المروى وألفاظ الحديث ، وحاصله أنها حصلت لهم بكثرة محولة ألفاظ النبي صلى الله عليه وسلم هيئة نفسانية وملكية يعرفون بها ما يجوز أن يكون من ألفاظه وما لا يجوز ، فإن معرفة الوضع من قرينة حال المروى أكثر من قرينة حال الراوى .^(١) »

ومن القرآن التي تدل على الوضع في المتن :

١ - ركافة اللفظ في المروى بحيث يدرك من له إلمام باللغة أن هذا ليس من فصاحة النبي صلى الله عليه وسلم ، وقد وضعت أحاديث ركيكة تشهد ألفاظها ومعانيها لوضعها . قال الحافظ ابن حجر : « المدار في الركة على ركة المعنى ، فحيث وجدت دلت على الوضع ، وإن لم ينضم إليها ركة اللفظ ، لأن الدين كله محاسن ، والركة ترجع إلى الرداءة ، أما ركافة اللفظ فقط فلا تدل على ذلك ، لاحتمال أن يكون رواه بالمعنى ، فتغير ألفاظه بنهر فصيح ، نعم إن صرح بأنه من لفظ النبي صلى الله عليه وسلم فكاذب .^(٢) »

٢ - فساد المعنى :

كأحاديث التي يكذبها الحس ، نحو حديث : الباذنجان لما أكل له ،^(٣) والباذنجان شفاء من كل داء^(٤) ، ومنها سماجة الحديث ، وكونه مما يسخر منه كحديث : « لو كان الأرز رجلاً لكان حليماً ، ما أكله جائع إلا أشبهه^(٥) » ، قال ابن قيم الجوزية : فهذا من السمج البارد الذي يصاب عنه كلام العقلاء ، فضلاً

(١) توضيح الأضكار ص ٩٤ ج ٢ .

(٢) الباعث الخبيث ص ٩٠ .

(٣ و ٤) المنار لابن قيم الجوزية ص ١٩ .

(٥) المنار لابن قيم الجوزية ص ٢٠ .

عن كلام سيد الأنبياء^(١) ، وحديث : من اتخذ ديكا أبيض لم يقربه شيطان ولا سحر^(٢) ، وكل ما يدل على إباحة المفاصد والسير وراء الشهوات كحديث : ثلاثة تزيد في البصر : النظر إلى الخضرة ، والماء الجاري ، والوجه الحسن^(٣) . وحديث : النظر إلى الوجه الجميل عبادة^(٤) . قال ابن قيم الجوزية : « وكل حديث فيه ذكر حسان الوجوه أو الثناء عليهم ، أو الأمر بالنظر إليهم ، أو التماس الخواص منهم ، أو أن النار لا تمسهم — فكذب مخلوق ، وإفك مفترى^(٥) » .

ومن الموضوعات كل حديث تقوم الشواهد الصحيحة على بطلانه كحديث هوج بن عنق الطويل ، الذي قصد واضعه الطعن في أخبار الأنبياء ، فإن في هذا الحديث : (أن طوله كان ثلاثة آلاف ذراع ، وثلاثمائة وثلاثة وثلاثين وثلاث ، وأن نوحا لما خوفه الفرق ، قال له : احملني في قصبتك هذه ، وأن الطوفان لم يطل إلى كعبه ، وأنه خاض البحر ، فوصل إلى حجزته ، وأنه كان يأخذ الحوت من قرار البحر فيشويه في عين الشمس ، وأنه قلع صخرة عظيمة على قدر عسكر موسى ، وأراد أن يرميهم بها فطوقها الله في عنقه مثل الطوق^(٦)) .

وكذلك كل حديث يشتمل على سخافات لا تصدر عن العقلاء ، فكيف تصدر عن رسول الله الذي أوتي جوامع الكلم كحديث : « الهجرة التي في السماء من عرق الأنبياء التي تحت العرش^(٧) » وحديث « المؤمن حلو يحب الخلوة^(٨) » .

(١) النار لابن قيم الجوزية ص ٢٠ .

(٢) المرجع السابق ص ٢١ .

(٣) و(٤) النار ص ٢٤ .

(٦) المرجع السابق ص ٢٩ - ٣٠ .

(٧) المرجع السابق ص ٢٣ .

(٨) النار ص ٢٥ .

وحديث « المهرسة تشد الظهر^(١) » - كلها وأمثالها من وضع الوضاعين الذين افتروا على رسول الله الكذب ، ووضعوا ما يخالف الشريعة وما ينافي رسالة الأنبياء الذين جاءوا يخاطبون أولى الألباب وبأسرون بالمعقول ، ولم تكن رسائلهم لتفضيل طعام على طعام ، وإثارة الشهوات ، ورواية الأساطير والخرافات ، والإتيان بما يردده الحق ويرفضه العقل . وفي هذا كلمة لابن الجوزي قال : « ما أحسن قول القائل : إذا رأيت الحديث يباين المعقول أو يخالف المعقول أو يناقض الأصول ، فاعلم أنه موضوع^(٢) » .

٣ - ما يناقض نص الكتاب أو السنة المتواترة أو الإجماع القطعي^(٣) ، وما يناقض السنة مناقضة بينة :

قال ابن قيم الجوزية : « ومنها^(٤) مخالفة الحديث صريح القرآن . كحديث مقدار الدنيا وأنها سبعة آلاف سنة . ويحىء في الألف السابعة^(٥) . وهذا من آيين الكذب ، لأنه لو كان صحيحا لكان كل أحد عالما أنه قد بقي للقيامة من وقتنا هذا^(٦) مائتان وخمسون سنة . والله تعالى يقول : « يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا ؟ قُلْ : إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي ، لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ . قُلْتُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ، لَا تَأْتِيكُمُ إِلَّا بَغْتَةً . يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَقٌّ عَنْهَا قُلْ : إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ^(٧) » وقال الله تعالى : « إِنْ أَشَاءَ اللَّهُ عِنْدَ

(١) للتار ص ٢٥ . (٢) تدريب الراوي ص ١٨٠ .

(٣) انظر توضيح الألفكار ص ٩٦ ج ٢ .

(٤) أي الأمور التي يبرف بها كون الحديث موضوعا .

(٥) لعله يريد أنه يحىء نهاية عمر الدنيا في الألف السابعة .

(٦) عاش ابن قيم الجوزية من سنة (٦٩١ إلى سنة ٧٥٢ هـ) .

(٧) ١٨٧ : الأعراف .

عِلْمُ السَّاعَةِ^(١) » وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « لا يعلم متى تقوم الساعة إلا الله »^(٢) .

وبما وضع مناقضاً للسنة مناقضة بينة (أحاديث مدح من اسمه محمد وأحمد ، وأن كل من يسمى بهذه الأسماء لا يدخل النار . وهذا مناقض لما هو معلوم من دينه صلى الله عليه وسلم : أن النار لا يحار منها بالأسماء والألقاب ، وإنما النجاة منها بالآيمان والأعمال الصالحة)^(٣) .

وجميع الأحاديث التي تنص على وصاية علي رضي الله عنه أو على خلافته غير صحيحة ، وهي موضوعة ، لأنها تخالف ما أجمعت عليه الأمة من أنه صلى الله عليه وسلم لم ينص على تولية أحد بعده .

٤ - كل حديث يدعى تواطؤ الصحابة على كتمان أمر ، وعدم نقله ، كما تزعم الشيعة : (أنه صلى الله عليه وسلم أخذ بيد علي بن أبي طالب رضي الله عنه بمحضر من الصحابة كلهم ، وهم راجعون من حجة الوداع ، فأقامه بينهم حتى عرفه الجميع ، ثم قال : « هذا وصي وأخي ، والخليفة من بعدي ، فاسمعوا وأطيعوا » ثم اتفق الكل على كتمان ذلك وتغييره ، فلم ينقله الله على الكاذبين)^(٤) .

٥ - كل حديث يخالف الحقائق التاريخية التي جرت في عصر الرسول صلى الله عليه وسلم ، أو اقترن بقرائن تثبت بطلانه . مثل حديث وضع الجزية عن أهل خيبر ، كذب من عدة وجوه :

(١) ٣٤ : لقمان .

(٢) النار ص ٣١ .

(٣ و ٤) : النار ص ٢٢ .

أحدها : أن فيه شهادة سعد بن معاذ ، وسعد توفي قبل ذلك في غزاة الخندق .

الثاني : أن الجزية لم تكن نزلت حينئذ ، ولا يعرفها الصحابة ولا العرب وإنما أنزلت بعد عام تبوك ، حين وضعها النبي صلى الله عليه وسلم على نصارى نجران ويهود اليمن وبين ابن قيم الجزية كذب هذا في عشرة أدلة قوية .^(١)

ومثاله ما رواه الإمام مسلم بسنده عن أبي وائل قل : خرج علينا ابن مسعود بصفين ، فقال أبو نعم : آتراه بعث بعد الموت^(٢) . فابن مسعود توفي قبل صفين سنة ٣٢ هجرية .

٦ - « أن يكون خبراً عن أمر جسم كحصر العدو للحاج عن البيت ، ثم لا ينقله منهم إلا واحد ، لأن العادة جارية بتظاهر الأخبار في مثل ذلك . قلت : ويمثله الأصوليون بقتل الخطيب على المنبر ، ولا ينقله إلا واحد من الحاضرين^(٣) » .

٧ - « موافقة الحديث لمذهب الراوى ، وهو متعصب مقال في تعصبه ، كأن يروى رافضى حديثاً في فضائل أهل البيت ، أو مرجئ حديثاً في الإرجاء ، مثل ما رواه حبة بن جوين قال : سمعت علياً رضى الله عنه قال : عبت الله مع رسوله قبل أن يعبد أحد من هذه الأمة خمس سنين أو سبع سنين ، قال ابن حبان : كان حبة غالباً في التشيع ، واهياً في الحديث^(٤) » .

(١) انظر المنار ص ٣٧ - ٣٨ .

(٢) انظر صحيح مسلم بفتح النوى ص ١١٧ ج ١ .

(٣) توضيح الأفتكار ص ٩٦ ج ٢ .

(٤) السنة ومكانتها في التصريح الإسلامى ص ١١٨ .

٨ - اشتمال الحديث على مجازفات وإفراط في الثواب العظيم مقابل عمل صغير ، مثال ذلك : « من قال لا إله إلا الله ، خلق الله من تلك الكلمة طائراً له سبعون ألف لسان ، لسكل لسان سبعون ألف لغة يستغفرون له » و « من فعل كذا وكذا ، أعطى في الجنة سبعين ألف مدينة ، في كل مدينة سبعون ألف قصر في كل قصر سبعون ألف حوراء » .

وأما هذه المجازفات الباردة التي لا يتخلو حال واضعها من أحد أمرين : إما أن يكون في غاية الجهل والحق . وإما أن يكون زديقا قصد التنقيص بالرسول صلى الله عليه وسلم ^(١) .

وإلى جانب هذه القواعد ، فقد تكونت عند أكثر العلماء ملكة خاصة ، نتيجة لدراستهم حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وحفظه ومقارنة طرقه ، فأصبحوا يعرفون - لكثرة ممارستهم هذا - ما هو من كلام الصادق المصدوق وما ليس من كلامه ، وفي هذا يقول ابن الجوزي : (الحديث المنكر يتشعر له جلد الطالب للحلم ، وينفر منه قلبه في الغالب ^(٢)) ويقول الربيع بن خثيم التابعي الجليل - أحد أصحاب ابن مسعود - : « إن من الحديث حديثا له ضوء كضوء النهار نعرفه به ، وإن من الحديث حديثا له ظلمة كظلمة الليل نعرفه بها ^(٣) » .

هذه أم القواعد التي وضعها جهابذة علم الحديث لتمييز الموضوع من

(١) النار ص ١٩ .

(٢) الباعث الخثيم ص ٩٠ .

(٣) معرفة علوم الحديث ص ٦٢ ، والمحدث الفاضل ص ٦٣ : آ ، وأظفر الكفاية ص ٤٣١ : وذكر الربيع بن خثيم في بعض المصادر (خثيم) كما في كتاب (الجمع بين رجااء الصحيحين) ص ١٣٤ ج ١ والصواب (خثيم) كما في طبقات ابن سعد ص ١٢٧ ج ٦ وغيره .

الصحيح ، كما أنهم بحثوا بدقة تامة عن الأحاديث الموضوعة ، وصنفوها حتى
تُعرف لأهل العلم ولا تشتهر عليهم ، ونلاحظ أن هذه القواعد تناولت الحديث
سندا ومقتنا ، فلم تقتصر جهود العلماء على نقد سند الحديث فقط دون متنه ، كما
ادعى بعض المستشرقين وأيدم في ذلك بعض الكاتبيين المسلمين ، وسنستعرض
بعض آرائهم في هذا الموضوع ، ليظهر لنا بطلان ما ادعوا وزيف ما زعموا على
ضوء ما بيناه .



الفصل الثالث

أراء بعض المستشرقين وأشياءهم في السنة ونهوها

١ - رأى جولد تسيهر : يقول الدكتور على حسن عبد القادر : (وهنا مسألة جد خطيرة ، نجد من الخير أن نعرض لها بيمض التفصيل ، وهي (وضع الحديث) في هذا العصر ، ولقد ساد إلى وقت قريب في أوساط المستشرقين الرأي القائل « بأن القسم الأكبر من الحديث ليس إلا نتيجة للتطور الديني والسياسي والاجتماعي للإسلام في القرنين الأول والثاني ، وأنه ليس صحيحاً ما يقال من أنه وثيقة للإسلام في عهده الأول عهد الطفولة ، ولكنه أثر من آثار جهود الإسلام في عصر النضوج » ، ويقول في الهامش هذا الرأي الذي ننقله هو رأى جولد تسيهر في كتابه « دراسات اسلامية »^(١) . وقد انتشر رأى (جولد تسيهر) هذا في الغرب والشرق وأصبح من مسلمات البحث عند المستشرقين ، كما أن (جولد تسيهر) نفسه بين رأيه في السنة واضحاً في كتابه « العقيدة والشريعة في الإسلام » . فقد قال : (ولا نستطيع أن نعزو الأحاديث الموضوعة للأجيال المتأخرة وحدها ، بل هناك أحاديث عليها طابع القدم ، وهذه إما قالها الرسول ، أو هي من عمل رجال الإسلام القدامى ، ولكن من ناحية أخرى فإنه ليس من السهل تبين هذا الخطر المتجدد عن بعد الزمان والمكان من منبع الأصل ،

(١) نظرة عامة في تاريخ الفقه الإسلامي : ١٢٦ - ١٢٧ ، وانظر دائرة المعارف

الإسلامية مادة (حديث) و

بأن يخترع أصحاب المذاهب النظرية والعملية أحاديث لا يرى عليها شائبة في ظاهرها ، ويرجع بها إلى الرسول وأصحابه . فالحق أن كل فكرة ، وكل حزب وكل صاحب مذهب ، يستطيع دعم رأيه بهذا الشكل ، وأن الخالف له في الرأي يسلك أيضا هذا الطريق ، ومن ذلك لا يوجد في دائرة العبادات أو العقائد أو القوانين الفقهية أو السياسية مذهب أو مدرسة لا تعزز رأيها بحديث أو بحجة من الأحاديث ظاهرها لا تشوبه أية شائبة . ولم يستطع المسلمون أنفسهم أن يخفوا هذا الخطر ، ومن أجل هذا وضع العلماء علما خاصا له قيمته ، وهو علم نقد الحديث ، لكي يفرقوا بين الصحيح وغير الصحيح من الأحاديث ، إذا أعوزهم التوفيق بين الأقوال المتناقضة ، ومن السهل أن يفهم أن وجهات نظرهم في النقد ليست كوجهات النظر عندنا ، تلك التي تجد لها مجالا كبيرا في النظر في تلك الأحاديث التي اعتبرها النقد الإسلامي صحيحة غير مشكوك فيها ، ووقف حيالها لا يجرؤ ساكنا .

ولقد كان من نتائج هذه الأعمال النقدية الاعتراف بالكتب الستة أصولا ، وكان ذلك في القرن السابع الهجري ، فقد جمع فيها علماء من رجال القرن الثالث الهجري أنواعا من الأحاديث كانت مبعثرة ، وأوها أحاديث صحيحة^(١) . إن سوء ظن هذا الباحث في السنة ظهر في طيات كتابه المذكور ، في أبحاث ونقاط كثيرة ، وإنما استشهدت ببعض ما يتناول بحثنا ، ويتجلى لنا عما أوردت عن جولد نسيهر ما يلي :

١ - يرى أن أكثر الحديث نتيجة للتطور الإسلامي السياسي والاجتماعي أي أنه موضوع .

٢ - يرى أن رجال الإسلام القدامى (الصحابة والتابعين) كان لهم يد في وضع الأحاديث .

٣ - إن بعد الزمان والمكان من عهد الرسالة يسمح لأصحاب المذاهب أن ينتحلوا الأحاديث لدعم مذاهبهم ، بل ما من مذهب نظرى أو عملى إلا وقد عزز رأيه في مختلف النواحي العقائدية أو الفقهية أو السياسية حتى في العبادات بأحاديث ظاهرها لا تشوبه أية شائبة .

٤ - وجهة نظر النقاد المسلمين تختلف عن وجهة نظر النقاد الأجانب الذين لا يسلّمون بصحة كثير من الأحاديث التي قرر المسلمون صحتها .

٥ - يصور الكتب الستة بأنها ضم لأنواع من الأحاديث التي كانت مبعثرة رأى جامعوها أنها صحيحة .

هذه النقاط الخمسة هي خلاصة رأى جولد تسيهر في الوضع والنقد ، وله آراء كثيرة متفرقة خارجة عن إطار بحثنا^(١) ، وستناقش هذه النقاط بإيجاز على ضوء ما سبق أن أثبتناه .

١ - إن ما ادعاه من أن أكثر الحديث نتيجة للتطور غير صحيح ، لأن المسلمين منذ القرن الأول ومن عهد الصحابة كانوا يشتبئون في قبول الأحاديث ، وكانوا يتبعون الكذابين والوضاعين ، وعرفوا الأحاديث الموضوعة والصحيحة . ثم إن القرآن الكريم قد جاء بالقواعد الكلية التي تناسب كل زمان ومكان ولم يتعرض الجزئيات وطرق تنفيذها التي يمكن أن تتبدل وتتغير حسب البيئة والزمان دون أن تؤثر على القواعد الكبرى والأهداف العليا للإسلام ، وترك

(١) تصدى الدكتور مصطفى السباعي للمستشرقين ورد عليهم في كتابه السنة ومكانتها في التشريع الإسلامى ورد على جولد تسيهر رداً قيباً فليراجع هناك ص ٣٦٤ وما بعدها .

الله تعالى لأحكام وسائل التطبيق والتنفيذ في ظلال الكتاب والسنة والأصول التي تليها . فالمسلمون ليسوا بحاجة إلى اختلاق أحاديث تبرر ما يقومون به نتيجة لحياتهم الجديدة ، فقد كفاهم الله عز وجل هذا بما شرعه لهم من أسس وقواعد خالدة إلى يوم الدين ، رضيها لهم ورضوها لأنفسهم ، وقد قال تعالى : « الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَارْتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ^(١) » .

٢ - يرى أن رجال الإسلام القدامى لهم يد في الوضع . فمن هم رجال الإسلام القدامى إذا لم يكونوا الصحابة والتابعين ؟ فإذا كان يقصدهم فإننا قد بينا فيما سبق احتراز الصحابة عن ذلك وعدم انغماس كبار التابعين في حمأة الوضع فلا داعي للتكرار .

٣ - إذا كان بعض أهل الأهواء قد استجازوا الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم لدعم أهوائهم فهذا لا يعني قط أن أصحاب المذاهب الفقهية والسياسية والمقائدية قد اختلقوا الأحاديث لدعم مذاهبهم ، ثم لم يظن السوء بهذه المذاهب ؟ ولم يدعى كذبها ووضعها بعض الأحاديث ؟ يجب أن يعلم كل إنسان أن الاختلافات الفقهية بين الصحابة أو الفقهاء لم يكن مردها هوى في النفس أو تعصبا في الرأي ، وإنما كانت لأسباب كثيرة أهمها أن بعض الأحاديث وصلت إلى الأئمة دون بعض فحكموا بها ، أو أنها وصلتهم ولكنها ثبتت عند بعضهم ولم تثبت عند الآخرين ، أو أنها ثبتت عند الجميع واختلفوا في الاستنباط منها وما إلى هذا ^(٢) ، فالفقهاء جميعا متفقون على اتباع سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم . فهل يعقل

(١) : الآية ٣ .

(٢) انظر رفع الأعلام عن الأئمة الأعلام لابن تيمية وهي رسالة مشيرة جلية القدر عظيمة النفع .

من هؤلاء أن يكذبوا على رسول الله عليه الصلاة والسلام لدعم مذهبهم ؟
وإنما قامت مذاهبهم على القرآن الكريم والسنة المطهرة ، وشربت من ينبوع
الرسول الصافي عليه الصلاة والسلام .

إن تعميم جولد تسير لم يبن على دراسة موضوعية للمذاهب الفقهية
والعقائدية بل اكتفى بما وجدته عند أهل الأهواء من الأحاديث الموضوعة ،
أو بما رآه في كتب بعض أتباع المذاهب الفقهية التي دس فيها بعض الأحاديث
الضعيفة أو الموضوعة ، ثم ألصق هذا بأصحاب هذه المذاهب جريا وراء هواه ،
لعدم رأيه في وضع أكثر الأحاديث -

٤ - إن وجهة نظر النقاد المسلمين مبنية على القواعد والأصول التي
وضعوها في تقدم ، وقد رأينا دقتها وعرفنا قيمتها ، فمن الطبيعي أن تختلف عن
وجهة نظر النقاد الأجانب ، الذين لا يؤمنون برسالة محمد صلى الله عليه وسلم
ولا يستقنون الإيماء إليه ، فنحن مختلفون معهم من نقطة البداية ، لأن كثيرا
من الأحاديث التي تتناول العقائد والنبىيات سلمنا بصحتها بعد التحقيق العلمى ،
وسلمنا بكل ما جاء فيها لأنها عن الصادق المصدوق ، فاختلف وجهة نظرم
لا يضيرنا ما دعنا قد سلكنا في نقدنا ومبحثنا أسلم طرق البحث العلمى وأدقها ،
وقد شهد لنا بذلك المنصفون منهم .

٥ - أما رأيه في الكتب الستة : أنها مجموعة من الأحاديث التي ضحها
مؤلفوها بعد أن كانت مبعثرة في القرن الثالث ، ورأوا أنها صحيحة - فهذا
رأى مردود ، فيه إنكار لجهود العلماء الجبارة التي بذلوها خلال القرن الأول
والثاني في سبيل صيانة السنة وحفظها ، فالسنة لم تكن مبعثرة متفرقة ، بل كان
معظمها عمليا ، يطبقه المسلمون ، ويطبقون تعاليم رسول الله صلى الله عليه وسلم على

هذه ، ولم يقتصر هذا على عهد الصحابة والتابعين ، أو على موطن الإسلام الأول ، بل انتشرت سنة رسول الله عليه الصلاة والسلام في القرن الأول والقرون التالية ، وزاعت في الآفاق عندما حرر المسلمون الأوائل البلاد المجاورة من طغيان الحكام ، وانتقلت السنة العملية والقولية والتفريعية ، جيلا عن جيل ، تحفظها صدور الحفاظ وصحفهم إلى أن جمعت في كتب مصنفة ، وفي أجزاء مبنية في منتصف القرن الثاني الهجري على أيدي كبار العلماء والحفاظ ، وإن ماجمه البخاري ومسلم وغيرها في القرن الثالث لم يكن مبعثرا ، وإنما اختير من ألوف الأحاديث التي كانت عند الحفاظ متوخين الأحاديث الصميعة ويستوضح هذا لنا جليا عندما نتكلم عن تدوين السنة .

* * *

ثانيا : رأى غاستون ويت : كاتب مقال (الحديث) في التاريخ العام للديانات .

أورد غاستون ويت رأى جولد تسيهر السابق وأيده^(١) ، وتعرض لنقد الحديث فقال : « وقد درس رجال الحديث السنة بإتقان إلا أن تلك الدراسة كانت موجهة إلى (السند) ومعرفة الرجال ، والتفاهم وسماع بعضهم من بعض . . . ثم يقول : لقد نقل لنا الرواة حديث الرسول مشافهة ، ثم جمعه الحفاظ ودونوه ، إلا أن هؤلاء لم ينقدوا « المتن » ولذلك لسنا متأكدين من أن الحديث قد قد وصلنا كما هو عن رسول الله من غير أن يضيف إليه الرواة شيئا عن حسن نية في أثناء روايتهم الحديث ، ومن الطبيعي أن يكونوا قد زادوا شيئا عليه في أثناء

روايتهم (لأنه كان بالمشافهة) ، ومهما كان هذا الرأي صحيحاً فإن المسلمين يقبلون الحديث على أنه كلام صحيح^(١) .

* * *

ثالثاً — رأى الأستاذ أحمد أمين :

قال : (وقد وضع العلماء للجرح والتعديل قواعد ليس هنا محل ذكرها ، ولكنهم — والحق يقال — عنوا بنقد الإسناد أكثر مما عنوا بنقد المتن ، فقل أن نظفر منهم بنقد من ناحية أن مانسب إلى النبي صلى الله عليه وسلم لا يتفق والظروف التي قبلت فيه ، أو أن الحوادث التاريخية الثابتة تناقضه ، أو أن عبارة الحديث نوع من التعبير الفلسفي يخالف المؤلف في تعبير النبي ، أو أن الحديث أشبه في شروطه وقبوره بمتون الفقه ، وهكذا ، ولم نظفر منهم في هذا الباب بعشر معشار ما عنوا به من جرح الرجال وتعديلهم ، حتى يرى البخاري نفسه — على جليل قدره ، ودقيق بحثه — يثبت أحاديث دلت الحوادث الزمنية والملاحظة التجريبية على أنها غير صحيحة لاقتصاره على نقد الرجال ، كحديث : « لا يبقى على ظهر الأرض بعد مائة سنة نفس منقوسة » وحديث « من اصطبح كل يوم سبع تمرات من عجوة لم يضره سم ولا سحر ذلك اليوم إلى الليل . »^(٢)) .

إن ما ذكره (غاستون ويت) والأستاذ أحمد أمين — فيه حيف وظلم للجهود التي بذلها علماء السنة لحفظ الحديث الشريف وتخليصه من كل ما يشوبه فإن علماء الجرح والتعديل تناولوا نقد سند الحديث كما تناولوا نقد مقته ، وإن الجهود التي بذلوها في نقد المتن لا تقل عن جهودهم في نقد السند ، وقد لمسنا تلك

(١) Mistolre Générale Des Religions, P, 365. (Islam)

(٢) جرن الإسلام من ٢١٧ — ٢١٨ .

الجهود حينما استعرضنا القواعد التي وضعوها لتمييز الموضوع من الصحيح .
ونستطيع أن نرد على كل من يدعى أن نقد العلماء كان منصبا على (السند)
دون (المتن) بأنهم - كما وضعوا علامات لتمييز السند الضعيف من السند
الصحيح - وضعوا علامات تميز متن الخبر الموضوع عن غيره ، وهذه العلامات
ثمانية للمتن وأربعة للسند ، كما ثبت لدينا ، فهل بقيت مع هذا حجة لدعم
ذلك الزعم ؟!

وأما ما ادعاه (غاستون ويت) من زيادة الرواة شيئا على ما يروونه عن
حسن نية ، فهذا مدفوع بما حققه العلماء في أحاديثهم الدقيقة عن زيادة الراوى
شيئا على الخبر ، وبينوا أن هذه الزيادة قد تكون في المتن أو في الإسناد^(١) ،
وما يضيفه الراوى يسمى (المدرج) والادراج على الحقيقة إنما يكون في المتن ،
وبينوا صور المدرج ونصوا على كثير من إدراجات الرواة ، فلم يلتبس على
على علماء الأمة المدرج ، بل عرفوا كل ذلك .
ومعظم ما أدرج كان نتيجة لتفسير الشيخ ، يسمعه الطالب فيظنه
من الحديث .

وقد عرف العلماء هذا ، وبينوا أن ما يقع من الراوى خطأ من غير عمد
فلا حرج على الخطئ . ، إلا إن كثرت خطؤه ، فيكون جرحا في ضبطه واتقانه^(٢)
وبعرف ما أدرجه الراوى بإقراره ، أو بمقارنة طرق الخبر ، فيتبين بهذه المقارنة
ما أدرج من قبل الراوى . وقد عرف النقاد هذا كله ونصوا عليه .
وأما ما قاله الأستاذ أحمد أمين من أن (البخارى نفسه على جليل قدره

(١) انظر الباحث الحديث من ٨٠ .

(٢) انظر المرجع السابق من ٨٤ .

ودقيق محته يثبت أحاديث دلت الحوادث الزمنية والملاحظة التجريبية على أنها غير صحيحة ، لاقتصاره على نقد الرجال) . فهذا حكم لا نوافقه عليه ولا نقول به ، لأن ما استشهد به لدعم رأيه لا يثبت هذا بل يمارضه ، بل إن حديث « لا يبقى على ظهر الأرض بعد مائة سنة نفس منقوسة » صحيح ، وقد فهمه الأستاذ فهما مخالفا للحقيقة ، وذهب في تأويله مذهباً بعيداً كل البعد عن الصواب ، وقد روى هذا الحديث من طرق عدة فسر بعضها بعضاً ، فالمراد من الحديث أنه عند انقضاء مائة سنة من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لن يبقى أحد ممن كان موجوداً في عهده صلى الله عليه وسلم حين قال هذا النبأ ، فضلاً كان هذا الكثير من علامات نبوته عليه الصلاة والسلام لأنه لم يبق أحد ممن كان في عهده عليه الصلاة والسلام أكثر من مائة عام ، فكل ما في الأمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بين لأصحابه أنهم لن يعمرُوا كما عمر من قبلهم من الأمم ^(١) ، ولذلك عليهم أن يحدوا في طاعتهم ، ويصلوا في دينهم لآخرتهم وليس في هذا ما يخالف الحوادث الزمنية والملاحظات التجريبية ، ويقول الدكتور مصطفى السباعي : (فانت ترى أن هذا الحديث الذي كان في الواقع معجزة من معجزات الرسول صلى الله عليه وسلم يتقلب في منطق النقد الجديد الذي دعا إليه صاحب فجر الإسلام إلى أن يكون مكذوباً مفترى) ^(٢) .

وأما حديث « من اصطبح كل يوم سبع تمرات لم يضره سم ولا سحر ذلك

(١) انظر فتح الباري ص ٢٢٢ ج ١ ذكر البخاري بعض الحديث وبين ابن حجر أقوال العلماء فيه وأشار إلى الحديث كاملاً في (كتاب الصلاة) حيث تفسره واضح كما بينا ، وانظر تأويل مختلف الحديث ص ١١٩ ، وانظر السنة ومكاتها في التفسير الإسلامي ص ٢٥٩ - ٢٦٣ حيث فند الدكتور السباعي أخطاء الأستاذ أحمد أمين ورد عليه رداً مفصلاً .

(٢) السنة ومكاتها في التفسير الإسلامي ص ٢٦١ .

اليوم إلى الليل» فقد أخرجه الإمام البخارى في (كتاب الطب) ^(١) كما أخرجه الإمام مسلم ^(٢) والإمام أحمد ^(٣)، وقد بين العلماء هذا الحديث فمنهم من خصصه بتمر المدينة اعتمادا على الأحاديث المفيدة بذلك ومنهم من أطلقه، (والذى ارتضاه الأكرهون تخصيصه بمعجوة المدينة، قال ابن القيم في زاد المعاد: «والتمر غذاء فاضل حافظ للصحة، ولا سيما لمن اعتاد الغذاء به... وتفع هذا العدد من التمر، من هذا البلد، من هذه البقعة بعينها — من السم والسر بحيث تمنع إصابته — من الخواص التى لو قالها بقراط وجالينوس وغيرهما من الأطباء لتلقاها عنهم الأطباء بالقبول والإذعان والالتقاد، مع أن القائل إنما معه الخدس والتخمين والظن. فن كلامه كله يقين وقطع وبرهان ووحى، أولى بأن تتلقى أقواله بالقبول وترك الاعتراض. هذا خلاصة ما ذكره في هذا المقام.

والذى أراه أن المبادرة إلى تكذيب حديث ورفضه لا نصح، إلا إذا ومن طريقه، أو حكم العقل والطب حكما قاطعا بتكذيبه وبطلانه، وهذا الحديث قد صح سنده من غير طريق عن أئمة الحديث، ورواه ثقات عدول لا مجال لتكذيبهم ومتمه صحيح على وجه الإجمال، إذ أثبت للمعجوة فائدة، وحض على أكلها ومن المقرر حتى في الطب الحديث أن المعجوة مغذية، مليئة للمعدة، منشطة للجسم، مبيدة للديدان المنتشرة فيه، ولا شك في أن الأمراض الداخلية: من تعفن الأمعاء وانتشار الديدان — سموم تودى بحياة الإنسان إذا استفحل أمرها، وإذا فالحديث من حيث معالجة المعجوة للسموم بالجلة صادق لا غبار عليه، أما السر فإذا ذهبنا إلى أنه مرض نفسى، وأنه يحتاج إلى علاج نفسى وأن الإيحاء النفسى له أثر كبير

(١) صحيح البخارى بهرح السدى ص ٢٠ ج ٤

(٢) صحيح مسلم ص ١٦١٨ ج ٣

(٣) في سنده حديث ١٤٤٢، ١٥٢٨، ١٥٧١، ١٥٧٢ ج ٣.

في شفاء المرضى بمثل تلك الأمراض، وإذا أخذنا المعجزة على أنها مفيدة للجسم، مقوية للبنية، قاتلة للديدان، قاضية على تعفن الفضلات وأنها من عجوة المدينة. مدينة النبي صلى الله عليه وسلم، وأن هذا علاج وصفه عليه الصلاة والسلام وهو الذي لا ينطق عن الهوى فلا أشك في أن ذلك يحدث أثرا طيبا في نفس المسحور.

(إذك لا تشك معي في أن إقدام مؤلف « فجر الإسلام » على القطع بتكذيب هذا الحديث جرأة بالغة منه، لا يمكن أن تقبل في المحيط العلمي بأي حال، ما دام سنده صحيحا بلا زاع، وما دام متنه صحيحا على وجه الإجمال ولا يضره بعد ذلك أن الطب لم يكتشف حتى الآن بقية ما دل عليه من خواص المعجوة وبقيتي أنه لو كان في الحجاز معاهد طبية راقية، أو لو كان تمر العالمية موجودا عند الغربيين، لاستطاع التحليل الطبى الحديث أن يكتشف فيه خواص كثيرة، ولعله يستطيع أن يكتشف هذه الخاصة العجيبة، إن لم يكن اليوم غنى المستقبل إن شاء الله^(١)). انتهى ما نقلناه عن الدكتور مصطفى السباعي.

ولم يكتف الأستاذ أحمد أمين بما ذكرناه، بل حاول أن يستشهد بأحاديث عدة على اكتفاء النقاد بنقد السند دون المتن، إلا أنه لم يوفق إلى إثبات ما ادعى بما استشهد به، وما من حديث استشهد به إلا فند العلماء القول فيه، وبينوا طريقه، وأزالوا كل ما قد يستشكله الباحثون وأهل الأهواء^(٢).

(١) السنة ومكاتها في التصريح الإسلامى ص ٢٦٣ - ٢٦٦

(٢) رد أستاذنا الدكتور مصطفى السباعي على الأستاذ أحمد أمين جيم شبهات ردا عليها قويا ظيراجع في كتابه السنة ومكاتها في التصريح الإسلامى ص ٢١٧ - ٣٠٣ وما يتعلق بموضوعنا هذا ص ٢٦٦ - ٢٧١ .

الفصل الرابع

أشهر ألف في الرجال والموضوعات

وهو ثمار جهود العلماء في المحافظة على الحديث

كان لظهور الوضع أثر بعيد في نفوس العلماء حملهم على بذل تلك الجهود العظيمة للمحافظة على الحديث ، وكان الوضع من الأسباب القوية التي دفعت العلماء إلى جمع الحديث وتدوينه وتصنيفه ، حرصا منهم على صيانه من عبث الوضاعين . وقد عبر الامام الزهري عن هذا فقال : (لولا أحاديث تأتينا من قبل المشرق لنكرها لا نعرفها ما كتبت حديثا ، ولا أذنت في كتابه ^(١)) .

وقد فصلت القول في جمع الحديث الشريف وتصنيفه في الباب الرابع من هذا الكتاب ، وفيه يتجلى لنا اهتمام العلماء بجمع الحديث ، وتخليصه من الموضوع ، ثم حرصهم على تصنيف الصحيح منه .

والآن سنستعرض آثار العلماء فيما صنفوه من كتب كان لها الأثر الطيب في حفظ الحديث النبوي ، فيما يتناول موضوعنا من الرجال وتاريخهم وأحوالهم ، وكنابهم وألقابهم وأنسابهم وضبط أسمائهم ، وبيان الثقات والضعفاء منهم ، وما ألف في الموضوع وغير ذلك - وإن كان قد ألف بعد هذا العصر - مما كان له فضل في صيانة الحديث . وتعتبر هذه المؤلفات حصنا منيعا حول الحديث ، تحطم على جنباته سهام أعداء السنة ، وستبقى أعظم دليل على اهتمام

المسلمين بسنة رسولهم صلى الله عليه وسلم ومساهماتهم في بناء تراث الانسانية العلى .
وقد اعتنيتُ بجمع هذه المؤلفات ، وحاولت حصرها مما طالعت من المطبوع
منها والخطوط ، وما ذكره السيد محمد الكتاني في كتابه (الرسالة المستطرفة
لبيان مشهور كتب السنة المشرفة) الذى ذكر فيه مؤلفات كثيرة في الحديث
وعلمه . وما ذكره الأستاذ عمر كحالة في كتابه (معجم المؤلفين) وما ذكره
الأستاذ خير الدين الزركلى في (الأعلام) ، وما صر على من كتب لبعض علماء
الحديث ورواته في طيات تراجمهم مما لم يذكر في هذه الكتب وما وجدته في
فهارس دور الكتب - وكان من العسير حصر جميع ما ألف في موضوعنا
هذا - وإذا بي أمام ثروة علمية ضخمة تربي على نيف وخمين ومائتى مؤلف ،
ورأيت المقام يضيق عن ذكرها ، ولهذا فضلت أن أكتفى بذكر بعض
المشهور منها .

أولاً : أشهر الكتب التى ألفت فى الصحابة :

كان الصحابة والتابعون وأتباعهم يعرفون من له محبة ، وخاصة من عالى
منهم نقل الحديث وروايته عن الرسول صلى الله عليه وسلم ، وكانوا يحفظون
أسماء كثير منهم ، وقد حرص العلماء على حصرهم ، وبيان مروياتهم وأحوالهم
وأوطانهم وتاريخ وفاة كل منهم ، وقد جمعتُ قريباً من أربعين مؤلفاً فى
الصحابة منها :

- ١ - (معرفة من نزل من الصحابة سائر البلدان) فى خمسة أجزاء
للإمام الثقة صاحب التصانيف الكثيرة أبى الحسن على بن عبد الله المدائنى
(١٦١ - ٢٣٤ هـ ^(١))

- ٢ - (كتاب المعرفة) في مائة جزء وهو في معرفة الصحابة للإمام
أبي محمد عبد الله بن عيسى المروزي مفق سره وعالمها (٢٢٠ - ٢٩٣ هـ^(١)).
٣ - (كتاب الصحابة) في خمسة أجزاء للإمام محمد بن حبان أبي حاتم
البيستي (٢٧٠ - ٣٥٤ هـ^(٢)).

٤ - (الاستيعاب في معرفة الأصحاب) لأبي عمر يوسف بن عبد الله
ابن محمد بن عبد البر البري القرطبي المالكي (٣٦٨ - ٤٦٣ هـ)، وقد طبع في
مجلدين بالهند سنتي (١٣١٨، ١٣١٩ هـ)، ثم طبع أخيراً في أربعة أجزاء بمصر،
وقد سماه بهذا الاسم ظناً منه أنه استوعب الأصحاب، ولكنه فاته كثير
منهم، وفيه خمسمائة وثلاثة آلاف ترجمة^(٣).

٥ - (أسد الغابة في معرفة الصحابة) في خمس مجلدات للمؤرخ عز الدين
أبي الحسن علي بن محمد (ابن الأثير) (٥٥٥ - ٦٣٠ هـ)، وطبع الكتاب سنة
(١٢٨٦ هـ^(٤)) في مصر، وفيه سبعة آلاف وخمسمائة وأربعة وخمسون ترجمة.

٦ - (تجريد أسماء الصحابة) في جزأين للإمام الحافظ شمس الدين
أبي عبد الله محمد بن أحمد الذهبي (٦٧٣ - ٧٤٨ هـ)، وقد طبع بالهند
سنة (١٣١٠ هـ^(٥)).

(١) الرسالة المنطوقة ص ٩٥، ومعجم المؤلفين ص ١٣٥ ج ٦.

(٢) الأعلام ص ٣٠٦ ج ٦.

(٣) راجع نسخة دار الكتب المصرية تحت رقم (مصطلح الحديث ١٥٩ و ١٦١ و ٢٥٧)
كما طبع الاستيعاب على هاشم كتاب الاسامى في مصر سنة (١٣٢٨ هـ) في أربع مجلدات،
يوجد منها في دار الكتب المصرية عدة نسخ تحت رقم (مصطلح الحديث : ٢٢٩ و ٢٣٠).
واختصر الاستيعاب العلامة محمد بن يعقوب الخليل في كتاب سماه (اعلام الاسامى بأعلام الصحابة)
مخطوط في دار الكتب تحت رقم (١٠٩ - مصطلح). وذيل غير واحد على الاستيعاب.

(٤) راجع نسخة دار الكتب المصرية (مصطلح الحديث ١٠٣).

(٥) راجع نسخة دار الكتب المصرية (مصطلح الحديث ٢٦٣).

٧ - (لإصابة في تمييز الصحابة) للإمام شهاب محمد بن أحمد بن علي السكتاني العسقلاني (ابن حجر) صاحب التصانيف الكثير : (٧٧٣ - ٨٥٢ هـ) وهو أجمع ما كتب في هذا الباب ، وقد طبع سنة (١٨٥٣ م) بالهند ، ثم طبع في مصر سنة (١٣٢٣ هـ) في ثمانية أجزاء ، جعلت الستة الأولى منها للأسماء ، وفيها (٩٤٧٧) ترجمة والمجلد السابع للسكنى ، وفي (١٢٥٧) كنية والمجلد الثامن في تراجم النساء ، ومن (١٥٤٥) ترجمة ^(١) .

٨ - (الرياض المستطاة في جملة من روى في الصحيحين من الصحابة) للشيخ يحيى بن أبي بكر العاصري البني (٨١٦ - ٨٩٣ هـ) وقد طبع في (٩٢) صفحة بالهند سنة (١٣٠٣ هـ) ^(٢) .

٩ - (در الصحابة في من دخل مصر من الصحابة) لخاتمة الحفاظ جلال الدين : عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (٨٤٩ - ٩١١ هـ) . وهو جزء صغير طبع في أول كتابه (حسن المحاضرة) بمصر سنة (١٣٢٧ هـ) .

١٠ - (البدر المنير في صحابة البشير النذير) للشيخ محمد قاسم بن صالح السندی الحنفي القادري ، كان حيا قبل سنة ١١٤٥ هـ ، وقد ذكر في كتابه أسماء الصحابة الذين وردت محبتهم بطريق الرواية أو بما يدل على الصحبة بأي طريق ^(٣) .

(١) النسخة التي وصفناها ، مطابقة لنسخة الهند ، محفوظة في خزانة قسم الإرشاد في دار الكتب المصرية ، وصحت الإصابة طبقات أخرى مختلفة منها طبعة مصر سنة ١٣٢٥ و ١٩٠٧ م .

(٢) ذكر في هذا الكتاب من له رؤيه الرسول صلى الله عليه وسلم ورواية في الصحيحين ، وقد رتبته على الحروف ، وذكر ما روى له الشيخان في كتابهما ثم ما اتفقا عليه ثم ما انفرد به البخاري ثم ما انفرد به مسلم . وذكر لأصحاب من روى عنه من أصحاب الكتب الأربعة . راجع الكتاب المذكور في دار الكتب المصرية (مصطلح ١٦٢) وهو كتاب مفيد .

(٣) ويسمى هذا الكتاب أيضا (تيسير المرام بذكر صحابة) أنزل من طاف بيت الله الحرام أو شمس الهدى في صحابة المصطفى المصطفى (وهو مخطوط في (٢٨٢) ورقة مطهرتها =

وهناك كتب كثيرة استقت من هذه الأصول ، كما اختصر بعض العلماء بعض هذه الكتب أو ذيلوا عليها .

فهنالك ذيل على (لاستيعاب) لابن عبد البر ، كذيل ابن فتحون الأندلسي (٥١٧ هـ) ، وذيل أبي الحجاج يوسف بن محمد بن مقلد (٥٤٨ هـ) ، وغيرها من الذيل والمختصرات ^(١) .

كما اختصر الإمام السيوطي كتاب الإصابة ، وسماه (عين الإصابة في معرفة الصحابة ^(٢)) .

ثانياً - أشهر ما صنف في تواريخ الرجال وأحوالهم :

وإذا انتقلنا إلى أخبار الرواة وأحوالهم نرى مصنفات مختلفة المنهج . فمن المحدثين والمؤرخين من صنف كتبه على ترتيب السنين ، ومنهم من صنف حسب البلدان ، ومنهم من رتب كتبه على الحروف ، كما هي الحال في كتب التراجم ، وآخرون جعلوا الرجال على طبقات أو أجيال . وتتفاوت هذه المصنفات بين اسباب واختصار ، فبني الإيجاز في كتب التراجم ، والتفصيل في التواريخ الكبيرة كتاريخ دمشق ، وتاريخ بغداد ، وتاريخ الإسلام ، وقد جمعت نيفاً وتسعين كتاباً اقتصر على ذكر أشهرها ،

== ٢١ سطر : ٢١ × ١٢ سم توجد نسخة منه في دار الكتب المصرية تحت رقم (مصطاح : ٣٢٥) .

(١) اختصر الشيخ محمد بن عبد السند روسي الشافعي الطرابلسي (١١٧٧ هـ) كتاب الاستيعاب لابن عبد البر وسماه (الشموس المضية في ذكر أصحاب خير البرية) وهو مرتب على حروف المعجم حذف منه الطويل في ذكر الأنساب والأشعار . وذكر فيه ما للصحابي من أحاديث في الضعيفين أو في أحدهما . والكتاب مخطوط في (٣١٨) ورقة مطر بها ٢٥ سطر : ٢٥ × ١٤ سم . في دار الكتب المصرية تحت رقم (مصطاح : ١٣٠) .

(٢) الرسالة المستطرفة ص ١٥٣ .

فقد تعرض أولاً أشهر ما كتب في التاريخ والتراجم التي تناولت أحوال الرجال ،
ثم تناول بالبحث كتب الطبقات .

(١) كتب في تواريخ الرجال وأحوالهم :

١ - (تاريخ الرواة) للإمام يحيى بن معين (١٥٨ - ٢٣٣ هـ) وهو
مرتب على حروف المعجم ^(١) ، وله أيضاً (معرفة الرجال) و (التاريخ والرجال) ^(٢) .
٢ - (التاريخ) في عشرة أجزاء للمحدث النسابة الإخبارى خليفة
ابن خياط الشيباني المصفرى (- ٢٤٠ هـ) ^(٣) .

٣ - (التاريخ) للإمام أحمد بن محمد بن حنبل (١٦٤ - ٢٤١ هـ) ^(٤) .
٤ - (التاريخ الكبير) لسيد الحفاظ وأميرم الامام محمد بن اسماعيل
البخارى أبى عبد الله (١٩٤ - ٢٥٦ هـ) وهو تاريخ عظيم ذكر فيه أسماء من
روى عنه الحديث ، وكأنه حارل استيعاب الرواة من الصحابة فمن بعدهم إلى
طبقة شيوخة ، فباع عددهم قريبا من أربعين ألفا ، بين رجل وامرأة وضعيف
وثقة ^(٥) ، وقد قدر شيوخة ومعاصروه تاريخه هذا ، حتى إن شيخه الامام اسحاق
ابن ابراهيم (ابن راهوية) لما رأى التاريخ لأول مرة فرح به كثيرا ، ودخل
به على الأمير عبد الله بن طاهر فقال : « أيها الأمير ألا أريك
سحرا ^(٦) » . والكتاب في أربعة أجزاء كبيرة ، رتبته على حروف

(١) انظر الرسالة المستطرفة ص ٩٦ - ٩٧ ، وتاريخه معروف باسمه (تاريخ ابن معين) .

(٢) انظر معجم المؤلفين ص ٢٣٢ ج ١٣ .

(٣) انظر الأعلام ص ٣٦١ ج ٢ .

(٤) الأعلام ص ١٩٢ ج ١ .

(٥) الرسالة المستطرفة ص ٩٦ .

(٦) مقدمة فتح اليارى ص ٤٨٤ .

المعجم^(١) ، وفيه قال التاج السبكي : (إنه لم يسبق إليه ، ومن ألف بعده في التاريخ أو الأسماء أو الكنى فعال عليه^(٢)) وطبع التاريخ الكبير في ثمان مجلدات في حيدر آباد^(٣) سنة (١٣٦١ - ١٣٦٢ هـ) ، وله أيضا التاريخ الوسط والصغير ، وقد طبع التاريخ الصغير بالهند سنة (١٣٢٥ هـ) وهو ثمانية أجزاء صغيرة في مجلد واحد^(٤) .

٥ - (التاريخ الكبير) للمؤرخ الأندلسي أحمد بن سعيد بن حزم الصديقي أبي عمر (٢٨٤ - ٥٣٥٠ هـ) وهو في المحدثين ، قال ابن الفريسي : بلغ الغاية ، وقال ابن خيبر : خمة وثمانون جزءا^(٥) .

٦ - (الهداية والارشاد في معرفة أهل الثقة والصداد) لأبي النصر أحمد ابن محمد بن الحسين السكلابادي (٣٠٦ - ٣٩٨ هـ) ذكر فيه الذين

(١) بدأ بالمحمد بن تظايل اسم الرسول صلى الله عليه وسلم ، وتوابعه في كتابه باسم الرسول عليه الصلاة والسلام ونسبه الشريفين . وقد حمل اسم بابا ورب الأسماء في الباب الواحد على حروف المعجم وراعى هذا في الحرف الأول من أسماء الآباء أيضا . ولم يراع ترتيب أبواب الأسماء حسب حروف المعجم فذكر (باب إبراهيم ثم باب اسماء ، ثم باب اسحاق ثم باب أيوب ثم باب أشعث ثم باب إياس وهكذا وذكر اسم المنجم له وبعض من روى عنهم وبعض من روى عنه وقد يذكر حديثا له ، ولما يذكر جرحا أو تمديلا وإذا كان صحابيا أشار إلى ذلك .

(٢) الرسالة المنطرفة ص ٩٦ .

(٣) انظر الجزء الأول مطبوعا في مجلدين فيها (٢٨٩٤) ترجمة في خزنة دار الكتب المصرية تحت رقم (ح ١٠٣٤٠) ويوجد من التاريخ الكبير في دار الكتب المصرية الأجزاء (٢١ و ٤) مصورة في ست مجلدات عن النسخة المخطوطة بمكتبة آيا صوفيا بالقسطنطينية . ينتهي الجزء الأول والثاني منها في آخر باب الظاء ويبدى الرابع من ترجمة عباس إلى آخر الكتاب . راجع النسخة تحت الرقم (٢١ رنج : ١٨٩٠) .

(٤) توجد عدة نسخ منه في دار الكتب المصرية منها تحت الرقم (تاريخ ٤٠٢ و ٢٧٠٢) .

(٥) انظر الأعلام ص ١٢٦ ج ١ ، ومعجم المؤلفين ص ٢٢٢ ج ١ .

خرجه الإمام البخارى فى جامعہ^(١) .

٧ - (تاريخ نيسابور) ل محمد بن عبد الله الحاكم النيسابورى ، المعروف بابن البيع (٣٢١ - ٤٠٥ هـ) قال فيه السبكي : وهو عندي من أعود التواريخ على الفقهاء .
بقائده ، ومن نظره عرف تفنن الرجل فى العلوم جميعها^(٢) ، وله أيضا (تراجم الشيوخ) ، و (تسمية من أخرجهم البخارى ومسلم)^(٣) .

٨ - (تاريخ بغداد) لأبى بكر أحمد بن على بن ثابت بن أحمد البغدادى الشافعى المعروف بالخطيب البغدادى (٣٩٢ - ٤٩٣ هـ) وهو من أجل الكتب وأعودها قائده ، ذكر فيه رجالها ومن ورد إليها وضم إليه فوائد جمه ، وقد رتبته على حروف المعجم ، وذكر فيه الثقات والضعفاء والمتروكين ، وعليه ذبولات متعددة ، وقد طبع بالقاهرة سنة (١٣٤٩ هـ - ١٩٣١ م) فى أربعة عشر جزءا .
نظم (٧٨٣١) ترجمة .

٩ - (السابق واللاحق فى تباعد ما بين وفاة الراويين عن شيخ واحد)
للخطيب البغدادى أيضا^(٤) .

(١) توجد منه نسخ مخطوطة فى دار الكتب المصرية منها نسخة كاملة تحت الرقم (١٦ مصطاح) تم نسخها سنة (٨٢٥ هـ) فى (٢١٥) ورقة ومطرتها ١٧ سطرا : ١٧ × ١٣٥ سم ولديها ثانية مقابلة ومعارضة تحت الرقم (٧٦ مصطاح) تم نسخها فى سنة (٥٤٤) وفى أول هذه النسخة نص . ورتبه على حروف المعجم وبدأ باب الألف بمن اسمه أحمد وباب الميم بمن اسمه محمد تقريبا لإسمه صلى الله عليه وسلم .

(٢) وما يؤسف له أن الكتاب مفقود ، وقد اطلعت على قطعة منقولة ومنقبة منه فى (٧٤) لوحة فى فلم محفوظ تحت الرقم (٦٥٧ تاريخ) ، فى معهد المخطوطات بالجامعة العربية .
(٣) الأعلام من ١٠١ ج ٧ ، والرسالة المتقطعة من ٩٩ .

(٤) انظر المخطوط رقم (٣٨١ مصطاح) فى دار الكتب المصرية وهو فى (١٤٨) لوحة مصورة ، يذكر فى هذا الكتاب من روى عنه راويان أو أكثر وبين وفاتهما أمديكيه مثال ذلك (أحمد بن محمد بن حنبل . . . حدث عنه أبو عبد الله بن إدريس الشافعى . . .)
بالمعنى القائم عبد الله بن محمد بن عبد العزيز البغوى ، وبين وفاتهما مائة وثلاث عشرة سنة .

١٠ - (الجمع بين رجال الصحيحين) : صحيح البخارى ومسلم للإمام حافظ
أبى الفضل محمد بن طاهر القدسي المعروف بابن القيسراني الشيباني
(٤٤٨ - ٥٠٧ هـ) جمع فيه بين كتابي أبى نصر السكلاباذي وأبى بكر أحمد
ابن على الأصبهاني في رجال البخارى ومسلم . وطبع هذا الكتاب بالهند سنة
(١٣٢٣ هـ) في (٦٣٨) صفحة في مجلدين ^(١) . وللمؤلف أيضا (تاريخ أهل الشام
ومعرفة الأئمة منهم والأعلام) مجلدان و (إيضاح الإشكال فيمن أبهم اسمه من
النساء والرجال) ^(٢) وله (المغني في أسماء رجال الحديث) طبع في آخر (تقريب
التهذيب بالهند سنة (١٣٢٠ هـ) .

١١ - (تاريخ دمشق) في ثمانين مجلدا أو أكثر ^(٣) ، للحافظ المؤرخ
أبى القاسم على بن الحسين (ابن عساكر) الدمشقي (٤٩٩ - ٥٧١ هـ) وهو
كتاب عظيم جامع ، وقد اختصره الشيخ عبد القادر بدران بمحذف الأسانيد
والمكررات وسمى المختصر (تهذيب تاريخ ابن عساكر) ، طبع منه سبعة أجزاء
في دمشق ابتداء من سنة (١٣٢٩ هـ) . ولابن عساكر أيضا (تاريخ المزة) ،

(١) انظر نسخ دار الكتب المصرية منها تحت رقم (١٧١ و ٢٦٤ مصطلح وقد) استدرج
القدسي في كتابه هذا ما فات السكلاباذي والأصبهاني ، واختصر بعض ما يستغنى عنه من الطويل ،
ورتبته على حروف المعجم ، وأبدأ بحرف الألف بمن اسمه (أحمد) وحرف الميم بمن اسمه (محمد)
تبركا باسمه صلى الله عليه وسلم ، ويترجم أولا لمن اتفقا عليه ثم لمن أفردته البخارى ثم لمن
أفردته مسلم .

(٢) الأعلام ص ٤١ ج ٢

(٣) انظر الرسالة المستطرفة ص ٩٩ وهذا الكتاب يشتمل على ذكر من حل دمشق من أمثال
البرية ، واجتاز بها أو بأعمالها من ذوى الفضل والزينة . . . والفقهاء والفضاء العلماء . . .
وإبراد ما ذكروه من تعديل وجرح وحكاية عنها . . . وقد رتبته على التراجم وبدأ بمن اسمه
(أحمد) تبركا باسمه صلى الله عليه وسلم ، وسلك في تأليفه منسلك الخطيب البغدادي في تاريخه ،
موجده منه في دار الكتب المصرية في قسم المخطوطات (٣٧ مجلدا) .

و (معجم القسوان) ، و (معجم الشيوخ والنبلاء^(١)) ، و (المعجم المشتمل على أسماء الكتّاب الستة) ، قال في مقدمته : أما بعد ، (فإني لما أخرجت أحاديث كتب السنن للأئمة الأول ورتبتها ترتيبا لا يفضى بالناظر إلى السأمة والملل ، رأيت أن أجمع أسماء شيوخهم الثقات النبل ، وأضيف إليها أسماء شيوخ البخاري ومسلم^(٢)) .

١٢ - كتاب (الكامل في أسماء الرجال) في مجلدين^(٣) للحافظ أبي محمد عبد الغنى بن عبد الواحد بن علي بن سرور المقدسي الجماعلي الحنبلي الدمشقي (٥٤١ - ٦٠٠ هـ) .

١٣ - (جامع الأصول لأحاديث الرسول^(٤)) لمجد الدين أبي السعادات : مبارك بن محمد المعروف بابن الأنثري (٥٤٤ - ٦٠٦ هـ) .

١٤ - (المعجم) في تاريخ المحدثين في ثمانية عشر جزءا . لأبي المظفر عبد الكريم بن منصور السمعاني (٠٠ - ٦١٥ هـ^(٥)) .

١٥ - (التدوين في ذكر أخبار قزوين) لأبي القاسم عبد الكريم بن محمد الرافعي القزويني (٥٥٧ - ٦٢٣ هـ) ذكر فيه خصائصها ، وما ورد فيها من

(١) انظر الأعلام ص ٨٢ ج ٥ .

(٢) راجع مخطوطة دار الكتب المصرية (مصطلح : ٣٣٧) وهي في (١٠٠) ورقة ومسطرتها ١٣ سطرا .

(٣) راجع النسخة المخطوطة في دار الكتب المصرية تحت رقم (٥٥ مصطلح) وهي ثلاثة أجزاء في مجلدين في (٣٢٧ و ٢٩٠) ورقة ومسطرتها ٢٥ سطرا .

(٤) يوجد من الكتاب المذكور في دار الكتب المصرية مجلد واحد فيه الجزءان التاسع والعاشر ، وبه ينتهي الكتاب ، وهو في أسماء الرجال والصعابة ، في (٢٥٥) ورقة ومسطرتها ٢٧ سطرا : ٢٧ × ١٨ سم تحت رقم (مصطلح : ٢٢٥ طلعت) .

(٥) انظر الرسالة المستطرفة ص ١٠٣ .

الأخبار النبوية والآثار ، وفي أسمائها ، ومن وردها من الصحابة والتابعين ومن بعدهم ممن عرف بنوع من العلم والدراسة من سكانها وأهلها ، ومن توطئها وغيرهم ، ورتب التراجم على الحروف وابتدأه بذكر الحمد بن تبركا بالرسول صلى الله عليه وسلم ، وهو في أربع مجلدات مصورة في في دار الكتب المصرية (١) .

١٦ - (التقييد لمعرفة رواة السنن والمسانيد) للحافظ محمد بن عبد الغنى ابن أبى بكر معين الدين : (ابن فقط) الحنبل البغدادى (- ٦٢٩ هـ (٢)) وقد ذيل عليه تقي الدين محمد بن أحمد الحنبلى الفاسى المكى المالكى (- ٨٣٢ هـ (٣)) .

١٧ - (تهذيب الكمال فى أسماء الرجال) للحافظ جمال الدين أبى الحجاج يوسف بن عبد الرحمن المزى الدمشقى (٦٥٤ - ٧٤٢ هـ) ؛ وهو تهذيب لما جمعه الحافظ عبد الغنى بن عبد الواحد المقدسى فى كتابه (الكمال فى أسماء الرجال) : رجال البخارى ومسلم وأبى داود الترمذى والنسائى وابن ماجه فرتب المزى فى تهذيبه عامة رواة العلم وحلة الآثار وعامة المشهورين من كل طائفة من طوائف أهل العلم على حروف المعجم ، ثم ذكر أسماء

(١) انظر الكتاب فى خزانة دار الكتب المصرية تحت الرقم (٢٦٤٨ : تاريخ) .
(٢ و ٣) هم فيه كل من هذه روى شتا من كتب السنة كاللوطا والصحيحين والسنن الأربعة .
وصحيح ابن حبان ومن المعاجم والمسانيد للامامين الشافعى وابن حنبل ، ومن كتب المير والتواريخ والأدب لليهقى .

انظر النسخة الموصوفة فى دار الكتب المصرية تحت الرقم (ب ٢٠٨٨٦)
وهى مصورة فى (٣١٧) لوحة فى كل لوحة صفحتين . ومسطرتها ٢٥ سطرا :
٢٢ × ٢٦ سم .

النساء . وقد استغرق تأليفه من سنة (٧٠٥ - ٧١٢ هـ) وهو خسون جزءا في اثني عشر مجلدا^(١) .

١٨ - (تذهيب تهذيب الكمال^(٢)) للحافظ محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (٦٧٣ - ٧٤٨ هـ) وفيه اختصر (تهذيب الكمال) للمزني ثم اختصره أيضا في كتابه (الكاشف عن رجال الكتب الستة) ، واقتصر فيه على من له رواية في هذه الكتب ، ووضع رموزا لمن أخرج له من أصحاب الكتب الستة أو أحدهم أو بعضهم ، وذكر تواريخ وفياتهم ، ورتبه على حروف المعجم ، وبدأ في حرف الألف بالأحدين ، وفي حرف الميم بالحمدين ، نشريفا لاسمه عليه الصلاة والسلام^(٣) .

١٩ - (تاريخ الاسلام وطبقات المشاهير والأعلام) للإمام الذهبي أيضا .

(١) توجد نسخة مخطوطة في دار الكتب المصرية تحت رقم (٢٥٠ مصطلح) وقد كتبت الصخرة المجلدات الأولى بين سنتي (٧٤٠ و ٧٤٨ هـ) وعدة أوراق الجلب على التوالي : ٣٩١/٤٠٨/٣٧٢/٤١١/٤٥٦/٤٠٣/٤٢٦/٣٧٤/٣٩٢/٣٧٥/٣٥٤/٣٣٦ ورقة . وقد استدركت المحدث الحافظ علاء الدين منطاي (٦٩٠ - ٧٦٢ هـ) على ما فات المزني في (تهذيب الكمال) في كتاب سماه (اكمل تهذيب الكمال في أسماء الرجال) في (١٣) مجلدا ، انظر معجم المؤلفين ص ٣١٣ ج ١٢ واختصر تهذيب الكمال وأضاف عليه محمد بن علي الحسيني انظر الأعلام ص ١٧٧ = ٧ .

(٢) وهو في خمسة اجزاء مخطوطة ، يوجد منها في دار الكتب المصرية الأجزاء (١ و ٢ و ٣ و ٤) وهي نسخة مطابقة ، ومصححة في حياة المؤلف سنة ٧٣٦ هـ أوراقها على التوالي : (٢٢٠/٢٤٨/٢٠٧/١٩٩) ورقة ومطرتها مختلفة . والحافظ صفي الدين أحمد بن عبد الله الحراري (المتوفى بعد سنة ٩٢٣ هـ) كتبه (خلاصة تهذيب الكمال في أسماء الرجال) طبع بمصر سنة (١٣٠١) في مجلد .

(٣) انظر النسخة المخطوطة في دار الكتب المصرية تحت رقم (٥٩ مصطلح) في مجلد عدد أوراقه (٢١٣) ورقة ومطرتها ٢٣ سطرا : ٢٧ X ٨ سم ، وتوجد نسختان أخريان .

جمع فيه بين الحوادث والوفيات ورتبه على السنين ، فابتدأه من الهجرة النبوية ، وانتهى فيه إلى آخر سنة (٨٧٠ هـ) وقسمه إلى سبعين طبقة ، وجعل كل طبقة عشر سنين ، ورتب أسماء كل طبقة على ترتيب حروف المعجم ، والحوادث على السنين في ست وثلاثين مجلداً^(١) ، طبع منها في مصر خمسة أجزاء سنة (١٣٦٧ هـ - ١٩٤٧ م) .

واختصر الذهبي من تاريخه مختصرات منها (سيد أعلام النبلاء) في أربعة عشر مجلداً^(٢) ، طبع منها الجزء الأول والثاني بمصر سنة (١٩٥٧ م) والثالث سنة (١٩٦٢ م) .

٢٠ - (التذكرة برجال العشرة) لمحمد بن علي بن حمزة الحسيني الدمشقي (٧١٥ - ٨٧٥ هـ) ، ضم في كتابه هذا إلى من (في تهذيب الكمال) لشيخه المزي من في الكتب الأربعة : الموطأ ومسنند الشافعي ومسنند أحمد ومسنند أبي حنيفة الذي خرج به الحسين بن محمد بن خسرو من حديث أبي حنيفة ، واقتصر على من في الكتب الستة دون من أخرج لهم مصنفوها في مصنفاتهم الأخرى كالأدب المفرد للبخاري^(٣) (...) .

٢١ - (تهذيب التهذيب) للحافظ شهاب الدين أبي الفضل أحمد بن علي ابن حجر العسقلاني (٧٧٣ - ٨٥٢ هـ) وفيه تلخيص (تهذيب الكمال) للمزي

(١) انظر الأعلام ص ٦٢٢٧ ج ٦ ، ويوجد منه في دار الكتب المصرية (٣٤) مجلداً مخطوطاً .

(٢) انظر الرسالة المطبوعة ص ١٠١ ، وفي دار الكتب نسخة مصدرة منه .

(٣) انظر مقدمة تجلil المنفعة . وكان ابن حجر قد اطلع على الكتاب وتبع ما في كتابه الفرائد من ما لا في معرفة السنن والآثار البيهقي من الرجال الذين وقع ذكرهم في روايات الشافعي مما ليس في السنن وما في كتاب الزهد للإمام أحمد مما ليس في مسنده وما في كتاب الآثار لمحمد بن الحسن ومما (تجلil المنفعة) بزوائد رجال الأئمة الأربعة . طبع بالهند سنة ١٣٢٤ هـ .

وزاد عليه فوائد كثيرة ؛ وقد طبع بالهند سنة (١٣٢٥ - ١٣٢٧ هـ) في
اثني عشر مجلدا ، ويعتبر (تهذيب التهذيب) من أجمع كتب تراجم رواة
الحديث المتداولة بين العلماء في هذا العصر ، وأصبحت نسخة نادرة وعزيرة ،
وقد تلخصه ابن حجر في مجلد واحد سماه (تقريب التهذيب في أسماء الرجال)
طبع بالهند سنة (١٣٢٠ هـ) ثم طبع سنة (١٣٥٦ هـ) مع تعقيب التقريب
للمولوي أمير علي ^(١) .

٢٢ - (اسامى المبطلين رجال الموطأ) للحافظ جلال الدين السيوطي وقد
طبع بالهند سنة (١٣٢٠ هـ) .

• • •

(ب) كتب الطبقات :

وهي الكتب التي جمل مصنفوها الرجال على طبقات ، وذكروا أحوالهم
طبقة بعد طبقة إلى عصر المؤلف وقد جمعت نيفا وعشرين مؤلفا في موضوعنا .
أقتصر على ذكر أشهرها .

١ - (الطبقات الكبرى) لدورخ الثقة محمد بن سعد بن منيع الحافظ كاتب
الواقدي (المولود سنة ١٦٨ هـ والمتوفى سنة ٢٣٠ هـ) . فقد صنف سيرة الرسول صلى الله
عليه وسلم ، ثم رجم لأصحابه على طبقاتهم ، فالتابعين ، فمن بعدهم إلى وقته ، فأجاد
وأحسن ، ويعتبر كتابه هذا من أوثق وأهم المصادر الإسلامية في التاريخ والرجال .

(١) كما طبع على هامش (التقريب) كتاب (المنى في أسماء رجال الحديث) للعلامة
محمد بن طاهر بالهند سنة (١٢٦٠ هـ) وهناك طبقات أخرى وظهرت أخيرا طبعة جيدة لتقريب
التهذيب طبعت في القاهرة سنة (١٣٨٠ هـ) .

وقد طبعت الطبقات بمدينة ليدن سنة (١٣٢٢ هـ) في ثلاثة عشر مجلدا خصص الأخير منها للنساء ، ووضع لكل من ترجم لهم ابن سعد في المجلد الرابع عشر فهرس عام ، مما يسهل الرجوع إليه . ولابن سعد أيضا طبقات صغرى ثانية وثالثة^(١) .

٢ - (طبقات الرواة) في ثمانية أجزاء^(٢) للحافظ أبى عمرو خليفة بن خياط الشيباني الصغرى (- ٢٤٠ هـ) أحد شيوخ البخارى .

٣ - (طبقات التابعين) للإمام مسلم بن الحجاج القشيري (٢٠٤ - ٢٦١ هـ^(٣)) .

٤ - كتاب (التابعين) في اثني عشر جزءا ، للحافظ محمد بن حبان أبى حاتم البستي ، (٢٧٠ - ٣٥٤ هـ) وله (اتباع التابعين) و (تباع التابعين) كلاهما في خمسة عشر جزءا^(٤) . و (الطبقات الأصبهانية)^(٥) .

٥ - (طبقات المحدثين والرواة) لأبى نعيم . أحمد بن عبد الله بن أحمد الأصبهاني (٣٣٦ - ٤٣٠ هـ^(٦)) .

٦ - (طبقات الحفاظ) للحافظ شمس الدين الذهبي (٦٧٣ - ٧٤٨ هـ)

(١) انظر الطبقات الكبرى في قسم الإرشاد في دار الكتب المصرية ، وانظر الرسالة المستطرفة ص ١٠٤ .

(٢) الأعلام ص ٣٦١ ج ٢ ويوجد في دار الكتب المصرية جزء من نسخة فيه من سكن المدينة من الصحابة والتابعين في (٢٠٩) ورفات ، مسطرتها بين ٢٢١ و ٢٢٩ سطرا : ٢٩ × ٢٠ سم . فلا من نسخة قديمة ترجع إلى القرن الرابع الهجرى ، محفوظة بالمكتبة الظاهرية بدمشق ، ونسخة دار الكتب المصرية تحت الرقم (٧٥) مصطلح .

(٣) معجم المؤلفين ص ٢٣٢ ج ١٢ .

(٤) الأعلام ص ٣٠٦ ج ٦ .

(٥) معجم المؤلفين ص ١٢٣ ج ٩ .

(٦) الأعلام ص ١٥٠ ج ١ .

ترجم فيه رواية الحديث من الصحابة والتابعين وأنباهم ومن تلام إلى عصره وجعلهم على إحدى وعشرين طبقة ، طبع في أربعة أجزاء بالهند ، ويصير من أنفس كتب الطبقات (١) .

٧ - (طبقات الحفاظ) لجلال الدين السيوطي (٨٤٩ - ٩١١ هـ) ذكر فيه تراجم الحفاظ موجزة وقد طبع سنة (١٨٣٣ م) بنوطا .

وغير هذه الكتب كثير ، مما ألف في طبقات علماء المذاهب ، وطبقات حفاظ البلدان ككتاب الحديثين بأصبهان والواردين عليها لعبد الله محمد الأصماني ، وطبقات علماء أفريقيا لأبي العرب محمد بن أحمد التيمسي المغربي الإفريقي ، وغير ذلك .

• • •

ثالثا : كتب في معرفة الأسماء والكنى والألقاب والأنساب :

وكما صنف العلماء تراجم الرواة وأحوالهم ، رأوا أن يصنفوا ما يضبط أسماء الرواة لدفع الالتباس ، ومنع الوقوع في الخطأ بسبب تشابه أسماء الرجال وكنام وأنسابهم ، فصنفوا كتباً كثيرة في الكنى والألقاب والأنساب ، وهذه الكتب أكثر من أن تحصى ، وقد جمعت منها نيافا وثلاثين كتابا ، سأذكر أشهر ما ألف في الأسماء والكنى والألقاب ، ثم أتبعها بأشهر كتب أنساب الرواة .

(١) انظر هذه النسخة في قسم الارشاد من دار الكتب المصرية باسم (تذكرة الحفاظ) .

(١) كتب في الأسماء والكنى والألقاب :

- ١ - (الأسماء والكنى) في ثمانية أجزاء^(١) لملى بن عبد الله بن جعفر المديني (المولود سنة ١٦١ هـ والمتوفى سنة ٢٣٤ هـ) .
- ٢ - (الأسماء والكنى^(٢)) للامام أحمد بن حنبل (١٦٤ - ٢٤١ هـ) .
- ٣ - (الكنى) ألف بهذا الاسم كثير من أئمة الحديث في ذلك العصر ، منهم الامام البخارى والنسائي وعبد الرحمن بن أبي حاتم وغيرهم^(٣) .
- ٤ - (كتاب الكنى والأسماء^(٤)) للامام مسلم بن الحجاج النيسابوري (٢٠٤ - ٢٦١ هـ) .
- ٥ - (الكنى والأسماء) لأبي بشر محمد بن أحمد بن حماد بن سعد الأنصاري الدولابي (٢٣٤ - ٣٢٠ هـ) وهو كتاب جامع مشهور ، طبع في جزأين بالهند سنة (١٣٢٢ - ١٣٢٣ هـ)^(٥) .
- ٦ - (الأسماء والكنى^(٦)) في أربعة عشر مجلدا للحاكم الكبير أبي أحمد محمد بن محمد بن أحمد النيسابوري الحافظ المحدث (٢٨٥ - ٣٧٨ هـ) .
- ٧ - (فتح الباب في الكنى والألقاب) لأبي عبد الله محمد بن اسحاق

(١) معجم المؤلفين ص ١٣٢ ج ٧ .

(٢) الرسالة المستطرفة ص ٩٠ .

(٣) انظر الرسالة المستطرفة ص ٩٠ - ٩١ .

(٤) توجد نسخة مخطوطة منه في دار الكتب المصرية في (٧٦) ورقة بتوسط مطرئها

٢١ سطرا تحت رقم (٢٢١) طلعت : مصطلح) .

(٥) الجزءان على التوالي (١٧١ / ٢٠٢) صفحة سوى (٩٤) صفحة فهرس وتوجد نسخة

مخطوطة منه في دار الكتب المصرية تحت الرقم (٦٠) مصطلح) .

(٦) الرسالة للمستطرفة ص ٩١ ، والأعلام ص ٢٤٤ ج ٧ ، ومعجم المؤلفين ص ١٨٠ ج ١١ .

ابن منذة الأصبهاني (٣١٠ - ٣٩٥ هـ) نشره وعلق عليه (وى دويج) بألمانيا سنة (١٩٢٧ م).

٨ - (المؤلف والمختلف في أسماء نقلة الحديث) و (المشتبه في النسبة) للإمام النسابة أبي محمد عبد الغني بن سعيد الأسدي المصري شيخ حفاظ الحديث عصره (٣٣٢ - ٤٠٩ هـ) وقد طبع الكتابان في مجلد واحد في (٢١٦) صفحة بالهند سنة (١٣٢٦ هـ).

٩ - (تكملة المؤلف والمختلف) و (الأسماء والألقاب^(١)) و (الأسماء المهمة في الأنباء المحكمة^(٢)) و (تلخيص المتشابه في الرسم في أسماء الرواة^(٣)) لأبي بكر أحمد بن علي بن ثابت البغدادي، المعروف بالخطيب البغدادي (٣٩٢ - ٤٦٣ هـ).

١٠ - (الاكمال في رفع الازتياب عن المؤلف والمختلف من الأسماء والكنى والأنساب) للأمير الحافظ أبي نصر علي بن هبة الله بن جعفر: ابن مأكولا البغدادي (٤٢١ - ٤٨٦ هـ)، وهو كتاب قيم، ألقه بعد أن اطلع على كتب البغدادي وعلى كتابي عبد الغني بن سعيد الأزدي^(٤).

(١) الأعلام ص ١٦٦ م ١ وبالغية (تكملة المؤلف والمختلف) انظر مقدمة (الاكمال في رفع الازتياب) لابن مأكولا.

(٢) توجد نسخة مخطوطة منه ضمن مجموعة بدار الكتب المصرية تحت الرقم (١٥٥٨ حديث).
(٣) توجد نسخة مخطوطة منه في دار الكتب المصرية تحت الرقم (٣١ مصطلح) وقد رتب الكتاب على خة فصول، وبعد أن انتهى من هذا الكتاب أتبعه بكتاب ثان ضمنه ما يتفق من أسماء المحدثين وأسابهم، والكتابان في مجلد واحد الأول في (٢٨٠) ورقة والثاني في (٦٨) ورقة ومسطرته ٢٢ سطرا: ٥ و ٢٤ × ١٧ سم.

(٤) انظر مقدمة الكتاب في النسخة المخطوطة منه في دار الكتب المصرية تحت الرقم (٨ مصطلح) وهي في جزأين الأول (٣١٩) ورقة والثاني (٣٣٤) ورقة، ورتبه على الحروف المجالية وجعل لكل اسم من الحرف بابا.

قال ابن خالكان : لم يوضع منه ^(١) .

١١ - (كشف النقاب عن الأسماء والألقاب ^(٢)) لأبي الفرج عبد الرحمن ابن علي (ابن الجوزي) (٥٠٨ - ٥٩٧ هـ) .

١٢ - (المستدرك على الأكمال لابن مأكولا) للحافظ محمد بن عبد القوي البغدادى (ابن نقطة) المتوفى سنة (٦٢٩ هـ ^(٣)) .

١٣ - (المشتبه في أسماء الرجال) للحافظ محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (٦٧٣ - ٧٤٨ هـ) وهذا الكتاب ثمرة الجهود التي بذلها من سبق الذهبي في هذا الباب ، مما جاء في كتب الأزدى وابن مأكولا وابن نقطة ، وشيخ الذهبي أبي يعلى القزويني وغيرهم ، وأضاف إلى ذلك ما وقع له أو تنبه إليه ^(٤) ، وطبع هذا الكتاب في لندن سنة (١٨٦٣ و ١٨٨١ م) في (٦١٢) صفحة ، وقدم له الدكتور (دوجونغ) . وللذهبي أيضا (المقتنى في سرد الكنى) وهو مختصر كتاب الحاكم الكبير بعد أن زاد الذهبي عليه ورتبه على حروف المعجم ^(٥) .

١٤ - (تحفة ذوى الأرب في مشكل الأسماء والنسب) لابن خطيب

(١) الأعلام ص ١٨٢ ج ٥ .

(٢) الرسالة المستطرفة ص ٩٠ .

(٣) توجد نسخة مخطوطة منه في دار الكتب المصرية تحت الرقم (١٠ مصطلح) في ١٦٠ ورقة مسطرتها : ٢٧ سطرا / ٢٨ × ٢٠ سم .

(٤) ذكر الذهبي هذا في مقدمته . ولابن ناصر الدين محمد بن أبي بكر البغدادى (٧٧٧ - ٨٤٢ هـ) كتاب (التوضيح لكتاب المشتبه في الرجال) للذهبي يوجد منه الجزء الأول في دار الكتب المصرية تحت رقم (ب ٢٣٢٩١) مصورا عن النسخة الخطية في مكتبة سوجاج تحت رقم (١١١ حديث) .

(٥) الرسالة المستطرفة ص ٩١ .

الدهشة محمود بن أحمد المحدث القوي الأصل ، (٧٥٠ - ٨٣٤ هـ) وقد ألفه سنة (٨٠٤ هـ) وطبع ببلدن سنة (١٩٠٥ م) مع مقدمة بالألمانية .

١٥ - (نزهة الألباب في الألقاب) للحافظ أبي الفضل شهاب الدين :
ابن حجر الكفائي السقلائي (٧٧٣ - ٨٥٢ هـ) جمع فيه ما لغيره وزاد أشياء كثيرة مما فات سلفه^(١) .

(ف) وأما كتب الأنساب فأشهرها :

١ - (ما اتفق من أسماء المحدثين وأنسابهم غير أن في بعضه زيادة حرف واحد^(٢)) لأن بكر أحمد بن علي بن ثابت ، الخطيب البغدادي (٣٩٢ - ٤٦٣ هـ) .

٢ - (الأنساب المتفقة في الخط المماثلة في النقط والضبط) للشيخ محمد بن طاهر المقدسي (٤٨٨ - ٥٠٧ هـ) وذيل تلميذه محمد بن أبي بكر عمر بن أبي عيسى الأصبهاني (المتوفى سنة ٥٨١ هـ) عليه وطبعاً معاً في مجلد واحد ببلدن سنة (١٨٦٥ م) .

٣ - (اقتباس الأنوار والقباس الأزهار في أنساب الصحابة ، ورواة الآثار) لأن محمد عبد الله بن علي اللخمي الأندلسي المعروف بالرشاطي (٤٦٦ - ٥٤٢ هـ) وهو كتاب قد أحسن فيه وأجاد ، وتلقاه عنه الناس^(٣) .

(١) توجد نسخة مخطوطة منه في دار الكتب المصرية تحت الرقم (٣٣٦ مصطاح) في (٧٠) ورقة سطراتها ٢٣ سطراً : ١٧ × ٢٥ سم . وقد رتبته على أبواب ثلاثة .

(٢) توجد نسخة مخطوطة منه في دار الكتب المصرية ملحقة بكتاب (تلخيص المتناهي) في (٦٧) ورقة تحت رقم (٣١ مصطاح) .

(٣) الرسالة المنطوقة من ٩٤ .

٤ - (الأنساب) لنجاح الاسلام اى سعيد عبد الكريم بن محمد بن ابي المظفر النعمي السمعاني صاحب التصانيف الكثيرة (٥٠٦ - ٥٦٢ هـ) ذكر فيه أنساب الرجال ، وذكر لمن يترجم له سيرته وقول الناس فيه من جرح أو تعديل ، وشيوخه ومن روى عنه ، ورتبه على حروف المعجم . قدم له المستشرق (مارج ليوس) وطبع بالزنگراف سنة (١٩١٢ م) بمدينة ليدن^(١) .

٥ - (الباب) في ثلاثة مجلدات لعلی بن محمد الشيباني الجزري (٥٥٥ - ٦٣٠ هـ) اختصر به أنساب السمعاني وزاد فيه . وقد طبع في ثلاثة أجزاء بمصر سنة (١٣٥٦ - ١٣٥٩ هـ)^(٢) .

٦ - (نسبة الحديث إلى الآباء والبلدان)^(٣) لمحمد بن محمود محب الدين : ابن النجار (٥٧٨ - ٦٤٣ هـ) .

٧ - (الاكنساب في تلخيص كتب الأنساب) للقاضي قطب الدين محمد ابن محمد الخيضرى الشافعى (٨٢١ - ٨٩٤ هـ) وهو مختصر كتاب أنساب السمعاني وضم إليه ما عند ابن الأثير والرشاطى وغيرهما^(٤) .

• • •

رأى : كتب في الجرح والتعديل :

إن ظهور هذا النوع من المصنفات كان نتيجة حتمية لجهود النقاد ،

(١) توجد نسخة منه في دار الكتب المصرية تحت الرقم (٢٦٣٦ تاريخ) .

(٢) وقد انضمت الديوطى الباب في كتابه (لب الباب في تحرير الأنساب) وطبع في ليدن

سنة (١٨٥١ م) .

(٣) انظر الأعلام ص ٣٠٧ ج ٧ ، وقارن بالرسالة المنطرفة ص ٩٤ .

(٤) انظر رسالة المنطرفة ص ٩٤ .

ودراستهم أحوال الرجال من حيث قبول أخبارهم أو عدم قبولها ، وقد رأينا
القوانين التي طبقها النقاد على كل راو لمعرفة حاله ، وعرفنا سموم وزاهتهم في
في تقدم ، قال الذهبي : (وقد ألف الحفاظ مصنفات جمة في الجرح والتعديل ،
ما بين اختصار وتطويل ، فأول من جمع كلامه في ذلك الامام الذي قال فيه
أحمد بن حنبل : ما رأيت بعيني مثل يحيى بن سعيد القطان ، وتسكلم في ذلك
بعده تلامذته يحيى بن معين ، وعلى بن المديني ، وأحمد بن حنبل ، وعمرو بن
على الفلاس ، وأبو خيثمة ، وتلامذتهم كأب زرعة ، وأبي حاتم ، والبخاري ،
ومسلم ، وأبي اسحاق الجوزجاني السعدي ، وخلق من بعدهم ، مثل النسائي ،
وابن خزيمة ، والترمذي ، والديلمي ، والمفيلي ، وله مصنف مفيد في معرفة
الضعفاء ، ولأبي حاتم بن حبان كتاب كبير . . . ولأبي أحمد بن عدي كتاب
الكمال ^(١) .

والمصنفون في هذا العلم لهم مناهج مختلفة في التصنيف ، فمنهم من ذكر في
في مصنفه الكذابين والضعفاء ، ومنهم من أضاف على ذلك فذكر بعض
الموضوعات ، ومنهم من صنف في الثقات فقط ، ومنهم من صنف في الضعفاء
والثقات معا ، ولذلك نستعرض في هذه الفقرة ما صنف في الضعفاء أو الثقات ،
أو ما صنف فيهما ، ونفرد في فقرة خاصة ما صنف في الموضوعات . وقد جمعت
في موضوع الجرح والتعديل نيفا وثلاثين كتابا ، أذكر أشهرها :

١ - (الجرح والتعديل ^(٢)) للإمام أحمد بن محمد بن حنبل

(١٦٤ - ٢٤١ هـ) .

(١) انظر ميزان الاعتدال ص ٢ ج ١ .

(٢) معجم المؤلفين ص ٩٦ ج ١ .

٢ - (الضعفاء^(١)) لمحمد بن عبد الله بن عبد الرحيم البرقي الزهري
(٨٢٤٩ -) .

٣ - (الجرح والتعديل) و(الضعفاء^(٢)) لأبي اسحاق ابراهيم بن يعقوب
السدي الجوزجاني المتوفى سنة (٨٢٥٩) .

٤ - (الضعفاء) للامام محمد بن اسماعيل البخاري (١٩٤ - ٨٢٥٦)
وقد طبع بالهند مع التاريخ الصغير للبخاري ، وطبع معه كتاب الضعفاء والمتروكين
لنسائي . وذلك سنة (٨١٣٢٥) .

٥ - (تاريخ) في الثقات والضعفاء لأحمد بن أبي خيثمة النسائي البغدادي
(١٨٥ - ٨٢٧٩) قال فيه الخطيب البغدادي لا أعرف أغزر فوائد منه^(٣) .

٦ - (تاريخ الضعفاء والمتروكين) للامام الحافظ أبي عبد الرحمن أحمد
ابن علي النسائي (٢١٥ - ٨٣٠٣) وقد رتبته على حروف المعجم ، وطبع ضمن
(مجموعة بالهند سنة ٨١٣٢٥) .

٧ - (الجرح والتعديل) لعبد الرحمن بن أبي حاتم بن ادريس الحنظلي
الرازي (٢٤٠ - ٨٣٢٧) وهو من أعظم كتب الجرح والتعديل التي وصلتنا
ومن أغزرها فائدة ، وأوثقها صلة بنقاد الرجال الذين عرفهم تاريخ الحديث .
لهذا لا بد من بسط القول فيه .

فقد تتلمذ ابن أبي حاتم علي والده أبي حاتم محمد بن ادريس الرازي وعلي
أبي زرعة عبيد الله بن عبد الكريم الرازي وهما من طبقة البخاري ، فأخذ عنهما

(١) الأعلام من ٩٢ - ٧ .

(٢) معجم المؤلفين من ٢٨ - ١ وقارن بالرسالة المستطرفة من ١١٠ .

(٣) الرسالة المستطرفة من ٩٧ ، ويقع في ثلاثين مجلدا صغارا واثني عشر كبارا .

علم الجرح والتعديل، وأفاد منها كثيرا في تصنيف كتابه ، وحرص على استيعاب
نصوص أئمة العلم في الحكم على الرواة بتعديل أو جرح ، وزاد فوائد وزيادات
في كثير من التراجم ، يندر وجودها عند من سبقه ، كما استدرك على البخارى
في بعضها ، وقد جمع كتابه نصوص أبيه في الجرح والتعديل ، ونصوص أبي
زرعة ، ونصوص البخارى ، إلا أنه استغنى عن نصوص البخارى بموافقة أبيه
للبخارى في غالب تلك الأحكام ، وتبع ابن أبي حاتم نصوص الأئمة ، فأخذ عن
أبيه وعن محمد بن إبراهيم بن شبيب ما رواه عن عمرو بن القلاس مما قاله باجتهاده ،
ومما يرويه عن عبد الرحمن بن مهدي (١٣٥ - ١٩٨ هـ) ويحيى بن سعيد
القطان (١٢٠ - ١٩٨ هـ) مما يقولانه باجتهادهما ، ومما يرويانه عن سفيان الثوري
(٩٧ - ١٦١ هـ) وشعبة بن الحجاج (٨٢ - ١٦٠ هـ) ، وأخذ عن صالح بن
أحمد بن حنبل ما يرويه عن أبيه ، وأخذ عن صالح أيضا وعن محمد بن أحمد بن البراء
ما يرويانه عن علي بن المديني (١٦١ - ٢٣٤ هـ) مما يقوله باجتهاده ومما يرويه
عن سفيان بن عيينة (١٠٧ - ١٩٨ هـ) وعن عبد الرحمن بن مهدي وعن
يحيى بن سعيد القطان ، واتصل بجميع أصحاب الامام أحمد ويحيى بن معين
(١٥٨ - ٢٣٣ هـ) فروى من أبيه عنهما ، وعن أبيه عن اسحاق بن منصور
عن يحيى بن معين ، وروى عن غيرهم ، كما أخذ عن عباس الدوري (المتوفى
سنة ٢٧١ هـ) .

لهذا كان كتابه زاخرا بنصوص الأحكام التي أصدرها جهابذة علم الجرح
والتعديل ، وبهذا يفوق كتاب التاريخ الكبير للبخارى ، لأنه قلما ذكر
البخارى في تاريخه جرحا وتعديلا ، وهذا لا ينقص من قيمة كتاب البخارى ،
فربما فعل ذلك عمدا لأنه ألف في الضعفاء كتابا منفردا .

ورتب ابن أبي حاتم كتابه على حروف المعجم بالنسبة للحرف الأول من

الاسم فقط ، ففي باب الألف نرى باب أحمد ثم باب إبراهيم ثم باب إسماعيل ثم باب أيوب ثم باب آدم وهكذا ، وإذا كثرت التراجيم في الباب رتبها على أبواب ذيلية بحسب أول أسماء الآباء ، فقدم في الأحمدين من أول اسم أبيه ألف ثم من أول اسم أبيه باء وإذا كثرت التراجيم في الباب رتبهم باعتبار اسم الأب والجد ، كما فعل في من اسمه محمد واسم أبيه عبد الله ، فذكر أولا من أول اسم جده ألف ثم من اسمه محمد واسم أبيه عبد الله وأول اسم جده باء وهكذا وجعله في أربعة أجزاء كبيرة ضمت (١٨٠٥٠) ترجمة ذكر كل راو وما قيل فيه بأسانيد صحيحة . وجعل للكتاب مقدمة هي مفتاح له ، في جزء مفرد سماها (مقدمة المعرفة لكتاب الجرح والتعديل) ، وهي عظيمة جدا ، تكلم فيها حول هذا العلم وترجم لجهاذته ترجمة وافية ، فكان الكتاب فريدا في فنه ، لا يستغنى عنه عالم في الحديث وعلومه . وهو صورة صادقة عن مؤلفات لا ندرى عددها كانت في ذلك العصر ، لم يكتب لها الوصول إلينا ، وقد طبع هذا الكتاب بالهند (سنة ١٣٧٣ هـ) في تسع مجلدات ، مجلد للمقدمة ، ومجلدان لكل جزء من أجزائه الأربعة ^(١) .

٨ - (الثقات ^(٢)) لأبي حاتم بن حبان البستي ، (المتوفى سنة ٣٥٤ هـ)

(١) راجع نسخة دار الكتب المصرية تحت الرقم (ب ٢٨١١٢) وقد حصلت مكتبة كاية دار العلوم أخيرا على نسخة منه .

(٢) توجد نسخة مخطوطة منه في دار الكتب المصرية ولكنها ناقصة والوجود يبدأ من أسماء (أتباع التابعين) وقسم من (أتباع أتباع التابعين) من الألف إلى آخر حروف الذال و (١٨٣) ورقة تحت رقم (٢٠٨ طلمت مصطلح) ، وقد رتب نور الدين البهيمي (٧٢٥ - ٨٠٧ هـ) ثقات ابن حبان على حروف اللجم وسماه (ترتيب كتاب الثقات) توجد نسخة مخطوطة منه في دار الكتب المصرية في مجلدين في (١٨٣/١٩٦) ورقة تحت رقم (٣٧ مصطلح) .

ولكنه تساهل في توثيق بعض من ذكرهم ، ولهذا وجب التنبيه إلى أن توثيق ابن حبان دون توثيق غيره .

٩ - (الكامل)^(١) في معرفة ضعفاء المحدثين وعلل الحديث . للحفاظ الكبير أبي أحمد عبد الله بن محمد بن عدى الجرجاني (٢٧٧ - ٣٦٥ هـ) ذكر في كتابه هذا كل من تسلم فيه ولو كان من رجال الصحيحين ، وذكر في ترجمة كل واحد حديثاً فأكثر من غرائب ومناكيره ، وهو أكل كتب الجرح وعلية الاعتماد فيها .

١٠ - (تاريخ أسماء الثقات ممن نقل عنهم العلم)^(٢) لأبي حفص ، عمر بن أحمد بن عثمان بن شاهين (٢٩٧ - ٣٨٥ هـ) . وقد رتبته على حروف المعجم .

١١ - (المدخل) للإمام الحاكم^(٣) أبي عبد الله محمد بن عبد الله النيسابوري (٣٢١ - ٤٠٥ هـ) تكلم في قسم منه عن الجرحيين وبسط القول في هذا .

١٢ - كتاب (الضعفاء المتروكين - أو أسماء الضعفاء الواضعين)^(٤) لأبي الفرج عبد الرحمن بن علي : ابن الجوزي (٥١٠ - ٥٩٧ هـ) ، وقد ذكر

(١) يوجد منه في دار الكتب المصرية خمسة عشر جزءاً مخطوطاً بأرقام مختلفة تكون أجزاء مختلفة من (الكامل) ثلاث نسخ إلا أنها ناقصة وهي تحت رقم (٩٢ - ٩٦ مصطلح) .

(٢) أظن الأعلام ص ١٩٦ ج ٥ .

(٣) طبع بحلب سنة (١٣٥١ هـ - ١٩٣٢ م) بإشراف الشيخ رافع الطباخ .

(٤) توجد نسخة منه في دار الكتب المصرية مأخوذة بالتصوير الفسفي من نسخة كتب سنة (٧١٠) في (١٧٦) لوحة وتشتمل كل لوحة على صفحتين وفيها طيارات كثيرة . تحت رقم (٣٧١ مصطلح) .

فيه الضعفاء الواضعين ، وذكر من جرحهم من الأئمة الكبار المحافظين ، ورتبه على حروف المعجم .

١٣ - (ميزان الاعتدال) للامام شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي (٦٧٣ - ٥٧٤٨) وهو في ثلاثة أجزاء ، سلك فيه مسلك ابن عدي ، فذكر كل من تكلم فيه وإن كان ثقة ، وذكر في ترجمة كل راو حديثاً أو أكثر من غرائب ومناكيره . طبع في مصر سنة (١٣٢٥هـ) في ثلاث مجلدات فيها (١٠٩٠٧) تراجم ، والذهبي (رسالة في الرواة الثقات المتكلم فيهم بما لا يوجب ردم) ^(١) .

١٤ - (الاغنياء بمعرفة من روى بالاختلاط) ^(٢) لبرهان الدين ابراهيم بن محمد الحلبي سبط ابن العجمي (المتوفى سنة ٨٤١هـ) وله أيضاً (التيبين لأسماء المدلسين) ^(٣) وله أيضاً (الكشف الخفي على من روى بوضع الحديث) ^(٤) .

١٥ - (لسان الميزان) للحافظ ابن حجر (٧٧٣ - ٨٥٢هـ) ضمنه الميزان وزاد عليه ، وفيه نحو (١٤٣٤٣) ترجمة وقد طبع بالهند سنة ١٣٢٩ - (١٣٣١هـ) في ستة أجزاء . ولابن حجر أيضاً (طبقات المدلسين) طبع بمصر سنة (١٣٢٢هـ) .

١٦ - (الثقات ممن لم يقع في الكتب الستة) لزين الدين قاسم بن قطلوبغا

(١) طبع في مصر سنة (١٣٢٤ - ١٩٠٦ م) . وقد استدرج على الذهبي في ميزانه سبط ابن العجمي في كتاب سماه (مثل الهبان في مزار الميزان) توجد منه نسخة مخطوطة بخط المؤلف في دار الكتب المصرية تحت رقم (٢٣٤٦ ب) .

(٢) ذكر في كتابه هذا من اخطأ في آخر عمره من الثقات ، وذكر من ختم بذلك . وقد بين أحياناً السنة التي اخطأ فيها الراوي . وقد طبع مجلد (سنة ١٢٥٠هـ - ١٩٣١ م) بإشراف الشيخ راغب الطباخ .

(٣) طبع مجلد بإشراف الشيخ راغب الطباخ مع رسالة الاغنياء السابقة الذكر .

(٤) انظر تحذير المدلسين من الأحاديث الموضوعة على سيد المرسلين ص ١٨

(٨٠٢ - ٨٧٩) وهو في أربع مجلدات .^(١)
وقد أغفلت كثيراً من المؤلفات التي استمدت من هذه الأصول خشية الإطالة .

خامساً - المؤلفات في الموضوعات :

- جمعت في هذا الموضوع نحواً من أربعين مؤلفاً أذكر أشهرها :
- ١ - (تذكرة الموضوعات) لأبي الفضل محمد بن طاهر المقدسي (٤٤٨ - ٥٠٧) وتبه على حروف المعجم ، وفيه يذكر الحديث ويذكر من جرح رايه من الأئمة . طبع بمصر سنة (١٣٢٣ هـ) .
 - ٢ - (الموضوعات في الأحاديث المرفوعات)^(٢) لأبي عبد الله الحسين بن إبراهيم الهمداني الجوزي (المتوفى سنة ٥٤٣ هـ) نص فيه على أحاديث موضوعة ، وبين بطلان أحاديث واهية بمعارضة أحاديث صحيح لها .
 - ٣ - (الموضوعات الكبرى) لأبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي (٥٠٨ - ٥٩٧) وهو في أربع مجلدات ، تناول فيه ما ورد من الأحاديث في كتاب الكامل لابن عدي والضمفاء لابن حبان ، والعقيلي والأزدي وتفسير ابن مردويه ومعجم الطبراني الثلاثة وتصانيف الخطيب ، ومصنفات أبي نعيم ، وغيرها من الكتب ، ونسأهل في الحكم على تلك الرويات بالوضع ، فقد أورد فيه الضعيف بل الحسن بل الصحيح مما في سنن أبي داود^(٣) . لهذا كثر انتقاد العلماء له .

(١) الرسالة المنتطرة من ١١٠ (٢) الرسالة المنتطرة من ١١٢ .
(٣) انظر مقدمة كتاب تنزيه الشريعة من : ل ، ويوجد الجزء الثاني من موضوعات ابن الجوزي في دار الكتب المصرية من نسخة تحت الرقم (١٤٧ م) والجزء الأخير من نسخة تحت الرقم (٤٨٨ حديث) وكلاهما مخطوط .

٤ - المتنى عن الحفظ والكتاب بقولهم لم يصح شئ في هذا الباب (لحافظ ضياء الدين أبى حفص عمر بن بدر الموصلى الحنفى (المتوفى سنة ٦٢٣ هـ) ^(١) .

٥ - (الأحاديث الموضوعة التى يروونها العامة والقصاص) ^(٢) رسالة

لعبد السلام بن عبد الله (ابن تيمية) الحرانى (٦٥٢ - ٦٥٢ هـ) جد الإمام أحمد بن

عبد الحليم (ابن تيمية)، وله رسالتان فى الموضوعات تشدد فيها ما كان الجوزى ^(٣) .

٦ - (الباعث على الخلاص من حوادث الفصاص) ^(٤) للحافظ زين

الدين عبد الرحيم العراقى (٧٢٥ - ٨٠٦ هـ)

٧ - (الآلء المصنوعة فى الأحاديث الموضوعة) للحافظ جلال الدين

السيوطى (٨٤٩ - ٩١١ هـ) اختصر فيه كتاب ابن الجوزى واستدرك عليه

وزاد فيه ما ورد فى تاريخ ابن عساكر، وابن النجار، ومسند الفردوس، وتصانيف

أبى الشيخ ^(٥) . وله أيضاً (ذيل الآلء المصنوعة)، و (التعقبات على الموضوعات)،

و (النكت البديعات) .

٨ - (تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأخبار الشنيعة الموضوعة) لأبى الحسن

على بن محمد (ابن عراقى) السكتانى (المتوفى سنة ٩٦٣ هـ) وهو كتاب جامع زاد

فيه على السيوطى فى لآله واستدرك عليه، وجله فى مقدمة وقسمين. ذكر فى القسم

الأول أسماء الوضعيين ومن أنهمهم بالكذب من رجال القدر، وذكر فى القسم

(١) طبع الكتاب سنة (١٣٤٢ هـ) بالقاهرة .

(٢) أنظر النسخة المخطوطة فى دار الكتب المصرية تحت رقم (١٧٦ مجاميع) .

(٣) أظهرها تحت الرقم (٨٧ مجاميع) فى قسم المخطوطات من دار الكتب المصرية .

(٤) لحصة السيوطى فى كتابه (تحذير الخواص من أكاذيب الفصاص) فى الفصل التاسع منه واستدرك عليه فى الفصل العاشر . وقد طبع كتاب السيوطى سنة (١٣٥١ هـ) بمصر .

(٥) أنظر مقدمة الآلء . وقد طبع الكتاب فى مجلدين بمصر سنة ١٣١٧ هـ وطبع

تليقاته على ابن الجوزى سنة ١٨٨٦ م . بالهند .

الثانى الأحاديث الموضوعية ، وبين الرواة المتهمين بوضعها . وطبع الكتاب سنة (١٣٧٨ هـ) بمصر في مجلدين .

٩ - (تذكرة الموضوعات) لرئيس محدثى الهند جمال الدين محمد بن طاهر بن علي الفتنى (المتوفى سنة ٩٨٦ هـ) وله أيضاً (قانون الأخبار الموضوعة والرجال الضعفاء) طبعا (سنة ١٣٤٣ هـ) بالقاهرة في مجلد واحد .

١٠ - (الكشف الالهى عن شديد الضعف والموضوع الواهى) لمحمد بن محمد الحسينى السندروسى (المتوفى سنة ١١٧٧ هـ) جمع فيه الأحاديث الشديدة الضعف والواهى والموضوعة .^(١)

١١ - (الفوائد المجموعة فى الأحاديث الموضوعة) للقاضى أبى عبد الله محمد بن على الشوكانى ، (١١٧٣ - ١٢٥٥ هـ) وقد أفاد من مؤلفات السلف ، إلا أنه تساهل فى الحكم على بعض الأحاديث بالوضع ، فأدرج فيه بعض الأحاديث الصحيحة والحسنة ، وقد نبه إلى هذا عبد الحى الكنتوى فى كتابه (ظفر الأمانى)^(٢) ، وطبع الكتاب سنة (١٣٨٠ هـ - ١٩٦٠ م) بمصر .

١٢ - (تحذير المسلمين من الأحاديث الموضوعة على سيد المرسلين) لعبد الله : محمد البشير ظافر المالكى (- ١٣٢٥ هـ) ذكر فيه الأحاديث الموضوعة المشهورة على الألسنة ، ورتبها على حروف المعجم ، وقدم لكتابه بتمهيد قيم جامع حول المؤلفات فى الموضوعات والكتب والرسائل المشحونة بالموضوعات . وقد طبع هذا الكتاب سنة (١٣٢١ هـ - ١٩٠٣ م) بمصر .

وهناك مؤلفات ورسائل كثيرة فى مواضيع مختلفة ، تذكر الأحاديث

(١) توجد نسخة مخطوطة منه فى دار الكتب المصرية تحت رقم (١١٠ م - الحديث) .

(٢) انظر الرسالة المنطرفة ص ١١٤ .

الموضوعة في باب من أبواب العبادات أو المعاملات وغير ذلك لم أتعرض لذكرها وهي أكثر من أن تحصى .

وإلى جانب هذه المؤلفات ظهرت مؤلفات كثيرة في الأحاديث المشهورة بين الناس ، تبين منزلة الحديث من القوة أو الضعف ، أو الوضع ، ومن أشهر هذه الكتب :

١ - (التذكرة في الأحاديث المشهورة) ليدر الدين الزركشي (٧٤٥هـ - ٨٧٩هـ)^(١) .

٢ - (الآلية المشورة في الأحاديث المشهورة ، مما ألفه الطبع وليس له أصل في الشرع) للحافظ شهاب الدين بن حجر العسقلاني (٧٧٣-٨٥٢هـ)^(٢) .

٣ - (المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشهورة على الأنسنة) للحافظ المؤرخ محمد بن عبد الرحمن السخاوي (٨٣١ - ٩٠٢هـ) رتبه على حروف المعجم ، كما رتبه على الأبواب وهو كتاب جيد مفيد طبع سنة (١٣٧٥هـ - ١٩٥٦م) بمصر .

وقد أغفلت كثيراً من الكتب التي ألفت في الأحاديث المشهورة ، مما لحظه الخلف من كتب السلف ، فلم أذكر مؤلفات السيوطي ، والسمودي ، والمنوفي ، والخليلي ، والغزالي ، والعلوي الجراحي ، وابن جبار الله ، والبيروني وغيرهم . مكتفياً بأهمها الكتب .

تلك أشهر الكتب التي تناولت موضوعنا ، وأما الكتب التي ألفت في مصطلح الحديث وعلومه وآراء العلماء فيها ، والمقبول من الحديث والمردود ،

(١) الرسالة المستخرجة من ١٤٣ .

(٢) انظر تحذير اللعين للبشير طافرس ١٥ .

وغير ذلك مما تناوله كتب المصطلح الكثيرة المنظوم منها والمنثور - فهي
تفوق الحصر ، ومن النادر أن نرى محدثاً ليس له مصنف أو رسالة يتناول فيها
علم مصطلح الحديث أو بعضه .

كما ألفت كتب كثيرة في علل الحديث وغريبه ومختلفه ^(١) ، ومن يطلع
على مخطوطات دار الكتب المصرية ومخطوطات المكتبة الظاهرية بدمشق
وغيرهما من المكتبات الإسلامية يجد كنوزاً علمية نادرة ساهمت في حفظ الحديث
سنداً وممتناً ، وبينت صحبه من سقيه ، وقد كانت تلك المؤلفات نتيجة لجهود
العلماء على مر السنين ، وستبقى إلى ما شاء الله ، لأنها الحصن المنيع لحماية السنة
الطاهرة المفسرة للكتاب الكريم . مصداقاً لقوله تعالى : « إِنَّا نَحْنُ نُزَلِّلُ
الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ . » ^(٢)

(١) انظر الرسالة المسطرة التي ضمت معظم ما ألف في الحديث وعلومه .

(٢) ٩ : الحجر .

الباب الرابع

مسح دُونَ الطَّيْرِ ..؟

الفصل الأول : حول تفويض الحديث .

الفصل الثاني : مادون في عصر الرسول صلى الله عليه وسلم

وفي صدر الإسلام .

الفصل الثالث : آراء في التدوين .

الفصل الأول

حول تدوين الحديث...

١ - الكتابة عند العرب قبل الإسلام :

تدل الدراسات اللطية على أن العرب كانوا يعرفون الكتابة قبل الإسلام ، فكانوا يؤرخون أمم حوادثهم على الحجارة ، وقد أثبتت الأبحاث الأثرية ذلك بأدلة قاطعة ، تعود إلى القرن الثالث الميلادي ، وأكثر الآثار التي تحمل كتابات العرب كانت في الأطراف الشمالية للجزيرة العربية ^(١) حيث كان الاتصال وثيقاً بالحضارة الفارسية والرومية ، وما يُذكر أن عدى بن زيد العبدي (٣٥٠ ق ٥) حين نما وأيقع طرحه أبوه في الكتاب حتى حنق العربية ، ثم دخل ديوان كسرى ، وهو أول من كتب بالعربية في ديوان كسرى ^(٢) . وهذا يدل على وجود بعض الكتابات في الجاهلية ، يتعلم فيها الصبيان للكتابة والشعر وأيام العرب ، وبشرف على هذه الكتابات معلمون ذوو مكانة رفيعة ، أمثال أبي سفيان بن أمية بن عبد شمس ، وبشر بن عبد الملك الكوفي ، وأبي قيس بن عبد مناف بن زهرة ، وعمرو بن زرارة المسمى : (الكتاب) وغيرهم ^(٣) ، وقد استندم أبو جفينة إلى المدينة ليعلم الكتابة ^(٤) ، (وكان بعض اليهود قد علم كتاب العربية ، وكان يعلمه الصبيان بالمدينة في الزمن الأول ،

(١) انظر مصادر العمر الجاهل وقيمتها التاريخية ص ٢٤ - ٣٢ وقد فصل القول في هذا .

(٢) انظر الأغاني ص ١٠١ - ١٠٢ ج ٢ .

(٣) انظر كتاب المجر ص ٤٧٥ وقد ذكرهم تحت عنوان أشرف المعلمين .

(٤) انظر تاريخ الأمم والملوك للذهبي ص ٤٢ ج ٥ .

نجاه الإسلام وفي الأوس والخزرج عدة يكتبون . (١)

وكان العرب يطلقون اسم (الكامل) على كل رجل يكتب ، وبمحن الرمي ، وبمجد السباحة (٢) ، ولكن كثيراً من الشعراء كانوا يفخرون بحفظهم ، وقوة ذاكرتهم ، بل إن بعضهم كان يخفى على الناس معرفته بالكتابة ، ويخشى أن يكشف أحد أمره ، وإذا ما كشف أمر أحدكم قال : « اكم على فإنه عندنا عيب » (٣) .

بعد هذا نستجد أن يكون قول بعض المؤرخين : (دخل الإسلام وبمكة بضعة عشر رجلاً يكتب) (٤) - صورة دقيقة لحقيقة معرفة العرب بالكتابة قبيل الإسلام ، ونستجد أن يكون هذا على وجه الإحصاء والضبط ، ومع هذا لا يباح لنا أن نقالي في معرفة العرب بالكتابة ، ونذهب مذهب من ادعى كثرة الكتابة عند العرب في الجاهلية ، وكثرة الكاتبيين القادرين ، وقد حاول بعض المستشرقين وبعض الكاتبيين العرب أن يدعوا رأيهم هذا بتأويل وصف الله تعالى للعرب (بالأميين) - في قوله عز وجل : « هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَقُولُ عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لِنِي ضَالِّينَ مُبِينِينَ » (٥) - بأنه (لا يعنى الأمية الكتابية

(١) خروج البلدان ص ٤٥٩ .

(٢) انظر طبقات ابن سعد ص ١٣٦ قسم ٢ ج ٣ وبيون الأخبار ص ١٦٨ ج ٢ وخرج

البلد ص ٤٥٩ .

(٣) الأغانى ص ١١٦ ج ١٦ هذا ما روى عن أبي الرمة .

(٤) انظر مثلاً على هذا ما جاء في قبول الأخبار ص ٦٤ ، وانظر مهلة المؤرخين التي يردونها : (وكانت الكتابة في العرب قليلة) ومثال هذا في طبقات ابن سعد ص ٨٣ قسم

٣ ج ٣ وص ٧٧ قسم ٢ ج ٣ .

(٥) ٢ : الجمعة

ولا العلمية ، وإما معنى الأمية الدينية ، أى أنه لم يكن لهم من قبل القرآن الكريم كتاب دى ، ومن هنا كانوا أميين دينياً ، ولم يكونوا مثل (أهل الكتاب) من اليهود والنصارى الذين كان لهم التوراة والإنجيل .^(١) . وحل هذا اللفظ على هذا المعنى من غير قرينة لا مسوغ له ، لأنه يقتضى التفريق بين تفسير الأميين وم العرب (جهلة الشريعة) وتفسير ما وصف به الرسول صلى الله عليه وسلم من الأمية - فى قوله تعالى : « الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ »^(٢) ، بأنه الذى لا يعرف القراءة والكتابة ، ولا داعى لهذا التفريق فى المعنى ، ولا مؤيد له فلا بد من حمل اللفظ على أحد المعنيين ، والأصل فيه عدم معرفة القراءة والكتابة^(٣) ، على أن الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم بين الأمية المعنية بما لا يرقى إليه الشك ، فقد أخرج الشيخان وأصحاب السنن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إِنَّا أُمَّةٌ أُمِّيَّةٌ لَا نَكْتُبُ وَلَا نَحْسُبُ . الشهر هكذا . . . »^(٤) .

(١) مصادر الشعر الجاهلى وقيمتها التاريخية ص ٤٥ .

(٢) ١٥٧ : الأعراف .

(٣) لقد أثار الدكتور حارم الدين الأسد تفسير (الأميين) بمعنى جهلة الشريعة ، أى الأمية الدينية لا الأمية للثقافة بالقراءة والكتابة ، ودعم رأيه هنا بشواهد فصل فيها ، انظر ذلك فى كتابه مصادر الشعر الجاهلى وقيمتها التاريخية ص ٤٤ . وتعرض الدكتور صبحى الصالح فى كتابه « علوم الحديث ومصطلحه » لهذا التفسير الذى اعتد عليه المتفردون فى زعمهم أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان كاتباً قارئاً ، وأن وصفه بالأمية - كوصف العرب بها - لا ينافى معرفة القراءة والكتابة . انظر كتابه للصفحة ٢ - ٤ . ومولاهها ، وقد رد عليهم رداً جليلاً .

(٤) وثمة الحديث (وهكذا بنى مرة تسعة وعشرين ومرة ثلاثين) انظر فتح البارى ص ٢٨-٢٩ هـ . وصحيح مسلم ص ٧٦١ حديث ١٥ ج ٢ . وقد روى من طرق كثيرة ، قال هنا صلى الله عليه وسلم بمناسبة رؤية هلال رمضان ، ورأى جمهور المحدثين على أن المراد بالأمة الأمة العربية آنذاك ، والمراد من الأمية ، أمية القراءة والكتابة ، وقد قيل العرب أميون لأن =

٢ - الكتابة في العصر النبوي وصدر الإسلام:

مما لا شك فيه أن الكتابة انتشرت في عهد النبي صلى الله عليه وسلم على نطاق أوسع مما كانت عليه في الجاهلية ، فقد حث القرآن الكريم على التعلم ، وحض الرسول صلى الله عليه وسلم على ذلك أيضاً ، واقتضت طبيعة الرسالة أن يكثر المتعلمون ، الفارثون ، السكتيون ، فالوحي يحتاج إلى كتاب ، وأمور الدولة من مراسلات وعمود ومواثيق تحتاج إلى كتاب أيضاً ، وقد كثرت السكتيون بعد الإسلام فعلا ليسوا حاجات الدولة الجديدة ، فكان للرسول كتابٌ للوحي بلغ عددهم أربعين كتاباً ، وكتابٌ للصدقة ، وكتابٌ للديانات والمعاملات ، وكتابٌ للرسائل يكتبون باللغات المختلفة ^(١) . وإن ما ذكره المؤرخون من أسماء كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن على سبيل الحصر ، بل ذكروا من داوم على الكتابة بين يديه ، ويظهر هذا واضحاً في قول المسودي (إنا ذكرنا من أسماء كتّابة صلى الله عليه وسلم من ثبت على كتابته ، واتصلت أيامه فيها ، وطالت مدته ، وسحت الرواية على ذلك من أمره دون من كتب الكتاب والسكتين والثلاثة ، إذ كان لا يستحق بذلك أن يسمى كاتباً ، ويضاف إلى جملة كتّابه ^(٢)) .

== الكتابة كانت فيهم قليلة قال تعالى « هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم » ، ولا يرد على ذلك أنه كان فيهم من يكتب ويحسب لأن الكتابة كانت فيهم قليلة ونادرة آنذاك . ولما لم يرد إلحاحاً منا حساب النجوم وتبليغها ولم يكونوا يعرفون من ذلك أيضاً إلا اليسير . انظر تفصيل هذا في فتح الباري ص ٢٨ - ٢٩ - ٣٠ .

(١) راجع للصبح اللضيء في كتاب النبي الأمي ورسله إلى ملوك الأرض من حرب وجمعه لمحمد بن علي بن حديد الأنصاري . مخطوط مكتبة الأوقاف بحلب ، تحت رقم (٢٧٠) وقد فصل القول في ذلك في ص ١٦ - ٤٠ .

(٢) النبية والاشرف ص ٢٤٦ .

وقد كثر السكّابون بعد الهجرة عندما استقرت الدولة الإسلامية ، فكانت مساجد المدينة النعمة إلى جانب مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ^(١) محط أنظار المسلمين ، يتعلمون فيها القرآن الكريم ، وتعاليم الإسلام ، والقراءة والكتابة ، وقد تبرع المسلمون الذين يعرفون الكتابة والقراءة بتعليم إخوانهم ، وأرجح أنه كان من أوائل هؤلاء المسلمين سعد بن الربيع الخزرجي أحد النقباء الأثني عشر ^(٢) ، وبشير بن سعد بن ثعلبة ^(٣) ، وأبان بن سعيد بن العاص ^(٤) ، وغيرهم رضوان الله عليهم .

وكان إلى جانب هذه المساجد كتاتيب يتعلم فيها الصبيان الكتابة والقراءة ، إلى جانب القرآن الكريم ^(٥) . ولا يفوتنا أن نذكر أثر غزوة (بدر) في تعليم

(١) انظر مسالك الأبيصار في ممالك الأمصار ص ١٣١ .

(٢) للتوفى سنة ٤٣ هـ انظر طبقات ابن سعد ص ٧٧ و ١٤١ قسم ٢ ج ٣ .

(٣) للتوفى سنة ١٢ هـ انظر طبقات ابن سعد ص ٨٣ قسم ٢ ج ٣ وتهذيب التهذيب

ص ٤٦٤ ج ١ والامامة ص ٦٣ ج ١ .

(٤) انظر الامامة ص ١٠ - ١١ ج ١ والمصباح المضيء ص ١٦ وقد اختلف في وفاة أبان بن

سعيد ، فقبل توفى سنة ١٣ هـ وقبل سنة ١٥ هـ ، وقبل غير ذلك والصواب أنه

عاش إلى خلافة عثمان ، وأنا أرجح هنا لأنه كان أحد الصحابة الذين نسخوا المصاحف مع زيد

ابن ثابت في عهد عثمان رضي الله عنهم جميعا ، انظر صحيح البخاري بحاشية السندي ص

٢٢٥ - ٢٢٦ ج ٣ وكتابتنا « زيد بن ثابت الأنصاري » ص ٣٥ .

(٥) كتب جوله كبير مقالا عاما في دائرة معارف الأديان والأخلاق عن التعليم الأول عند

المسلمين ، وقد حاول أن يثبت أن كتاب تعليم القرآن ومبادئ الدين الإسلامي قد أنشئ في عهد

مبكر ، وأنه يرجع إلى صدر الإسلام ، وقد دعم رأيه بالأسانيد الآتية :

١ - أرسلت أم سلمة إحدى زوجات الرسول « صلى الله عليه وسلم » مرة إلى معلم كتاب

تطلب منه أن يرسل لها بعض تلاميذ كتابه ليساعدوها في تدف الصوف وغزله .

ب - كان عمر بن ميمون يحفظ الصيغة التي تلقى الإنسان شر العين ، وقد أستخدمها إلى سيد

ابن أبي وقاص الذي كان يعلم أولاده ، ويكتبها لهم كما يفعل للدرس مع تلاميذه .

ج - مر « ابن عمر » و « أبو أسيد » في مناسبة ما بكتاب ، ففقا لليم

صبيان المدينة ، حينما أذن رسول الله صلى الله عليه وسلم لأسرى بدر بأن يفدى كل كاتب منهم نفقة بتعليم عشرة من صبيان المدينة الكتابة والقراءة^(١) ، ولم يقتصر تعليم الكتابة والقراءة على الذكور فقط ، بل كانت الإناث تعلمن هذا في بيوتهن فقد روى أبو بكر بن سليمان بن أبي حثمة عن الشفاء بنت عبد الله أنها قالت : (دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأنا عند حفصة ، فقال لي : « ألا تعلمين هذه رُقِيَّةَ الثَّمَلَةِ كما علمتها الكتابة ؟ »)^(٢)

ثم اتسع نطاق التعليم ، وانتشر في الآفاق الإسلامية ، بانتشار الصحابة رضوان الله عليهم ، وكثرت حلقات العلم ، وانتظمت في المساجد^(٣) ، وأضحت بعض الحلقات تضم نيفا وألفا من طلاب العلم^(٤) ، وكثر

== د - كان الوح المخصص للكتابة موجودا في وقت مبكر جدا ، فقد روى عن أم الدرداء أنها كتبت على لوح من هذا النوع عبارات في الحكمة ، ليلفظها تلميذ كانت تلمه الكتابة والقراءة ، انظر تاريخ الفرية الإسلامية للدكتور أحمد شلبي طبعة بيروت سنة ١٩٥٤ ص ٢٦ . ونضيف إلى هذا - مما يؤكد وجود الكتابيب - ما رواه عثمان بن عبيد الله ، قال : وأبت أبا هريرة بصفر لحته ونحن في الكتاب . انظر طبقات ابن سعد ص ٥٩ قسم ٢ ج ٢ . وقد تلم زيد بن ثابت في أحد هذه الكتابيب . انظر مستند الإمام أحمد ص ٢٥٩ ج ٥ .

(١) انظر طبقات ابن سعد ص ١٤ قسم ١ ج ٢

(٢) سنن أبي داود ص ٣٣٧ ج ٢ . والثملة هي فروع تخرج في الجنب . وفي الحديث عن أنس قال : « رخص رسول الله صلى الله عليه وسلم في الرقية من اثنين والحمة والثملة . » والحمة - بضم الحاء وفتح الميم - هي الدم انظر صحيح مسلم ص ١٧٢٥ حديث ٥٨ ج ٤ .

(٣) مما يذكر من النشاط العلمي وانتظام الحلقات أن أبا الدرداء رضي الله عنه « ٣٢٢ هـ » كان إذا صلى النداء في جامع دمشق اجتمع الناس للقراءة عليه ، فكان يحملهم عصرة عصرة ، وعلى كل عصرة هريفا ، ويقف هو في المحراب يرمقهم ببصره ، فإذا غلط أحدهم ، رجع إلى هريهم ، وإذا غلط هريهم رجع إلى أبي الدرداء فساله عن ذلك ، انظر غاية النهاية في طبقات القراء ص ٦٠٦ ج ١ ، وتهذيب التاريخ الكبير لابن عساكر ص ٦٩ ج ١ .

(٤) قال مسلم بن مشكم « قال لي أبو الدرداء : اعدد من يقرأ عندي القرآن ، فعدتهم بأمره ألف وستة ونيفا ، وكان لكل عصرة منهم مقرئ ، وأبو الدرداء يكون عليهم قائما إذا أحكم الرجل منهم تحول إلى أبي الدرداء . » انظر غاية النهاية في طبقات القراء ص ٦٠٧ ج ١ ونحوه في تهذيب التاريخ الكبير لابن عساكر ص ٦٩ ج ١ .

الملمون ^(١)، وانتشرت الكتابات في مختلف أنحاء الدولة الإسلامية، وغصت بالصبيان، وضاعت بهم حتى اضطر الضحاك بن مزاحم معلم الصبيان ومؤدبهم إلى أن يطوف على حمار ليشرح على طلاب مكتبه، الذين بلغ عددهم ثلاثة آلاف صبي ^(٢)، وكان لا يأخذ أجراً على عمله ^(٣).

وقد ازدادت الحركة العلمية في أواخر القرن الأول، وظهرت الندوات التي تدل على آثار النهضة العلمية، فقد كان (عبد الحكم بن عمرو بن عبد الله ابن صفوان الجمحي قد اتخذ بيتاً، فجعل فيه شطرنجات، ونردات، وقرقات ^(٤)، ودفاتر فيها من كل علم، وجعل في الجدار أوتاداً، فن جاء علق ثيابه على وتد منها، ثم جر دفتره أقرأه، أو بعض ما يلعب به فلعب به مع بعضهم ^(٥)).

فإذا رأينا - بعد ذلك - أن الحديث الشريف لم يدون تدويناً رسمياً في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم، كما دون القرآن الكريم - فلا بد لنا من البحث عن السبب الذي أدى إلى عدم تدوينه في عصره صلى الله عليه وسلم.

وعن في بحثنا هذا لا يمكننا أن نستسلم لتلك الأسباب التقليدية التي اعتاد

== وقد كانت حلقات العلم في عهد عبد الملك بن مروان درجة عظيمة، فقد رأى في المسجد الحرام حلقات كثيرة لطاء ولعيد بن جبير ولبس بن مهران والمكحول وغيرهم، فأعجب بهم، وحث أحياء قريش على المحافظة على العلم. انظر تفصيل هذا في المحدث الفاضل ص ٣٥ - ٣٦. (١) ذكر أبو علي أحمد بن عمر بن رسة كثيراً من الملمين في هذا العصر، انظر: الأملق النخبة المجلد السابع صفحة ٢١٦ - ٢١٧ وقد ذكرهم تحت عنوان ستاعات الأشراف. . . وانظر كتاب الخبر حيث ذكر كثيراً من الملمين وبينهم بالتفصيل في الصفحات: ٣٧٩ والصفحات ٤٧٥ - ٤٧٧.

(٢) انظر معجم الأدباء طبعة مصر ص ١٦ - ١٢، وقد تولى الضحاك بن مزاحم سنة

٤٨١٠٥ هـ.

(٣) انظر الأملق النخبة ص ٢١٦.

(٤) النردات: جمع نرد، ما يرفق اليوم بالطاوة. وقرقات: جمع قرق وهي لعبة الصبيان.

(٥) الأغاني ص ٢٥٣ ج ٤.

الكاتبون أن يملأوا بها عدم التدوين ، ولا نستطيع أن نوافقهم على ماقلوه من أن قلة التدوين في عهد صلى الله عليه وسلم ، تعود قبل كل شيء إلى ندرة وسائل الكتابة ، وقلة الكتاب ، وسوء كتابتهم^(١) - لا يمكننا أن نعلم بهذا بعد أن رأينا نيفا وثلاثين كاتباً يتولون كتابة الوحي للرسول الكريم صلى الله عليه وسلم وغيرهم يتولون أموره الكتابية الأخرى ، ولا يمكننا أن نمتد بقلة الكتاب ، وعدم اتقانهم لها ، وفيهم المحسنون المتقنون أمثال زيد بن ثابت وعبد الله بن عمرو بن العاص ، ولو قبلنا جدلاً ما ادعوه من ندرة وسائل الكتابة وصعوبة تأمينها ، اكفى في الرد عليهم أن المسلمين دونوا القرآن الكريم ولم يحدوا في ذلك صعوبة ، فلو أرادوا أن يدونوا الحديث ماشق عليهم تحقيق تلك الوسائل ، كما لم يشق هذا على من كتب الحديث بإذن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلا بد من أسباب أخرى ، وإنا نرى تلك الأسباب من خلال الآثار الثابتة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن الصحابة والتابعين ، وسنرى أن تدوين الحديث مر بمراحل منتظمة حققت حفظه ، وصانته من العبث ، وقد تضامنت الذاكرة والأقلام ، وكأنا جنباً إلى جنب في خدمة الحديث الشريف ، ونستعرض الآن تلك الآثار التي تلقى لنا بعض الضوء على حقيقة تدوين السنة .

(١) انظر تأويل مختلف الحديث ، قال : (وكان غيره - ابن عمرو بن العاص - من الصحابة أميين لا يكتب منهم إلا الواحد والاثان وإذا كتب لم يتقن ولم يصب التهجى » ص ٣٦٦ . إن هذا يتناقض مع ما بيناه من أعلم المسلمين الكتابة ، فعميم ابن تقيية هذا لا يستند إلى دليل . وانظر مقدمة ابن خلدون ص ٥٤٣ .

أولاً: ماروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في الكتابة.

١ - ماروى من كراهة الكتابة :

١ - روى أبو سعيد الخدرى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :
« لا تكتبوا عني ، ومن كتب عني غير القرآن فلأنه »^(١) وهذا الحديث
أصح ما ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذا الباب .

٢ - وقال أبو سعيد الخدرى : (جهدنا بالنبي صلى الله عليه وسلم
أن يأذن لنا في الكتاب فأبى) وفي رواية عنه قال : (استأذنا النبي صلى الله
عليه وسلم في الكتابة فلم يأذن لنا)^(٢) .

٣ - روى عن أبي هريرة أنه قال : خرج علينا رسول الله صلى الله عليه
وسلم ونحن نكتب الأحاديث ، فقال : « ما هذا الذي تكتبون ؟ » قلنا :
أحاديث نسلمها منك . قال : « كتابٌ غير كتاب الله ؟ » أندرون ؟ ماضل
الأمم قبلكم إلا بما اكتبوا من الكتب مع كتاب الله تعالى »^(٣) .

ب - ماروى من إباحة الكتابة :

١ - قال عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما : كنت أكتب
كل شيء أسمع من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أريد حفظه فتهتمى قريش ،
وقالوا تكتب كل شيء سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ورسول الله

(١) صحيح مسلم بفتح النوى ص ١٢٩ ج ١٨ وجامع بيان العلم وفضله ص ٦٣ ج ١

(٢) الحديث الفاسل نسخة دمشق ص ٥ ج ٤ . والإلحاح ص ٢٨ ونحوه في تقييد العلم

ص ٣٢ - ٣٣ .

(٣) تقييد العلم ص ٣٤ .

صلى الله عليه وسلم بشر يتكلم في الغضب والرضا ، فأمسكت عن الكتاب ،
فذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأومأ بأصبعه إلى فيه وقال :
« اكتب قَوْلَ الَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا خَرَجَ مِنْهُ إِلَّا حَقٌّ » (١) .

٢ - قال أبو هريرة رضى الله عنه : (ما من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أحد أكثر حديثاً عنه مني إلا ما كان من عيد الله بن عمرو ، فإنه كان يكتب ولا يكتب (٢)) .

٣ - روى عن أبي هريرة أن رجلاً من الأنصار كان يشهد حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا يحفظه ، فيسأل أبا هريرة فيحدثه ، ثم شكاً قلة حفظه إلى الرسول صلى الله عليه وسلم ، فقال له النبي عليه الصلاة والسلام :
« اسْتَعِنْ عَلَى حِفْظِكَ بِمِثْنِكَ » (٣) .

٤ - روى عن رافع بن خديج أنه قال : قلنا : يا رسول الله ، إنا نسمع منك أشياء ، أفنكتبها ؟ قال : « اكتبوا ولا حرج » (٤) .

٥ - روى عن أنس بن مالك أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
« قِيدُوا الْعِلْمَ بِالْكِتَابِ » (٥) .

(١) سنن الدرامي ص ١٢٥ ج ١ ونحوه في ص ١٢٦ ج ١ ونحوه في تقييد العلم طرق كثيرة ص ٢٤ - ٨٣ وفي جامع بيان العلم ص ٧١ ج ١ والاملاح ص ٢٧ : ب .

(٢) فتح الباري ص ٢١٧ ج ١ .

(٣) تقييد العلم ص ٦٥ و ٦٦ وفي الجامع لأخلاق الراوى ص ٥٠ : آ وقد أخرجه الترمذى أيضاً عن طريق أبي هريرة انظر توضيح الأفسكار ص ٣٥٣ ج ٢ .

(٤) تقييد العلم ص ٧٢ - ٧٣ ، والمحدث الفاضل ص ٣ : ب ج ٤ مخطوطة دمشق وانظر توضيح الأفسكار ص ٣٥٣ ج ٢ . وقد صنف « السيد رشيد رضا » صاحب للنار هذا الحديث انظر مجلة للنار : ١٠ / ٧٦٣ وله رأى في الأحاديث التي تسمح بالكتابة انظر ص ٧٦٥ و ٧٦٦ ج ١٠ من المجلة .

(٥) الجامع لأخلاق الراوى وآداب السامع ص ٤٤ : آ ، وتقييد العلم ص ٦٩ ، وجامع =

٦ - روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كتب كتاب الصدقات والديات والفرائض والسنن وأمروين حزم وغيره .^(١)

٧ - روى عن أبي هريرة أنه لما فتح الله على رسوله صلى الله عليه وسلم مكة قام الرسول صلى الله عليه وسلم وخطب في الناس ، فقام رجل من أهل اليمن يقال له أبو شاه ، فقال : يا رسول الله ، اكتبوا لى ، فقال : اكتبوا له^(٢) وقال أبو عبد الرحمن (عبد الله بن أحمد) : ليس يروى فى كتابة الحديث شىء أصح من هذا الحديث ، لأن النبى صلى الله عليه وسلم أمرهم : قال : « اكتبوا لأبى شاه »^(٣) .

٨ - روى عن ابن عباس أنه قال : لما اشتد بالنبي صلى الله عليه وسلم وجهه قال : « ايتونى بكتاب اكتب لكم كتاباً لاتضلوا بعده » قال عمر : إن النبى صلى الله عليه وسلم غلبه الوجع ، وعندنا كتاب الله حسبننا . فاختلفوا ، وكثر اللاتط . قال : « قوموا عنى ، ولا ينبغي عندى التنازع »^(٤) . إن طلب الرسول هذا واضح فى أنه أراد أن يكتب شيئاً غير القرآن ، وما كان سيكتبه

== بيان العلم ص ٧٢ ج ١ ، وقد ضعف البيهقي محمد رشيد رضا هذا الحديث لأن فى سنده عبد الحميد بن سليمان وقد تكلم فيه الذمى . كما ضعفه من طريق عبد الله بن المؤمل الذى قال فيه الإمام أحمد (أحاديثه منكوبة) . انظر مجمع الزوائد ص ١٥٢ ج ١ . أقول : إلا أن هذا الحديث روى من طريق اسماعيل بن يحيى من ابن أبي ذؤيب عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده ولا يطمئن فيه نفرده . به انظر تقييد العلم ص ٦٩ ، والبيهقي محمد رشيد رضا ضعف الحديث من طريقه الأولين فلا يطمئن برواية اسماعيل بن يحيى هذه . انظر مجلة المنار ص ٧٦٣-٧٦٦ ج ١٠ .

(١) انظر جامع بيان العلم وفضله : ص ٧١ ج ١ .

(٢) سند الإمام أحمد ص ٢٣٢ ج ١٢ وفتح البارى ص ٢١٧ ج ١ ، وجامع بيان العلم

ص ٧٠ ج ١ وتقييد العلم ص ٨٦ .

(٣) سند الإمام أحمد ص ٢٣٥ ج ١٢ .

(٤) فتح البارى ص ٢١٨ ج ١ وصحيح الإمام مسلم ص ١٢٥٧ و ١٢٥٩ ج ٣ روى

طبقات ابن سعد ص ٣٦ و ٣٧ ج ٢ .

هو من السنة ، وإن عدم كتابته لمرضه لا يفسخ أنه قدم به ، وكان في آخر أيام حياته عليه الصلاة والسلام ، فيفهم من هذا إباحته عليه الصلاة والسلام الكتابة في أوقات مختلفة ، ولمواضيع كثيرة ، في مناسبات عدة ، خاصة وعامة .

وإذا كانت الأخبار الدالة على إباحة الكتابة منها خاص كخبر أبي شاه ، فإن منها أيضا ما هو عام لا سبيل إلى تخصيصه ، كسماعه لعبد الله بن عمرو بالكتابة وللرجل الأنصاري الذي شكاه سوء حفظه . ويمكن أن نستشهد في هذا المجال بخبر أنس ورافع بن خديج وإن تكلم فيهما ، لأن طريقيهما كثيرة يقوى بعضها بعضا ، وللعلماء مع هذا آراء في هذه الأخبار سأوجزها فيما يلي :

حاول العلماء أن يوفقوا بين ما ورد من نهى عن الكتابة وما ورد من إباحة لها ، وترجع آراؤهم إلى أربعة أقوال :

الأول : قال بعضهم إن حديث أبي سعيد الخدري موقوف عليه فلا يصلح للاحتجاج به . وروى هذا الرأي عن البخاري وغيره^(١) ، إلا أننا لا نسلم بهذا لأنه ثبت عند الامام مسلم ، فهو صحيح ، ويؤيد صحته وبعضه ما روته عن أبي سعيد رضي الله عنه : « استأذنت النبي صلى الله عليه وسلم أن أكتب الحديث ، فأني أن يأذن لي^(٢) » .

الثاني : أن النهى عن الكتابة إنما كان في أول الإسلام مخافة اختلاط الحديث بالقرآن ، فلما كثر عدد المسلمين ، وعرفوا القرآن معرفة رافعة للجهالة ، وميزوه من الحديث — زال هذا الخوف عنهم ، فنسخ الحكم الذي كان مترتباً

(١) انظر فتح الباري ص ٢١٨ ج ١ ، وانظر الباث الخث ص ١٤٨ ، وتوضيح الأعلام

ص ٢٥٣ ج ٢ وتدريب الراوي ص ٢٨٧ ومنهج ذوي النظر ص ١٤٢ .

(٢) تقييد العلم ص ٣٢ - ٣٣ .

عليه ، وصار الأمر إلى الجواز^(١) . وفي هذا قال الرامهرمزي : (وحديث أبي سعيد « حرصنا أن يأذن لنا النبي صلى الله عليه وسلم في الكتاب فأبى » أحسب^(٢) أنه كان محفوظاً في أول الهجرة ، وحين كان لا يؤمن الاشتغال به عن القرآن^(٣)) والقول بالنسخ أحد المعنيين اللذين فهمهما ابن قتيبة من تلك الأخبار . فقال : (أحدهما : أن يكون من منسوخ السنة بالسنة كأنه همى في أول الأمر أن يكتب قوله ، ثم رأى بعد لما علم أن السنن تكثر وتفتوت الحفظ أن تكتب وتقيده .)^(٤) ، ورأى هذا الرأي كثير من العلماء ، وذهب إليه العلامة المحقق الأستاذ أحمد محمد شاكر^(٥) . فيمد أن دعم رأيه بالأخبار التي تبيح الكتابة قال : (كل هذا يدل على أن حديث أبي سعيد - « لا تكتبوا عني ومن كتب عني غير القرآن فليمحاه » - منسوخ ، وأنه كان في أول الأمر ، حين خيف اشتغالهم عن القرآن ، وحين خيف اختلاط غير القرآن بالقرآن ، وحديث أبي شاه في أواخر حياة النبي صلى الله عليه وسلم ، وكذلك أخبار أبي هريرة - وهو متأخر الإسلام - أن عبد الله بن عمرو كان يكتب ، وأنه هو لم يكن يكتب : يدل على أن عبد الله كان يكتب بعد إسلام أبي هريرة ، ولو كان حديث أبي سعيد في النهي متأخراً عن هذه الأحاديث في الإذن والجواز لعرف ذلك عند الصحابة يقيناً صريحاً^(٦)) .

ويمكن أن نلحق هنا الرأي الذي يقول : إن النهي إنما كان عن كتابة

(١) انظر توضيح الأذهكار ص ٣٥٣ - ٣٥٤ ج ٢ .

(٢) في الأصل (فأعجبه) وما أبقناه أصح لغة .

(٣) الحديث الفاصل ص ٧١ : أ

(٤) نأويل مختلف الحديث ص ٣٦٥ .

(٥) انظر الباعث الحثيث ص ١٤٨ .

(٦) للرجع السابق ص ١٤٩ .

الحديث مع القرآن في صحيفة واحدة ، لأنهم كانوا يسمعون تأويل الآية ، فرموا كعبه معه ، فمروا عن ذلك لخوف الاشتباه .^(١)

الثالث : أن النهى في حق من وثق بحفظه وخيف اتكاله على الكتابة ، والاذن في حق من لا يوثق بحفظه كأبي شاه .^(٢)

الرابع : أن يكون النهى عاما وخص بالسماح له من كان قارئا كاتباً مجيداً لا يخطئ في كتابته ، ولا يخشى عليه الغلط ، كعبد الله بن عمرو الذي أمن عليه صلى الله عليه وسلم كل هذا ، فأذن له^(٣) . وهذا هو المعنى الآخر الذي فهمه ابن قتيبة من تلك الأخبار .

ورأينا في هذه الأخبار هو حجة ما روى عن أبي سعيد من النهى ، وحجة ما روى عن غيره من إباحة الكتابة ، فنحن لا نقول بوقف خبر أبي سعيد عليه . فأرأى الأول سرود ، ويمكن أن تكون جميع هذه الآراء الثلاثة صواباً ، فنهى عليه الصلاة والسلام عن كتابة الحديث الشريف مع القرآن في صحيفة واحدة خوف الالتباس ، وربما يكون نهيه عن كتابة الحديث على الصحف أول الإسلام حتى لا يشغل المسلمون بالحديث عن القرآن الكريم ، وأراد أن يحفظ المسلمون القرآن في صدورهم وعلى الألواح والصحف والعظام توكيداً لحفظه ، وترك الحديث للممارسة العملية ، لأنهم كانوا يطبقونه : يرون الرسول فيقلدونه ، ويسمعون منه فيتبعونه ، وإلى جانب هذا سمح لمن لا يختلط عليه القرآن بالسنة أن يدون السنة كعبد الله بن عمرو ، وأباح لمن يصعب عليه الحفظ أن يستعين بيده حتى إذا حفظ المسلمون قرآنهم وميزوه عن الحديث جاء نسخ النهى بالإباحة

(١) انظر فتح البعث في ١٨ ج ٣ وانظر توضيح الأفكار في ٣٥٤ ج ٢ .

(٢) انظر فتح البعث في ١٨ ج ٣ ، وتوضيح الأفكار في ٣٥٤ ج ٢ .

(٣) انظر تأويل مختلف الحديث في ٣٦٥ - ٣٦٦ .

عامه ، وإن وجود علة من علل النهى السابقة لا ينفي وجود غيرها ولا يتعارض معه ، كما أن وجود علة النهى لا ينفي تخصيص هذا النهى بالسماح لبعض من لا تتحقق فيهم هذه العلة . فالنهي لم يكن عاماً ، والإباحة لم تكن عامة في أول الإسلام ، فحينما تحققت علة النهى منعت الكتابة ، وحينما زالت أبيحت الكتابة .

وأرى في حديث أبي شاه وفي حديث ابن عباس : « ايتوني بكتاب . . » إذناً عاماً ، وإباحة مطقة للكتابة ، وعلى هذا لا تعارض بين جميع تلك الروايات فقد سهل التوفيق بينها وتبين وجه الصواب . وانتهى أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بإباحة الكتابة ، وسنرى فيما بعد بعض ما دون في عهده صلى الله عليه وسلم .

• • •

ثانياً - كتابة الحديث في عصر الصحابة

مع ما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم من إباحة للكتابة ، ومع ما كتب في عهده من الأحاديث على يدي من سمح لهم بالكتابة - نرى الصحابة يحجمون عن الكتابة ، ولا يقدمون عليها في عهد الخلافة الراشدة ، حرصاً منهم على سلامة القرآن الكريم والسنة الشريفة ، فنجد بينهم رضوان الله عليهم من كره كتابة السنة ، ومن أباحها ، ثم ما لبث الأمر أن كثرت الجبازون للكتابة ، بل روى عن بعض من كره الكتابة أولاً إباحته لها آخرها ، وذلك حين زالت علة الكراهة .

روى الحاكم بسنده عن القاسم بن محمد عن عائشة رضي الله عنها قالت : جمع أبي الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان ^(١) خمسمائة حديث ، فبات

(١) في الأصل (كانت) وما أنبتاه أصح لتسقيم العبارة .

ليلة يتقاب كثيراً... فلما أصبح قال: (أى بنية، هلى الأحاديث التى عندك،
لجنته بها، فدعا بنار فخرها^(١)).

وهذا عمر بن الخطاب يفكر فى جمع السنة، ثم لا يلبث أن يعدل عن ذلك:
(عن عروة - بن الزبير - أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أراد أن يكتب السنن
فاستفتى أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فى ذلك، فأشاروا عليه بأن يكتبها،
فطلق عمر يستخير الله فيها شهرا، ثم أصبح يوماً وقد عزم الله له، فقال:
إنى كنت أريد أن أكتب السنن، وإنى ذكرت قوماً كانوا قبلكم كتبوا
كتباً، فأكبوا عليها وتركوا كتاب الله، وإنى والله لا أشوب كتاب الله بشيء
أبد^(٢))، وفى رواية عن طريق مالك بن أنس أن عمر قال عندما عدل عن
كتابة السنة: «لا كتاب مع كتاب الله^(٣)».

وكان خوف عمر من إقدامه على كتابة السنة أن ينسكب المسلمون على دراسة
غير القرآن ويهملوا كتاب الله عز وجل^(٤)، ولذلك فرى عمر رضى الله عنه يمنع
الناس من أن يتخذوا كتاباً مع كتاب الله، وينكر إنكاراً شديداً على من نسخ
كتاب (دانيال) ويضربه ويقول له: (انطلق فاحمه... ثم لا تفراه ولا تقرئه
أحدًا من الناس، فلئن بلغنى عنك أنك قرأته أو أقرأته أحدًا من الناس
لأنه كنك عقوبة^(٥)) ولهذا فراه يخطب فى الناس قائلاً: (أيها الناس، إنه قد
بلغنى أنه قد ظهرت فى أيديكم كتب، فأحبها إلى الله أعد لها وأقومها، فلا يبقين

(١) تذكرة الحفاظ ص ٥ ج ١

(٢) جامع بيان العلم وفضله ص ٦٤ ج ١، ونحوه فى تهديد العلم ص ٥٠، وطبقات ابن سعد
ص ٢٠٦ قسم ١ ج ٣.

(٣) جامع بيان العلم وفضله ص ٦٤ ج ١

(٤) أظن تهديد العلم ص ٥٠.

(٥) تهديد العلم ص ٥٢ ونحوه مختصراً فى جامع بيان العلم ص ٤٢ ج ٢، وفى الجاهل لأخلاق
الراوى وآداب السامع ص ١٤٦ ج ١.

أحد عنده كتاب إلا أتاني به ، فأرى فيه رأيي - قول - فظنوا أنه يريد أن^(١)
 ينظر فيها ، ويقومها على أمر لا يكون فيه اختلاف ، فأتوه بكتبهم فأحرقها بالنار
 ثم قال : « أمنية كأمنية أهل الكتاب »^(٢) كما أنه كتب إلى الأمصار (من كان
 عنده منها شيء فليبعه)^(٣) .

كل هذا يدل على خشية عمر من أن يهمل كتاب الله أو أن يضاهي به كتاب
 غيره ، ونحن نرى عمر نفسه يأبى أن يبقى رأيه مكتوباً ويأبى إلا أن يحرقه ،
 فعند ما طعن استدعى طلياً ، فعرف دنو أجله ، فنادى ابنه قائلاً : « يا عبد الله
 ابن عمر ، ناولني الكتاب ، فلو أراد الله أن يمضي ما فيه أمضاء ، فقل له ابن عمر :
 أنا أكفيك محوها ، فقال : لا والله ، لا يحوها أحد غيري » ، فحارها عمر بيده ،
 وكان فيها فريضة الجلد^(٤) .

وروى عمر نفسه حين يأمن حفظ القرآن ، يكتب بشيء من السنة إلى بعض
 عماله وأصحابه (عن أبي عثمان « النهدي » قال : كنا مع عتبة بن فرقد ، فكتب
 إليه عمر بأشياء يحذره عن النبي صلى الله عليه وسلم ، فكان فيما كتب إليه :
 إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : لا يلبس الحرير في الدنيا إلا من ليس
 له في الآخرة منه شيء إلا هكذا ، وقال بأصبعيه السبابة والوسطى . قال أبو عثمان :
 فرأيت أنها أزرار الطيالة حين رأينا الطيالة^(٥)) .

وروى عن عبد الله بن مسعود كراهيته لكتابة الحديث الشريف : (عن

(١) زدنا (أن) هل الأصل لتعظيم العبادة .

(٢) تقييد العلم ص ٥٢ ، رواه محمد بن القاسم .

(٣) تقييد العلم ص ٥٣ وجامع بيان العلم وفضله ص ٦٥ ج ١ .

(٤) طبقات ابن سعد ص ٢٤٧ قسم ٢ ج ٣ .

(٥) مسند الإمام أحمد ص ٢٦١ ج ١ .

عبد الرحمن بن الأسود عن أبيه قال : جاء علقمة بكتاب من مكة أو اليمن ، صحيفة فيها أحاديث في أهل البيت : بيت النبي صلى الله عليه وسلم ، فاستاذنا على عبد الله ، فدخلنا عليه ، قال : فدفعنا إليه الصحيفة ، قال : فدعا الجارية ، ثم دعا بطست فيه ماء ، فقلنا له يا أبا عبد الرحمن ، انظر فيها ، فإن فيها أحاديث حسنا . قال : فجعل يمينها ^(١) فيها ويقول : « نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ » ، القلوب أوعية ، فاشملوها بالقرآن ، ولا تشملوها بما سواه . ^(٢) .

إلا أن هناك رواية تنص على أن مافي الصحيفة كان من كلام أبي الدرداء وقصصه ، ^(٣) وفي رواية قال أحد الرواة : (يرى أن هذه الصحيفة أخذت من أهل الكتاب ، فلهذا كره عبد الله النظر فيها ^(٤)) ولا يمكننا أن نجزم بأن مافي تلك الصحيفة كان من القصص أو مما أخذ عن أهل الكتاب ، لأنه ثبت عن الأسود بن هلال أنه قال : (أتى عبد الله بصحيفة فيها حديث ، فدعا بماء فمحاها ، ثم غسلها ، ثم أمر بها فأحرقت ، ثم قال : أذكرُ الله رجلا يعلمها عند أحد إلا أعلمني به ، والله لو أعلم أنها بدير هند لباعتمها ، بهذا أهل الكتاب قبلكم حين نبذوا كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون ^(٥)) ، إن تصرف ابن مسعود يدل على أنه خشي أن يشتغل الناس بكتابة السنة ويدعوا القرآن ، أو

(١) مائه : مرسه ، أى فرقه ليذوب في اللاء وتنفرد أجزاءه .

(٢) تقييد العلم من ٥٤ وورد عنه النبي عن كتابة ماسوى القرآن عندما علم أن بعضهم يكتب كلامه . انظر سنن الداريمى من ١٢٥ ج ١ والآية من : ٣ يوسف .

(٣) انظر تقييد العلم من ٥٤ - ٥٥ .

(٤) جامع بيان العلم وفضله من ٦٦ ج ١ ونحو هذا في سنن الداريمى من ١٢٤ ج ١ .

(٥) المرجع السابق من ٦٥ ج ١ ، ونحوه في سنن الداريمى وفيه لو أنها « بدار الهندارية » .

يعنى - مكانا بعيدا بالكوفة - إلا أنه لو مشيا من ١٢٤ ج ١ .

أن يشتغلوا بغير القرآن الكريم ، ونراه يكتب بعض السنة بيده حين زالت علة المنع ، فمن مسعر عن معمر قال : (أخرج إلى عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود كتابا وحلف لي أنه خط أبيه بيده^(١) .)

وهذا على رضى الله عنه يخطب في الناس قائلا : (أعزم على كل من كان عنده كتاب إلا رجع فحماه ، فإنما هلك الناس حيث اتبعوا أحاديث علماءهم وتركوا كتاب ربهم^(٢) .)

وأبى زيد بن ثابت أن يكتب عنه مروان بن الحكم^(٣) وقال : (لعل كل شيء حدثكم به ليس كما حدثكم^(٤)) وفي رواية قال : (إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرنا ألا نكتب شيئا من حديثه)^(٥) .

وكذلك أبى أبو هريرة أن يكتب عنه كاتب مروان بن الحكم^(٦) . وكان أحيانا يقول : إن أبا هريرة لا يكتب ولا يكتب^(٧) ، وفي رواية (نحن لا نكتب ولا نكتب^(٨)) .

وقال ابن عباس : (إنا لا نكتب العلم ولا نكتبه^(٩)) ، وعن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه كان ينهى عن كتابة العلم ، وقال :

(١) جامع بيان العلم وفضله ص ٧٢ ج ١ .

(٢) المرجع السابق ص ٦٣ ج ١ .

(٣) انظر جامع بيان العلم وفضله ص ٦٣ ج ١ .

(٤) المرجع السابق ص ٦٥ ج ١ .

(٥) تقييد العلم ص ٣٥ .

(٦) انظر تقييد العلم ص ٤١ والأصابة ص ٢٠٢ ج ٧ .

(٧) انظر طبقات ابن سعد ص ١١٩ قسم ٢ ج ٢ ونحوه في تقييد العلم ص ٤٢ .

(٨) جامع بيان العلم ص ٦٦ ج ١ وقارن بين الدراي ص ١٢٢ ج ١ .

(٩) جامع بيان العلم ص ٦٥ ج ١ ونحوه في تقييد العلم ص ٤٢ .

(إِنَّمَا ضَلَّ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِالْكِتَابِ^(١)) .

وقد تمسك أبو سعيد الخدري بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي رواه في النهي عن كتابة غير القرآن . وأبى أن يُكْتَبَ أَمَا نَضْرَةُ حين قال له هذا : أَلَا تَسْكُتُنَا فَإِنَّا لَا نَحْفَظُ ؟ فقال أبو سعيد : لَا إِنَّا لَنْ نَكْتُبَكُمْ ، وَلَنْ نَجْمَلَهُ قُرْآنًا ، وَلَكِنْ احْفَظُوا عَنَّا كَمَا حَفَظْنَا نَحْنُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ^(٢) .

ويروى عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه أنه كان يكره كتابة الحديث ، روى عن سعيد بن جبير أنه قال : (كُنَّا نَخْتَلِفُ فِي أَشْيَاءَ فَتَكْتُبُهَا فِي كِتَابٍ ، ثُمَّ أَتَيْتُ بِهَا ابْنَ عُمَرَ أَسْأَلُهُ عَنْهَا خَفِيًّا^(٣) ، فَلَوْ عَلِمَ بِهَا كَانَتْ الْفَيْصَلُ بَيْنِي وَبَيْنَهُ^(٤)) .

وكره أبو موسى أن يكتب ابنه عنه مخافة أن يزيد أو ينقص ، ومخافة كُتِبَ بِالْمَاءِ^(٥) وفي رواية قال : (احْفَظُوا عَنَّا كَمَا حَفَظْنَا^(٦)) ، وفي رواية عنه أنه قال : (إِنْ بَنَى إِسْرَائِيلَ كَتَبُوا كِتَابًا وَاتَّبَعُوهُ . وَتَرَكُوا التَّوْرَةَ)^(٧) .

هؤلاء معظم الذين كرهوا كتابة الحديث في الصدر الأول ، حاولت أن

(١) جامع بيان العلم من ٦٥ ج ١ ، وتقييد العلم من ٤٣ .

(٢) سنن الداريم من ١٢٢ ج ١ ، وانظر تقييد العلم فيه روايات مختلفة من ٣٦ - ٣٨ وكذلك في جامع بيان العلم وفضله من ٦٤ ج ١ ، وفي رواية عن أبي سعيد قال : « أَتْرِبُدُونَ أَنْ تَجْمَعُوا مَصَاحِفَ ، إِنْ نِيَكُمُ صَلَواتُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانِ يَحْدِثُنَا فَحَفَظُوا كَمَا كُنَّا نَحْفَظُ » انظر جامع بيان العلم من ٦٤ ج ١ وانظر كتاب العلم لزهير بن حرب من ١٩١ .

(٣) يريد خفية . أي ينظر إلى الكتاب من غير أن يشعر ابن عمر بذلك .

(٤) جامع بيان العلم من ٦٦ ج ١ وتقييد العلم من ٤٤ .

(٥) انظر الحديث الفاصل نسخة دمشق من ٦ ج ٤ وقارن بكتاب العلم لزهير بن حرب

من ١٩٣ وسنن الداريم من ١٢٢ ج ١ .

(٦) جامع بيان العلم من ٦٦ ج ١ .

(٧) تقييد العلم من ٥٦ .

أثبت رأى كل منهم إلى جانب وجهة نظره فيما ذهب إليه من المنع والكراهة ،
 لأنهم من استنتاج أسباب هذه الكراهة ، فوجدت كما قال الخطيب البغدادي :
 (أن كراهة الكتاب في الصدر الأول إنما هي لثلاث بضاعى بكتاب الله تعالى غيره ،
 أو يشتغل عن القرآن بسواه ؛ ونهى عن الكتب القديمة أن تتخذ ،
 لأنه لا يعرف حقها من باطلها ، ومحيمها من فاسدها مع أن القرآن كفى منها ،
 وصار مهيمناً عليها ، ونهى عن كتب العلم في صدر الإسلام وجدته ، لقلة الفقهاء
 في ذلك الوقت ، والمميزين بين الوحي وغيره ، لأن أكثر الأعراب لم يكونوا
 فقهوا في الدين ، ولا جالسوا العلماء العارفين ، فلم يؤمن أن يلحقوا ما يجدون
 من الصحف بالقرآن ، ويعتقدوا أن ما اشتملت عليه كلام الرحمن ^(١)) ، أضف
 إلى هذا ورع الصحابة وخشيتهم من أن يكون ما يملونه أو يقيدونه غير ما سمعوه
 من الرسول عليه الصلاة والسلام .

من أجل هذا أولى الصحابة رضوان الله عليهم كتاب الله عز وجل في هذه
 الحقة عناية الحفظ في الصحف والمصاحف وفي الصدور ، وجمعه في عهد
 الصديق ، ونسخه في عهد عثمان ، وبثوا به إلى الآفاق ، ليضمنوا حفظ
 المصدر التشريعي الأول من أن تشويه أية شائبة ، ثم حافظوا على السنة
 بدراستها ومذكراتها وكتابتها أحيانا عند زوال مانع الكراهة ، وقد ثبت
 عن كثير من الصحابة المحدث على كتابة الحديث ، وإجازة تدوينه .

ولا نشك في هذه الأخبار كما شك غيرنا ، لأننا لا نرى فيها ذلك التعارض
 الذي تصوره بعض المستشرقين ^(٢) ، حتى استجازوا لأنفسهم أن يحكموا على

(١) نقيب العلم ص ٥٧

(٢) سننكم بعد قليل من رأى جولد تير في هذه الأخبار .

بعضها بالوضع والاختلاق ، وستوجز فيما يلي بعض ما روى عن الصحابة من إجازة
تقييد الحديث ، ليتبين صحة ما ذهبنا إليه .

١٠ وقبل أن أتناول هذه الأخبار لا بد لي من أن ألق النظر فيما روى
عن محاولة عمر رضى الله عنه جمع السنة وتدوينها ، كما جمع القرآن الكريم ،
ثم عدوله عن ذلك خوفاً من أن يلتبس الكتاب بالسنة ، وخشية ألا يميز
المسلمون الجدد بينهما . أقول : إن محاولته هذه تدل على اقتناعه بجواز كتابة
الحديث الشريف ، وهذا ما انتهى به أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد
النهي عن الكتابة ، ولو شك عمر رضى الله عنه في الجواز - مأمراً بأن يفعل
بما منعه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وما كرهه ، فأحجام الفاروق لم يكن
لكراهة الكتابة ، بل لما منع يقتضى أن يترتب في التدوين والجمع لمصلحة
أخطر وأعظم ، ولذلك رأيناه يكتب بنفسه لمن يأمن عليه اللبس ويثق به ،
وربما سمح عمر رضى الله عنه بالكتابة بعد أن رأى حفظ الأمة لكتاب الله تعالى
يجمعه في المصحف الشريف ، ويقوى هذا ما يروى عن عمرو بن أبي سفيان من أنه
سمع عمر بن الخطاب يقول : (قيدوا العلم بالكتاب ^(١)) .

ثم إن بعض الصحابة أنفسهم قد أجاز الكتابة ، وكتب بعضهم بيده ،
وتغير رأى من عرف منهم النهى عن كتابة الحديث حينما زالت أسباب المنع ،
وخاصة بعد أن جمع القرآن في المصاحف وأرسل إلى الآفاق .

ولا ينقض هذا الرأى الذى ذهبنا إليه - ما روى عن أنس بن مالك
أن أبا بكر الصديق كتب له فرائض الصدقة التى سنّها رسول الله صلى الله عليه

(١) تقييد العلم من ٨٨ ، وجامع بيان العلم من ٧٢ - ١ . ووجد ابن عمر في قائم سيف أبيه
صفحة . انظر الكفاية من ٣٥٤ ، وتوجيه النظر من ٣٤٨ .

وسلم^(١) بأن هذا كان قبل نسخ المصاحف ، لأننا لم نجعل الخشية من التباس الكتاب بالسنة السبب الوحيد لمنع الكتابة ، بل هناك أسباب أخرى قد ذكرت فيما سبق ، ثم إن أنسا رضى الله عنه ممن لا يلتبس عليه ذلك ، لأنه خدم رسول الله عليه الصلاة والسلام وعرفه وتلقى عنه عشر سنوات ، وعلى هذا نقول : إنه ثبت عن أبي بكر كتابة شيء من السنة وكذلك ثبت عن الفاروق مثل ذلك^(٢) .

وهذا عبد الله بن مسعود رضى الله عنه يقول : (ما كنا نكتب في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا الإستخارة والشهد^(٣)) فهذا دليل على كتابة الصحابة غير القرآن الكريم في عهده صلى الله عليه وسلم ، وعلى عدم كراهة ابن مسعود للكتابة ، وقد روينا خبر الكتاب الذى كان عند ابنه بخط يده^(٤) .

وروى عن على رضى الله عنه أنه كان يحض على طلب العلم وكتابته ، فقد قال : (من يشتري منى علماً بدرهم ؟ قال أبو خيصة : يقول : يشتري صحيفة بدرهم يكتب فيها العلم)^(٥) ، وخبر صحيفة على رضى الله عنه مشهور ، وقد كانت معلقة في سيفه ، فيها أسنان الإبل وشيء من الجراحات^(٦) . . .

وهذا الحسن بن على رضى الله عنهما يقول لابنيه وبني أخيه : (تعلموا تعلموا ، فإنكم صفار قوم اليوم ، تكونون كبارهم غداً ، فمن لم يحفظ منكم

(١) انظر تقييد العلم ص ٨٧ و في مستند الإمام أحمد أن أبا بكر كتب لهم (إن هذه فرائض الصدقة التي فرض رسول الله) انظر ص ١٨٣ ج ١ .

(٢) انظر مستند الإمام أحمد ص ٢٦١ ج ١ والكفاية ص ٣٣٦ .

(٣) مصنف ابن أبي شيبة ص ١١٥ : ب ، ج ١ .

(٤) انظر جامع بيان العلم ص ٢٢ ج ١ .

(٥) العلم لزمير بن حرب ص ١٩٣ : ب وتقييد العلم ص ٩٠ .

(٦) انظر مستند الإمام أحمد ص ٤٥ و ١٢٢ ج ٢ ، وغيرها وتقييد العلم ص ٨٨ - ٩٩ .

وجامع بيان العلم ص ٧١ ج ١ وفتح الباري ص ٨٣ ج ٧ .

فأبكتب^(١) ، وفي رواية : (فليكتبه ، وليضعه في بيته^(٢)) .

وهذه أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها تقول لابن أختها عروة بن الزبير :
(يا بني ، بلغني أنك تكتب عن الحديث ثم تعود فتكتبه ، فقال لها : أسمع
منك على شيء ، ثم أعود فأسمعه على غيره ، فقالت : هل تسمع في المني خلافا ؟
قال : لا . قلت لا بأس بذلك^(٣)) ، فلو كرهت عائشة رضوان الله عليها الكتابة
لمنته ونهته ، ولكنه لم يحدث شيء من هذا ، بل لم تر بأسا بمطالعته .

وهذا أبو هريرة رضي الله عنه يسمح لبشير بن نهيك أن يكتب عنه ،
ويحيزه بالرواية عنه^(٤) وفي رواية يقول بشير : (أنيت أبا هريرة بكتابي الذي
كتبته ، فقرأته عليه فقلت : هذا سمعته منك ؟ قال : نعم^(٥)) ، وروى عمرو بن
أمية الضمري أنه رأى كتبا كثيرة عند أبي هريرة^(٦) .

وكتب معاوية بن أبي سفيان إلى المغيرة بن شعبة : (اكتب إلى بشي
سمعت من رسول الله صلى عليه وسلم ، فكتب المغيرة إليه : أنه كان ينهى عن
قيل وقال ، وكثرة السؤال ، وإضاعة المال^(٧)) .

(١) الكفاية ص ٢٢٩ .

(٢) تقييد العلم ص ٩١ .

(٣) الكفاية ص ٢٠٥ .

(٤) انظر العلم لأهلب بن حرب ص ١٩٣ : ب والمحدث الفاضل ص ١٢٨ .

(٥) طبقات ابن سعد ص ١٦٢ ج ٧ وجامع بيان العلم ص ٧٢ ج ١ ، والتم لزهير ص ١٩٣ .

والكفاية ص ٢٥٥ و ٢٨٣ .

(٦) انظر جامع بيان العلم ص ٧٤ ج ١ ، وضع الباري ص ٢١٧ ج ١ كما أنه أمل بسن
أحاديثه على هام بن منبه واستعرض لذلك .

(٧) معرفة علوم الحديث ص ١٠٠ واختصر الحاكم الحري وتجد تفصيل ما كتبه المغيرة إلى
معاوية في حديث جامع شامل للبخاري في صحيحه . انظر فتح الباري ص ٩٥ ج ٩ طبعة مصر
بوالاق سنة ١٣١٢ هـ .

وكتب زياد بن أبي سفيان إلى السيدة عائشة رضي الله عنها يسألها عن
الحاج الذي يرسل هديته، وهل يحرم عليه ما يحرم على الحاج حتى ينحر، كما
أفتى ابن عباس؟ فأجابه عن هدي رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقالت:
(فلم يحرم رسول الله صلى الله عليه وسلم شيء أحله الله له حتى نحر الهدى^(١)).
وهذا ابن عباس يسأل أبا رافع صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه
من يكتب له^(٢)، وفي رواية أنه كانت معه ألواح يكتب فيها^(٣)، وكان ابن
عباس يحض على التعلم والكتابة ويقول: (قيدوا العلم بالكتاب، من يشتري
منى علما بدرهم^(٤))، وكان يقول أحيانا: (إنا لا نكتب في الصحف إلا
الرسائل والقرآن^(٥)) إلا أننا نرى ابن عباس نفسه يكتب غير الرسائل، فيملئ
التفسير على مجاهد بن جبير، ويقول له: اكتب^(٦)، ويكتب إليه المجاهد
أمير العراق يستفتيه في رجل أكره أخته، فيسكتب إليه بمحدث عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم^(٧).

وسبق لي أن ذكرت كتابة عبد الله بن عمرو بن العاص، وسنتكلم عن
مصيافته بعد قليل.

-
- (١) الإجابة لما استدركنه عائشة على الصعابة من ٩٥ - ٩٦، وقد قال الإمام الزهري:
(أول من كتف المشي عن الناس ومن لهم السنة في ذلك عائشة ..).
(٢) انظر ترجمة عبد الله بن عباس في الإصابة.
(٣) انظر تهذيب العلم من ٩١ - ٩٢ و ١٠٩.
(٤) العلم لزهير بن حرب من ١٩٣ وجامع بيان العلم من ٧٢ ج ١، وتهذيب العلم من ٩٢.
(٥) العلم لزهير بن حرب من ١٨٧.
(٦) انظر تفسير الطبري بتحقيق أحمد محمد شاكر من ٣١ ج ١.
(٧) انظر البيان والتعريف في أسباب ورود الحديث من ٢١٤ - ٢١٥ ج ٢ وقد ذكر
هنا في سبب ورود حديث (من تخطى الحرم بين فئطوا وسطه بالسيف) وما حرمة الزنا
وحرمة الأخوة. وكان ابن عباس يملئ كتابه أيضا، انظر فتاواه لجمعية بن عامر في مستند
الإمام أحمد من ٥٦ ج ٤.

وهذا أبو سعيد الخدري الصحابي الجليل الذي روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حديث «... من كتب عنى غير القرآن فليمحى» يقول: (كنا لا نكتب إلا القرآن والتشهد^(١)).

وكان البراء بن عازب صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدث ويكتب من حوله، فمن عبد الله بن خنيس قل: (رأيتهم عند البراء يكتبون على أيديهم بالقصب^(٢)).

وهذا وراد كاتب المغيرة بن شعبه يكتب بين يدي المغيرة^(٣). ويروى عن ابن عمر رضى الله عنه أنه كان لا يخرج من بيته غدوة حتى ينظر في في كتبه^(٤).

وهذا أنس رضى الله عنه خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم وملازمه في بيته ليلاً ونهاراً عشر سنوات، كان يقول لبنيه: (يا بني قيدوا العلم بالكتاب^(٥))، وكان يملى الحديث^(٦) حتى إذا ما كثر عليه الناس جاء بمجال^(٧) من كتب، فألقاها ثم قال: (هذه أحاديث سمعتها وكتبتها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعرضتها عليه^(٨)).

(١) تقييد العلم ص ٩٣.

(٢) جامع بيان العلم ٨١ ج ١، وانظر كتاب العلم لزهير بن حرب ص ١٩٣: ب وتقييد العلم ص ١٠٥.

(٣) انظر كتاب العلم لزهير بن حرب ص ١٨٧.

(٤) انظر الآداب الشرعية ص ١٢٥ ج ٢.

(٥) انظر كتاب العلم لزهير بن حرب ص ١٩٢ وتقييد العلم ص ٩٦ ونحوه في ص ٩٧ وانظر صحيح مسلم بفتح النوى ص ٢٤٤ ج ١ حيث أعجبه حديث فأمر ابنه بكتات.

(٦) انظر تاريخ بغداد ص ٢٥٩ ج ٨.

(٧) مجال جمع مجلة والمجلة صحيفة يكتب فيها. أى التى لأبهم محققا. انظر لسان العرب مادة (جلل) ص ١٢٧ ج ١٣.

(٨) تقييد العلم ص ٩٥ و ٩٦.

تلك أخبار متعاضدة ، ثبت أن الصحابة رضوان الله عليهم قد أباحوا الكتابة ، وكتبوا الحديث لأنفسهم ، وكتب طلابهم بين أيديهم ، وأصبحوا يتواصون بكتابة الحديث وحفظه ، كما ثبت ذلك عن علي رضي الله عنه ، وعن ابن عباس ، وعن الحسن ، وأنس بن مالك رضي الله عنهم ، بعد أن كرهها بعض الصحابة عندما كانت أسباب المنع قائمة .

ويتجلى لنا رجوع بعض من كره الكتابة عن رأيهم مما رويناه عن ابن مسعود وعن أبي سعيد الخدري ، إذ بعد أن كانوا يكرهون أن يكتبوا في الصحف غير القرآن كتبوا الاستخارة والتشهد ، وفي هذا دليل واضح أن النهي من كتب ما سوى القرآن إنما كان مخافة أن يضاهى بكتاب الله تعالى غيره ، وأن يُشتغل عن القرآن بسواه ، ويقول الخطيب البغدادي : (فلما أمن ذلك ، ودعت الحاجة إلى كتب العلم — لم يكره كتبه ، كما لم تكره الصحابة كتب التشهد ، ولا فرق بين التشهد وبين ^(١) غيره من العلوم في أن الجميع ليس بقرآن ، ولن يكون كتب الصحابة ما كتبوه من العلم وأمرُوا بكتبه إلا احتياطاً ، كما كان كراهتهم لكتبه احتياطاً ، والله اعلم) . ^(٢)

ثالثاً — التدوين في عصر التابعين

لقد تاقى التابعون علومهم على يدي الصحابة ، وخالطوهم وعرفوا كل شيء عنهم ، وحملوا الكثير الطيب من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم عن طريقهم ، وعرفوا متى كره هؤلاء كتابة الحديث ومتى أباحوه ، فقد تأسوا بهم

(١) كان ينبغي ألا يكرر (بين) .

(٢) تنقيح العلم ص ٩٤ .

وهم الرعيل الأول الذين حفظوا القرآن والسنة ، فن الطبيعي أن تتفق آراء التابعين وآراء الصحابة حول حكم التدوين ، فإن الأسباب التي حلت الخلفاء الراشدين والصحابة على الكراهة هي نفسها التي حلت التابعين عليها ، فيقف الجميع موقفاً واحداً ، ويكرهون الكتابة ما دامت أسباب الكراهة قائمة ، ويجمعون على الكتابة وجوازها عند زوال تلك الأسباب ، بل إن أكثرهم يحض على التدوين ويشجع عليه . ولن نستغرب أن نرى خبيرين عن تابعي أحدهما يمنع الكتابة والآخر يبيحها ، ولن نعجب من كثرة الأخبار التي تدل على الكراهة في مختلف أجيال التابعين — كبارهم وأواسطهم وصغارهم — والأخبار التي تدل على الإباحة — مادامنا نوجه كل مجموعة من هذه الأخبار وجهة تلائم الأسباب التي أدت إليها ، ونرى أن سبيل الصحابة المتأخرين وكبار التابعين إباحة تقييد الحديث ، بشروط تتمتع معها كراهته الماثورة عندهم عن النبي وكبار الصحابة ، ^(١) فقد امتنع عن الكتابة من كبار التابعين عبيدة بن عمرو السلماني المرادي (٨٧٢) ، وإبراهيم بن يزيد النخعي (٨٩٢) ، وجابر بن زيد (٨٩٣) وإبراهيم النخعي (٨٩٦) ، ولم يرض عبيدة أن يكتب عنده أحد ، ولا يقرأ عليه أحد ^(٢) ، وقد نصح إبراهيم فقال له : « لا تخلدن هي كتاباً » ^(٣) ، وقبل وفاته دعا بكتبه فأحرقها وقال : (أخشي أن يليها قوم يصمونها غير مواضعها) ^(٤) ، وكره إبراهيم النخعي أن تكتب

(١) أظن تقييد العلم : أظن تصدير أستاذنا الدكتور يوسف المش من ١٩ ومقالته في مجلة

الثقافة المصرية : العدد (٣٥٢) السنة السابعة الصفحة (٨) .

(٢ و٣) جامع بيان العلم من ٦٧ ج ١ وتقييد العلم من ٤٥ و ٤٦ وأظن كتاب العلم لزمير

من ١٩٣ : ب .

(٤) جامع بيان العلم وفضله من ٦٧ ج ١ ونحوه في سنن الدارمي من ١٢١ ج ١ وفي طبقات

ابن سعد من ٣ : ج ٦ .

الأحاديث في الكراريس ، ونسبه بالمصاحف ، ^(١) وكان يقول : (ما كتبت شيئاً قط) ^(٢) ، حتى إنه منع حماد بن سليمان من كتابة أطراف الأحاديث ^(٣) ، ثم تساهل في كتابتها ، قال ابن عون : (رأيت حماداً يكتب عن إبراهيم فقال له إبراهيم : ألم أنهك ؟ قال إنما هي أطراف) ^(٤) .

ونسبع عامراً الشعبي (١٧ - ٨١٠٣) يردد عبارته المشهورة : (ما كتبت سوداء في بيضاء ، ولا سمعت من رجل حديثاً فأردت أن يعيده علي) ^(٥) .

وقد ازدادت كراهة التابعين للكتابة عندما اشتهرت آراؤهم الشخصية ، فخافوا أن يدونها طلابهم مع الحديث ، وتحمل عنهم ، فيدخله الالتماس .

ويمكننا أن نستنبط أن من كره الكتابة وأصر ، إنما كره أن يدون رأيه ، وفي هذا يقول أستاذنا الدكتور يوسف العش : (وأما من ورد عنهم

(١) انظر سنن الداريمى ص ١٢١ ج ١ ، وجامع بيان العلم وفضله ص ٦٧ ج ١ وتفيد العلم ص ٤٨ .

(٢) حميد العلم ص ٦٠ ، وكان يقول : (لا تكتبوا فتسكلوا) وانظر جامع بيان العلم ص ٦٨ ج ١ .

(٣) انظر طبقات ابن سعد ص ١٩٠ ج ١ .

(٤) سنن الداريمى ص ١٢٠ ج ١ ونحوه في كتاب العلم لزهير بن حرب ص ١٩٤ . قال أستاذنا الدكتور يوسف العش : (ولقد تشدد بعضهم فأراد ألا يكون سبيل للشبه أبداً فأحل كتابة العلم في الأطراف — أى على أطراف العظام فقط — كإبراهيم النخعي ، فبى صعبة الحفظ ، والمضاهاة بينها وبين الكراريس بعيدة . ١٠٨) انظر : الصفحة (٧) من مجلة الثقافة المصرية عدد ٣٥٢ السنة السابعة . أقول : ليس المراد من الأطراف (أطراف العظام) بل أطراف الأحاديث . وهى أن يكتب المصنف طرف الحديث بحيث يعرف بقيته مع الجمع لأسانيده ، ويوضح ما ذهبنا إليه رواية زهير بن حرب وفيها قول لإبراهيم (لا بأس بكتاب الأطراف) انظر كتاب العلم ص ١٩٤ . وكتب الأطراف كثيرة عقد لها صاحب الرسالة المنتطرة بحثاً في رسالته (صفحة ٣٢٥ - ١٢٧) وكتاب (ذخائر الموارث) لمبدئى النابلسى هو أحد كتب الأطراف المشهورة .

(٥) العلم لزهير بن حرب ص ١٨٧ : ب ، وجامع بيان العلم ص ٦٧ ج ١ .

الامتناع عن الإكتاب من هذا الجبل ، فيؤول امتناعهم بما لا يخالف ما انتهينا إليه ، فهم جميعاً فقهاء^(١) وليس بينهم محدث ليس بفقهاء ، والفقهاء يجمع بين الحديث والرأى ، فيخاف تقييد رأيه واجتهاده إلى جانب أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم^(٢) . ، ويوضح هذا بأمثلة ثبت ما ذهب إليه ، فيقول : (إننا نجد في الواقع أخباراً تروى كراهتهم لكتابة الرأى ، كاعتذار زيد بن ثابت عن أن يكتب عنه كتاب مروان . . . وجاء رجل إلى سعيد بن المسيب — وهو من الفقهاء الذين روى امتناعهم عن الإكتاب — فسأله عن شيء فأملأه عليه ، ثم سأله عن رأيه فأجابه ، فكتب الرجل ، فقال رجل من جلساء سعيد : أكتب يا أبا محمد رأيك ؟ فقال سعيد للرجل : فاولئها ، فناولها الصحيفة فخرقها^(٣) ، وقيل لجابر بن زيد : إسمهم يكتبون رأيك ، قال : يكتبون ما عسى أرجع منه غداً^(٤) ؟

وكل هذه الأقوال رويت من علماء ، حدث المؤرخون عنهم أنهم كرهوا إكتاب الناس ، وهي تدل دلالة صريحة على أن الكراهة ليست في كتابة العلم أى الحديث ، بل في كتابة الرأى ، وأن الأخبار التي وردت في النهى دون تخصيص إنما قصد بها الرأى خاصة . وبشابه هذا الأمر ما حدث في أمر كراهة الرسول والصحابة الأولين : من التباس الحديث بالقرآن ، أو الانسكاب عليه

(١) ذكر أستاذنا هنا أسماء بعض من ذكروهم قبل وأضاف (سعيد بن المسيب — ٨٩٤) . وطائوس (— ٨١٠٦) والقاسم (٨١٠٧) وغيرهم . انتهى عالم تذكره في النص .

(٢) تقييد العلم : التصدير من ٢٠ .

(٣) راجع الخبر في جامع بيان العلم ص ١٤٤ ج ٢ .

(٤) انظر جامع بيان العلم وفضله ص ٣١ ج ٢ .

دونه ، فما كانوا يحشونه من الحديث ، أصبح خشية التابعين الأولين من الرأي والتباسه بالحديث^(١) .

ويقوى هذا الرأي عندنا ماورد عن هؤلاء التابعين من أخبار يحشون فيها على الكتابة ، ويسمحون لطلابهم أن يكتبوا عنهم ، وقد نشطت الكتابة عندما فرق طلاب العلم بين النهي عن كتابة الرأي والنهي عن كتابة الرأي مع الحديث ، ونرى التابعين يتكبرون على الكتابة في حلقات الصحابة ، بل إن بعضهم كان يحرص على الكتابة حرصاً شديداً ، فهذا سعيد بن جبير (- ٩٥ هـ) كان يكتب عن ابن عباس ، فإذا ما امتلأت صفحته كتب في نعله حتى يملأها^(٢) ، وعنه قال : (كنت أسير بين ابن عمر وابن عباس ، فكنت أسمع الحديث منهما ، فأكتبه على واسطة الرجل حتى أنزل فأكتبه^(٣)) ، ورخص سعيد بن المسيب (- ٩٤ هـ) لعبد الرحمن بن حرملة بالكتابة حينما شكاه إليه سوء حفظه^(٤) ، ونرى عامراً الشعبي بعد أن كان يقول : ما كتبت سوداء في بيضاء - يردد قوله : (الكتاب قيد العلم^(٥)) ، وكان يحض على الكتابة ويقول : (إذا سمعتم مني شيئاً فاكذبوه ولو في حائط)^(٦) ، ومع هذا ، فقد روي أنه

(١) مجلة الثقافة المصرية : الصفحة ٨ - ٩ من العدد ٣٥٢ في السنة السابعة .

(٢) انظر تقييد العلم من ١٠٢ وانظر المحدث الفاضل : نسخة دمشق ٤ : ب ج ٤ قوله (كتبت في طورهما حتى تمتلأ) .

(٣) تقييد العلم من ١٠٣ ونحوه في جامع بيان العلم من ٧٧ ج ١ وقارن بطلقات ابن سعد من ١٧٩ - ١٨٠ ج ٦ .

(٤) انظر المحدث الفاضل نسخة دمشق من ٤ : ب ج ٤ ، وجامع بيان العلم وفضله من ٧٣ ج ١ وتقييد العلم من ٩٩ .

(٥) تقييد العلم من ٩٩ ، وجامع بيان العلم من ٧٥ ج ١ .

(٦) المرجع السابق من ١٠٠ وانظر نحوه في المحدث الفاضل نسخة دمشق من ٤ : ب ج ٤ ، والعلم ارميز من ١٩٣ : ب .

لم يوجد له بعد موته إلا كتاب بالفرائض والجراحات^(١) ، وإذا كانت كتبه التي تركها قليلة ولا تدل على نشاطه العلمي — فإننا نعزو هذا إلى قوة حافظته ، لأنه كان يعتمد على الحفظ أكثر من اعتماد على الكتابة ، وهذا لا ينافي قط املاءه لطلابه وحتمهم على الكتابة . ويقول الضحاك بن مزاحم (- ١٠٥ هـ) : (إذا سمعت شيئاً فآكتبه ولو في حائط) كما أنه أملى على حسين بن عقيل مناسك الحج^(٢) .

واتشرت الكتب حتى قال الحسن البصري (- ١١٠ هـ) : (إن لنا كتباً كنا نقرأها^(٣)) . وكان عمر بن عبد العزيز (٦١ - ١٠١ هـ) يكتب الحديث ، روى عن أبي قلابة قال : (خرج علينا عمر بن عبد العزيز لصلاة الظهر ومعه قرطاس ثم خرج علينا لصلاة العصر وهو معه ، فقلت له : يا أمير المؤمنين ، ما هذا الكتاب ؟ قال : حديث حدثني به عون بن عبد الله فأعجبني فكتبته^(٤) . . .) وهذا يدل على أن الكتابة قد شاعت بين مختلف الطبقات ولم يعد أحد ينسكرها في أواخر القرن الأول الهجري وأوائل القرن الثاني . وقد كثرت الصحف والكتب في ذلك الوقت حتى لرى مجاهد بن جبر (- ١٠٣ هـ) يسمح لبعض أصحابه أن يصعدوا إلى غرفته فيخرج إليهم كتبه فينسخون منها^(٥) .

(١) انظر تاريخ بغداد ص ٢٣٢ ج ١١ .

(٢) انظر جامع بيان العلم وفضله ص ٧٢ ج ١ .

(٣) جامع بيان العلم وفضله ص ٧٤ ج ١ ، والعلم لزهير ص ١٨٩ : ب .

(٤) سنن القاري ص ١٣٠ ج ١ وسمع من يزيد الرقاشي أحاديث عن أنس فكتبها وفرض له في الديوان ، انظر الحديث القاص ص ٣ : ب ، ج ٤ وستحدث عن خدمة عمر بن عبد العزيز لسنة وأمره بكتابتها بعد قليل .

(٥) انظر سنن الدرايم ص ١٢٨ ج ١ ، وتقييد العلم ص ١٠٥ ونرى في سنن الدرايم ص ١٢١ ج ١ أنه كان يكره أن يكتب العلم في السكراريس ، فعجل الكرامة على أن يخاصم بهذه القرآن أو أن تؤذن السكراريس إلى غير أهلها .

ويطلب هشام بن عبد الملك من عامله أن يسأل رجاء بن حيوة (١١٢هـ) عن حديث ، فيقول رجاء : (فسكنت قد نسيت لولا أنه كان عندي مكتوباً)^(١) . وكان عطاء بن أبي رباح (١١٤هـ) يكتب لنفسه ، ويأمر ابنه أحياناً أن يكتب له^(٢) ، وكان طلابه يكتبون بين يديه^(٣) ، وقد بالغ في حض طلابه على التعلم والكتابة ، فمن أبي حكيم الهمداني قال : (كنت عند عطاء بن أبي رباح ، ونحن غلمان ، فقال : يا غلمان ، تعالوا كتبوا ، فمن كان منكم لا يحسن كتبنا له ، ومن لم يكن معه قرطاس أعطيناه من عندنا)^(٤) (١١١هـ) .

ونشطت الحركة العلمية وازدادت معها الكتابة والقراءة على العلماء ، ويدل على هذا ما روى عن الوليد بن أبي السائب قال : رأيت مكحولاً وثاقفاً وعطاء تقرأ عليهم الأحاديث^(٥) ، ومن عبيد الله بن أبي رافع ، قال : (رأيت من يقرأ على الأعرج - عبد الرحمن بن هرمز (- ١١٧هـ) ، حديثه عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيقول : هذا حديثك يا أبا داود ؟ قال : نعم)^(٦) . (وما هو ذا نافع مولى ابن عمر (- ١١٧هـ) يملئ العلم على طلابه ، وطلابه يكتبون بين يديه^(٧) . ويصور لنا قتادة بن دعامة السدوسي (- ١١٨هـ) بإجابته لمن يسأله عن كتابة الحديث - موقف هذا الجيل من التاجين من الكتابة ، بعد أن نشأت فيهم وانتشرت وأصبحت من ضروريات

(١) سنن الدارمي ص ١٢٩ ج ١ ، وتقييد العلم ص ١٠٨ .

(٢) انظر الحديث الفاضل نسخة دمشق ص ٣ : ب ج ٤ .

(٣) انظر سنن الدارمي ص ١٢٩ ج ١ .

(٤) الحديث الفاضل نسخة دمشق ص ٣ : ب ج ٤ .

(٥) السكناية في علم الرواية ص ٢٦٤ .

(٦) طبقات ابن سعد ص ٢٠٩ ج ٥ .

(٧) انظر سنن الدارمي ص ١٢٩ و ١٢٦ ج ١ .

كل طالب علم ، فيقول : (وما يمنعك أن تكتب ، وأخبرك اللطيف الخبير أنه يكتب : « قالَ عَلِيٌّ عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ ، لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى » (١)) ؟
وكنزت الصحف المدونة ، حتى إن خالداً الكلابي (- ١٠٤ هـ) جعل
عليه في مصحف له أضرار وعرا (٢) .

* * *

رابعاً - خدمة عمر بن عبد العزيز للسنة

عاش عمر بن عبد العزيز في جو علمي ، فلم يكن بعيداً - وهو أمير الأمة -
عن العلماء ، ورأيانه يكتب بنفسه بعض الأحاديث ، ويشجع العلماء ، وقد
رأى أن يحفظ حديث الرسول صلى الله عليه وسلم ويجمعه ، وربما دعاه إلى هذا
نشاط التابعين آنذاك وإباحتهم للسكتانة حين زالت أسباب الكراهة ، لأننا
لا ننقل أن يأمر بجمع السنة وتدوينها والعلماء كارهون لهذا ، ولو كرهوا كتابتها
ما استجابوا لدعوته ، وما لاشك فيه أن خشيته من ضياع الحديث دفعته إلى
العمل لحفظه .

ويمكننا أن نضم إلى ما ذكرنا سبباً آخر كان له أثر بعيد في نفوس العلماء
حامهم على تنقيح السنة وحفظها ، وهو ظهور الوضع بسبب الخلافات السياسية
والمذهبية ، ويؤكد لنا هذا ما يرويه أخو ابن شهاب الزهري عنه قال : (سمعته -
يعني ابن شهاب - يقول : لولا أحاديث تأتينا من قبل المشرق شكرها لانهرفها -

(١) تنقيح العلم ص ١٠٣ واللمعة ص ٥٣ من سورة طه وانظر طبقات ابن سعد ص ٢ قسم ٢
ص ٧ وما روى عنه في سنن الدارمي من كراهية يحمل على الوجه الذي بيناه آنفاً ، انظر
سنن الدارمي ص ١٢٠ - ١٠١ .
(٢) انظر تذكرة الحفاظ ص ٨٢ - ١٠١ .

ما كتبت حديثاً ، ولا أذنت في كتابه ^(١) ورأى الزهري هذا رأى أكثر علماء ذلك العصر ، فإن حرصهم على حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم من أن يدرس لا يقل عن حرصهم على سلامته من الكذب والوضع ، فكان هذان العاملان من أقوى العوامل التي حفزت همم العلماء إلى خدمة السنة وكتابها ، عندما تبيت الحكومة جمعها رسمياً على يدي الخليفة الورع عمر بن عبد العزيز ، الذي اتخذ خطوة حازمة فكتب إلى الأئمة : (انظروا حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجمؤوه ^(٢)) .

وكان فيما كتب إلى أهل المدينة : (انظروا حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فاكتبوه ، فإن خفت دروس العلم وذهب أهله ^(٣)) . وكان في كتابه إلى أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم (- ١١٧ هـ) عامله على المدينة أن (اكتب إلى بما ثبت عندك من الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومحدث عمرة ، فإن خشت دروس العلم وذهب أهله ^(٤)) . وفي رواية : أمره (أن يكتب له العلم من عند عمرة بنت عبد الرحمن (- ٩٨ هـ) ، والقاسم بن محمد (- ١٠٧ هـ) ، فكتبه له ^(٥)) وفي رواية : (فإن خفت دروس العلم وذهب العلماء ولا تقبل إلا حديث النبي صلى الله عليه وسلم ، وليُفشوا العلم ،

(١) تنقيح العلم ص ١٠٨ .

(٢) فتح الباري ص ٢٠٤ ج ١ رواه أبو نعيم في تاريخ أصبهان .

(٣) سنن الدارمي ص ١٢٦ ج ١ وقارن بالحدث الفاصل نسخة دمشق ص ٤ : آ ج ٤ وقارن

بكتاب الأموال ص ٣٥٨ - ٣٥٩ .

(٤) سنن الدارمي ص ١٢٦ ج ١ ، وقارن بطبقات ابن سعد ص ١٣٤ قسم ٢ ج ٢ والأموال

لابن سلام ص ٥٧٨ وبالنارنج الصغير للبخاري ص ١٠٥ وتأييد العلم ص ١٠٥ .

(٥) خدمة الجرح والتعديل ص ٢١ ، والمراد أن يكتب له حديث عمرة ، لأنها توفيت قبل

سنة (٩٩ هـ) ، السنة التي تولى فيها عمر بن عبد العزيز الخلافة ، ووضح هذا في الخبر الذي قبله .

وليجلسوا حتى يعلم من لا يعلم ، فإن العلم لا يهلك حتى يكون سرّاً (١) .

كما أصروا ابن شهاب الزهري (- ١٢٤ هـ) وغيره بجمع السنن (٢) ، وربما لم يكتب عمر بن عبد العزيز بأمر من أصرم بجمع الحديث ، فأرسل كتباً إلى الآفاق بحث المسؤولين فيها على تشجيع أهل العلم على دراسة السنة وإحيائها ، ومن هذا ما يرويه عكرمة بن عمار قال : (سمعت كتاب عمر بن عبد العزيز يقول : (أما بعد فأمروا أهل العلم أن ينتشروا في مساجدهم ، فإن السنة كانت قد أميتت (٣)) كما كتب (إنه لا رأى لأحد في كتاب ، وإنما رأى الأئمة فيما لم يزل فيه كتاب ولم تمض به سنة من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا رأى لأحد في سنة سنّها رسول الله صلى الله عليه وسلم (٤)) ، بل هناك أخبار تثبت أن عمر بن عبد العزيز قد شارك العلماء في مناقشة بعض ما جمعه ، من ذلك ما رواه أبو الزناد عبد الله بن ذكوان القرشي قال : (رأيت عمر بن العزيز جمع الفقهاء ، فجمعوا له أشياء من السنن ، فإذا جاء الشيء الذي ليس العمل عليه ، قال : هذه زيادة ليس العمل عليها (٥)) .

لقد بذل عمر بن عبد العزيز جهده في المحافظة على السنة — مع قصر

(١) فتح الباري ص ٢٠ ج ١ .

(٢) انظر جامع بيان العلم وفضله ص ٧٦ ج ١ .

(٣) الحديث الفاصل ص ١٥٣ .

(٤) سنن الدارمي ص ١١٤ ج ١ ، وانظر جامع بيان العلم وفضله ص ٣٤ ج ٢ .

(٥) قبول الأخبار ص ٣٠ ، وتوفى أبو الزناد سنة (١٣١ هـ) ، ومن ذلك أيضاً (ما روى عن يعقوب بن عبد الرحمن عن أبيه ، قال : حضرت عيد الله بن عبد الله ، دخل على عمر بن عبد العزيز ، فأجلس قوماً يكتبون ما يقول ، فلما أراد أن يقوم ، قال له عمر : (عننا شيئاً) قال : وما هو يا ابن عبد العزيز ؟ قال : (كتبنا ما قلت) قال : وأين هو ؟ قال : بطني به ففرق . تنقيد العلم ص ٤٥) . رعا كره الكتابة عنه لأنه من يجب الاعتماد على الحفظ كما سنده بعد قليل .

مدة خلافته ، فقد طلب من أبي بكر بن حزم جمع الحديث ، وأبو بكر هذا من
أعلام عصره ، قال فيه مالك بن أنس : (ما رأيت مثل أبي بكر بن حزم أعظم
مروءة ولا أتم حالا .. ولى المدينة والقضاء والموسم ^(١)) ، وعنه قوله : (لم يكن
عندنا أحد بالمدينة عنده من علم القضاء ما كان عند أبي بكر ^(٢)) . وكان قد
طلب منه أن يكتب إليه حديث عمرة بنت عبد الرحمن ، وهي خالته ، نشأت
في حجر عائشة ، وكانت من أثبت التابعين في حديث عائشة رضي الله عنها ^(٣) .

وأما القاسم بن محمد بن أبي بكر (٣٧ - ١٠٧ هـ) الذي ذكر في بعض الروايات
فهو أحد الفقهاء السبعة في المدينة ، وعالم أهل زمانه ، تلقى علمه عن عمته عائشة رضي الله
عنها ، وعائشة أم المؤمنين معروفة بعلمها وتعمقها في السنة ، وهي غنية عن التعريف .
وأما ابن شهاب أحد الذين شاركوا في الجمع والكتابة فهو أحد أعلام ذلك
العصر ، كان قد كتب السنن وما جاء عن الصحابة أئمة طلبه العلم ^(٤) . وكان
ذامكانة رفيعة ، فقد روى عن أبي الزناد أنه قال : (كنا نكتب الحلال
والحرام وكان ابن شهاب يكتب كل مسمع ، فلما احتجج إليه علمت أنه
أعلم الناس) ^(٥) .

وإذا كانت النية قد اخترمت الخليفة الراشد الخامس قبل أن يرى السكتب

(١ و ٢) تهذيب التهذيب ص ٣٩ ج ١٢ .

(٣) انظر المرجع السابق ص ٤٣٨ ج ١٢ ، وقال صفيان بن عيينة : أعلم الناس بحديث
عائشة ثلاثة ، القاسم بن محمد ، وعروة بن الزبير ، وعمرة بنت عبد الرحمن . انظر مقدمة الجرح
والتعديل ص ٤٥ .

(٤) انظر جامع بيان العلم وفضله ص ٦٦ ج ١ والجامع لأخلاق الراوى وآداب السامع
ص ١٥٦ ج ١ .

(٥) جامع بيان العلم وفضله ص ٧٣ ج ١ ، وانظر ترجمة ابن شهاب في الفصل الثاني من
الكتاب الخامس من هذا السكتب .

التي جمعها أبو بكر - كما يذكر ذلك بعض العلماء^(١) - فإنه لم تفتحه أولى ثمار جهوده ، التي حققها ابن شهاب الزهري الذي يقول : (أمرنا عمر بن عبد العزيز بجمع السنن ، فسكتبناها دفترأ دفترأ ، فبعث إلى كل أرض له عليها سلطان دفترأ^(٢)) ، وعلى هذا يحمل ما قاله المؤرخون والعلماء : (أول من دون العلم ابن شهاب^(٣)) وله أن يفخر بعلمه هذا ، ويقول : (لم يدون هذا العلم أحد قبل تدويني^(٤)) .

وقد اعتبر علماء الحديث تدوين عمر بن عبد العزيز هذا أول تدوين للحديث ورددوا في كتبهم هذه العبارة : (وأما ابتداء تدوين الحديث فإنه وقع على رأس المائة في خلافة عمر بن عبد العزيز^(٥)) أو نحوها .

ويفهم من هذا أن التدوين الرسمي كان في عهد عمر بن عبد العزيز ، أما تقييد الحديث وحفظه في الصحف والرقاع والعظام فقد مارسه الصحابة في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولم ينقطع تقييد الحديث بعد وفاته عليه الصلاة والسلام ، بل بقي جنباً إلى جنب مع الحفظ حتى قبض للحديث من يودعه المدونات الكبرى .

وسيتبين لنا بعد قليل أن والد عمر بن عبد العزيز قد سبق ابنه في طلب تدوين الحديث . وأن أهل الحديث لم يمكثوا طوال القرن الأول عن تقييد حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم منتظرين سماح الخليفة وأمره ، وقد ذكرنا

(٦) انظر قواعد الحديث ص ٤٧ .

(١) جامع بيان العلم وفضله ص ٧٦ ج ١ .

(٢) المرجع السابق ص ٧٦ ج ١ وحلية الأولياء ص ٣٦٣ ج ٣ .

(٣) الرسالة المصترفة ص ٤ .

(٤) تدريب الراوي ص ٤٠ وقواعد الحديث ص ٤٦ ، ونحو هذا في توجيه النظر ص ٦ .

وإرشاد الراوي ص ١٤ ج ١ .

شيئاً من هذا فيما عرضه من أخبار عن سماح الصحابة والتابعين بالكتابة وكتاباتهم لأنفسهم .

وهكذا كانت نهاية القرن الأول الهجري وبداية القرن الثاني خاتمة حاسمة لما كان من كراهة الكتابة وإباحتها ، فدونت السنة في صحف وكراريس ودفاتر ، وكثرت الصحف في أيدي طلاب الحديث .

* * *

وقد يظن الباحث أن كراهة الكتابة قد ولت ، وانهمزت أمام إباحتها ، ولم تعد هذه الإباحة مجرد رأى ، بل انتقل الرأى إلى التطبيق فعلاً ، وتبنت الدولة الإشراف على الكتابة ، ولكننا لا نلبث أن نسمع أصوات من يكره الكتابة تملو من جديد ، وكان بعض هؤلاء من نفس جيل التابعين الثاني (أواسطهم) ومن صفارهم ، فقد راعهم أن يروا الحديث في كراريس ودفاتر ، وأن يعتمد طلاب الحديث والعلماء على الكتب ، ويملوا الحفظ ، فتمسكوا بالآثار التي لاتبيح الكتابة ، وأبوا أن ينكب أهل الحديث على دفاترهم ، ويجعلوها خزائن علمهم ، ولم يجبرهم أن يخاف سبيل الصحابة في الحفظ والاعتماد على الذاكرة ، وحق لهم أن يكرهوا الاتكال على الكتب ، لأن في الاتكال على المكتوب وحده اضعافاً للذاكرة ، وانصرافاً عن العمل به .

وها هو ذا الضحاك بن مزاحم الذي أباح الكتابة سابقاً ، والذي أملى مناسك الحج حين زال خوفه من أسباب الكراهة - ها هو ذا يقول : (يأتى على الناس زمان تمكث فيه الأحاديث حتى يبقى المصحف بفباره لا ينظر فيه ^(١)) وفي رواية عنه (يأتى على الناس زمان يعلق فيه المصحف حتى يمش على العنكبوت ، لا ينتفع بما فيه ، وتكون أعمال الناس بالروايات والأحاديث ^(٢))

(١) جامع بيان العلم ص ٦٥ ج ١ .

(٢) جامع بيان العلم ص ١٢٩ ج ٢ .

أقد تصور عاقبة هذا الإقبال على الكتابة ؛ وجعل الحديث في دفاتر وكراريس ، فأعلن إنكاره مدوياً : (لا تتخذوا للحديث كرايس ككراريس المصاحف)^(١) .

ويمكننا أن نحمل قول الزهرى : (كنا نكره كتاب العلم ، حتى أكرهنا عليه هؤلاء الأسماء ، فرأينا ألا نمنعه أحداً من المسلمين)^(٢) - على ما بيناه ، لأننا نعرف أن الإمام الزهرى كان يكتب الحديث وهو في دور طلب العلم ، وكان يشجع أصحابه على الكتابة ؛ حتى إنه كان يكتب في ظهر نعله خشية - أن يفوته الحديث^(٣) وفلا عندما طلب منه الخليفة هشام بن عبد الملك أن يكتب لبيه خرج وأملى على الناس الحديث^(٤) وقال : (استكتبني الملوكة ، فأكتبهم ، فاستحييت الله إذ كتبها الملوكة ألا أكتبها لغيرهم)^(٥) .

وقد سبق أن بينت أن حرصه على تنقيح السنة كان عاملاً كبيراً في تدوينه الحديث هو وبعض معاصريه .

وكان سعيد بن عبد العزيز يفخر بحفظه ويقول : (ما كتب حديثاً قط)^(٦) ، وبنى الإمام الأوزاعي بعد أن كان يلى على طلابه ويصحح لهم ما يكتبونه عنه ليجيزهم بروايته^(٧) ، ينفر من الاعتماد على الكتاب ، ويتشامم مما سيؤول إليه الحفظ فلا يسره الميل عن طريق السلف الذين كانوا يتلقون الحديث من

(١) تقييد العلم ص ٤٧ .

(٢) المرجع السابق ص ١٠٧ ، وطبقات ابن سعد ص ٣٠ قسم ٢ ج ٢ .

(٣) انظر تقييد العلم ص ١٠٧ .

(٤) انظر حلية الأولياء ص ٣٦٣ ج ٣ .

(٥) جامع بيان العلم وفضله ص ٧٧ ج ١ .

(٦) سنن الداريمى ص ١٢١ ج ١ ، ونذكرة الحفاظ ص ٢٠٣ ج ١ وتوفى سعيد بن

عبد العزيز سنة (١٦٧ هـ) .

(٧) انظر الكفاية ص ٣٢٢ .

أفواه العلماء ، فيقول : (كان هذا العلم شيئاً شريفاً إذ كان من أفواه الرجال يتلقونه ^(١)) ، ويتذاكرونه فلما صار في الكتب ذهب نوره ، وصار إتيه غير أهله ^(٢) .

ونرى بعض من كره الكتابة في هذا العصر يعتمد عليها في حفظ الحديث ثم يحرم ما كتبه بعد أن يحفظه ، وقد قبل غير واحد من السلف أمثال سفيان الثوري (- ١٦١ هـ) ، وحامد بن سلمة (- ١٦٧ هـ) ^(٣) وغيرهما . ويروى في هذا عن خالد الحذاء (- ١٤١ هـ) : (ما كتبت شيئاً قط إلا حديثاً طويلاً ، فإذا حفظته محوته) ^(٤) .

وكان كثير من التابعين يحرمون كتبهم قبل وفاتهم ، أو يوصون بكتبهم إلى من يتقون به ، ليفيد منها ، خشية أن تقع في غير مواضعها ، فقد أوصى أبو قلابة بكتبه إلى أيوب ^(٥) ، كما أوصى شعبة بن الحجاج ابنه بفصل كتبه بعد موته .

إن محاولة هؤلاء المانعين من الكتابة ، لم تخفف من نشاط الكتابة ، ولم تقف أمام هذا الجيل الذي نشأ عليها ، فقد كان تيار إبادة الكتابة أقوى بكثير من تيار كراهتها .

(٢٠١) انظر جامع بيان العلم وفضله ص ٦٨ ج ١ وفيه (يتلقونه) وما أثبتناه أصوب ويضيق مع ما ورد في المصادر الأخرى . وستن الدارمي ص ١٢١ ج ١ وتقييد العلم ص ٦٤ ، غوى الأوزاعي سنة (١٥٧ هـ) .

(٣) انظر تقييد العلم ص ٥٨ — ٦٠ .

(٤) المرجع السابق ص ٥٩ .

(٥) انظر طبقات ابن سعد ص ١٣٥ ج ٧ وتذكره الحافظ ص ٨٨ ج ١ ، وتوفى أبو قلابة سنة (١٠٤ هـ) .

(٦) انظر تقييد العلم ص ٦٢ ، ولد شعبة بن الحجاج سنة (٨٢ هـ) وتوفى سنة (١٦٠ هـ) .

ونرى أيوب السختياني (- ١٣١ هـ) يرد على من يميم تقييد الحديث ، فيقول : (يميمون علينا الكتاب ١١ ثم يقول « عَلِمُهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ » ^(١)) .
ومالبت التياران أن توحدا وألحت الحاجة القاهرة إلى الكتابة على هؤلاء المانعين بأن يجاروا التيار للعام ، ويعتمدوا في حفظ السنة على الحفظ والكتابة معا .

يقول ابن الصلاح : (ثم إنه زال ذلك الخلاف وأجمع المسلمون على تسوية ذلك ، وإباحته ، ولولا تدوينه في الكتب لدرس في الأعصر الآخرة ^(٢)) .
ويقول الزاهر رمزي : (والحديث لا يضبط إلا بالكتاب ، ثم بالمقابلة والمداينة ، والتعهد والتحفظ ، والمذاكرة والسؤال ، والفحص عن الناقلين ، والتفقه بما نقلوه ، وإنما كره الكتاب من كره في المصدر الأول ، اقرب العهد وتقارب الإسناد ، ولئلا يعتمد الكاتب فيهمله ، ويرغب عن تحفظه ، والعمل به ، فأما الوقت متباعد ، والإسناد غير متقارب ، والطرق مختلفة ، والفقلة متشابهون ، وآفة النسيان معترضة ، والوهم غير مأمون ، فإن تقييد العلم بالكتاب أولى وأشفي . . . ^(٣)) .

ولم تكن ظاهرة الاختلاف هذه ناشئة عن انقسام العلماء إلى حزبين أو مدرستين ، إحداهما تبيح الكتابة والأخرى تمنعها ، بل نشأت من تلك الأسباب التي بينها ، فإذا ما زالت أسباب المنع أباح العلماء الكتابة ، وإذا قامت عاد أكثرهم فنع الكتابة ، وإذا ما خيف من الاتكال على الكتاب وإهمال الحفظ علت أصوات المنع ثانية تطالب بالاعتماد على الذاكرة ، حتى

(١) تقييد العلم من ١١٠ وسنن الدارمي من ١٢١ - ١٠ ، وجامع بيان العلم من ٧٣ - ١٠ .

(٢) مقدمة ابن الصلاح من ١٧١ .

(٣) الحديث الفاصل من ٧١ .

أجمعت الأمة على الكتابة التي أصبحت من ضروريات حفظ الحديث لا يمكن الاستغناء عنها .

خامسا - المصنفون الأوائل في الحديث

لم يلبث هذا التيار من النشاط العلمي وكتابة الحديث أن طالع للعالم بدونات حديثة مختلفة على يدى أبناء النصف الأول من القرن الثانى الهجرى ، وقد ظهرت تلك المصنفات والكتب فى أوقات متقاربة ، وفى مناطق مختلفة من الدولة الإسلامية ، فبعد أن كان أهل الحديث يجمعون الأحاديث المختلفة فى الصحف والكراريس ، أصبحوا يرتبون الأحاديث على الأبواب ، وكانت هذه المصنفات تشتمل على المتن وما يتعلق بها ، وكان بعضها يسمى مصنفًا وبعضها يسمى جامعًا أو مجموعًا وغير ذلك . وقد اختلف فى أول من صنف وروى ، ف قيل عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج البصرى (- ١٥٠ هـ) بمكة ، ومالك بن أنس (٩٣ - ١٧٩ هـ) أو محمد بن إسحاق (- ١٥١ هـ) بالمدينة المنورة ، وصنف بها محمد بن عبد الرحمن بن أبي ذئب (٨٠ - ١٥٨ هـ) . وطائفة أكبر من موطأ مالك ، والربيع بن صبيح (- ١٦٠ هـ) أو سعيد بن أبي عروبة (- ١٥٦ هـ) أو حماد ابن سلمة (- ١٦٧ هـ) بالبصرة ، وسفيان الثوري (٩٧ - ١٦١ هـ) بالكوفة ، ومعمربن راشد (٩٥ - ١٥٣ هـ) باليمن ، والإمام عبد الرحمن بن عمرو الأوزاعي (٨٨ - ١٥٧ هـ) بالشام ، وعبد الله بن المبارك (١١٨ - ١٨١ هـ) بخراسان ، وهشيم بن بشير (١٠٤ - ١٨٣ هـ) بواسط^(١) ، وجريير بن عبد الحميد

(١) انظر تاريخ بغداد ص ٨٥ ج ١٤ ، ومذكورة الفاظ ص ٢٢٩ ج ١

(١٠ - ١١٨ هـ) بالرى ، وعبد الله بن وهب (١٢٥ - ١٩٧ هـ) بمصر^(١) ، ثم تلام كثير من أهل عصرهم فى النسج على متوالهم ، وقد كان هذا التصنيف بالنسبة إلى جمع الأبواب وضما إلى بعضها فى مؤلف أو جامع ، وأما جمع حديث إلى مثله فى باب واحد ، فقد سبق إليه التابعى الجليل عاصم الشعبى (١٩ - ١٠٣ هـ) ، الذى يروى عنه أنه قال : هذا باب من الطلاق جسيم ، إذا اعتدت المرأة ورثت^(٢) ، وساق فيه أحاديث^(٣) .

وكان معظم هذه المصنفات ، والجامع يضم الحديث الشريف وفتاوى الصحابة والتابعين ، كما يتجلى لنا هذا فى موطأ الإمام مالك بن أنس^(٤) ، ثم رأى بعضهم أن تفرد أحاديث النبى صلى الله عليه وسلم فى مؤلفات خاصة ، فألفت المسانيد ، وهى كتب تضم أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم بأسانيدھا خالية من فتاوى الصحابة والتابعين ، تجمع فيها أحاديث كل صحابى - ولو كانت فى مواضيع مختلفة - تحت اسم مسند فلان . ومسند فلان . وهكذا .

(١) انظر المحدث الفاضل من ١٥٥ ب وما بعدها ، وتدريب الراوى من ٤٠ والجامع لأخلاق الراوى وآداب السامع ١٨٦ ب - ١٨٧ آ ومقدمة فتح البارى من ٤ ومنهج ذوى النظر من ٥١٨ .

(٢) المحدث الفاضل من ١٥٥ والجامع لأخلاق الراوى وآداب السامع نسخة الاسكندرية من ١٨٨ أ ، ومقدمة فتح البارى ، وتدريب الراوى من ٤٠ .

(٣) تدريب الراوى من ٤٠ ، ومنهج ذوى النظر من ١٨ ، وهناك أخبار كثيرة ، تثبت أن جمع الأبواب بعضها إلى بعض كان يمد جمع الأحاديث فى باب واحد . من ذلك ما رواه خالد بن دينار قال : قلت لأبى العالى : أعطنى كتابك . قال : ما كتبت الا باب الصلاة ، وباب الطلاق . وقال يحيى بن سعيد كان سفيان صاحب أبواب . وقال سفيان الثورى كم من أحاديث طنانان لا يؤبه لها قد أخرجنا عن صاحب هذا القبر (ابن جريج) فى أبواب . انظر الجامع لأخلاق الراوى وآداب السامع نسخة الاسكندرية من ١٨٨ أ - ١٨٨ ب ومن عاصم الأحول (١٤٢ هـ) قال : (قرأت على الشافعى أحاديث الفقه وأجازها لى) انظر الكفاية من ٢٦٤ . (٤) فى موطأ مالك ثلاثة آلاف مسألة وسبعائة حديث انظر الرسالة المستخرجة من ١١ .

وأول من ألف المسانيد أبو داود سليمان بن الجارود الطيالسي (١٣٣ - ٢٠٤هـ)^(١) وتبعه بعض من عاصره من أتباع التابعين وأتباعهم ، فصنف أسد بن موسى الأموي (- ٢١٢هـ) ، وعبيد الله بن موسى العباسي (- ٢١٣هـ) ، ومسدد البصري (- ٢٢٨هـ) ونعيم بن حماد الخزازي المصري (- ٢٢٨هـ) ، واقفي الأئمة آثارهم ، كأحمد بن حنبل (١٦٤ - ٢٤١هـ) ، وإسحاق بن راهويه (١٦١ - ٢٣٨هـ) ، وعثمان بن أبي شيبة (١٥٦ - ٢٣٩هـ) وغيرهم^(٢) .

ويعتبر مسند الإمام أحمد بن حنبل - وهو من أتباع أتباع التابعين - أوفى تلك المسانيد وأوسعها .

جمع هؤلاء الحديث ودونوه بأسانيدهم . واجتنبوا الأحاديث الموضوعة ، وذكروا طرقاً كثيرة لكل حديث ، يتمكن بها جهابذة هذا العلم وصيارفته من معرفة الصحيح من الضعيف ، والقوى من المألوف ، مما لا يتيسر لكل طالب علم ، فرأى بعض الأئمة أن يصنفوا في الحديث الصحيح فقط ، فصنفوا كتبهم على الأبواب ، واقتصروا فيها على الحديث الصحيح ، وظهرت الكتب الستة في هذا العصر ، عصر أتباع أتباع التابعين ، وكان أول من صنف ذلك الإمام أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري (١٩٤ - ٢٥٦هـ) ، ثم الإمام مسلم ابن الحجاج القشيري (٢٠٤ - ٢٦١هـ) ، وأبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني (٢٠٢ - ٢٧٥هـ) ، وأبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي

(١) انظر الرسالة المستطرفة ص ٤٦ ، وقد طبع هذا المند طبعة جيدة في حيدر آباد بالهند

سنة ١٣٢١

(٢) انظر منهج ذوي النظر ص ٩٨ ، وتدريب الراوي ص ٢٠ ، والرسالة المستطرفة ص ٢٠٢ - ٢٠٤ .

(٢٧٩ هـ) ، وأحمد بن شعيب الخراساني النسائي (٢١٥ - ٢٣٠ هـ) .
ثم ابن ماجه ، وهو عبدالله بن محمد بن يزيد بن عبدالله بن ماجه القزويني
(٢٠٧ - ٢٧٣ هـ)^(١) . وقد خدمت هذه الكتب بالشرح والتهديب
والاختصار والاستخراج عليها من قبل العلماء الذين جاءوا بعدهم .

أهم نتائج هذا الفصل :

١ - لم يكن السبب في عدم تدوين السنة رسمياً في عهده صلى الله عليه وسلم
ولم جهل المسلمين آنذاك بالكتابة والقراءة ، فكان فيهم القارئون
الكاتبون ، الذين دونوا التنزيل الحكيم ، بل كان ذلك لأسباب أخرى ، أهمها
الخوف من التباس القرآن بالسنة ، وكذا ينشغل المسلمون بكتابة السنة
عن كتابة القرآن ودراسته وحفظه .

٢ - ليس هناك تعارض بين ما روى عن الرسول صلى الله عليه وسلم من
إباحة الكتابة وكرهها ، فكره الكتابة لمن لا يحسنها أو لمن يستطيع الحفظ ،
وأباحها لمن لا يستطيع الحفظ ، وإن كان بعضهم يرى أن النهي كان أول الإسلام
حتى لا يلتبس القرآن بالسنة ، ثم انتهينا إلى إباحة الرسول صلى الله عليه وسلم
كتابة السنة مطلقاً ، وإيست هذه الأخبار من وضع مذاهب متخاصمة متضادة .

٣ - ما ورد عن الصحابة والتابعين وأتباعهم من كراهة للكتابة أو إباحتها

(١) ليس من موضوعنا أن نتكلم على هذه الكتب السنة الآن ، ولكن لابد لنا من أن نشير
إلى أن صحيح الإمام البخاري وصحيح مسلم هما في الدرجة الأولى من هذه الكتب ، ثم تأتي السنن
الأربعة في رتبة تليها ، وسنن ابن ماجه دونها جميعاً لأن فيها ما أنكره وضعفه بعض العلماء ،
وعامة الحديث في ذلك أنوال يضيف بنا المقام لذكرها . انظر تقريب الزاوي ص ٣٩ ، ٤٠ ،
٤١ ، ٤٢ ، وسبل السلام ص ١١ - ١٢ هـ .

لم يكن ناشئاً من قيام حزين أحدهما يبيع الكتابة والآخر يكرهها ، بل أباحوا الكتابة حين زالت أسباب المنع ، وكرهوا الكتابة حين وجدت أسباب منعها وكرهتها ، كخشية التباس القرآن بالسنة ، أو الانشغال بالسنة عن القرآن ، أو خوف مضاهاة الكتاب الكريم بكراريس الحديث وكتبه . وقد ثبتت أخبار الكراهة عن بعض من أباحوا الكتابة ، كما ثبتت أخبار الإباحة عن بعض من كرهوا الكتابة ، وكانت غايتهم جميعاً واحدة ، وهى المحافظة على القرآن والسنة : أن يلتبس أحدهما بالآخر ، ثم انعقد الاجماع على إباحة الكتابة حين زالت أسباب كراهتها .

٤ - خشي عمر بن عبد العزيز اندراس السنة ، وتسرب الوضع إليها ، فأمر بحمها على أيدي كبار علماء التابعين ، وأمر المسؤولين في مختلف أقاليم الدولة الإسلامية بالاعتناء بالحديث الشريف ، وتشجيع العلماء على عقد حلقات دراسته في المساجد ، وشارك عمر بن عبد العزيز نفسه العلماء في ذلك ، ووزع قبل وفاته ما كتبه الإمام الزهري ، فلعمرو الفضل الكبير في تحميل الدولة مسؤولية حفظ السنة رسمياً .

وأما التدوين الفردى فقد وقع فعلاً في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ، وفي عهد الصحابة والتابعين ، ولم تبق السنة مهملة طيلة القرن الأول إلى عهد عمر بن عبد العزيز ، بل تم حفظها في الصدور جنباً إلى جنب مع حفظها في الصحف والكراريس .

٥ - في مطلع القرن الهجرى الثانى ، تحول عمل العلماء من جمع الحديث وتقييده ، إلى تصنيفه على الأبواب وضم هذه الأبواب إلى بعضها

في مصنف أو جامع ، فلم يكن مطلع هذا القرن مبدأ لتدوين السنة وتقييدها ، بل كان مبدأ للتصنيف على الأبواب ، وقد ظهرت هذه المصنفات في أوقات متقاربة في مختلف مراكز الإشعاع العلمي بالدولة الإسلامية .

ثم ظهرت المسانيد فالصاح ، وهذا يكون تدوين الحديث ، قد مر بمراحل منتظمة حتى انتهى إلينا في كتب الصحاح والمسانيد .

* * *

الفصل الثاني

مادون في صيد الإسلام...

من الثابت أن بعض الصحابة كانوا قد كتبوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعض أحاديثه بإذن خاص منه كعبد الله بن عمرو ، والأنصاري الذي كان لا يحفظ الحديث ، ثم كتب غيرهم جانباً من حديثه بعد إذنه صلى الله عليه وسلم بالكتابة إذناً عاماً كما سبق ، ولدينا أخبار كثيرة عما كتبه الصحابة من صحف . غير أنا لا نعرف كل ما تتضمنه هذه الصحف ، لأن بعض الصحابة والتابعين كانوا يحرقون ما لديهم من الصحف أو يفسلون قبل وفاتهم ، وكان بعضهم يوصي بما عنده لمن يثق به ، كانوا يفعلون هذا خشية أن تؤول تلك الصحف إلى غير أهل العلم^(١) . ونحن لا نشك في أن كثيراً من صحف الصحابة قد كتبت في عهده عليه الصلاة والسلام ، وأن أكثر ما كتب تناقله الناس في حياة أصحابه وبعد وفاتهم عن طريق أبنائهم وأحفادهم أو ذويهم . روى ابن عبد البر بسنده عن أبي جعفر محمد بن علي قال : وجد في قائم سيف رسول الله صلى الله عليه وسلم صحيفة فيها مكتوب : « ملعون من سرق نخوم الأرض ، ملعون من تولى غير مواليه . أو قال ملعون من جحد نعمة من أنعم عليه^(٢) » .

(١) من أخبار نحو الكتب وحرقها ما نقله أبو بكر رضى الله عنه بما كان عنده من الصحف انظر تذكرة الحفاظ ص ٥ ج ١ ، وانظر أخبار غيره في تقييد العلم ص ٥٩ — ٦٣ وفي كتاب العلم لزهير بن حرب ص ١٩٢ ، وفي الجامع لأخلاق الراوى ص ٤٩ : ٢ .
(٢) جامع بيان العلم وفضله ص ٢١ ج ١ .

وقد اشتهر في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم كتاب خطير الشأن هو ذلك الكتاب الذي أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم كتابه بتدوينه في السنة الأولى للهجرة ، وقد نصت فيه حقوق المسلمين المهاجرين والأنصار وعرب يثرب وموادة يهودها ، وتكررت فيه عبارة (أهل الحقيقة) خمس مرات ، وجاء في مقدمته : (هذا كتاب محمد النبي رسول الله بين المؤمنين والمسلمين من قريش وأهل يثرب ومن تبعهم فلحق بهم وجاهد معهم : أنهم أمة واحدة من دون الناس... الخ^(١)) وهذا دليل على أن هذا الدستور أو الميثاق للدولة الإسلامية الفتية ، كان مدوناً في صحيفة اشتهر أمرها وتواتر نقلها .

وربما أرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم بعض الأحكام مكتوبة إلى عماله ، ومن هذا ما يرويه ابن أبي الجلي عن عبد الله بن عكيم ، قال قرئ علينا كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أن لا تنتفعوا من الميتة بإهاب ولا عصب »^(٢) . وكتب أبو بكر لأبي مالك كتاباً فيه الصدقات التي فرضها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وفي رواية أن الكتاب كان مهوراً بخاتم رسول الله صلى الله عليه وسلم^(٣) .

وروى نافع عن ابن عمر أنه وجد في قائم سيف عمر بن الخطاب رضى الله

(١) سيرة ابن هشام ص ١١٩ ج ٢ ، والأموال ص ٢٠٢ ، وانظر مجموعة الوثائق السياسية للمهد النوى ص ١٥ .

(٢) معرفة علوم الحديث ص ٨٦ ، وقال الحاكم : هذا مقسوخ بحديث ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مر بشاة ميتة فقال : هلا استمتعتم بجلدها ؟ قالوا يا رسول الله إنها ميتة ، فقال إنما حرم أكلها انظر معرفة علوم الحديث ص ٨٦ ، وانظر أخبار أهل الرسوخ في الفقه والحديث بمقدار المنسوخ من الحديث ص ٢٧ .

(٣) رد الدارمي على زعم الرازي ص ١٣٩ ، وذكر الإمام أحمد هذا الكتاب في مسنده ص ١٨٣ - ١٨٤ حديث ٧٢٢ ج ١ .

عنه صحيفة فيها صدقة السوائم^(١) ، وقد تكون هذه للنسخة هي التي ورثها سالم بن عبد الله بن عمر ، وقراها عنده ابن شهاب الزهري^(٢) . ويؤكد لنا هذا ما روى عن محمد بن عبد الرحمن الأنصاري قال : (لما استخلف عمر بن العزيز أرسل إلى المدينة يلتمس كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في الصدقات ، وكتاب عمر بن الخطاب . . . ووجد عند آل عمر كتاب عمر في الصدقات ، مثل كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : فنسخه^(٣)) .

وقد اشتهرت صحيفة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب التي كان يعلقها في سيفه ، فيها لسان الإبل ، وأشياء من الجراحات ، وحرم المدينة ، ولا يقتل مسلم بكافر^(٤) .

وروى عن ابن الحنفية : محمد بن علي بن أبي طالب (٨١ هـ) قال : أرسلني أبي قال : (خذ هذا الكتاب ، فاذهب به إلى عثمان . فإن فيه أمر النبي صلى الله عليه وسلم بالصدقة^(٥)) .

وروى عن مسعر عن معن قال : (أخرج لي عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود كتابا ، وحلف لي أنه بخط أبيه بيده^(٦)) .

(١) انظر السكافية ص ٣٥٣ - ٣٥٤ ، وانظر توجيه النظر ص ٣٤٨ .

(٢) انظر الأموال ص ٣٦٠ ورد الدارمي على بشر ص ١٣١ .

(٣) الأموال ص ٣٥٨ - ٣٥٩ ويقال كان عند عمر بن الخطاب نسخ اليهود والمواثق مله صندوق إلا أنها احترقت يوم الحجام (٨٢ هـ) وما بقي منها قضت عليه ظروف الزمن وغارة التناثر انظر الوثائق السياسية ، المقصدة : ي وقد بقيت بعض كتبه صلى الله عليه وسلم حتى القرن التاسع الهجري ككتابه باطعام تميم الدارمي ، انظر معاليك الأبصار ص ١٧٣ - ١٧٥ .

(٤) انظر مستند الإمام أحمد ص ٤٤ و ٣٥ و ١٢١ و ١٣١ ج ٢ وضع الجري ص ٨٣ ج ٧ ورد الدارمي على بشر ص ١٣٠ .

(٥) رد الدارمي على بشر ص ١٣٠ ، وضع الدارمي ص ٢٣ ج ٧ .

(٦) جامع بيان العلم وفضله ص ٢٢ ج ١ .

وكان عند سعد بن عبادَةَ الأنصاري (١٥٠ هـ) كتاب أو كتب فيها طائفة من أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد روى ابن هذا الصحابي من كتب أبيه بعض أعمال الرسول صلى الله عليه وسلم^(١) . ويروي الإمام البخاري أن هذه الصحيفة كانت نسخة من صحيفة عبد الله بن أبي أوفى ، الذي كان يكتب الأحاديث بيده ، وكان الناس يقرءون عليه ما جمعه بخطه^(٢) .

وكان عند أبي رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم (٣٥ هـ)^(٣) كتاب فيه استفتاح الصلاة ، دفعه إلى أبي بكر بن عبد الرحمن بن الحارث (٩٤ هـ)^(٤) أحد الفقهاء السبعة .

وكان عند أسماء بنت عميس (٣٨ هـ) كتاب جمعت فيه بعض أحاديثه صلى الله عليه وسلم^(٥) .

عن محمد بن سعيد قال : مات مات محمد بن مسلمة الأنصاري (٤٢ هـ)^(٦) وجدنا في ذؤابة سيفه كتابا : (بسم الله الرحمن الرحيم ، سمعت النبي صلى الله عليه

(١) انظر جامع بيان العلم وفضله ص ٧٢ ج ١ ، ونظرة عامة في تاريخ الفقه الإسلامي ص ١١٨ وانظر صحيفة حماد بن منبه ص ١٦ نقلا عن الترمذي .

(٢) انظر علوم الحديث ومصطلحه للدكتور صبحي الصالح ص ١٣ وهامشها وفيه (عبد الله بن أوفى) وهو خطأ مطبعي والصواب (عبد الله بن أبي أوفى) انظر صحيح البخاري بشرح السندی ص ١٤٣ ج ٢ باب الصبر عند القتال . وعبد الله بن أبي أوفى صحابي شهد المدينة ، وعمر بعد النبي صلى الله عليه وسلم ، توفي سنة (٨٧ هـ) وهو آخر من توفي بالكوفة من الصحابة . انظر تقريب التهذيب ص ٤٠٢ ج ١ .

(٣) وقيل وفاته بعد قتل عثمان وقبل مات في خلافة علي رضي الله عنهما .

(٤) انظر الكفاية ص ٣٣٠ .

(٥) نظرة عامة في تاريخ الفقه الإسلامي ص ١١٨ .

(٦) كان محمد بن مسلمة من أفضل الصحابة وهو أحد الثلاثة الذين قتلوا كعب بن الأشرف واستغفنه صلى الله عليه وسلم على المدينة في بعض غزواته ، اعتزل النبي ولم يشهد الجبل ولا صفين وتوفي وهو ابن (٧٧) سنة . انظر تهذيب التهذيب ص ٤٥٤ ج ١ .

وسلم يقول : إن لربكم في بقية دهركم نفحات ، فترضوا له . . . (١)

وكتبت سبيعة الأسلمية إلى عبد الله بن عتبة تروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه أمرها بالنكاح بعد قليل من وفاة زوجها بعد ما وضعت (٢) .

وكتب رسول الله صلى الله عليه وسلم كتابا لوائل بن حجر (٥٠ -) لقومه في حضرموت ، فيه الخطوط الكبرى للإسلام ، وبعض أنصبة الزكاة ، وحد الزنا ، وتحريم الخمر ، وكل مسكر حرام (٣) .

وولى رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرو بن حزم (٥٣ -) على اليمن ، وأعطاه كتابا فيه الفرائض والسنن والديات وغير ذلك (٤) .

وكان أبو هريرة (٥٩ -) يحتفظ بكتب فيها أحاديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

روى الفضيل بن حسن بن عمرو بن أمية الضمري عن أبيه أنه قال : تحدثت عند أبي هريرة بحديث فأنكره ، فقلت إنى قد سمعته منك ، فقال : إن كنت سمعته منى فهو مكتوب عندى ، فأخذ بيدي إلى بيته ، فأرانا كتابا كثيرة من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فوجد ذلك الحديث ، فقال :

(١) المحدث الفاضل ١١٢ .

(٢) السكافية ص ٣٣٧ ، وسبيعة هذه هي بنت الحارث زوجة سميد بن خولة انظر تهذيب التمهيد ص ٤٣٤ ج ١٢ .

(٣) انظر الإصابة ص ٣١٢ ج ٦ وانظر تفصيل ذلك في المصباح المضيء ص ١١٢ : ١ -

ب : ١١٢ .

(٤) انظر الإصابة ص ٢٩٣ ج ٤ ترجمة (٥٨٠٥) . وقد أخرج الكتاب أبو داود والنسائي وابن حبان والدارمي وغير واحد كما ذكر ابن حجر في ترجمته وانظر رد الدارمي على بصر ص ١٣١ وانظر فتوح البلدان ص ٨١ وقارن بالأموال ص ٣٥٨ - ٣٥٩ .

قد أخبرتك أني إن كنت حدثتك به فهو مكتوب عندي^(١) . وكان
بشير بن نهيك قد قرأ عليه الكتاب الذي كتبه عنه قلى أن يفارقه^(٢) .

وجمع سمرة بن جندب (- ٦٠ هـ) أحاديث كثيرة في نسخة رواها عنه
ابنه سليمان^(٣) ، ويحتمل أن تكون هذه النسخة هي الرسالة التي كتبها سمرة
إلى بنيه ، وقال فيها محمد بن سيرين (في رسالة سمرة إلى بنيه علم كثير^(٤)) .

الصحيفة الصادقة لعبد الله بن عمرو بن العاص (٧ ق هـ - ٦٥ هـ) :

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد سمع لعبد الله بن عمرو رضي الله
عنهما بكتابة الحديث ، لأنه كان كاتباً محسناً ، فكتب عنه الكثير ،
واشتهرت صحيفة بن عمرو رضي الله عنه (بالصحيفة الصادقة) كما أراد كاتبها
أن يسميها ، لأنه كتبها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فهي أصدق
ما يروى عنه ، وقد رآها مجاهد بن جبر (٢١ - ١٠٤ هـ) عند عبد الله

(١) انظر جامع بيان العلم من ٧٤ هـ ١ . قال ابن عبد البر بعد هذا الخبر (هذا خلاف
ما تقدم في أول الباب من أني حرره ، أنه لم يكتب ، وأن عبد الله بن عمرو كتب وحديثه
بذلك أصح في القل من هذا لأنه أثبت استناداً عند أهل الحديث) وقال ابن حجر أقوى من
من ذلك أنه لا يلزم من وجود الحديث مكتوباً عنده أن يكون بخطه ، وقد ثبت أنه لم يكن
بكتب ، فثبت أن المكتوب عنده بغير خطه . انظر فتح الباري ص ٢١٨ هـ ١ . أقول وصحة
خير عدم كتابة أبي هريرة لا تنفي صحة وجود الكتب عنده ، وقد يكون ممن يعرف القراءة
دون الكتابة ، فيكتاف من يكتب له .

(٢) طبقات ابن سعد من ١٦٢ هـ ٧ . والعلم لأخير بن حرب : ١٩٣ هـ ب والجامع لأخلاق
الرازي من ١٣٧ هـ ب . والحديث الفاصل من ١٢٨ : ١ .

(٣) انظر تهذيب التهذيب من ١٩٨ هـ ٤ .

(٤) المرجع السابق ٢٣٦ هـ ٤ أخرج البخاري أول رسالة سمرة بن جندب إلى بنيه في
روضة محمد بن إبراهيم بن حبيب وفيها : (بسم الله الرحمن الرحيم . من سمرة بن جندب إلى بنيه :
إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يأمرنا أن نصل كل ليلة من المكتوبة ما قال
أو أكثر ، ونعملها ورأى) . التاريخ الكبير من ٧٥ ترجمة ٢٩ قسم ١ هـ ١ .

ابن عمرو ، فذهب ليتناولها ، فقال له : (مه يا غلام بنى مخزوم) قال مجاهد : قلت : ما كتبت شيئا . قال : (هذه الصادقة فيها ما سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس بنى وبينه فيها أحد .^(١)) ، وكانت هذه الصحيفة عزيزة جداً على ابن عمرو حتى قال (ما يرغبنى في الحياة إلا الصادقة والوهط^(٢)) ، وربما كان يحفظها في صندوق له حاق^(٣) ، خشية عليها من الضياع ، وقد حفظ هذه الصحيفة أهل من بعده ، ويرجح أن حفيده عمرو بن شعيب كان يحدث منها^(٤) .

وتضم صحيفة عبد الله بن عمرو ألف حديث كما يقول ابن الأثير^(٥) .
إلا أن إحصاء أحاديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده لا يبلغ خمسمائة حديث^(٦) ، وإذا لم تصلنا الصحيفة الصادقة كما كتبها ابن عمرو بخطه ،

- (١) المحدث الفاضل نسخة دمشق ص ٢ : ب ج ٤ . وطبقات ابن سعد ص ١٨٩ . قدم ١ ج ٢ ونحوه في تقييد العلم ص ٨٤ .
(٢) سنن الدارمي ص ١٢٧ ج ١ والوهط أرض لعمر بن العاص تصدق بها كان يقوم بها . المصدر نفسه .
(٣) انظر مستند الإمام أحمد ص ١٧١ حديث ٦٦٤ ج ١٠ ، وكتاب العلم القدسي ص ٣٠ .
بإسناد صحيح .

- (٤) انظر تهذيب التهذيب ص ٤٨ - ٤٩ ج ٨ .
(٥) انظر أسد الغابة ص ٢٣٣ ج ٣ .
(٦) انظر مستند عبد الله بن عمرو وحيثه الصادقة ص ٦٧١ حيث أحصى السيد محمد سيف الدين طيش أحاديث الصادقة ، فكان منها :

- ٢٠٢ حديثاً من أصل ٦٣٢ حديثاً رواها الإمام أحمد في مسنده عن عبد الله بن عمرو
و ٨١ حديثاً من أصل ٢٣٢ حديثاً رواها أبو داود في سننه عن عبد الله بن عمرو
و ٥٣ حديثاً من أصل ١٢٨ حديثاً رواها النسائي في سننه عن عبد الله بن عمرو
و ٦٥ حديثاً من أصل ١١٧ حديثاً رواها ابن ماجه في سننه عن عبد الله بن عمرو
و ٣٥ حديثاً من أصل ٨٩ حديثاً رواها الترمذي في سننه عن عبد الله بن عمرو
فمد أحاديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده وهي أحاديث الصادقة كما هو المرجح بالغ

قد نقل إلينا الإمام أحمد محتواها في مسنده ^(١) ، كما ضمت كتب السنن الأخرى جانباً كبيراً منها ^(٢) .

ولهذه الصحيفة أهمية علمية عظيمة ، لأنها وثيقة علمية تاريخية ، تثبت كتابة الحديث النبوي الشريف ، بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم وبإذنه ^(٣) .

== (٣٦) حديثاً فيه المكرر عند الإمام أحمد وفي السنن الأربعة ، وقد يكون حكم ابن الأثير مبني على أن جميع ما روى من ابن عمرو هو الصادقة وليس يبعد .

(١) انظر مسند الإمام أحمد بن حنبل بتحقيق الأستاذ أحمد عبد شاكر : الجزء التاسع من الصفحة ٢٣٥ الحديث ٦٤٧٧ والجزء العاشر بكامله وكذلك الحادي عشر والجزء الثاني عشر إلى الصفحة ٥٠ الحديث ٧١٠٣ .

(٢) انظر مسند عبد الله بن عمرو وصحفته الصادقة ص ٦٧١ .

(٣) ورد طعن في الصحيفة الصادقة من بعض أهل العلم كالمغيرة بن مقسم الضبي الذي قال : (كانت لعبد الله بن عمرو صحيفة تسمى الصادقة ما تشرني أنها لي بفدين) انظر تأويل مختلف الحديث ص ٩٣ ، وفي ميزان الاعتدال ص ٢٩٠ ج ٢ (ما يشرني أن صحيفة عبد الله بن عمرو عندي بعمرتين أو بفدين .) إذا ضمت هذه الرواية عن المغيرة فلا يجوز حملها على ظاهرها ولا قبولها هكذا مقتضية لأنه ذكر ذلك في معرض الكلام على الروايات الضعيفة ، فإذا ضعف نسخة ابن عمرو فاعلمنا ضعفها لأنها انتقلت (وجادة) فهو لا يقبل أن تكون عنده هذه الصحيفة بالطريق الذي حملها الرواة ، لأن الوجادة أضعف طرق التحمل ، فقد كانوا لا يحبون أن يتلقوا الأخبار من الضعف بل عن الشيوخ ، ولا يجوز أن يحمل قول المغيرة على غير هذا الوجه ، لأنه ثبت أن عبد الله قد كتبها بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم . ويمكننا للاستئناس أن نراجع أقوال العلماء في راوي هذه الصحيفة في ميزان الاعتدال ص ٢٨٩ ج ٢ وفي تهذيب التهذيب ص ٤٨ - ٥٥ ج ٨ ونفتح المبحث من ٦٨ - ٦٩ ج ٤ حيث يتبين لنا قيمة الصحيفة وثقة راويها عمرو بن شعيب . قال الإمام تقي الدين بن تيمية : (وأما أئمة الإسلام ، وجهود العلماء فيحتجون بحديث عمرو بن شعيب عن أبيه من جده ، إذا صح النقل إليه مثل مالك بن أنس وسفيان بن عيينة ونحوهما ، ومثل الشافعي وأحمد بن حنبل وإسحاق بن راهوية . . . قالوا : (وإذا كانت نسخة مكتوبة من عهد النبي صلى الله عليه وسلم كان هذا أوكد لها وأدل على صحتها) ولهذا كان في نسخة عمرو بن شعيب من الأحاديث النفيسة التي فيها مقدرات ما احتاج إليه عامة علماء الإسلام .) انظر تراجم الحديث ص ٣٦ - ٣٧ .

وكان عبد الله يلى الحديث على تلاميذه، ^(١) وقد نقل عنه تلميذه حسين بن شفي ابن مائع الأصمحي في مصر كتابين، أحدهما فيه (قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم في كذا، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كذا، والآخرة ما يكون من الأحداث إلى يوم القيامة) ^(٢). ونحن هنا لم نتعرض إلا للصحيفة الصادقة، فقد كان عند ابن عمرو كتب كثيرة عن أهل الكتاب أصابها يوم اليرموك في زاملتين ^(٣)، وقد ادعى بشر المريسي أن (عبد الله بن عمرو كان يرويهما للناس عن النبي صلى الله عليه وسلم، وكان يقال له لا نتحدثنا عن الزاملتين)، وهذه الدعوى باطلة، فقد ثبت أن ابن عمر وكان أمينا في نقله وروايته، لا يحيل ما روى عن النبي على أهل الكتاب، كما لا يحيل ما روى عن أهل الكتاب على النبي صلى الله عليه وسلم ^(٤).

(١) انظر تاريخ دمشق ص ٤٩ ج ٦ .

(٢) خطط القرينى ص ٤٣٢ - ٤٣٣ ج ٢ .

(٣) الزاملة هي البعير الذي يحمل عليه الطعام والمتاع . وقيل هي الدابة التي يحمل عليها

الطعام والمتاع من الإبل وغيرها . انظر : لسان العرب مادة (زمل) ص ٣٢٩ ج ١٣ .

(٤) انظر رد الدارمي على بشر ص ١٣٦ ، وقد ذكر محمود أبو رية صاحب كتاب أضواء

على السنة المحمدية في الصفحة ١٦٢ هامش (٣) أن عبد الله بن عمرو (كان قد أصاب زاملتين

من كتب أهل الكتاب ، وكان يرويهما للناس (عن النبي) فتعجب الأخذ عنه كثير من أئمة

التابعين ، وكان يقال له : لا نتحدثنا عن الزاملتين ص ١٦٦ ج ١ فتح الباري) انتهى ما نقلناه عن

أضواء على السنة المحمدية . ومن العجيب أن يسمع إنسان مثل هذا الخبر ويصدق أنه الصحابة

رضوان الله عليهم ، كانوا أصدق الناس لسانا ، وأتقى الآفة قلوبا ، وأخلص البرية للرسول

صلى الله عليه وسلم ، فلا يعقل أن يكذب أمثال عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما على رسول الله

فيروا إليه ما سمعه من أهل الكتاب . فخرجت إلى فتح الباري وإذا به - شهد الله -

خاليا من عبارة أبي ربة ، فليس في قوله ابن حجر (من النبي) إنما زادها الكتاب من

عنده !!!

قول تكذيب الصحابة ، والافتراء عليهم ، والاتهام على الطعام ، أمثال ابن حجر وغيره

من الأمانة العامة ؟ ! وقد ثبت أنا سوء نية أبي ربة في مواضع كثيرة يظهر بعضها في بحثنا عن

أبي ربة .

ويكفي ابن عمرو فخراً أنه كان أول من دون الحديث بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم بإذنه وفي مختلف أحواله في الغضب والرضا .

كتب ابن عباس (٣ ق ٥ - ٥٦٨) .

اشتهر ابن عباس بطلب العلم ودأبه عليه ، وكان بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم يسأل الصحابة ويكتب عنهم ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد دعا له فقال : (اللهم الهمه الحكمة وعلمه التأويل ^(١)) ، وعندما توفي ابن عباس ظهرت كتيبه ، وكانت حمل بغير ^(٢) .

* * *

ويروى أن عبد الله بن عمر (١٠ ق ٥ - ٥٧٣) كان إذا خرج إلى السوق نظر في كتيبه . وقد أكد الراوى أن كتيبه هذه كانت في الحديث ^(٣) .

صحيفة جابر بن عبد الله الأنصاري (١٦ ق ٥ - ٥٧٨)

يحتمل أن تكون هذه الصحيفة غير المنك الصنير الذي أورده مسلم في كتاب الحج ^(٤) ، وقد ذكرها ابن سعد في ترجمة مجاهد ، وكان يحدث

(١) الكتابة من ٢١٣ ، وراجع طلبة العلم في الجامع لأخلاق الراوى وآداب السامع من ١٤ : آ ، وفي تنقيح العلم من ٩١ - ٩٢ و ١٠٩ وانظر ترجمته في الفصل الأول من الباب الخامس من هذا الكتاب .

(٢) عن موسى بن عقبة (- ١٤١) صاحب المغازي قال : (وضع عندما ابن كريب مولى ابن عباس حل بغير من كتب ابن عباس) . انظر طبقات ابن سعد من ٢١٦ ج ٥ .

(٣) الجامع لأخلاق الراوى وآداب السامع من ١٠٠ : آ ويروى أن ابن عمر ذكره كتابة الحديث ، قال سعيد بن جبير (٤٥ - ٩٥ هـ) كنت أسأل ابن عمر في صحيفة ولو علم بها كانت الفصيل بيني وبينه . انظر طبقات ابن سعد من ١٧٩ ج ٦ ، وربما كان ابن عمر يكتب لنفسه أو يبيع بها آخراً .

(٤) انظر تذكره المفاخر من ٤١ ج ١ .

عنها ^(١)، وكان التابعي الجليل قتادة بن دعامة السدوسي (١١٨ هـ) يرفع من قيمة هذه الصحيفة ويقول (لأننا بصحيفة جابر بن عبد الله أحفظ من سورة البقرة ^(٢)).

وفي رواية : (إنما يحدث قتادة عن صحيفة سليمان الشكري، وكان له كتاب عن جابر بن عبد الله ^(٣)). ويحتمل أن يكون سليمان الشكري قد نقل عن جابر صحيفته، وهو أحد تلاميذه، يروي ابن حجر أن سليمان جالس جابراً، وكتب عنه صحيفة ^(٤)، ولعل قتادة كان قد روى صحيفة جابر بن عبد الله عن سليمان الشكري، فإن أم سليمان قدمت بكتاب سليمان، ففرى على ثابت وقاتدة وأبي بشر... فرووها كلها، وأما ثابت فروى منها حديثاً واحداً ^(٥)، فصحيفة جابر كانت مشهورة، وكتاب سليمان الشكري عنه كان مشهوراً أيضاً، ويدعم هذا روايات كثيرة، منها ما روى عن شعبة أنه كان يرى أن أحاديث أبي سفيان طلحة بن نافع عن جابر إنما هو كتاب سليمان الشكري ^(٦) وكانت لجابر حلقة في المسجد النبوي يملئ فيها على طلابه الحديث، فكتب منهم كثير أمثال وهب ابن منبه (١١٤ هـ ^(٧))، وقد روى أبو الزبير وأبو سفيان والشعبي عن جابر

(١) طبقات ابن سعد ص ٤٣٣ - ٥٠٠.

(٢) طبقات ابن سعد ص ١ - ٢ قسم ٢ ص ٧.

(٣) القياس لابن قيم الجوزية ص ١٠٨.

(٤) انظر تهذيب التهذيب ص ٢١٤ ج ٤ وانظر تقييد العلم ص ١٠٨ حول كتابه.

(٥) انظر الكفاية ص ٣٥٤.

(٦) انظر مقدمة الجرح والتعديل ص ١٤٤ - ١٤٥.

(٧) انظر صحيفة هام بن منبه ص ١٤. وكان كثير من الثنايين يذهبون إلى جابر رضي الله عنه يكتبون عنه الحديث، من هذا ما روى عن عبد الله بن محمد بن عقيل قال: كنت أختلف إلى جابر بن عبد الله أنا ومحمد وأبو جعفر. معنا ألواح نكتب فيها: انظر تقييد العلم ص ١٠٤، وأبو جعفر هو محمد بن علي (١١٤ هـ) ومحمد هو ابن الحنفية. كما كتب عنه أبو الزبير محمد بن مسلم بن تدرس (١٢٦ هـ) كثيراً انظر: تهذيب التهذيب ص ٤٤٠ - ٤٤١ ج ٩.

وهم قد سمعوا منه وأكثر ما روه من الصحيفة .^(١)

ويروى عن عروة بن الزبير (٢٢ - ٩٣ هـ) قوله : (كتبت الحديث ثم محوته ، فوددت أنى فديته بما لى وولدى وأنى لم أحبه^(٢)) وربما كتب غيرها ثم احترقت يوم الحرة فحزن عليها ، فكان يقول : (وددت لو أن عندى كتبى بأهلى ومالى^(٣)) .

وكان عند خالد بن معدان السكلاعى الحمصى (- ١٠٤ هـ) مصحف له أرزاروغرا أودع فيه علمه^(٤) . وكان عند مجير بن سعيد نسخة عن خالد ابن معدن^(٥) .

وأوصى أبو قلابة (عبد الله بن زيد الجرمى - ١٠٤ هـ) بكتبه لأبيوب السخيتاني (٦٨ - ١٣١ هـ) فى بها فى عدل راحلة^(٦) ، ودفع أبيوب كراءها بضعة عشر درهما^(٧) .

وقال الأعمش قال الحسن البصرى (٢١ - ١١٠ هـ) إن لنا كتبنا تتعاهدنا^(٨) . وكان عند محمد الباقر بن على بن الحسين (٥٦ - ١١٤ هـ) كتب كثيرة

(١) انظر تهذيب التهذيب ص ٢١٤ ج ٤ ، وعرضت على الشافعى صحيفة كتبت عن جابر فقال سمعت هذا كله عن جابر رضى الله عنه . المحدث الفاضل ص ٩١ : ب .
(٢) تنقيح العلم ص ٦٠ . ونحوه فى المحدث الفاضل نسخة دمشق ص ٤ : ب ج ٤ .
(٣) جامع بيان العلم وفضله ص ٧١ ج ١ ، وفى رواية ابن سعد أنها كتب (فقه) انظر طبقات ابن سعد ص ١٣٣ ج ٥ .

(٤) انظر تذكرة الحفاظ ص ٨٨ ج ١ .

(٥) انظر تذكرة الحفاظ ص ١٦٦ ج ١ .

(٦) انظر طبقات ابن سعد ص ٢١٦ ج ٥ . وتذكرة الحفاظ ص ٨٨ ج ١ .

(٧) انظر طبقات ابن سعد ص ٢١٧ قسم ٢ ج ٢ .

(٨) انظر المحدث الفاضل نسخة دمشق ص ٣ . ب ج ٤ كما كانت له كتب حديث وفقه

وكان بعض أصحابه يأخذها وينسخها ثم يردّها . انظر طبقات ابن سعد ص ١٧ قسم ٢ ج ٢ .

سمع بعضها منه ابنه جعفر الصادق . وقرأ بعضها ^(١) .

وكان عند مكحول الشامي كتب ^(٢) وعند الحكم بن عتبة ^(٣) . وكان عند بكير بن عبد الله بن الأشج (- ١١٧ هـ) عالم المدينة كتب انتقلت إلى ابنه محرم بن بكير ^(٤) .

وكان عند قيس بن سعد المسكي (- ١١٧ هـ) كتاب انتقل إلى حماد بن سلمة (- ١٦٧ هـ) ^(٥) .

ومما لا شك فيه أن العلماء في مطلع القرن الهجري الثاني صنفوا كثيراً من الكتب ، وكثرت السكتب بين أيديهم ، حتى بلغت كتب الإمام الزهري حداً كبيراً ، نقلت بعد مقتل الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان (٨٨ - ١٢٦ هـ) من خزائنه على الدواب ^(٦) .

وقبل أن نتكلم عن شيوع التدوين وانتشاره في مطلع القرن الهجري الثاني وعن كتب ومصنفات العلماء آنذاك ، لابد لنا من أن نتكلم عن صحيفة همام بن منه لما لها من أهمية تاريخية في تدوين الحديث .

الصحيفة الصحيحة لهام بن منه (٤٠ - ١٣١ هـ) ^(٧) .

أقضى همام بن منه أحد أعلام التابعين الصحابي الجليل أبا هريرة ، وكتب

(١) انظر تهذيب التهذيب ص ١٠٤ ج ٢ ، ومعد اليافر أحد الأئمة الأئمة عصره عند الإمامية . انظر تهذيب التهذيب ص ٣٥٠ ج ٩ وشذرات الذهب ص ١٤٩ ج ٩ .

(٢) الفهرست لابن النديم ص ٣١٨ .

(٣) انظر مقدمة المرح والمعدّل ص ١٣٠ .

(٤) انظر تهذيب التهذيب ص ٧٠ - ٧١ ج ١٠ ، وعلوم الحديث ص ١١٠ .

(٥) تذكروا الله ص ١٩٠ ج ١ .

(٦) انظر تاريخ الإسلام للذمّي ص ١٤١ ج ٥ .

(٧) ذكر الدكتور محمد صالح زفاه عدم سنة (١٠١ هـ) اعتماداً منه على طيفات

عنه كثيراً من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم . وجمعه في صحيفة أو صحف أطلق عليها اسم (الصحيفة الصحيحة ^(١)) ، وربما سماها بالصحيحة على مثال (الصحيفة الصادقة) لعبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما ، وحق له أن يسميها بالصحيحة ، لأنه كتبها عن صحابي خالط رسول الله صلى الله عليه وسلم أربع سنين ، وروى عنه الكثير .

وقد وصلتنا هذه الصحيفة كاملة ، كما رواها ودونها هام عن أبي هريرة ، فقد عثر على هذه الصحيفة الدكتور المحقق محمد حميد الله في مخطوطتين متماثلتين في دمشق وبرلين ^(٢) .

وتزداد ثقتنا بصحيفة هام حينما نعلم أن الإمام أحمد قد نقلها بتمامها في مسنده ، كما نقل الإمام البخاري عدداً كثيراً من أحاديثها في صحيحه في أبواب شتى ^(٣) .

ولهذه الصحيفة أهمية تاريخية في تدوين الحديث الشريف ، لأنها حجة قاطعة ، ودليل ساطع على أن الحديث النبوي كان قد دون في عصر مبكر (وتصحح

== ابن سعد م ٣٩٦ هـ لأنها أقدم المصادر ثم قال في هامش الصفحة ٢٢ من كتابه علوم الحديث ومصطلحه : (وعند ابن حجر والنووي وسواهما توفي هام سنة ١٣١ هـ . وأمله تصحيف نقول ابن سعد مات سنة إحدى أو اثنتين ومئة) وانظر التصحيحات الملحقة بصحيفة هام م ٢ . إلا أني أرجح وفاته سنة (١٣١ هـ) لأن سفيان بن عيينة قال : كنت أوقع قدوم هام عشر سنين ، وسفيان بن عيينة ولد سنة (١٠٧ هـ) فلا يقل أن يقول هذا بعد وفاة هام بسنوات ، ثم إن معمرا كان قد أدركه وقد كبر وسقط حاجباه على عينيه ، فهذا الوصف ينطبق على من سته أكثر من ستين سنة وهي السن التي ذكرتها وألفها غير ابن سعد . انظر تهذيب التهذيب م ٦٧ ج ١١ . حيث ذكر إدراكه معمر بن راشد لهام .

(١) أقدم تدوين في الحديث النبوي صحيفة هام بن منبه م ٢٠ عن كشف الظنون .

(٢) راجع صحيفة هام م ٢١ — ٢٣ حيث وصف الدكتور حميد الله المخطوطتين .

(٣) انظر المرجع السابق م ٢٠ .

الخطأ الشائع : أن الحديث لم يدون إلا في أوائل القرن الهجري الثاني^(١) ،
 ذلك لأن هماما اتى أبا هريرة - ولا شك أنه كتب عنه - قبل وفاته وقد توفى
 أبو هريرة سنة (٥٩) للهجرة فمعنى ذلك أن هذه الوثيقة العلمية قد دوت قبل
 هذه السنة ، أى في منتصف القرن الهجرى الأول ، وقد ثبت لنا أن عبد الله
 ابن عمرو دُون في عهد الرسول صحيفته الصادقة ، وهما نحن أولاء يثبت لنا
 تدوين صحيفة همام في منتصف القرن الهجرى الأول ، مما يدل على أن العلماء
 كانوا قد باشرُوا التدوين فعلا قبل أسر عمر بن عبد العزيز رحمه الله وكان
 من الأولى أن نذكر هذه الصحيفة بين كتب أبى هريرة ، لأنها املاؤه لهمام ،
 إلا أننا فضلنا الكلام عنها هنا لاشتهارها باسمه ، وقد رواها عنه تلميذه معمر
 ابن راشد ثم عبد الرزاق عن معمر ثم هلم جرا^(٢) .

وتضم صحيفة همام هذه (١٣٨) حديثاً وقد ذكر ابن حجر أن همام سمع
 من أبى هريرة نحو أربعين ومائة حديث بإسناد واحد^(٣) ، وهذا يزيدنا ثقة
 بهذه الصحيفة ، لانفاق عدد ما جاء فيها من الأحاديث وما ذكره العلماء .

وشاع التدوين في النصف الأول من القرن الهجرى الثاني بين العلماء ، حتى
 أصبح من النادر ألا يرى لأحدهم تصنيفاً أو جامعاً فيه بعض أبواب في الحديث .
 وقد سبق أن ذكرت أول من صنف في مختلف البلاد الإسلامية .
 ومن شارك في التصنيف أو وجد عنده كتب في تلك الحقبة يحيى بن أبى كثير

(١) علوم الحديث ومصلحه الدكتور صبحى الصالح ص ٢٢ .

(٢) انظر صحيفة همام بن منبه ص ٢٠ .

(٣) تهذيب التهذيب ٦٧ ج ١١ .

(- ١٢٩ هـ ^(١)) . معاصر الإمام الزهري . وكان عند محمد بن سوقة
 (- ١٣٥ هـ ^(٢)) كتاب ، وكان عند زيد بن أسلم (- ١٣٦ هـ) كتاب في التفسير ^(٣)
 لعل فيه كثير من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم . وكان عند موسى
 ابن عقبة (- ١٤١ هـ ^(٤)) أحاديث لنافع مولى ابن عمر مكتوبة في صحيفة .
 وكان للأشعث بن عبد الملك الحمراني (- ١٤٢ هـ ^(٥)) كتاب انتقل إلى سليمان
 صاحب البصري . وقد كتب عقيل بن خالد بن عقيل (- ١٤٢ هـ ^(٦))
 حديثاً كثيراً عن الزهري ، وكان أعلم الناس بحديثه . وكان ليحيى بن سعيد
 الأنصاري (- ١٤٣ هـ ^(٧)) كتاب انتقل إلى حماد بن زيد .

وكتب عوف بن أبي جميلة المبدى (- ١٤٦ هـ ^(٨)) أطراف الحديث
 عن الحسن البصري عن النبي صلى الله عليه وسلم ، وكانت هذه الأطراف
 بعد ذلك عند يحيى بن سعيد القطان (- ١٢٠ - ١٩٨ هـ ^(٩)) . وكان عند
 جعفر الصادق بن محمد الباقر (- ٨٠ - ١٤٨ هـ ^(١٠)) رسائل وأحاديث ونسخ ،
 وكان من ثقات المحدثين ، وكان ليونس بن يزيد بن أبي النجاد (- ١٥٢ هـ)

(١) انظر معرفة علوم الحديث ص ١١٠ والمحدث الفاضل ص ٩٤ وفي رواية أنه توفي سنة
 (١٣٢ هـ) في الياض انظر ص ١٥٦ منه .

(٢) انظر مقدمة الجرح والتعديل ص ٧٥ وتهذيب التهذيب ص ٢١٠ ج ١ وفيهم من يرجع
 الأول أن لمصور بن المتحر كعاباً أيضاً .

(٣) انظر تذكرة الحفاظ ص ١٢٤ ج ١ وتهذيب التهذيب ص ٣٩٥ ج ٣ .

(٤) انظر الكفاية ص ٢٦٦ .

(٥) انظر المحدث الفاضل ص ١٣٦ ج ١ .

(٦) انظر تذكرة الحفاظ ص ١٥٢ ج ١ .

(٧) انظر تهذيب الجرح والتعديل ص ١٧٨ .

(٨) انظر تهذيب التهذيب ص ١٦٧ ج ٨ .

(٩) انظر تهذيب الجرح والتعديل ص ٢٣٦ .

(١٠) انظر تهذيب التهذيب ص ١٠٤ ج ٢ .

كتاب شهد له ابن المبارك بالصحة ^(١) ، وكان لعبد الرحمن بن عبد الله بن عتبة المسعودي (- ١٦٠ هـ) كتب أتى بها شعبة من بغداد ^(٢) ، وكان إزائده بن قدامة (- ١٦١ هـ) كتب عرضها على سفيان الثوري ^(٣) ، وقد كان زائدة نظيراً لشعبة بن الحجاج ^(٤) . وكان لسفيان الثوري (٩٧ - ١٦١ هـ) كتب كثيرة منها في الحديث (الجامع الكبير) و (الجامع الصغير ^(٥)) . وقال ابن المبارك : إبراهيم بن طهمان (- ١٦٣ هـ) والسكري يعني أبا حمزة (- ١٦٧ هـ) صحيحا الكتب ^(٦) .

وكان لشعبة بن الحجاج (- ١٦٠ هـ) كتاب الفرائد في الحديث ^(٧) ، وكان لعبد العزيز بن عبد الله الماجشون (- ١٦٤ هـ) كتب مصنفه رواها عنه ابن وهب ^(٨) ، وكان لعبد الله بن عبد الله بن أويس (- ١٦٩ هـ) - ابن عم مالك وصهره على أخته - كتب انتهت إلى ابنه اسماعيل ^(٩) . وأوصى سليمان بن بلال (- ١٧٢ هـ) بكتبه إلى عبد العزيز بن أبي حازم ^(١٠) ،

(١) انظر تهذيب التهذيب ص ٤٥٠ ج ١١ ، وتقدمة الجرح والتعديل ص ٢٧٢ . وكان يونس يكتب من الزهري . انظر مقدمة الجرح والتعديل ص ٢٠٥ .

(٢) انظر مقدمة الجرح والتعديل ص ١٤٥ .

(٣) الرجوع السابق ص ٨٠ .

(٤) انظر تذكرة الحفاظ ص ٢٠٠ ج ١ .

(٥) انظر التمهيد لابن القيم ص ٣١٥ .

(٦) مقدمة الجرح والتعديل ص ٢٧٠ .

(٧) انظر الرسالة المنطوقة ص ٨٥ .

(٨) انظر تهذيب التهذيب ص ٣٤٤ ج ١ قال ابن وهب : (حججت سنة ١٤٨ هـ) وصانح

يصبح لا يفتح الباب - إلى الخليفة - إلا للملك وعبد العزيز بن أبي سلمة) وكان صاحب سنة ، وقد كتب عنه أهل بغداد . نفس المرجع .

(٩) انظر تهذيب التهذيب ص ٢٨٠ ج ٥ .

(١٠) انظر الرسالة ص ٨٠ ج ١ . انظر تذكرة الحفاظ ص ٢١٧ ج ١ .

ومن الجدير بالذكر أنه كان لعل بن لمية (- ١٧٤ هـ) محدث الديار المصرية كتب كثيرة ، احترقت سنة (١٦٩ هـ) وكانت كتبه صحيحة ^(١) ، ولابن لمية صحيفة في الحديث تعتبر من أقدم مجموعات الحديث ، وهي موجودة ضمن مجموعة أوراق البردي (بهيدلبرج ^(٢)) ، وكان لبيث بن سعد (٩٤ - ١٧٥ هـ) شيخ الديار المصرية وعالمها تصانيف كثيرة ^(٣) .

ولدينا كثير من أخبار المصنفات والمصنفين إلا أن المقام يضيق بذكرها ، ويكتفى دليلاً على كثرة هذه المصنفات في نهاية القرن الثاني ، أن علي بن عبد الله المديني (١٦١ - ٢٣٤ هـ) صنف في مختلف أبواب الحديث ورجاله وغريبه وشاذه وعلاه نيفاً ومائة مصنف ، ذكر منها محمد بن صالح الهاشمي نيفاً وخمسة وعشرين مصنفًا ، وكل كتاب في عدة أجزاء بلغ بعضها ثلاثين جزءاً ^(٤) .

هكذا ساهم علماء المسلمين في حفظ الحديث في صدورهم وفي كتبهم ، صدق على ابن المديني حين قال : نظرت فإذا الإسناد يدور على ستة ، فلأهل المدينة ابن شهاب (- ١٢٤ هـ) ، ولأهل مكة عمرو بن دينار (٤٦ - ١٢٦ هـ) ^(٥) ، ولأهل البصرة قتادة بن دعامة السدوسي (- ١١٧ هـ) ، ومحمد بن أبي كثير

(١) انظر تذكرة الحفاظ ص ٢٢٠ ج ١ . قال الامام أحمد : ما كان محدث مصر إلا ابن لمية . ويؤيد عدم احتياج البخاري ومسلم به إلا في التنايلات لاحتراق كتبه . انظر تذكرة الحفاظ ص ٢٢٠ ج ١ .

(٢) نظرة عامة في تاريخ الفقه الإسلامي ص ١٢٨ .

(٣) انظر تذكرة الحفاظ ص ٢٠٩ ج ١ .

(٤) انظر الجامع لأخلاق الراوى وآداب السامع ص ١٩٤ ، وليس في هذا مبالغة ، لأن بعض الأجزاء لا تتجاوز وريقات . كما لا يستبعد هذا بالنسبة لابن المديني إمام عصره الذي كان يحلله الإمام أحمد ويحترمه لسوء مكانته وسوء علمه . انظر مقدمة الجرح والمعدل ص ٣١٩ .

(٥) كان محدثاً فليها قال فيه شعبة : ما رأيت أثبت في الحديث منه انظر : تاريخ الإسلام للذهبي ص ١١٤ ج ٨ وتهذيب التهذيب ص ٣٠ ج ٨ .

(- ١٢٩ هـ)^(١) ، ولأهل الكوفة أبو إسحاق عمرو بن عبد الله السبيعي
 (٣٣ - ١٢٧ هـ)^(٢) ، وسليمان بن مهران الأعشى (٦١ - ١٤٨ هـ) . قال
 علي : ثم صار علم هؤلاء الستة إلى أصحاب الأصناف^(٣) .

* * *

(١) ذكر الرامهرمزي وفاته في اليمامة سنة (١٣٢ هـ) . وما أثبتته من تذكرة الحفاظ
 ص ١٢١ ج ١ ، وتهذيب التهذيب ص ٢٦٨ ج ١١ .
 (٢) وهو من أعلام التابعين الثقات كان إمام الكوفة وشيخه في عصره أدرك علياً رضي
 الله عنه ، ويروى أنه سمع من (٣٨) صحابياً ، انظر تاريخ الإسلام للذهبي ص ١١٦ ج ٥ ،
 وتهذيب التهذيب ص ٦٣ ج ٨ .
 (٣) انظر المحدث الفاضل ص ١٥٦ : أ - ب ، و مقدمة المرح والنديل ص ١٢٩ و ٣٤ .

الفصل الثالث أراءى فى التّدوين ..

١ - رأى الشيخ محمد رشيد رضا (١٢٨٢ - ١٣٥٤ هـ) :

قال الإمام محمد رشيد رضا : (لعل أول من كتب الحديث وغيره من التابعين فى القرن الأول ، وجعل ما كتبه مصنفًا مجموعًا هو خالد بن معدان الحنبل ، روى عنه أنه اتى سبعين صحابيًا قال فى تذكرة الحفاظ وقال تميم : ما رأيت أحدا أزم للعلم منه ، وكان علمه فى مصحف له أضرار وعرا) ثم قال : خالد بن معدان جمع علمه فى مصنف واحد جعل له وقاية لها أضرار وعرا تمسكها لئلا يقع شيء من تلك الصحف ، وكان ذلك فى القرن الأول ، فإنه مات سنة ١٠٣ هـ أو سنة ١٠٤ هـ ، ولكن المشهور أن أول من كتب الحديث ابن شهاب الزهري القرشي ، ولعل سبب ذلك أخذ أمراء بني أمية عنه ^(١) .

بعد أن رأينا موقف العلماء من الكتابة خلال القرن الأول الهجري وفى النصف الأول من القرن الثانى ، وبعد أن وجدنا أدلة علمية قاطعة تثبت وقوع التدوين فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وفى عصر الصحابة والتابعين - بعد هذا لا يمكننا أن نقبل رأى الأستاذ الامام ، وذلك من ناحيتين :

الأولى إذا اعتبرنا التدوين الشخصى الخاص بكل عالم - فإن كثيرين من الصحابة والتابعين سبقوا خالداً في هذا المضمار ، وحافظوا على ما كتبوه ، فابن عمرو حفظ صحفه في صندوق له حلق ، وغيره في كراديس ودفاتر ، كهمام بن منبه وابن شهاب ، فجرد وجود علم خالد ابن معدان في مصحف له أضرار لا يكفى لأن يكون أول من دون الحديث في عصره .

والناحية الثانية إذا اعتبرنا التدوين الرسمى للحديث استجابة لرغبة عمر بن عبد العزيز فقد سبق خالداً إلى التدوين أبو بكر بن حزم وابن شهاب الزهري ، وقد ثبت أن ابن شهاب كتب لعمر الحديث في دفاتر وزعت على كل أرض له عليها سلطان ، فخالداً لم يكن أول من صنف ، سواء أكان هذا التصنيف خاصاً أم رسمياً . فهناك من سبقه في جمع الحديث ، ويمكننا أن نعتبر مصحف خالد من أولى المصاحف التى ضمت علمه في ذلك القرن .

وإذا كان المشهور أن ابن شهاب الزهري أول من كتب الحديث - فإن هذا محمول على تنفيذه أمر الخليفة عمر بن عبد العزيز ، لا لأن أمراء بنى أمية أخذوا عنه ، لأن أخذ الأمراء عنه لا يؤثر في الأدلة الأخرى التى تثبت استجابته لأمر الخليفة وتدوينه الحديث في دفاتر . وقد أسلفنا أنه كان قد كتب كثيراً من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، في أثناء طوبه العلم . وهذا يدل على أسبقية ابن شهاب على غيره في التدوين ومع هذا فهناك من دون قبله - بشكل غير رسمى - وحفظ علمه في مصحف واعتنى بصحفه وحرص عليها من الضياع . فقد ثبت لدينا مما سبق أن كثيراً قبل ابن شهاب وقبل خالد بن معدان كتبوا الحديث وحفظوه في كل ما تيسر

لنبيهم من وسائل ، رغبة منهم في حفظ حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم من الضياع أو التحريف .

٢ - رأى الشيعة في تدوين الحديث :

(١) قال المرجع الديني الأكبر السيد حسن الصدر (١٢٧٢ - ١٣٥٤هـ) :
 (وقد وهم الحافظ الجلال السيوطي في كتابه تدريب الراوي ، حيث زعم أن ابتداء تدوين الحديث وقع في رأس المائة . قال : وأما ابتداء تدوين الحديث فإنه وقع في رأس المائة في خلافة عمر بن عبد العزيز بأمره ، ففي صحيح البخاري في أبواب العلم : وكتب عمر بن عبد العزيز إلى أبي بكر بن حزم ... قال في فتح البازي ، يستفاد من هذا ابتداء تدوين الحديث النبوي ، ثم أفاد أن أول من دونه بأمر عمر بن عبد العزيز ابن شهاب انتهى ما في تدريب الراوي . قلت « السيد حسن الصدر » : كانت خلافة عمر ابن عبد العزيز سنتين وخمسة أشهر مبدؤها عاشر صفر سنة ثمان أو تسع وتسعين ومات سنة إحدى ومائة لحس أو لست مضي وقيل لعشر بقين من رجب ، ولم يورخ زمان أمره ولا نقل ناقل امتثال أمره بتدوين الحديث في زمانه ، والذي ذكره الحافظ ابن حجر من باب الخدس والاعتبار ، لا عن نقل العمل بأمره بالعيان ، ولو كان له عند أهل العلم بالحديث أثر بالعيان لما نصوا أن الأفراد لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم كان على رأس المائتين ، كما اعترف به شيخ الإسلام وغيره ... قال « ابن حجر » : إلى أن رأى بعض الأئمة أن تفرد أحايث النبي صلى الله عليه وسلم خاصة ، وذلك في رأس المائتين وعدد جماعة ... وكذلك الحافظ الذهبي في تذكرة الحفاظ نص أن أول زمن التصنيف وتدوين السنن وتأليف الفروع - بعد انقراض دولة بني أمية وتحول الدولة إلى بني

العباس . . . ولا يقاس بالذهبي غيره في الخبرة بالتواريخ في أمثال هذه الأمور ، فلم يذكر ما ذكره السيوطي ، بل كل من كتب في الأوائل من علماء السفة لم يذكره . اللهم إلا أن يقال باستبعاد عدم الأخذ بقول مثل عمر بن عبد العزيز فله جمع بعده فلا يكون الحكم بجمعه في رأس المائة من القول السديد المحقق ، عصمنا الله تعالى من التسرع في القول (١) .

أقول إن ما ذكره السيوطي ليس وهما بل حقيقة علمية ، كما تبين لنا من البحث

وأما قصر مدة خلافة عمر بن عبد العزيز ، وعدم تأريخ زمن أمره فإنه لا ينافي استجابة العلماء لأمر الخليفة . وأما أنه لم ينقل هذا ناقل فهذا حكم يناقض الدليل ، فقد كثر الناقلون ، ونص ابن عبد البر على أن ابن شهاب امتثل لأمر الخليفة وكتب الحديث في دفاتر ، وبعث الخليفة إلى كل أرض له عليها سلطان دفتر (٢) ، ولم يكن ما ذكره ابن حجر من باب الحدس والتخمين ، ثم إن ما ذكره علماء الحديث من أن أفراد تدوين حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم كان على رأس المائتين — لا ينافي قط تدوينه استجابة لأمر الخليفة عمر بن عبد العزيز ، ونحن لانشك في أن بعض المدونات الأولى . في عصر رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي عصر الصحابة كانت خالية من فتاوى الصحابة ، وأقوى دليل على هذا الصحيفة الصادقة ، والصحيفة الصحيحة ، وإن كان بعض المصنفين قد كتب عمل الصحابة ، وفتاواهم إلى جانب الحديث ، فهذا لا ينافي كونهم دوتوا الحديث على رأس المائة الأولى وقبيلها .

(١) تأسيس علوم الشيعة ص ٢٧٨ — ٢٧٩ .

(٢) أظن جامع بيان العلم وفضله ص ٧٦ ج ١ .

واستشهاده بما ذكره الحافظ الذهبي في تذكرة الحفاظ لا يجدي نفعا ، لأن الحافظ الذهبي تلخص الحالة في القرن الأول ، ولم يدرس التدوين دراسة موضوعية تفصيلية ، ومع هذا نراه يذكر في تراجم من صنف من العلماء أنهم أول من صنفوا في بلادهم . وليس من المفروض على الذهبي أن يفصل في التدوين لأن تذكرته في رجال الحديث ، لا في علم الحديث ومصطلحه .

وأما أن أحداً من الأوائل الذين كتبوا في الحديث وعلومه — لم يذكر ما ذكره الجلال السيوطي ، فهذا مردود بما كشف عنه بحثنا ، فقد ذكر ذلك الرامهرمزي ، وبين سبب كراهة من كره الكتابة في الصدر الأول ، وجمع بين أحاديث السامع بالكتابة والنهي عنها . وإذا كان الرامهرمزي لم ينقل لنا النص كالسيوطي حرفياً فقد ذكر ما يفهم منه أن بعض العلماء كانوا قد دونوا في القرن الأول ، ^(١) كما بين اهتمام عمر بن عبد العزيز بنشر السنة والحفاظ عليها ^(٢) ، ووضع الخطيب البغدادي كتابه (تقبيد العلم) لعرض سير التدوين في العصر الأول ، وبين كثيراً مما خفي على الناس ، وأثبت أن بعض طلاب العلم وأهله قد مارسوا التدوين في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وبمده . وروى أبو عبيد القاسم بن سلام (١٥٧ - ٢٢٤ هـ) بسنده عن محمد بن عبد الرحمن الأنصاري ، قال : (لما استخلف عمر بن عبد العزيز أرسل إلى المدينة يلتمس كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في الصدقات وكتاب عمر بن الخطاب فاستخذه ^(٣)) ، فإذن بعد هذا أن يدعى إنسان أن أمر عمر بن عبد العزيز لم ينفذ أو لم يؤخذ به ، فذهب إليه علماء

(١) انظر الحديث المأصل ص ٧١ - ٧٢ : ب .

(٢) انظر المرجع السابق ص ١٥٣ : آ .

(٣) الأموال ص ٣٥٨ - ٣٥٩ .

الحديث من أن ابتداء تدوين الحديث وقع في رأس المائة الأولى ليس من باب الخدس والتسرع بالقول . ويحمل قولهم هذا على التدوين الرسمي الذي تنبته الدولة ، أما التدوين الشخصي والفردى فكان منذ عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

بعد ما ذكره السيد حسن الصدر قال : (إذا عرفت هذا فاعلم أن الشيعة أول من تقدم في جمع الآثار والأخبار ، في عصر خلفاء النبي المختار عليه وعليهم الصلاة والسلام ، اقتدوا بإمامهم أمير المؤمنين عليه السلام) . ثم ذكر كتاباً لعلي رضي الله عنه كان عظيماً مدرجاً ، وذكر صحيفته المعروفة بـ « كتاب رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم سماه » كتاب السنن والأحكام والقضايا » وقد توفي أبو رافع في أول خلافة علي رضي الله عنه ، قال السيد حسن الصدر : (وأول خلافة علي أمير المؤمنين سنة خمس وثلاثين من الهجرة ، فلا أقدم من أبي رافع في التأليف بالضرورة^(١)) .

أقول : إذا صح هذا الخبر فإن أبا رافع يكون ممن دون في عصر الصحابة ، وقد سبقه عبد الله بن عمرو الذي كتب في عهده صلى الله عليه وسلم . وإذا صح هذا الخبر وكان كتابه مرتباً على الأبواب : (الصلاة والصيام والحج والزكاة والقضايا)

(١) تأسيس الشيعة العلوم الإسلام من ٢٧٩ — ٢٨٠ . وقد نقل عن الشيخ أبي العباس النجاشي ما ذكره عن أبي رافع . ثم قال السيد حسن الصدر : وأول من صنف في الآثار . ولأننا أبو عبد الله سلمان الفارسي (ر) . . . وأول من صنف الحديث والآثار بعد المؤسسين أبو ذر الفزارى صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وله كتاب المخطبة يشرح فيها الأمور بعد النبي صلى الله عليه وسلم ذكره الشيخ أبو جعفر الطوسي في فهرسته . ثم يذكر كتاباً للسيد الله بن أبي رافع في قضايا أمير المؤمنين وكتاب تسمية من شهد مع أمير المؤمنين الجبل وصدّيق النهر وآن من الصحابة ، ثم ذكر بعض أخبار كتب أشعاس طس فيهم أهل السنة كالحارث بن عبد الله الأعور الحمداني ، أو أخبار كتب لم تثبت عند أهل السنة . انظر تأسيس الشيعة العلوم الإسلام من ٢٨٢ وما بعدها .

كما ذكر السيد حسن الصدر ، كان لأبي رافع شرف الأولوية في التأليف لا في التدوين ، وصحة هذا لا نعلمنا على أن نفى مائت تاريخيا من أخبار التدوين في عهد الخليفة عمر بن عبد العزيز .

(ب) مادمنأ في موضوع الشيعة والتدوين ، فلا بد من أن نتناول بالبحث أصلا من أصول الزيدية ، يعود تدوينه إلى مطلع القرن الثاني ، وهذا الأصل هو « مجموع الإمام زيد » وتناول هذا الكتاب في ثلاث نقاط ، وهي التعريف بصاحب المجموع ، والتعريف براويه ، ثم المجموع ذاته .

١ - الإمام زيد : هو زيد بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم جميعا . ولد الإمام زيد حول سنة (٨٠ هـ) ، ونشأ في أسرة معروفة بالعلم والجهاد ، فقد تلقى العلم على أبيه ثم أخذ عن أخيه محمد الباقر الذي شهد له العلماء بالمنزلة العلمية الرفيعة ، كما سمع من كبار التابعين في المدينة وكان ينتقل بين الحجاز والعراق ، ونضج الإمام زيد حتى شهد أهل العلم بفضله وعلمه ، سئل جعفر الصادق عن عمه زيد ، فقال : كان والله أقرأنا لكتاب الله ، وأفقهنا في دين الله ، وأوصلنا الرحم ، والله ماترك فينا لدنيا ولا آخرة مثله . وقال الشعبي : ما ولدت النساء أفضل من زيد ابن علي ولا أفعه ولا أشجع ولا أزهد ، وسئل الباقر عن أخيه زيد ، فقال : إن زيدا أعطى من العلم بسطة ^(١) .

ولزيد مع هشام بن عبد الملك وولائه أخبار كثيرة تذكر إخراجهم له واضطراره إلى الخروج على الخليفة ، ومن هذا ما ذكره ابن العباد الحنبلي أنه دخل يوما على هشام بن عبد الملك ، فقال له : (أنت الذي تنازعك نفسك في الخلافة

(١) انظر مقدمة مستند زيد وترجمته ص ٢ وما بعدها .

وأنت ابن أمة ! فأجابه بقوله : إن الأمهات لا يقعدن بالرجال عن الغايات ، وقد كانت أم إسماعيل أمة لأم إسحاق ، صلى الله عليهما ، فلم يمنعه ذلك من أن ابتغى الله نبياً ، وجعله للعرب أباً ، وأخرج من صلبه خير البشر محمداً صلى الله عليهم وسلم ! أفقول لي كذا وأنا ابن فاطمة وابن علي ^(١) ؟ ! وقام ينشد شعراً وخرج في السكوة وبإيعة من أهلها خمسة عشر ألف رجل ، ثم تفرقوا عنه ليلة خرج سوى ثلاثمائة رجل ، ولما قتل أرسل برأسه إلى الشام ثم إلى المدينة ، وكان ذلك سنة (١٢٢) ^(٢) هـ .

والإمام زيد المسند المسمى المجموع الفقهي . وله المجموع الحديثي ، وقد جمعهما ^(٣) عمرو بن خالد الواسطي . وله أيضاً تفسير الغريب من القرآن ، وثبتت الإمامة ومنسك الحج ^(٤) .

٢ - أما راوى المجموع ، فهو أبو خالد عمرو بن خالد الواسطي الهاشمي بالولاء الكوفي ، روى مجموع الإمام زيد الحديثي والفقهي ، قال : سمعت الإمام زيداً فما أخذت عنه الحديث إلا وقد سمعته مرة أو مرتين أو ثلاثاً أو أربعاً أو خمساً أو أكثر من ذلك ، وما رأيت هاشمياً مثل زيد بن علي ، فلذلك اخترت صحبته على جميع الناس ^(٥) . وتوفي بعد العشرين الخامسة من المائة الثانية من الهجرة .

وقد اختلف في أحد خالد ، فقبل الزيدية روايته ، وفي هذا يقول القاسم

(١) شذرات الذهب ص ١٥٧ ج ١ ، وانظر : الإمام زيد لأبي زهرة ص ٤٢ - ٦٦ .

(٢) انظر شذرات الذهب ص ١٥٧ ج ١ ، والإمام زيد ص ٤٢ - ٦٦ .

(٣) انظر الإمام زيد لأبي زهرة ص ٢٣٢ .

(٤) انظر مفضة مسند زيد (المجموع) صفحة ٤ - ٥ .

(٥) انظر المرجع السابق ص ٢٦ والروض البصير ص ٢٨ ج ١ .

ابن عبد العزيز : (وعمر بن خالد الواسطي أبو خالد ، حدث عنه الثقات ، وهو كثير الملازمة لزيد بن علي عليه السلام ، وهو الذي أخذ عنه أكثر الزيدية مذهب زيد بن علي عليهما السلام ، ورجحوا روايته على رواية غيره^(١) .)
وجرحه الإمامية^(٢) وغيرهم . وقد فند شارح المجموع طعون الجرحين لمرو ، وبين أقوال العلماء فيه ، وانتهى إلى أن كل ما وجه إليه لا يؤثر في عدالته^(٣) ، وكذلك فند فضيلة الأستاذ محمد أبو زهرة الطعون وناقشها ووازن آراء العلماء ، وانتهى إلى أن أوجه قبول رواية أبي خالد أرجح من أوجه الطعن^(٤) .

٣ - المجموع : واختلف في المجموع ذاته : هل وضعه الإمام زيد ورثه كما هو عليه الآن وأملأه على طلابه أم أن هذا عمل أبي خالد ؟ فأبو خالد نفسه يجيب إبراهيم ابن الزبيرقان الذي سأله : كيف سمعت هذا الكتاب عن زيد بن علي ؟ فيقول : (سمعته منه في كتاب معه قد وطأه وجمعه ، فما بقي من أصحاب زيد بن علي ممن سمعه معي إلا قتل غيري^(٥)) إلا أن الإمام محمد بن المطهر في أول شرحه المنهاج على المجموع يقول : (وكان مذهبه - يعني زيد بن علي - عزيزاً ، لقلته ضبطه في الكتاب الجامع إلا ما عني بجمعه أبو خالد ، فإنه جمع مجموعين لطيفين ، أحدهما في الأخبار ، والآخر في الفقه^(٦)) ويمكن الجمع بين

(١) الروض النضر ص ٢٨ ج ١ .

(٢) الإمام زيد لأبي زهرة ص ٢٣٣ .

(٣) انظر الروض النضر ص ٢٥ - ٤٧ ج ١ وشارح المجموع العلامة شرف الدين بن

الميسر البني ، وكان عرضه لذلك فيما تعذر مراجعته .

(٤) انظر الإمام زيد لأبي زهرة ص ٢٣٥ - ٢٥٨ .

(٥) الروض النضر ص ٢٨ ج ١ .

(٦) المرجع السابق ص ١٢٧ .

الخبرين بأن أبا خالد قد كتب عن الإمام زيد الحديث والفقہ وسمع منه ، فرتب ذلك في مجموعين . ولا يرى هذا بعيداً قط ، لأن أبا خالد صحب زيدا بالمدينة قبل قدومه الكوفة خمس سنين ، كان يقيم عنده في كل سنة أشهراً كلها حج^(١) ، وكان عصر الامام زيد عصر طلائع التصنيف ، ومع هذا لا يمكننا أن قطع بأن المجموع كما هو عليه الآن جماعاً وترتيباً من تصنيف الإمام زيد ، لأن الدارس لمن المجموع يرى كثير من الحديث يرويه أبو خالد قائلاً (حدثني زيد بن علي) ، وفي الفقہ يقول : قال زيد بن علي ، مما يدل على أن أبا خالد تلقى هذا مشافهة عن الإمام زيد . وهذا لا يمنع أن يحصل الإمام بعض علمه في كتاب . سواء أملى على طلابه أم لم يمل ، يرجح عندي أن أبا خالد كتب عن الإمام الحديث والفقہ ، ثم رتب ذلك في مجموعين وكل هذا لا يؤثر في صحة نسبة المجموع إلى زيد بن علي .

وعلى هذا يكون المجموع من أهم الوثائق التاريخية التي تثبت ابتداء التصنيف والتأليف في أوائل القرن الثاني الهجري . بعد أن استنتجنا هذا من خلال عرضنا لمصنفات وبجاميع العلماء من غير أن نرى نموذجاً مادياً يمثل أولى تلك المصنفات . اللهم إلا موطأ الإمام مالك الذي انتهى من تأليفه قبل منتصف القرن الهجري الثاني ، فيكون المجموع قد صنف قبله بنحو ثلاثين سنة .

من الواضح أن المجموع المطبوع جمع بين الفقہ والحديث ، فهو يضم المجموعين الفقهي والحديثي ولكنهما ليسا منفصلين ، فترى أبا خالد يروي في الباب الواحد أحاديث مرفوعة إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، وآثاراً عن علي رضي الله عنه ، وفقه الامام زيد رحمه الله .

وقد ضم المجموع (٢٢٨) حديثاً مرفوعاً إلى النبي عليه الصلاة والسلام ،
ومن الأخبار العلوية (٣٢٠) خبراً ، وعن الحسين خبرين فقط^(١) .

وقد رتب المجموع ترتيباً فقهيّاً ، ففيه كتاب الطهارة ، وكتاب الصلاة ،
وكتاب الجنائز ، وكتاب الزكاة ، وكتاب الصيام ، وكتاب الحج ، وكتاب
البيوع ورتب كل كتاب على أبواب مختلفة ، ويفتح كل باب بحديث
الباب بسنده المرفوع إلى الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام أو الموقوف
على الإمام على رضى الله عنه . وسأعرض بعض النماذج لنقف على
حقيقة المجموع .

(١) من باب ما ينبغي أن يختب في الصلاة :

قال : (حدثني زيد بن علي عن أبيه عن جده عن علي عليه السلام قال :
أبصر رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلاً يعث بلحيته في الصلاة فقال :
« أما هذا فلو ختم قلبه لخشت جوارحه » ، وقال زيد بن علي عليه السلام :
إذا دخلت في الصلاة فلا تلتفت يمينا ولا شمالا ، ولا تمسح بالخصى ، ولا ترفع
أصابعك ولا تنفض أظفارك ، ولا تمسح بجهتك حتى تفرغ من الصلاة^(٢)) .

(ب) من كتاب البيوع ، باب السكب من اليد :

قال : (حدثني زيد بن علي عن أبيه عن جده عن علي عليه السلام
قال : جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا رسول الله ،
أى السكب أفضل ؟ فقال صلى الله عليه وسلم : « عمل الرجل بيده ،
وكل بيع مبرور ، فإن الله يحب المؤمن المحترف » ، ومن كذب على عياله كان كالمجاهد
في سبيل الله عز وجل » .

حدثني زيد بن علي عن أبيه عن جده عن علي عليه السلام ، قال : من طلب الدنيا حللاً مطلقاً على والد أو ولد أو زوجة ، بعته الله تعالى ووجهه على صورة القمر ليلة البدر^(١) .

٣ - رأى في التدوين الرسمي :

أقد تبين لي أثناء البحث في موضوع تدوين السنة ، وخاصة في دراسة رجال الحديث في عصر الصحابة والتابعين - أن أمير مصر عبد العزيز بن مروان بن الحكم الأموي (- ٨٨٥) . قد حاول جمع حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد روى هذا إمام الديار المصرية ومحدثها الليث بن سعد ، فقال : (حدثني يزيد بن أبي حبيب أن عبد العزيز بن مروان كتب إلى كثير بن مرة الحضرمي - وكان قد أدرك بمصر سبعين بديراً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم - قال ليث : وكان يسمى الجند المقدم ، قال : فكتب إليه أن يكتب إليه بما سمع من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، من أحاديثهم إلا حديث أبي هريرة فإنه عندنا^(٢)) ، لم يطلب حديث أبي هريرة لأنه كان عنده وكان قد سمعه عبد العزيز بن مروان من أبي هريرة^(٣) . لقد طلب أمير مصر كتابة حديث رسول الله عليه الصلاة والسلام من إمام حمص وعالمها الذي كان طالباً للعالم حافظاً ثقة^(٤) . وقد كان هذا الطلب أثناء إمارته على مصر بين سنة (٦٥ - ٨٥) هجرية ، ويمكننا أن نجد هذا محمد

(١) مسند الإمام زيد بن علي ص ١٠٣ .

(٢) طبقات ابن سعد ص ١٥٧ قدم ٢ ج ٧ وتهذيب التهذيب ص ٤٢٩ ج ٨ وانظر سير

أعلام النبلاء مخطوط ص ١٤٥ قدم ٢ ج ٤ .

(٣) انظر تهذيب التهذيب ص ٣٥٦ ج ٦ .

(٤) انظر تذكرة الحفاظ ص ٤٩ ج ١ .

أقرب إلى الحقيقة إذا عرفنا أن كثير بن مرة توفي بين سنة (٧٠ و ٨٠^(١)) للهجرة ، فلو فرضنا أنه توفي سنة (٨٧٥ هـ) فعنى هذا أن طلب الأمير كان قبل هذه السنة ، والراجح عندي أن طلب الأمير عبد العزيز ، كان في السنين الأولى من إمارته ، لما عرف عنه من حب للعلم وأهله ، وتفان في خدمة الدين^(٢) .
 إلا أن المصادر لم تخبرنا عن امتثال كثير بن مرة الأمير . فنقف أمام هذا الخبر التاريخي متسائلين : ترى هل كتب كثير للأمير ما طلب منه من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ وإذا كتب إليه فما مقدار ما كتبه ؟ وعن أي الصحابة كتب إليه ؟ ثم إلى من آلت تلك الصحف أو الدفاتر المدونة ؟ كل هذه أسئلة تعرض أمامنا ، ونحتاج إلى بحث وتنقيب ، وربما يكشف لنا التاريخ عن خبايا تراثنا الإسلامي العظيم . نحب عن هذه الأسئلة على ضوء مالدينا من أخبار قليلة .

إن مانعنا من عناية هؤلاء بالحديث يرجع عندنا أن يستجيب كثير بن مرة لطلب الأمير ، ولو ظن الأمير عبد العزيز امتناع عالم حمص عن إجابته ما كتب إليه ، مما يرجح عندي أن كثيراً تلقى رسالة الأمير وأجابه إلى طلبه ، لما عرف عن كثير من نشاط علمي عظيم ، ومن الصعب في هذا المجال أن نقدر مقدار ما كتب كثير ، لأن المراجع لم تنص على شيء من هذا^(٣) ، فأرجو

(١) انظر تهذيب التهذيب ص ٤٢٩ ج ٨ .

(٢) انظر النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ص ١٧١ ، ١٧٤ ج ١ ، دولة مصر

للسكندى ص ٤٩ .

(٣) لأن التاريخ الأموي دون عهد الدولة العباسية وقد اهتم المؤرخون بالحوادث الكبرى وبالخلفاء والخطوط العريضة من حياة الأمراء . وكانت كثير من مزايا الأمويين تطنس أو تصغر شيئاً مع سياسة العباسيين الذين لا يسهروا الجهد بمفاخر من قبلهم . انظر : أضواء على التاريخ الإسلامي ص ٨٥ . ونحن لانك بوجود مؤرخين منصفين نرجو أن نجد عندهم فيما بعد ما يروى غلبنا في هذه النقطة .

من الله أن أوفق فيما بعد للكشف عن ذلك وإيضاحه بما يكفل لنا الحكم العلمى الصحيح .

ونقول الآن بعد هذا الخبر : إذا ثبتت استجابة كثير بن مرة لطلب أمير مصر . فيعنى هذا أن بعض الحديث النبوى قد دون رسمياً فى منتصف العقد الهجرى الثامن قبل انقضاء القرن الأول . وعلى أية حال ، فإن اهتمام أمير مصر بحديث رسول الله عليه الصلاة والسلام وتدوينه يزيدنا ثقة بأن التدوين قد سار جنباً إلى جنب مع الحفظ ، ولم يتأخر قط إلى عهد الخليفة عمر بن عبد العزيز ، فيكون شرف المساهمة فى تدوين الحديث ، قد كمل الوالد الأمير والابن الخليفة البار ، ويكون لهما جميعاً شرف العمل لحفظ الحديث وتدوينه رسمياً .

وأنا بهذه النتيجة لا أريد أن أخالف ما اشتهر عند أئمة هذا العلم من أن تدوين الحديث النبوى كان على رأس المائة الأولى فى خلافة عمر بن عبد العزيز ، بل أضع يذى على مفتاح بحث تاريخى له أهميته فى تاريخ تدوين الحديث ، سواء أخالف هذا المشهور أم وافقه ، وهذا المفتاح قد طوى فى بطون تراثنا الزاخر ، ينتظر من يتفرغ ليكشف عنه ، فنحن فى هذا اسنا بدعا ، ولا نأتى بشيء جديد سوى أننا نرفض غبار الماضى عن جواهرنا المكنونة ، ونحاول أن نسلسكها فى عقد بصور لنا الحقيقة التاريخية .

٤ - المستشرقون ورأيهم فى تدوين الحديث :

لقد عرفنا أن المسلمين حفظوا حديث النبي صلى الله وسلم فى صدورهم ومحفهم ، فساهمت الذاكرة والأفلام والصحف والدفاتر فى حفظ السنة المطهرة ، وسار الحفظ فى الصدور وفى الصحف جنباً إلى جنب فى سبيل هذه الغاية ، ورأينا مراحل التدوين الفردى والرسمى ، وثبت لنا وقوع التدوين فى عهد رسول الله

صلى الله عليه وسلم وفي عصر الصحابة والتابعين ، بأداة قاطعة لا يرق إليها الشك ، ولا يعترها الظن . وعرفنا أن ضرورة حفظ الحديث لم تنتظر خلافة عمر بن عبد العزيز وإذنه ، بل دعت إلى تدوينه قبله بكثير ، وكان لعمر بن عبد العزيز شرف مساهمة الدولة في تبنى هذا التدوين والإشراف عليه ، وتحريك هم العلماء للجمع والتصنيف ، الذي ظهرت بوادره في النصف الأول من القرن الثاني ، ونضجت ثمارة في المصنفات الكثيرة التي أخرجها أوائل المصنفين في مختلف بلاد الدولة الإسلامية آنذاك .

بعد هذا لن نؤخذ بما وصل إليه المستشرقون وأعلنوه من أن السنة . قد دوت في عصر مبكر . ولن نقع فيما نصبه بعضهم من شرك خلف بحوثهم ، وإن ظهرت بعض أحاجيهم في ثوب علمي نقي ، فقد كتب جولد نسيهر فصلاً خاصاً حول كتابة الحديث في كتابه « دراسات إسلامية » أتى فيه بأدلة كثيرة على تدوين الحديث في أول القرن الهجري الثاني ، وكان في الفصل الأول من كتابه (قد سرد طائفة من الأخبار ، تشير إلى بعض الصحف التي دوت في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ، واسكنه حاطها بكثير من التشكك في أمرها ، والريبة في سمعتها ، وقد رمى بهذا إلى غرضين ، أحدهما : إضعاف الثقة باستظهار السنة وحفظها في الصدور ، اتعول الأمر منذ القرن الهجري الثاني على الكتابة ، والآخر وصم السنة كلها بالاختلاق والوضع على السنة المدونين لها ، الذين لم يجمعوا منها إلا ما يوافق أهواءهم ، ويعبر عن آرائهم ووجهات نظرم في الحياة ...

وحاول المستشرق « سوفاجيه » في كتابه « الحديث عند العرب » أن ينفذ المعتقد الخطأ عن وصول السنة بطريق المشافهة وحدها ، وجمع أدلة كثيرة

على تدوين الأحاديث والتمويل على هذا التدوين في عصر مبكر يبدأ أيضاً في مطلع القرن الهجري الثاني ، وليس في حياة الرسول عليه الصلاة والسلام ، وغايته لاختلاف في شيء عن غاية جولد تسيهر^(١) .

ويقول الدكتور صبحي الصالح : (وأما « دوزي » فلهذه يخدم برأيه المعتدل كثيراً من علمائنا فضلاء عن أوساط المتعلمين فينا ، فقد كان هذا المستشرق يعترف بصحة قسم كبير من السنة النبوية التي حفظت في الصدور ، ودونت ، في الكتب بدقة باغة ، وعناية لانظير لها . « وما كان يجب لسكثير من الموضوعات والمكذوبات تتخلل كتب الحديث — فذلك كما يقول طبيعة الأشياء نفسها — بل للسكثير من الرويات الصحيحة الموثوقة التي لا يرقى إليها الشك ، (ونصف صحيح البخاري على الأقل جدير بهذا الوصف عند أشد المحدين غلوا في النقد) ، مع أنها^(٢) تشتمل على أمور كثيرة يود المؤمن الصادق لو لم ترد فيها^(٣) . فلم يكن غرض هذا المستشرق خالصاً لهلم والبحث المجرد حين مال إلى الاعتراف بصحة ذلك النصيب الكبير من السنة ، وإنما كان يفسر أولاً وآخراً فيها اشتباكات عليه هذه السنة الصحيحة من نظرات مستقلة في الكون والحياة والإنسان ، وهي نظرات لا يدرأ عنها استقلالها النقد والتجريح ، لأنها لم تنبثق من العقل العزيم المجزء ، ولم تصور حياة الغرب الطائفة من كل قيد^(٤)) .

(١) انظر هذا البحث في علوم الحديث ومصطلحه للدكتور صبحي الصالح ص ٢٣ — ٣٠ .

وما أشرنا إليه في الصفحة ٢٤ — ٢٥ .

(٢) أي الروايات الصحيحة .

(٣) أشار الدكتور صبحي الصالح في هامش الصفحة ٢٦ إلى أن عبارة دوزي في الأصل

أوقع من أن يوردها على حالها وأحال على الأصل بالقرينة .

(٤) علوم الحديث ومصطلحه ص ٢٦ .

وغير المستشرق (شبرنجر) على كتاب « تقييد العلم » للخطيب البغدادي
فوجد فيه شواهد وأخباراً تدل على تدوين المسلمين للحديث في عصر مبكر ،
فكتب مقالاً حول ما وجدته .

واطلع (جولد تسيهر) على ما كتبه سلفه (شبرنجر) وأيد فكرة كتابة
المسلمين للحديث في عصر مبكر ، إلا أنه (تأمل في الأخبار التي عرضها سلفه
« شبرنجر » فقلع عن الخطيب البغدادي وغيره ، فوجدها تارة تقول بأن الرسول
(صلى الله عليه وسلم) أجاز كتابة العلم ، وطورا تدعى بأنه نهى عنها ،
وتذكر مرة أن الصحابة حضوا عليها ، ثم لا تثبت أن تروى كراهم لها ،
وتعرض كُتِبَ بعض التابعين للعلم ، ثم تذكر استنكاف بعضهم الآخر —
رأى ذلك فظن بهذه الأخبار سوءاً ، وأراد أن يرى خلاها يد الوضع والتزوير ،
فتصور حزبين متناضلين ، اتخذوا من هذه الأخبار سلاحاً ، يذود كل منهما به
عن رأيه ، ويدفع خصمه ، فقال : إن أهل الرأي — الذين اعتمدوا في وضع
فروع الشريعة على عقولهم ، وأهملوا شأن حديث رسول الله (صلى الله عليه وسلم) —
كان من حججهم أن الحديث لم يكتب دهرأ طويلاً ، فغابت معالمه ، وتشقت
أمره ، وأيدوا رأيهم بأخبار اختلقوها ، ثبت أنه لم يكتب ، ولم يقف
خصوصهم « أهل الحديث » واجمين ، بل فعلوا فعلهم واختلقوا الأخبار
تأييداً لقولهم ، فقسّموا إلى الرسول أحاديث في إباحة الكتابة ^(١)) .

هكذا رأى جولد تسيهر أهل الرأي يدعون عدم كتابة الحديث ، فيضعون
من الأخبار ما يثبت دعواهم ، وأهل الحديث يرون جواز تقييد العلم ، فيضعون

(١) مجلة الثقافة المصرية العدد ٣٥١ السنة السابعة الصفحة ٢٢ - ٢٣ - من مقالة أستاذنا
الدكتور يوسف المش « نشأة تدوين العلم في الإسلام » .

ما يثبت دعواهم ، ليحتجوا بصحة ما لديهم من أحاديث في خلافتهم الفقهية ، أراد جولد زيهر أن يصور علماء الأمة ومفكرها ، حزين متعصبين لأرائهم ، يستجيزون الكذب في سبيل ذلك !! فساء ما تصوره وبئس ما انتهى إليه .

وقد قيص الله لكتاب « تقييد العلم » أن ينشر في دمشق ، وبحق تحقيقاً علمياً دقيقاً ، على يدى أستاذنا الدكتور يوسف العش ، الذى درس أخباره دراسة عميقة ، ثم قدم للكتاب المذكور بتصدير على قيم ، كشف فيه عن خطأ جولد تسهر في رأيه (حين قال : إن من ادعى عدم جواز الكتابة هم أهل الراى ، وأن مخالفهم هم من أهل الحديث - « قال الدكتور العش » - : فالخلاف لم يكن بين هاتين الفئتين ، لأن من أهل الراى من امتنع عن الكتابة كعيسى بن يونس (١٨٧هـ -) وحاد بن زيد (١٧٩هـ -) وعبد الله إدريس (١٩٢هـ -) ، وسفيان الثورى (١٦١هـ -) ، وبينهم من أفرها كحماد بن سلمة (١٦٧هـ -) ، واليث بن سعد (١٧٥هـ -) ، وزائدة بن قدامة (١٦١هـ -) وبجي بن البيان (١٨٩هـ -) ، وغيرهم . ومن المحدثين من كره الكتابة كابن عليه (٢٠٠هـ -) وهشيم بن بشير (١٨٣هـ -) ، وعاصم بن ضمرة (١٧٤هـ -) وغيرهم ، ومنهم من أجازها كبقية السكلاء (١٩٧هـ -) وعكرمة بن عمار (١٥٩هـ -) ، ومالك ابن أنس (١٧٩هـ -) وغيرهم^(١) .

بهذه البراهين القوية نقض الدكتور العش رأى جولد زيهر وقوض

(١) تقييد العلم ص ٢١-٢٢ وانظر مقالة الدكتور العش في مجلة الثقافة المصرية العدد ٣٥٣

كل ما بناء على رأيه من صور وهمية ، وبين بعد البحث والتأمل (أن ليس من أوصاف مشتركة توحد بين أصحاب إحدى الطائفتين ، فليس الفريقان حزبيين اتفق أفرادهما في الرأي ، واستعدوا لخوض المعركة متضامين ، يناصر بعضهم بعضاً ، إنما تمسكوا برأيهم عن عقيدة نفسية ، أو عن ميول شخصية ، أو عن ذوق خاص ، أو عن عادة مستحكة ، وعندنا أن الطائفتين المتخاصمتين متفقتان بالنهاية ، ولو أنهما تشاحتا في القول ، فكلتاهما تبغى الدفاع عن العلم والتقدم به ^(١) .)

بعد تلك الأخبار عن التدوين ، وحرص الأمة على سلامة الحديث النبوي ، لا يمكننا أن نسل بما ذنب إليه المستشرقون ، وخاصة بعد أن ظهر أسرم على ضوء ما بيناه ، فالسنة حفظت منذ عهد الرسول صلى الله عليه وسلم في الصدور ، وقيد بعضها في الصحف ، وكانت محل اعتناء المسلمين في مختلف عصورهم ، فتناقلوها جيلاً عن جيل حفظاً ودراسة بالمشافهة والكتابة ، واجتهدوا وسعهم لحفظ الحديث بأسانيده في مصنفات ومسانيد تكفل لأهل العلم معرفة القوى من الضعيف ، خشية تسرب الكذب إلى حديثه صلى الله عليه وسلم ، ثم اجتهد كبار العلماء في جمع الحديث الصحيح على أسلم قواعد الثبت العلمي ، فرحلوا في طلب ذلك ، وسمعوا بأنفسهم ، وثبتوا وسعهم ، وكتبوا بأيديهم ، فظهرت الكتب المجردة من الضعيف وأجمعت الأمة الإسلامية — التي فهمت الإسلام واتخذته سبيلها في مختلف وجوه حياتها — على صحة (صحيح البخاري) و (صحيح مسلم) ، فإذا اعترف المستشرقون ببعض الحقيقة العلمية ، وأقروا جانباً مما أثبتته المصادر الإسلامية ، فلا يجوز لنا على أي حال أن نقبل ما ذهبوا إليه من طعن في

صاح السنة ، باسم طيبة تطور الرواية أو غير ذلك ، كما لا يجوز لنا أيضاً أن نقبل منهم إضعاف ثقتنا باستظهار السنة وحفظها مادام قد ثبت تقييد بعض الحديث منذ عهده صلى الله عليه وسلم ، فلا تعارض بين حفظ الحديث وكتابته ، ولا يقتضى وجود أحدهما انعدام الآخر أو ضعفه .

* * *

نتائج هذا الفصل :

(١) دونت أحاديث في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم وفي عهد الصحابة والتابعين ، ووصلنا بعضها في المسانيد والصحاح وبعضها مستقلاً ، وأشهر تلك الصحف التي دونت في عهده صلى الله عليه وسلم العهد الذي أمر الرسول عليه الصلاة والسلام بكتابته بين المسلمين ويهود المدينة ، والصحيفة الصادقة لعبد الله بن عمرو ، وبعض صحيفة جابر ، ومن أقدم ما وصلنا من عهد الصحابة صحيفة همام بن منبه عن أبي هريرة التي دونت قطعاً في العقد السادس من القرن الأول الهجرى .

٢ - تجلّى لنا من البحث كثرة الكتب والمصنفات في أول القرن الهجرى الثانى .

٣ - إذا بحث نسبة (مجموع زيد) إلى الإمام زيد - وهو الراجح - يكون لدينا دليل مادى قوى على ما صنف في أوائل القرن الهجرى الثانى .

٤ - إن محاولة أمير مصر جمع الحديث في العقد الثامن من القرن الأول الهجرى دليل على اهتمام ولاية المسلمين بالحديث ، وحرصهم على حفظه ، ومحاولة رسمية من أولى الأسر لجمع السنة قبل الزمن المشهور بربع قرن .

٥ - لم تسل أبحاث المستشرقين من الخطأ المقصود أو غير المقصود ، ولم يصب (جولد تسيهر) في تصويره واستنباطه من الأخبار الواردة في كراهة الكتابة وإباحتها ، حين ظن قيام خزيين متخاصمين ، أهل رأى ، بضمون ما ينفي التدوين ليتمكنوا من الظعن في بعض الأحاديث ورفضها حسب ميولهم وأهوائهم ، وأهل حديث ، وضعوا ما يروق لهم من الأخبار التي تثبت التدوين ليتمكنوا من الاحتجاج ببعض الأحاديث التي تخدم غاياتهم وأهواءهم . فعلماء المسلمين وفقهاؤهم أرفع بكثير مما تصوره (جولد تسيهر) ، وقد نهجوا جميعاً المنهج العلمى الدقيق فى سبيل الحفاظ على الشريعة الإسلامية .

وبعد أن اطلعنا على تاريخ السنة ، منذ عهد الرسول صلى الله عليه وسلم حتى منتصف القرن الهجرى الثانى تقريباً ، وعرفنا كيف حفظت وكيف نقلت ورويت جيلاً عن جيل ، حتى وصلتنا سالة خالصة من كل شائبة - أرى من واجبي أن أعرف بمشاهير رواة الحديث من الصحابة والتابعين ، لنطلع على مكانتهم العلمية ، ونعلم قيمة رجال الحديث الذين حافظوا على السنة ، وصانوها عبر الزمان ، ونقلوها إلينا بكل أمانة ، فهم سندنا ، وسيلتنا إلى الرسول صلى الله عليه وسلم وإلى سنته الطاهرة ، وهذا ما سأبحثه فى الباب التالى يعون الله .

* * *

الباب الخامس

(عَدَدُ) رُوَاةِ الْحَدِيثِ مِنْ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ

- الفصل الأول : بعض أعلام الرواة من الصحابة .
- الفصل الثاني : بعض أعلام الرواة من التابعين .

الفصل الأول

بعض أعلام الرواة من الصحابة

وفيه

١ - تعريف الصحابي ، لغة وشرعاً .

٢ - طبقات الصحابة .

٣ - كيف يعرف الصحابي .

٤ - عدالة الصحابة .

٥ - عدد الصحابة .

٦ - علم الصحابي .

٧ - المكثرون من الصحابة :

- أبو هريرة .
- عذاقة بن عمر .
- أنس بن مالك .
- عائشة أم المؤمنين .
- عذاقة بن عباس .
- جابر بن عبد الله .
- أبو سعيد الخدري .

١ - تعريف الصحابي :

الصحابي لغة : مشتق من الصحبة ، وائس مشتقاً من قدر خاص منها ، جل هو جار على كل من صحب غيره قليلا كان أو كثيراً ، كما أن القول : مكلم ومخاطب وضارب مشتق من المسكالة ، والمخاطبة والضرب ، وجار على كل من وقع منه ذلك قليلا كان أو كثيراً ، وكذلك جميع الأسماء المشتقة من الأفعال .

وكذلك يقال صحب فلانا حولاً ودهرأ وسنة وشهراً ويوماً وساعة فيوقع اسم المصاحبة بقليل ما يقع منها وكثيره^(١) .

والصحابي عند الحديثين :

هو كل مسلم رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم^(٢) ، قال البخاري في صحيحه : من صحب النبي صلى الله عليه وسلم أو رآه من المسلمين فهو من أصحابه ، وذكر الإمام أحمد من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل بدر ، ثم قال : أفضل الناس بعد هؤلاء أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، القرن الذي بعث فيهم ، كل من صحبه سنة أو شهراً أو يوماً أو ساعة أو رآه فهو من أصحابه ، له من الصحبة على قدر ما صحبه ، وكانت سابقته معه ، وسمع منه ونظر إليه^(٣) .

(١) انظر الكفاية في علم الرواية ص ٥١ ، وفتح المغيث ص ٣١ ج ٤ عن أبي بكر الباقلي ، وانظر لسان العرب ص ٧ ج ٢ .

(٢) انظر مقدمة ابن الصلاح ص ١١٨ والباعث الحديث ص ٢٠١ وتدريب الراوي ص ٣٩٦ وفتح المغيث ص ٢٩ ج ٤ .

(٣) الكفاية ص ٥١ وفتح المغيث ص ٢٧ ج ٢ .

قال ابن الصلاح : (بلغنا عن أبي المظفر السمعاني المروزي أنه قال : أصحاب الحديث يطلقون اسم الصحابة على كل من روى عنه حديثاً أو كلمة ، ويتوسمون حتى يعدون من رآه رؤية من الصحابة ، وهذا لشرف منزلة النبي صلى الله عليه وسلم أعطوا كل من رآه حكم الصحابة^(١)) .

وقال آخرون : لا بد في إطلاق الصحبة مع الرؤية أن يروى حديثاً أو حديثين^(٢) .

قال الواقدي : (ورأيت أهل العلم يقولون : كل من رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد أدرك الحلم فأسلم وعقل أمر الدين ورضيه فهو عندنا بمن محب النبي صلى الله عليه وسلم ولو ساعة من نهار^(٣)) إلا أن تعريف الواقدي هذا يخرج بعض الصحابة الذين رأوا رسول الله وهم دون الحلم ورووا عنه ، كبعد الله بن عباس والحسن والحسين وابن الزبير وغيرهم رضى الله عنهم ، ولذلك قال العراقي : (والتقييد بالبلوغ شاذ)^(٤) .

قال إمام التابعين سعيد بن المسيب : (الصحابة لانعدم إلا من أقام مع رسول الله صلى الله عليه وسلم سنة أو سنتين ، وغزاه معه غزوة أو غزوتين)^(٥) .
قال ابن الصلاح : (وكان المراد بهذا — إن صح عنه — راجع إلى المحكي عن

(١) مقدمة ابن الصلاح ص ١١٨ وفتح المنيب ص ٣٠ - ٣١ ج ٤ .

(٢) انظر الباعث الخثيث ص ٢٠٣ وفتح المنيب ص ٣٢ ج ٤ .

(٣) تلقيح فهم أهل الآثار ص ٢٧ : ب ونحوه في فتح المنيب ص ٣٢ ج ٤ ، والكفاية

ص ٥١ .

(٤) فتح المنيب ص ٣٢ ج ٤ .

(٥) الكفاية ص ٥٠ - ٥١ والباعث الخثيث ص ٢٠٣ وتلقيح فهم أهل الآثار ص ٢٧ ب

وتدريب الراوى ص ٣٩٨ .

الأصوليين ولكن في عبارته ضيق يوجب ألا يعد من الصحابة جرير بن عبد الله البجلي ومن شاركه . . . (١)

قال العراقي : (ولا يصح هذا عن ابن المسيب ، ففي الاسناد إليه محمد بن عمر الواقدي ضعيف في الحديث) (٢) .

قال ابن الجوزي : (وعموم العلماء على خلاف قول ابن المسيب ، فإنهم عدوا جرير بن عبد الله (البجلي) من الصحابة ، وإنما أسلم في سنة عشر . وعدوا من الصحابة ، من لم يفز معه ، و (من) توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو صغير السن ، ولم يجالسه ولم يماشه ، فألحقوه بالصحابة إلحاقاً وإن كانت حقيقة الصحبة لم توجد في حقه (٣)) .

قال ابن حجر : (أصبح ما وقفت عليه من ذلك أن الصحابي : من لقي النبي صلى الله عليه وسلم مؤمناً به ، ومات على الإسلام ، فيدخل فيمن لقيه من طالت مجالسته أو قصرت ، ومن روى عنه أو لم يرو ، ومن غزا معه أو لم يفز ، ومن رآه رؤية ولم يجالسه ، ومن لم يره لعارض كالعمى (٤)) وهو رأى الجمهور .

والرؤية عند أنس بن مالك رضي الله عنه لا تكفي لجعل الرائي صحابياً . روى شعبة عن موسى السجستاني وأثنى عليه خيراً ، قال : (قلت لأنس بن مالك : هل بقي من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أحد غيرك ؟ قال : ناس من

(١ و ٢) فتح البعث ص ٣٢ ج ٤ .

(٣) تنقيح فہوم أهل الآثار ص ٢٧ . ب .

(٤) الإصابة ص ٤ ج ١ وهكذا ليس من عاصري الرسول صلى الله عليه وسلم ، ولم يره صحابياً كما قاله بعضهم ، انظر جميع المراجع السابقة .

الأعراب رأوه ، فأما من محبه فلا . رواه مسلم بحضرة أبي زرعة^(١) .

قال أبو بكر الباقلاني (٣٣٨ - ٤٠٣ هـ) بعد أن عرف الصحابي لغة :
(وكذلك يقال : صحبت فلاناً حولاً ودهراً وسنة وشهراً ويوماً وساعة ، وذلك
يوجب في حكم اللغة إجراء هذا على من صحب النبي صلى الله عليه وسلم ، ولو ساعة
من نهار ، هذا هو الأصل في اشتقاق الإسم . ومع هذا فقد تقرر الأمة^(٢)
عرف في أنهم لا يستعملون هذه التسمية إلا فيمن كثرت محبته ، واتصل لقاؤه ،
ولا يجرون ذلك على من اتى المرء ساعة ومشى معه خطأ ، وسمع منه حديثاً ، فوجب
لذلك ألا يجرى هذا الإسم في عرف الاستعمال إلا على من هذه حاله .^(٣)
ومع هذا فإن خير الثقة الأمين عنه مقبول ومعمول به وإن لم تطل صحبتته ،
ولا سمع منه إلا حديثاً واحداً . فقول أنس رضي الله عنه لا يخالف عرف الأمة ،
وغما لاشك فيه أن الصحابة على درجات محسب تقدمهم وبلانهم في الإسلام

وإلى رأى الجمهور أميل وبه أقول ، لأنه في الحقيقة لم يرو صحابي عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم حديثاً إلا قد ثبتت عدالته عند جها بذة هذا العلم ، بتطبيق
قواعد النقد العلمى الصحيحة ، التى طبقوها فى علم الحديث على سائر الرواة ،
وسيتجلى لنا ما ذهبت إليه عندما نتكلم عن عدالة الصحابة .

(١) الباعث الحديث ص ٢٠٣ ، قال ابن الصلاح : وإسناده جيد حدث به مسلم بحضرة
أبي زرعة . وانظر فتح الميث ص ٣١ ج ٤ وقال : فى كلام أبي زرعة الرازى وأبى داود
ما يقتضى أن الصعبة أخس من الرؤية فانهما قالوا فى طارق بن شهاب : له رؤية وليس له محبة ، .
وقال غامر الأحول : قد رأى عبد الله بن سرجس رسول الله صلى الله عليه وسلم غميراً أنه لم يكن
له محبة . . .)

وقال ابن كثير : (وهذا إنما نفي فيه الصعبة الخاصة ، ولا ينفي ما اصطلى عليه الجمهور من
أن مجرد الرؤية كاف فى إطلاق الصعبة .) الباعث الحديث ص ٢٠٣ ، وانظر الكفاية ص ٥٠ .
(٢) فى الكفاية ص ٥١ للأمة ، وفى فتح الميث (للأمة) .

(٣) الكفاية ص ٥١ وفتح الميث ص ٣١ ج ٤ .

والصحابي عند الأصوليين أو بعضهم : هو كل من طالت مجالسته للرسول صلى الله عليه وسلم ، على طريق التبع له والأخذ عنه ^(١) وقول أنس بن مالك وسعيد بن المسيب قريب من قول الأصوليين .

٢ — طبقات الصحابة :

صحيح أن أصحاب الحديث يطلقون اسم الصحبة على كل من روى عن النبي صلى الله عليه وسلم حديثاً أو كلمة ، ويتوسعون حتى إنهم يعدون من رآه رؤية من الصحابة ، قالوا هذا لشرف منزلة النبي صلى الله عليه وسلم ، إلا أن الصحابة رضى الله عنهم طبقات ودرجات ، فهناك السابقون في الإسلام ، الذين طالت صحبتهم ، وبذلوا أموالهم ودماءهم للدعوة ، وهناك من رآه في حجة الوداع رؤية ، وبين هؤلاء وهؤلاء درجات ومراتب كثيرة ، وهناك من لازمة في الليل والنهار ، في حله وظلعه ، في صيامه وفطره ، في مرحه عليه الصلاة والسلام وجده ، في جهاده ومناسكه ، وعرف عنه كثيراً من دقائق الأعمال وشريف السنن ، فلا يعقل أن يكون جميع الصحابة في مرتبة واحدة ، ولا يتصور هذا في ميزان العدالة والمنطق ، لذلك كان الصحابة طبقات بأجماع الأمة ، واختلف المؤلفون في تصنيف الصحابة إلى طبقات ، فجعلهم ابن سعد خمس طبقات ، وجعلهم الحاكم اثنتي عشرة طبقة ، وزاد بعضهم أكثر من ذلك ^(٢) .

(١) انظر تدريب الراوى ص ٣٩٧ ، وفتح المغيث ص ٣١ و ٣٢ ج ٤ حكاه أبو اللفظ الدماغي عن الأصوليين وقال : (إن اسم الصحابي يقع على ذلك من حيث الثقة والظاهر ، وحكاه الأمدى وابن الحاج وغيرهما ، وبه جزم ابن الصباغ في المدة فقال : الصحابي هو الذي اتى النبي وأقام عنده وأتبعه ، فأما من وفد عليه وانصرف عنه من غير صاحبة ولا متابعة ، فلا ينصرف إليه هذا الاسم) .

(٢) انظر الباعث المغيث ص ٢٠٧ ، وفتح المغيث ص ٤٠ و ٤١ ج ٤ وتدريب الراوى ص ٤٠٧ .

والشهور ماذهب إليه الحاكم ، وهذه الطبقات هي : (١)

- ١ - قوم تقدم إسلامهم بمكة ، كالأخفاء الأربعة .
- ٢ - الصحابة الذين أسلموا قبل تشاور أهل مكة في دار الندوة .
- ٣ - مهاجرة الحبشة .
- ٤ - أصحاب العقبة الأولى .
- ٥ - أصحاب العقبة الثانية ، وأكثرهم من الأنصار .
- ٦ - أول المهاجرين الذين وصلوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم بقبلة قبل أن يدخل المدينة .
- ٧ - أهل بدر .
- ٨ - الذين هاجروا بين بدر والحديبية .
- ٩ - أهل بيعة الرضوان في الحديبية .
- ١٠ - من هاجر بين الحديبية وفتح مكة ، كخالد بن الوليد وعمر بن الخطاب وأبي هريرة (٢) .

- ١١ - مسلمة الفتح ، الذين أسلموا في فتح مكة .
- ١٢ - صبيان وأطفال رأوا النبي صلى الله عليه وسلم يوم الفتح وفي حجة الوداع وغيرها .

وقد أجمع أهل السنة على أن أفضل الصحابة أبو بكر ثم عمر ، ولم يختلف أحد من الصحابة والتابعين في أفضليتهم على جميع

(١) معرفة علوم الحديث ص ٢٢ - ٢٤ .

(٢) لا يصح التمثيل بأبي هريرة فإنه هاجر قبل الحديبية عقب خيبر بل في أواخرها ، فظهر فتح النبي ص ٤٠ ج ٤ . وانظر ترجمته في هذا الكتاب .

الصحابة^(١) ، ثم عثمان بن عفان ، ثم علي ، وحكى الخطابي عن أهل السنة من الكوفة تقديم علي على عثمان ، وبه قال ابن خزيمة ، ثم بعدهم بقية العشرة المبشرين بالجنة^(٢) ، ثم أهل بدر ، ثم أحد ، ثم بيعة الرضوان ، ومن لهم منزلة أهل العقبتين من الأنصار ، والسابقون الأولون ، وهم من صلى القباتين في قول ابن المسيب ومحمد بن سيرين وقتادة ، وفي قول الشعبي أهل بيعة الرضوان ، وفي قول محمد بن كعب وعطاء بن يسار أهل بدر ، وقيل : هم الذين أسلخوا قبل الفتح ، وهو قول الحسن البصري^(٣) .

٣ - كيف يعرف الصحابي ؟

يعرف الصحابي بأحد الأدلة التالية :

١ - الخبر المتواتر : كإبي بكر وعمر وبقية العشرة المبشرين بالجنة رضي

الله عنهم .

٢ - الخبر المشهور أو المستفيض القاصر عن حد التواتر ، كمكاشة بن

مُحْضَن ، وضمام بن ثعلبة .

٣ - أن يتخير أحد الصحابة عنه أنه صحابي ، كحمة بن أبي حمزة الدوسي

الذي توفي بأصبهان مبطونا ، فشهد له أبو موسى الأشعري أنه سمع النبي صلى

الله عليه وسلم .

(١) وإنما الخلاف في عثمان وعلى رضي الله عنهما ، ولا مبالاة بأقوال أهل التتبع

ولا أهل البدع .

(٢) انظر الباعث الحثيث ص ٢٠٨ وفتح المفتي ص ٤١ وتدريب الراوي ص ٤٠٧ وتعمام

العصرة المبشرين بالجنة : سعد بن أبي وقاص ، وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل ، وطلحة بن عبيد الله ، والزبير بن العوام ، وعبد الرحمن بن عوف ، وأبو عبيدة عامر بن الجراح .

(٣) انظر تدريب الراوي ص ٤٠٩ والباعث الحثيث ص ٢٠٨ وفتح المفتي ص ٤٣ ج ٤ .

٤ - أن يخبر عن نفسه بأنه صحابي بعد ثبوت عدالته ومعاصرته للرسول صلى الله عليه وسلم ^(١).

٥ - أن يخبر أحد التابعين بأنه صحابي بناء على قبول الزكية من واحد ، وهو الراجح ^(٢) . ويمكن ضم الثالث والخامس أحدهما إلى الآخر فنقول أن يخبر بذلك من تقبل شهادته ، فالصحة رتبة ومكانة لا تثبت لأحد إلا بدليل أو بيئة توافرت فيها جميع الشروط والأركان التي يجب أن تتوافر في كل بيئة ، فإذا قامت البيئة المقبولة لأحد في ذلك نال شرف الصحة .

٤ - عدالة الصحابة :

إن للصحة شرفاً عظيماً ، يمنح صاحبها ميزة خاصة ، وهي أن جميع الصحابة عند من يعتقد به من أهل السنة عدول ، سواء من لابس منهم الفتن ومن لم يلبس ^(٣) ، وهو قول الجمهور .

وقال قوم : إن حكمهم في العدالة حكم من بعدم في لزوم البحث عن عدالتهم عند الرواية .

ومنهم من قال : إنهم لم يزالوا عدولا إلى أن وقع الاختلاف والفتن بينهم فبعد ذلك لا بد من البحث في عدالتهم .

(١) راجع تفصيل ذلك في فتح المغيث ص ٣٤ ج ٤ وتدريب الراوى ص ٤٠٠ والباعث الحثيث ص ٢١٥ والروض الباسم ص ١٢٨ - ١٣٠ .

(٢) انظر تدريب الراوى ص ٤٠٠ وهذا ما زاده ابن حجر على ما ذكره غيره من طرق معرفة الصحابي ، وقد استخرجت هذه الطرق من المراجع السابقة : فتح المغيث ص ٣٤ ج ٤ وتدريب الراوى ص ٣٩٩ والباعث الحثيث ص ٢١٥ ، والكفاية ص ٥١ .

(٣) انظر الكفاية ص ٤٦ - ٤٩ والباعث الحثيث ص ٢٠٥ ، وفتح المغيث ص ٣٥ ج ٤ وتدريب الراوى ص ٤٠٠ .

ومهم من قال — وهم المتميزة^(١) — : إن كل من قاتل علياً علماً فهو فاسق مردود الرواية والشهادة ، لخروجهم على الامام الحق .

ومهم من قال برد رواية الكل وشهادتهم ، لأن أحد الفريقين فاسق وهو غير معلوم ولا معين .

ومهم من قال : يقبل رواية كل واحد منهم وشهادته إذا انفرد ، لأن الأصل فيه العدالة ، وقد شككنا في فسقه ، ولا يقبل ذلك منه مع مخالفه ، لتحقيق فسق أحدهما من غير تعيين .

والخيار إنما هو مذهب الجمهور من الأئمة ، وذلك بالأدلة الدالة على عدالتهم وبراءتهم وتميزهم على من بعدهم^(٢) .

قال ابن حزم : (نقول بفضل المهاجرين الأولين بعد عمر بن الخطاب . . . ثم بعد هؤلاء أهل العقبة « الأنصار الذين يابوهم بيعة العقبة » ، ثم أهل بدر ثم أهل المشاهد مشهداً مشهداً ، وأهل كل مشهد أفضل من المشهد الذي بعده حتى يبلغ الأمر إلى الحديبية ، فكل من تقدم ذكره من المهاجرين والأنصار رضي الله عنهم إلى تمام بيعة الرضوان فإننا نقطع على غيب قلوبهم أنهم كلهم مؤمنون صالحون^(٣) ، ماتوا كلهم على الإيمان والهدى والبر ،

(١) صرح بذلك ابن كثير في التبايع الحثيث ص ٣٠٥ .

(٢) انظر الأحكام في أصول الأحكام للامدني ص ١٢٨ ج ٢ ونحوه في فتح المغيب

ص ٣٦ ج ٤ .

(٣) بالرغم من مكانة الصحابة ، وبذلهم وتفانيهم من أجل الدعوة ، (طعن النظام في أكثر الصحابة ، وأسقط عدالة ابن مسعود ، ونسب إلى الضلال من أجل روايته عن النبي صلى الله عليه وسلم : إن العبد من سعد في بطن أمه ، والشفق من شقي في بطن أمه . . . وما ذاك منه إلا لإسكارة معجزات النبي صلى الله عليه وسلم ، وطعن في فتاوى عمر رضي الله عنه من أجل أنه أحد في الحرمانين ، وتوفي نصر بن الحجاج حين خاف فتنة نساء المدينة به . . . وطعن في فتاوى علي رضي الله

كلهم من أهل الجنة ، لا يلج أحد منهم النار^(١) .

== عنه ، لقوله في أمهات الأولاد ... وثلب عثمان رضى الله عنه . ونسب أبا هريرة إلى الكذب من أجل أن الكثير من رواياته على خلاف مذاهب القدرية ، وطعن في تناوئ كل من أفنى من الصحابة والاجتهاد .. ونسب أخيار الصحابة إلى الجهل والنفاق ...)

كما أن واصل بن عطاء زعم المعتزلة بشك في عدالة علي وابنه ، وابن عباس وطلحة والزبير وعائشة ، وكل من شهد حرب الجمل من الفريقين ، ولذلك قال : لو شهد عندى على وطلحة على باقة بقل لم أحكم بشهادتهما ، اعلمى بأن أحدهما فاسق ولا أعرفه . سبته ، فشك في عدالة علي وطلحة ، والزبير ، مع شهادة النبي عليه الصلاة والسلام لهؤلاء الثلاثة بالجنة ، ومع دخولهم في بيعة الرضوان ، وفي جملة الذين قال الله تعالى فيهم : « فقد رضى الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة » سورة الفتح الآية (١٨) .

وقد كان أبو الهذيل والجاحظ ، وأكثر القدرية في هذا الباب على رأى واصل بن عطاء فيهم . انظر الفرق بين الفرق لعبد القاهر بن طاهر البغدادى ص ٣٠٤ — ٣٠٧ وانظر مختلف تأويل الحديث ص ٢١ — ٣٧ وما بعدها .

وأما الحوارج فقد كفروا عليا وابنه ، وابن عباس ، وأبا أيوب الأنصارى ، وكفروا عثمان وعائشة وطلحة والزبير ، وكفروا كل من لم يفارق عليا ومعاوية بعد التحكيم .
وأما الزيدية منهم ، فالجارودية منهم يكترون أبا بكر وعمر وعثمان وأكثر الصحابة ، وكذلك السليمانية والبصرية .

وأما الإمامية منهم فقد زعم أكثرهم أن الصحابة ارتدت بعد النبي صلى الله عليه وسلم ، سوى علي وابنه ومقدار ثلاثة عشر منهم .

وزعمت الكلبية منهم أن عليا أيضا ارتد وكفر بتركه فتألم . (الفرق بين الفرق ص ٣٠٧ — ٣٠٨) .

أقول : هذا وم واتباع هوى فاسد لا يقول به من عرف للصحابة قدرهم وإنهم ومكانتهم وإن كل ما جرى بينهم في الفتنة من باب الاجتهاد ، وإن لمن اجتهد وأصاب أجرين وإن أخطأ أجر ، فلا سبيل لأحد أن يحط من قدرهم ، ويطعن في عدالتهم (ثم أقول : كيف يكون إرافضة الحوارج والقدرية والجهمية والنجارية ، والبيكرية . والضرارية موافقين للصحابة ؟ وهم بأجمعهم لا يقبلون شيئا مما روى عن الصحابة في أحكام الشريعة لامتناعهم من قبول روايات الحديث والسير والمغازى ، من أجل تكفيرهم لأصحاب الحديث الذين هم نقله الأخبار والآثار ورواة التواريخ والسير ... ولم يكن محمد الله ومنه في الحوارج ولا في الرافض ولا في الجهمية ولا في القدرية ولا في المجهمة ولا في سائر أهل الأمواء الضالة قط إمام في الفقه ، ولا إمام في رواية الحديث .) (الفرق بين الفرق ص ٣٠٨) .

(١) ابن حزم حياته وعصره وآراؤه الفقهية لأبي زهرة ص ٢٥٩ .

ويتبين لنا من كلام ابن حزم أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بيعة الرضوان في غزوة الحديبية كلهم من أهل الجنة ، معتمدا في ذلك على ما ورد من نصوص في القرآن والسنة ، وأما من جاؤوا بعد هؤلاء فلم يقطع بأنهم من أهل الجنة .

وقال شارح مسلم الثبوت : (إن عدالة الصحابة مقطوعة لاسيما أصحاب البدر وبيعة الرضوان ، كيف لا وقد أثنى عليهم الله تعالى في مواضع عديدة من كتابه ، وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم فضلهم غير مرة)^(١) .

ويقول في موضع آخر : (واعلم أن عدالة الصحابة الداخلين في بيعة الرضوان والبدرين كلهم مقطوع العدالة ، لا يليق لمؤمن أن يمتري فيها ، بل الذين آمنوا قبل فتح مكة أيضاً عادلون قطعاً ، داخلون في المهاجرين والأنصار ، وإنما الاشتباه في مسلمي فتح مكة ، فإن بعضهم من مؤافة القلوب ، وهم موضع الخلاف ، والواجب علينا أن نكف عن ذكرهم إلا بخير فافهم)^(٢) . فسلمو الفتح لم ينص على عدالتهم ومع هذا يوجد ما يدل على عدالتهم ، وسنتعرض لهذا بعد قليل .

وقد ورد في الصحابة ما يوجب لهم العدالة ، ويجعلهم في ذروة الثقة والاثمان ، فقد زكاهم الله تعالى ورسوله ، وتقبلت الأمة ذلك بالإجماع ، فلا سبيل إلى الطعن في أكابرهم كما فعل بعض أهل الأهواء قديما وحديثاً^(٣) .

(١) شرح مسلم الثبوت من ١ - ٤ - ٢ .

(٢) المنهج الحديث في علوم الحديث من ٦٢ عن شرح مسلم الثبوت .

(٣) سبق أن بينا طعن بعض المنحرفين قديما في الصحابة ، ومن الطاعنين المحدثين . عبد الحسين شرف الدين في كتابه (أبو هريرة) وأبو رية في كتابه (أضواء على السنة) ، وقد تصدى لها أكابر علماء العصر ، وبعد قليل نغد ذلك في بحثنا عن بعض أعلام الرواة .

١ - أدلة عدالة الصحابة من الكتاب :

قال تعالى : « مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رَحِمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا ، سِيَاهُكُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ، ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ ، وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ ، وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ^(١) » .

وقال عز من قائل : « وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ، ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ^(٢) » .

وقال : « وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَانصَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ^(٣) » .

وقال : « لِلْقُرَّاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ، أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ . وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ

(١) : ٢٩ : التوبة

(٢) : ١٠٠ : التوبة

(٣) : ٧٤ : الأنفال

وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ، وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ .
وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ : رَبَّنَا اغْنِرْنَا لَنَا وَلَاخَوَانِنَا الَّذِينَ
سَبَّوْنَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ
رَؤُوفٌ رَحِيمٌ ^(١) .

وقال تعالى : « لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ
الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَنَّا لَهُمْ فَتْحًا
قَرِيبًا ^(٢) » .

تلك آيات كريمة تشهد بفضل ومكانة جميع الصحابة الذين كانوا مع
رسول الله صلى الله عليه وسلم من أول الدعوة حتى غزوة الحديبية ، وهناك آيات
أخرى تذكر فضلهم في كثير من المواقف في الهجرة والجهاد والغزوات .
وإن هذه وتلك أدلة قطعية — كما ذكر شارح مسلم الثبوت وابن حزم — تنص
على عدالة الصحابة ، لقد رضى الله عنهم ورضوا عنه ، فهل بعد ذلك نطاب
رضاء الناس عنهم وتعديلهم لإيام ، وهل لإنسان بعد ذلك أن يظعن في صحابة
نص على عدالتهم ولم يبد منهم ما يجرحهم أو يقدرح فيهم ، وعجب كل العجب
بما يدعى البحث عن الحق والعمل على جمع الكلمة وتوحيد صفوف المسلمين
أن يظعن في الصحابة الكرام ، بل يسف في ذلك وينحط إلى الخضيض ،
حين يتهم ويسخر من بعضهم ، ويرى أن كثيراً من روايات بعض الصحابة
كانى هريرة التي جاءت في الصحيحين كذب ، وأن الجمهور أخذوا بها في فروع

(١) ٨ - ١٠ : الحشر

(٢) ١٨ : الفتح

الدين معتمدين في ذلك كله على عدالة الصحابة جميعاً ، ويقول هذا الطاعن — وهو عبد الحسين شرف الدين — : (ولا عجب منهم « الجمهور » في ذلك بسد بنائهم على أصالة العدالة في الصحابة أجمعين حيث لا دليل على هذا الأصل ^(١) ...) .

فهل بعد هذه الآيات مجال للشك في عدالة الصحابة الذين أسلموا قبل الفتح ؟ إن النصوص تنطق واضحة بذلك لا تحتمل التأويل والظن ، ولكن الهوى المتبع يحمل صاحبه على إنكار الحق ولو كان كالشمس في رابعة النهار « يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ » ^(٢) . وسرى في الأحاديث التالية تأكيدها واضحاً لمنزلة للصحابة الرفيعة .

٢ — أدلة عدالة الصحابة من السنة :

في صحاح السنة أحاديث كثيرة تشهد بفضل الصحابة جملة وآحاداً ، وفي أكثر المكتب كصحيح البخاري والجامع الصحيح لمسلم والسنن الأربعة وغيرها أبواب خاصة في فضل الصحابة .

من ذلك ما رواه أبو سعيد الخدري قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لَا تَسُبُّوا أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِي ، فَإِنْ أَحَدَكُمْ لَوْ أَتَقَى مِثْلَ أَحَدٍ ذَهَبًا مَا أَدْرَكَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلَا نَصِيفَهُ » ^(٣) .

(١) أبو هريرة لعبد الحسين شرف الدين : المصنعة الأولى من الكتاب . والكتاب كله طبع في إفتاء وتشكيك في الصحاح والسنن ونحوها فيه صريح . وسأعرض بإيجاز له في بحثي من أبي هريرة .

(٢) ٣٢ : التوبة

(٣) صحيح مسلم ص ١٩٦٨ ج ٤ .

ومنها ما رواه عبد الله بن مُنْقَلٍ وأخرجه الترمذى وابن حبان فى صحيحه
قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الله الله فى أصحابي ، لا تتخذوهم
غرضاً بعدى ، فَن أَحِبَّهُمْ فَيَحِبُّي أَحِبَّهُمْ ، ومن أَبْغَضَهُمْ فَيَبْغِضِي أَبْغَضَهُمْ ،
ومن آذَاهُمْ فَقَدْ آذَانِي ، ومن آذَانِي فَقَدْ آذَى اللَّهَ ، ومن آذَى اللَّهَ يُوْشِكُ
أَنْ يَأْخُذَهُ ^(١) » .

وعن أبى موسى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « النجومُ أمانةٌ
للسماء ، فإذا ذهبَتِ النُّجُومُ أتى السماء ما توعَدُ ، وأنا أمانةٌ لأصحابي ،
فإذا ذهبَتُ أتى أصحابي ما يؤعدون ، وأصحابي أمانةٌ لأمتي ، فإذا ذهبَ أصحابي
أتى أمتي ما يؤعدون » ^(٢) .

وقد يقول قائل إن هذه الأدلة تتناول أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
الذين كانوا معه قبل الفتح ، وأما من أسلم بعد الفتح فلا دليل على عدائهم ،
فأسوق جواباً له قول الدكتور محمد السامح : (وأما مسألة الفتح والأعراب
الوافدون على رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو لا لم يتحولوا من السنة مثل
ما تحمّل الصحابة الملائمون لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومن تعرض منهم
للوأية كحكيم بن حزام ، وعتاب ، وغيرهم عرفوا بالصدق والديانة ، وغاية
الأمانة . على أنه ورد ما يحملهم أفضل ممن سواهم ، من القرون بعدهم ، كقوله
صلى الله عليه وسلم « خيرُ القرون قري ، ثم الذين يَلُونَهُمْ ثم الذين يَلُونَهُمْ
ثم يفشو الكذب » وهو حديث صحيح مروي فى الصحيحين وغيرها بألفاظ

(١) الكفاية ص ٤٨ ، واظفر الجائع الصغير ص ٥٤ ج ١ .

(٢) صحيح مسلم ص ١٦٦ ج ١ ، واظفر تقيع فهوم أمل الآثار ص ٢٦ ج ٢ .

واظفر تيسير الوصول إلى جامع الأصول ص ٢٢٦ - ١٦١ ج ٣ حيث أخرج كثيراً من
الإمام مالك والبخاري وأصحاب السنن فضل الصحابة .

مختلفة^(١) ، والخيرية لانكون إلا للعدول الذين يلتزمون الدين والعمل به ،
وقال تعالى : « كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ : تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ
عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ »^(٢) .

والخطاب الشفهي لصحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومن حضر
نزل الوحي ، وهو يشمل جميعهم ، وكذلك قوله تعالى : « وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ
أُمَّةً وَسَطًا لِنَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ
شَهِيدًا ... »^(٣) « وسطاً : عدولاً ... »

فالإسلام كان في أول شبابه فتياً وقوياً في قلوب من أذعنوا له ،
واتبعوا هداه ، وتمسكوا بمبادئه ، واصطبغوا بصبغته ، فسكانت العدالة
قوية في نفوسهم ، شائعة في آحادهم ، حتى إننا نرى الذين وقعوا منهم في الكبائر
ما لبثوا أن ساقطهم عزائمهم إلى الاعتراف وطالب الحد ، ليظهر بها أنفسهم ،
وسارعوا إلى التوبة حيث تاب الله عليهم ، ولا يريد بقولنا الصحابة عدول ،
أكثر من أن ظاهرهم العدالة . اهـ^(٤) ، لا يبحث عنها عالم يطمئن فيها .
ثم إن الجرح لا يذيعه ولا يشبهه أى إنسان كيف شاء ومتى شاء ، فالجرح
والتعديل رجال جهابذة أقيام ، يحشون الله لا يتبعون أهواءهم ، فلو سلمنا

(١) أول : انظر تيسير الوصول إلى جامع الأصول من ٢٢٦ - ٢٢٧ ج ٣ حيث أخرجه
عن الشيخين وعن أبي داود والترمذي والنسائي . ورواه الإمام أحمد بإسناد صحيح عن أبي هريرة
وفيه ثم يحرق قوم يحرقون السماء يشهدون قبل أن يستشهدوا) انظر مستند الإمام أحمد من ٩٠
حديث ٧١٢٣ ج ١٢ وانظر من ٢٩ حديث ٢٩٦٣ ج ٦ .

(٢) ١١٠ : آل عمران .

(٣) ١٤٣ : البقرة .

(٤) المنهج الحديث في علوم الحديث من ٦٣ .

جدلاً وجوب البحث عن بعض الصحابة إنهم وجهت إليهم ، فإنه لا يقبل هذا الجرح إلا ببيان غلته ، ولا يتصدى لهذا المتورون والمعرضون ، من أهل الأهواء وغيرهم ، بل يتصدى له عدول الأمة من أئمة الصدر الأول ، الذين خالطوا الصحابة ، وعاشوا معهم ، وعرفوا عنهم كل شيء إذ رب فضيلة عند النقاد العدول يراها المعرضون رذيلة ومنقصة ، وليست جميع الذنوب والمفوات مسقطاً للعدة .

وقد نص الفاروق عمر رضى الله عنه على عدالة الصحابة جميعاً إلا من أظهر ما يستقط عدالته فقال : (إن أناساً كانوا يؤخذون بالوحي في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإن الوحي قد انقطع ، وإنما آخذكم الآن بما ظهر من أعمالكم ، فمن أظهر لنا خيراً أمناء وقربناء ، وإيس إلينا من سريرته شيء ، الله يحاسبه في سريرته ، ومن أظهر لنا سوءاً لم نأمنه ولم نصدقه ، وإن قال إن سريرتي حسنة ^(١) .)

وقد أجمعت الأمة على عدالة الصحابة جميعاً إلا أفراداً معدودين اختلف في عدالتهم ممن لم يستقيموا بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولم لا يتجاوزون أصابع اليد الواحدة ^(٢) . فلا يجوز لأحد أن يتعداهم خشية أن يخالف الكتاب والسنة اللذين نصا على عدالتهم ، فبعد تعديل الله تعالى ورسوله لهم ، لا يحتاج أحد منهم إلى تعديل أحد ، على أنه لو لم يرد من الله تعالى ورسوله الكريم عليه الصلاة والسلام شيء في تعديلهم لوجب تعديلهم لما كانوا عليه من

(١) الكفاية ص ٧٨ .

(٢) راجع المواسم من القوامس لابن العربي ، فإنه يتناول أحوال الصحابة ويقتضي بعض الأنواع والطوائف ويوضح ما قبل فيهم ، ويثبت برائتهم . وذكر في الروض عباس ص ١٢٨ - ١٣٠ بعض من جرح من الصحابة .

فسام (مؤمنين) مع الاقتال . ويقال إنه لم يكن من الصحابة في الفريقين مائة ^(١) ، وقد بينت عدالتهم ، مع أنهم اشتركوا مع أحد الفريقين ، واشتركهم هذا لا يسلبهم العدالة لأنهم يجتهدون في ذلك .

واختتم الكلام في عدالة الصحابة جميعاً بقول أبي زرعة الرازي : (إذا رأيت الرجل ينتقص أحداً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فاعلم أنه زنديق ، وذلك أن الرسول حق ، والقرآن حق ، وما جاء به حق ، وإنما أدى ذلك كله إلينا الصحابة ، وهؤلاء الزنادقة يريدون أن يمحوا شهودنا ليبطلوا الكتاب والسنة ، فالجرح بهم أولى ^(٢)) .

٥ - عدد الصحابة :

إن حصر الصحابة رضى الله عنهم بالعد والإحصاء متعذر ، لتفرقهم في البلدان والبادى ، ولأنهم كثرة لا يمكن إحصاؤها ، ومن حذرهم من العلماء فإنه من ياب التقريب . وقد روى البخارى في صحيحه أن كعب بن مالك قال في قصة تحلفه عن غزوة تبوك : (وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كثير ، لا يجمعهم كتاب حافظ ^(٣)) .

ويمكننا أن نحد عددهم بمقد قريب من الحقيقة ، مما ورد في روايات بعض الصحابة والتابعين عن عددهم في بعض المشاهد .

(١) انظر الباعث الحديث ص ٣٠٦ .

(٢) السكافية ص ٤٩ .

(٣) فتح الميث ص ٣٩ ج ٤ . وقاؤه بنور البين ص ٢٤٦ - حيث ذكر عددهم (٣٠)

ألفا وقاؤه بتفريق يوم أهل الآثار ص ٢٧ : ب .

فمن ابن عباس رضي الله عنهما قال : (خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم
عشر مضين من رمضان فصام وصام الناس معه ، حتى إذا كانوا بالسكديد
أفطر ، ثم مضى في عشرة آلاف من المسلمين حتى نزل بحر صرار)^(١) . وكان
ذلك عام الفتح^(٢) .

وحج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حجة الوداع تسعون ألفاً من
المسلمين^(٣) .

سأل رجل أبا زرعة الرازي فقال له : يا أبا زرعة ، أليس يقال حديث النبي
صلى الله عليه وسلم أربعة آلاف حديث ؟ قال : ومن قال ذا ؟ قلقل الله أنيابه .
هذا قول الزنادقة ، ومن يحصى حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قبض
رسول الله صلى الله عليه وسلم عن مائة ألف وأربعة عشر ألفاً من الصحابة ممن
روى عنه وسمع منه . قيل : يا أبا زرعة ، هؤلاء أين كانوا وسمعوا منه ؟ قال :
أهل المدينة وأهل مكة ومن بينهما ، والأعراب ومن شهد معه حجة الوداع^(٤) .

من هذا يتبين أن من روى عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من
الصحابة كثيرون ، وقد نقلوا عنه خيراً عظيماً ، ويختلفون في مقدار ما حلوا عنه

(١) تليق فهو أهل الآثار من ٢٧ : ب . والكديد بين جارية بينها وبين المدينة سبع
مراحل أو نحوها . انظر معجم البلدان من ٢٢٤ ج ٧ . وأما بحر صرار ففي الأصل المخطوط
(مر الصران) وأطنه خطأ من الناسخ ، فاني لم أجده في معجم البلدان (الهران) أو (مر الصران) ،
وفيه (صرار) وهو موضع على ثلاثة أميال من المدينة على طريق العراق وقيل (صرار)
ماء قرب المدينة . انظر معجم البلدان من ٣٤٦ - ٣٤٧ ج ٥ . وكلا المصنفين منسب
لهذا المقام .

(٢) انظر صحيح مسلم من ٧٨٤ - ٧٨٥ ج ٢ .

(٣) انظر نور البقین من ٢٥٦ وفارن بتليق فهو أهل الآثار من ٢٧ : ب .

(٤) انظر نفع الحديث من ٣٩ ج ٤ وتليق فهو أهل الآثار من ٢٨ : آ .

باختلاف أحوالهم وسماعهم منه صلى الله عليه وسلم .

٦ - علم الصحابي :

لم يكن الصحابة على درجة واحدة من العلم بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأحواله وأقواله ، بل كانوا متفاوتين ^(١) لأن منهم المتفرغ الملازم لرسول الله عليه الصلاة والسلام ، يخدمه في معظم أوقاته ، كأنس وأبي هريرة رضي الله عنهما ، ومنهم من له ما شئت في البادية ، أو تجارة في الأفاق ، ومنهم البدوي والحضري والمقيم والظاعن ، وقد سبق أن بينت كيف كانوا يتلقون الأحكام والعلم عن الرسول صلى الله عليه وسلم ، لذلك كان الصحابة عليهم رضوان الله مختلفين في مقدار ما حملوا عنه عليه الصلاة والسلام . وفي ذلك يقول مسروق : (جالست أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم فوجدتهم كالإخاذا ، فالإخاذا يروى الرجل ، والإخاذا يروى الرجلين ، والإخاذا يروى المائة ، والإخاذا لو نزل به أهل الأرض لأصدرهم) ^(٢) .

ويمكننا أن نعرف علم الصحابي كما قال ابن حزم (لأحد وجهين لاثالث لهما ، أحدهما : كثرة روايته وفناويه ، والثاني : كثرة استعمال النبي صلى الله عليه وسلم له ، فمن الحال الباطل أن يستعمل النبي صلى الله عليه وسلم من لا علم له ، وهذا أكبر شهادات على العلم وسعته) ^(٣) .

(١) انظر رفع اللام عن الأئمة الأعلام لابن تيمية ص ٣ حيث تسلم من تفاوت الصحابة في الإلمام بالأحكام .

(٢) وثمة قول مسروق (فوجدت عبد الله بن مسعود من ذاك الإخاذا) طبقات ابن سعد ص ١٠٤ قسم ٢ ج ٢ والإخاذا هو البدير وجمعها آخاذا نادر . انظر لسان العرب مادة (أخذ) ص ٤ ج ٥ .

(٣) انقل في الملل والأهواء ، النجاشي لابن حزم ص ١٣٦ ج ٤ .

وهذا لا يكفي لمعرفة علم الصحابي وروايته ، لأن بعض الصحابة الذين
عرفت ملازماتهم للرسول صلى الله عليه وسلم وسبقهم للإسلام بالتواتر ، كأبي
بكر وعمر الذين حلا علما كثيراً عنه عليه الصلاة والسلام ، لم يظهر علمهم كله لنا ،
وبخاصة أبو بكر ، لأنه لم يعيش كثيراً بعد رسول الله ليحتاج إليه كما احتجج إلى
غيره ، فامتداد عمر الصحابي إلى جانب الوجهين السابقين اللذين ذكرهما ابن
حزم يكشف لنا عن علمه ومروياته ، كما أن ظهور أمور جديدة في الحياة مع
مر الزمن يكشف عن علم الصحابة ، لأنه يحتاج إلى ما عديم تجاه تلك الأمور
المتجددة ، وفي هذا يقول ابن حزم : (ثم وجدنا الأمر كلما طال كثرت الحاجة
إلى الصحابة فيما عندهم من العلم ، فوجدنا حديث عائشة رضي الله عنها أني مسند
ومائتي مسند وعشرة مسانيد وحديث أبي هريرة ...)^(١) .

ونحن في بحثنا هذا يهمننا الصحابة الذين رووا عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم ، وحلوا لنا الشريعة الحقيقية ، ونقلوا إلى من بعدهم أفعال الرسول عليه
الصلاة والسلام ونصرفاته دقيقة وعظيمة ، في سفره وحضره ، وظامنه وإقامته ،
وسائر أحواله من نوم وبقظة ، وإشارة وتصريح وصمت ونطق إلى غير ذلك .

وقد ألف في الصحابة كتب كثيرة تناولت أحوالهم وعلمهم ، وأوجز
الآن في عدد من روى عنه عليه الصلاة والسلام من الصحابة وعدد مروياتهم ،
فقد روى عنه صلى الله عليه وسلم سبعة من الصحابة ، لكل منهم أكثر من
ألف حديث ، واحد عشر صحابياً ، لكل واحد منهم أكثر من مائتي حديث ،
وواحد وعشرون صحابياً ، لكل واحد أكثر من مائة حديث ، وأما أصحاب
المشرات فمكتبيرون ، يقربون من المائة ، وأما من له عشرة أحاديث أو أقل

(١) الفصل في الملل والأهواء والنحل ص ١٣٨ ج ٤ .

من ذلك فهم فوق المائة . وهناك نحو ثلاثمائة صحابي روى كل واحد منهم عن الرسول صلى الله عليه وسلم حديثاً واحداً .^(١)

بهذا العرض السريع يمكننا أن نتصور اختلاف تحمل الصحابة عن الرسول صلى الله عليه وسلم .

ونحن الآن نكتفي بذكر بعضهم عن أشهروا بالحديث عنه صلى الله عليه وسلم ، وهم عندنا في منزلة شريفة ومقام كريم ، لانفضل أحداً عن الآخر عصبية أو هوى ، بل لكل صحابي فضله ومنزله ، بما له من سبق في الإسلام ، وبذل في سبيل الله ، وكلهم خير ، نالوا شرف الصحبة ، فكانوا أمناء مخلصين للشريعة الفراء التي نقلوها إلى التابعين ، ثم نقلها هؤلاء إلى من بعدهم ، ثم نقلت جيلاً عن جيل حتى وصلتنا كاملة غير منقوصة بفضل الله وحسن رعايته .

٧ - المكثرون من الصحابة :

بعد هذا نترجم لأشهر من روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من الصحابة ، متوخين في هذا ناحية الحديث التي تتعلق ببحثنا مع لمحة موجزة عن حياة الصحابي ، إلا أننا مضطرون أحياناً إلى التفصيل في حياة الراوي العامة والخاصة ، سواء أكانت حياته الاجتماعية أم العلمية وذلك لبيان شخصيته

(١) جمع بقى بن مخلد في مسنده الدقيق مرويات الصحابة وذكر عدد مسانيدهم إلا أنه لم يملأ هذا السند بل وسأنا أخباره وبعض ما فيه وما ذكرته من عدد مرويات الصحابة ذكره أبو البقاء الأصبغ نقلًا عن مسند الإمام ابن محمد . انظر البارع الفصيح في شرح الجامع الصحيح ص ٩ : ب - ١٢ : ب .

وعدائه واستقامته من خلال البحث ، ولولا ضيق المقام لتعرضت لترجمة جميع رجال الحديث في ذلك العصر ، لنكون على علم صحيح بتلك الشخصيات الفذة ، التي خدمت السنة المطهرة ، وحفظتها من عبث المفسدين . وسأكتفي بذكر أشهر مشاهير من روى عن الرسول صلى الله عليه وسلم وهم لمكتوبون عنه ، راجياً من الهوى الكريم أن أوفق فيما بعد إلى الكشف عن بقيتهم ، وإظهار منزلتهم وفضائلهم بما يستحقون من عناية . والله التوفيق .

أَبُو هُرَيْرَةَ

(١٩ ق ٥ - ٥٥٩)

١ - التعريف به :

أبو هريرة هو عبد الرحمن بن صخر^(١) الدوسي اليامي ، كان اسمه في الجاهلية عبد شمس ، فمما رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الرحمن . واشتهر أبو هريرة بكنيته . حتى غلبت على اسمه فكاد ينسى . وسئل أبو هريرة : لم كنت بذلك ؟ قال كنت أبا هريرة لأنني وجدت مرة لحملتها في كفي ، فقيل لي : أبو هريرة . وكان يرى غم أهله في صغره ، ويداعب هروته . وكان يقول : لا تكوني أبا هريرة ، فإن النبي صلى الله عليه وسلم كنانى أبا هر ، والذي ذكر خير من الأئني^(٢) .

كان أبو هريرة رجلا آدم^(٣) ، بعيدا بين المنسكين ، ذا خفيرتين ، أفرق الثنيتين ، يخضب شيبه بالحرمة^(٤) . وكان أبيض لينا ، لحيته حمراء ،

(١) انظر تاريخ الإسلام ٣٣٣ ج ٢ وقد اختلف في اسمه واسم أبيه وفي ذلك أقوال . انظر طبقات ابن سعد ص ٥٢ . قسم ٢ ج ٤ . والإصابة ص ١٩٩ - ٢٠١ ج ٧ ، وتهذيب التهذيب ص ٦٣ ج ١٢ .

(٢) انظر الإصابة ص ٢٠٢ ج ٧ وسير أعلام النبلاء ص ٤٧٤ ج ٧ . وانظر مسند الإمام أحمد ص ٨٣ ج ١٢ .

(٣) الآدم من الناس الأسمر . انظر لسان العرب (آدم) ص ٢٧٦ ج ١٤ . ووصفه بهذا لا يماض مع وصفه بعد قليل بالابيض ، فقد تكون سمرة وجهه من شمس الصحراء وريحها ، والأصل في لون بشرته البياض .

(٤) انظر طبقات ابن سعد ص ٥٩ قسم ٢ ج ٤ وتاريخ الإسلام ص ٣٣٣ و ٣٣٤ ج ٢ . وسير أعلام النبلاء ص ٢٣ ج ٢ .

ورآه خباب بن هريرة وعليه عمامة سوداء^(١) ، وعندما صلح حاله ارتدى الخنزير^(٢) .

٢ - إسلامه :

هاجر أبو هريرة من الين إلى المدينة لى إلى فتح خير ، وكان ذلك سنة سبع من الهجرة . وكان قد أسلم على يد الطفيل بن عمرو فى الين ، ووصل المدينة وصلى الصبح خلف سباع بن عرفة الذى كان قد استخافه رسول الله صلى الله عليه وسلم على المدينة أثناء غزوة خير^(٣) . وقد لازم أبو هريرة النبى صلى الله عليه وسلم إلى آخر حياته ، وقصر نفسه على خدمته ، وتلقى العلم الشريف منه ، فكان يدور معه ، ويدخل بيته ، وبصاحبه فى حجه وغزوه ، ويرافقه فى حله وترحاله ، فى ليله ونهاره ، حتى حمل عنه العلم العزيز للطبيب . فكانت صحبته أربع سنوات ، وقد اتخذ الصفة مقامه له ، وخدم الرسول صلى الله عليه وسلم على ملء بطنه ، وجعله رسول الله صلى الله عليه وسلم عريف أهل الصفة ، فقد كان أعرف الناس بهم وبعمراتهم^(٤) .

وكان يحب رسول الله صلى الله عليه وسلم حباً شديداً ، فى يوم رفع رسول الله صلى الله عليه وسلم الدرة ليضربه بها ، فقال أبو هريرة : (لأن يكون ضربي بها أحب إلى من حر النعم^(٥)) .

(١) انظر سير أعلام النبلاء ص ٤٥٠ ج ٢ .

(٢) انظر سير أعلام النبلاء ص ٤٢٥ ج ٢ .

(٤) انظر حلية الأولياء ص ٣٧٦ ج ١ .

(٥) البداية والنهاية ص ١٠٥ ج ٨ .

فيطمئني^(١) ثم يقول : (وكننت في سبعين رجلا من أهل الصفة ، ما منهم رجل عليه رداء ، إما بردة ، أو كساء قد ربطوها في أعناقهم)^(٢) .

وقال إمام التابعين سعيد بن المسيب (١٥ - ٩٤ هـ) : (رأيت أبا هريرة يطوف بالسوق ، ثم يأتي أهله فيقول : هل عندكم من شيء ؟ فإن قالوا : لا . قال : فإنني صائم)^(٣) ، وكان قنوعا راضيا بنعم الله ، فإذا ما أصبح لديه خمس عشرة تمره أفطر على خمس ، وتسحر بخمس ، وأبقى خمسا لفطره^(٤) . وكان كثير الشكر لله ، كثير الحمد والتكبير والنسب على ما آتاه الله من فضل وخير^(٥) .

٤ - كرمه :

كان أبو هريرة عفيف النفس مع فقره ، فياض اليد ، مبسوط الكف ، جوادا ، يحب الخير ، ويكرم ضيوفه ، لا يبخل بما في يديه ، وإن كان قليلا ، فلم يحمله فقره على الشح ، ولم يجعله دنى النفس ، يتكفف الناس . . . بل آثر أن يأكل الجوع بطنه على أن يأكل هو فئات الموائد ، وفضلات الطعام .

وكان في عسره كله ضيف الإسلام وضيف رسول الله وصحبه ، حتى إذا

(١) حلية الأولياء من ٣٧٩ و ٣٧٦ ج ١ .

(٢) حلية الأولياء من ٣٧٧ ج ١ ، وأظهرتنا من أخباره في : طبقات ابن سعد من ٥٣ و ٥٥ قسم ٢ ج ٤ وسير أعلام النبلاء من ٤٢٧ ج ٢ وحلية الأولياء من ٣٧٨ ج ١ ، والبداية والنهاية من ١١١ ج ٨ .

(٣) حلية الأولياء من ٣٨١ ج ١ .

(٤) انظر المرجع السابق من ٣٨٤ ج ١ ، والبداية والنهاية من ١١٢ ج ٨ .

(٥) أظن بعض أخباره في هذا المصنف في : سير أعلام النبلاء من ٤٣٩ و ٤٤٠ ج ٢ وفي طبقات ابن سعد من ٥٣ قسم ٢ ج ٤ وتاريخ الإسلام من ٢٣٥ ج ٢ ، والإصابة من ٢٠٦ ج ٧ .

حايسر الله عليه لم يحمله غناه قاسى القلب متحجر الفؤاد ، بل كان علما من اعلام الجود والكرم قال الطفاوى : نزلت على ابي هريرة بالمدينة ستة أشهر ، فلم أر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا أشد تشميرا ، ولا أقوم على خيف من ابي هريرة ^(١) .

٥ - ولايته على البحرين :

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أرسل ابا هريرة مع العلاء الحضرمى الى البحرين ، لينشر الإسلام ، ويحققه المسلمين ، ويعلمهم أمور دينهم ، فحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأفتى الناس .

وفى عهد عمر رضى الله عنه استعمله على البحرين فقدم بعشرة آلاف ، فقال له عمر : استأثرت بهذه الأموال يا عدو الله ، وعدو كتابه ؟

فقال أبو هريرة : فقلت : لست بعد والله وعد وكتابه ، ولكنى عدو من عاداهما قال : فمن أين هى لك ؟ قلت : خيل نتجت ، وغلة رقيق لى ، وأعطية تتابع على . ففظروا فوجدوا كما قول ^(٢) .

وفى رواية عن ابي هريرة : خيل لى نتجت ، وسهام لى اجتمعت ، فأخذ

(١) سير أعلام النبلاء ص ٤٧٨ ج ٢ وتاريخ الإسلام ص ٣٣٦ ج ٢ وانظر طائفة من أخبار كرمه فى تاريخ الإسلام ص ٣٣٧ ج ٢ وحبلى الأولياء ص ٢٨٣ ج ١ ، وسير أعلام النبلاء ص ٤٢٣ و ٤٣٨ و ٤٤٢ ج ٢ وطبقات ابن سعد ٦٣ قسم ٢ ج ٤ والبداية والنهاية ص ١٠٤ و ١١٤ ج ٨ .

(٢) انظر تاريخ الإسلام ص ٣٣٨ ج ٢ والبداية والنهاية ص ١١١ و ١١٣ ج ٨ وعيون الأخبار ص ٥٣ ج ١ وحبلى الأولياء ص ٣٨٠ ج ١ .

منى إثنى عشر ألفاً^(١)، وفي رواية أن عمر قال لأبي هريرة: كيف وجدت الإمارة؟ قال: بعثتني وأنا كاره، وزعنتني وقد أحببتها، وأتاه بأربعمائة ألف من البحرين، قال: أظلمت أحداً؟ قال لا. قال: فاجئت به لنفسك؟ قال: عشرين ألفاً، قال: من أين أصبتها؟ قال كنت أنجر، قال: فانظر رأس مالك ورزقك، فخذ واجعل الآخر في بيت المال^(٢).

فقد قاسمه عمر رضي الله عنه مع جملة من قاسمهم من العمال، وكان أبو هريرة يقول: اللهم اغفر لأبيهر المؤمنين^(٣).

وبعد ذلك دعاه عمر ليؤاياه، فأبى، فقال: (تكره العمل وقد طلب العمل من كان خيراً منك، يوسف عليه السلام ١١ فقال: يوسف نبي ابن نبي، وأنا أبو هريرة ابن أمية وأخشي (من عملكم) ثلاثاً واثنين، قال: فهلاقت خساً؟ قال: لا. أخاف أن أقول بغير علم، وأقضي بغير حزم، وأن يضرب ظهري، وينزع مالي، ويشتم عرضي.)^(٤)

٦ - اعتزاله الفتن:

كان أبو هريرة يوم حصار عمان رضي الله عنه عنده في الدار مع بعض

(١) طبقات ابن سعد ص ٥٩ قسم ٢ ج ٤.

(٢) انظر طبقات ابن سعد ص ٦٠ قسم ٢ ج ٤، وتاريخ الإسلام ص ٣٣٨ ج ٢، وتهذيب التهذيب ص ٢٦٧ ج ١٢.

(٣) انظر طبقات ابن سعد ص ٦٠ قسم ٢ ج ٤.

(٤) سير أعلام النبلاء ص ٤٤١ ج ٢، وما بين التوسين زيادة من طبقات ابن سعد ص ٥٩.

قسم ٢ ج ٤. وقد كانت ولاية أبي هريرة على البحرين بين سنة (٢١ - ٢٣ هـ) بعد وفاة العلاء الحضرمي.

الصحابة وأبنائهم ، الذين جاؤوا ليدفعوا الثوار عنه ، وقد حفظ ولد عثمان له يده ، واحترموه حتى إنه لما مات أبو هريرة كانوا يحملون سريره حتى بلغوا البقيع ^(١) .

واستزل أبو هريرة الفن التي قامت بعد استشهاد عثمان رضى الله عنه ، ولم يثبت أنه اشترك فيها ، وربما كان يحث الناس على اعتزالها ، ويروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله : « ستكرون فتن ، القاعد فيها خير من القائم ، والقائم فيها خير من الماشي ، والماشي فيها خير من الساعي ، ومن يشرف لها تستشرفه ومن وجد ملجأ أو معاذاً فليعذ به » ^(٢) .

وكان معاوية — أيام خلافته — يستعمله على المدينة ، فإذا غضب عليه ، بعث مروان وعزله ^(٣) . وقد استخلفه مروان على المدينة حين توجه إلى الحج .

٧ - مزحه ومزاحه :

كان أبو هريرة حسن المعشر ، طيب النفس ، صاف السريرة ، ربما كان الفقر والصبر عليه هما اللذان جعلاه منه الإنسان المرح ، ومع هذا كان يعطى كل شيء حقه . نظر إلى الدنيا بعين الراحل عنها ، فلم تدفعه الإمارة إلى الكبرياء ، بل أظهرت تواضعه وحسن خلقه ، فرمى استخفاه مروان على المدينة ،

(١) انظر البداية والنهاية ص ١٨٩ ج ٧ والإمامية ص ٢٢٣ ج ٤ والكمال في التاريخ ص ٨٨ ج ٣ وانظر تاريخ الضرى ص ٣٨٩ ج ٣ ثم انظر طبقات ابن سعد ص ٦٣ قسم ٢ ج ٤ ، وتذويت التهذيب ص ٢٦٦ ج ١٢ .

(٢) فتح الباري ص ٤٢٦ ج ٧ ومسند الإمام أحمد ص ٢٠٨ ج ١٤ .

(٣) انظر سير أعلام النبلاء ص ٤١١ ج ٢ .

(فيرك حاراً ، قد شد عليه رِذعة ، وفي رأسه خلبة من ليف ، يسير فيلقى الرجل ، فيقول : الطريق قد جاء الأمير ^(١)) .

وبمر أبو هريرة في السوق ، يحمل الحطب على ظهره - وهو يومئذ أمير لمروان - فيقول لثعلبة بن أبي مالك القرظي : أوسع الطريق للأمير يابن مالك ، فيقول : يرحمك الله يكفي هذا !! فيقول أبو هريرة : أوسع الطريق للأمير والحزمة عليه !! ^(٢)

وكان يجب ادخال السرور إلى نفوس الأطفال ، فقد يراهم يلعبون بالليل امية الغراب ، فيتسلل بينهم ، وهم لا يشعرون ، حتى يلقي بنفسه بينهم ، ويضرب برجليه (الأرض) كأنه محنون ، يريد بذلك أن يضحكهم ، فيفزع الصبيان منه ، ويفرون ههنا وههنا يتضاحكون ^(٣) .

ويقول أبو رافع : وربما دعاني أبو هريرة إلى عشاءه بالليل ، فيقول : دع العُراق للأمير قال : فأُنظر فإذا هو ثريد بالزيت ^(٤) !!

٨ - وفاته :

اختلف في وفاة أبي هريرة على أقوال :

قال هشام بن عروة : أبو هريرة وعائشة مائتا سنة سبع وخمسين ،

(١) طبقات ابن سعد ص ٦٠ - ٦٦ قسم ٢ ج ٤ والخلة : الخلفة .

(٢) حلية الأولياء ص ٣٨٥ ج ١ ، وتاريخ الإسلام ص ٣٣٤ و ٣٣٩ ج ٢ والبدابة والنهاية ص ١١٣ و ١١٤ ج ٨ .

(٣) انظر طبقات ابن سعد ص ٦٠ - ٦١ قسم ٢ ج ٤ ، والبدابة والنهاية ص ١١٣ ج ٨ وتاريخ الإسلام ص ٣٣٨ ج ٢ .

(٤) انظر البدابة والنهاية ص ١١٤ ج ٨ وطبقات ابن سعد ص ٦١ قسم ٢ ج ٤ وتاريخ الإسلام ص ٣٣٨ ج ٨ والله اعلم : العظم الذي تزع عنه اللحم ويبقى عليه قليل منه .

وهو رأى المدائني ، وعلى ابن المديني ^(١) .

وقال أبو معشر : توفي سنة ثمان وخسين ^(٢) .

وقال الواقدي وأبو عبيد : مات سنة تسع وخسين وهو ابن ثمان وسبعين سنة ، وقد صلى على عائشة في رمضان سنة ثمان وخسين ، وعلى أم سلمة في شوال سنة تسع وخسين ، ثم توفي فيها بعد ذلك ^(٣) .

قال ابن حجر بعد أن ذكر رواية الواقدي - وفيها أنه توفي سنة (٥٩) - :
(هذا من أغلاط الواقدي الصريحة ، فإن أم سلمة بقيت إلى سنة إحدى وستين ، ثبت في صحيح مسلم ما يدل على ذلك . والظاهر أن التي صلى عليها ثم مات معها في السنة هي عائشة ، كما قال هشام بن عروة : إنها ماتت في سنة واحدة ^(٤) .)

أقول : إن خطأ الواقدي في وفاة أم سلمة ، لا يستلزم خطأ في وفاة أبي هريرة . وقال ابن كثير : والصواب أن أم سلمة تأخرت بعد أبي هريرة ، وقال غير واحد إنه توفي سنة تسع وخسين ^(٥) .

وحضر جنازته من الصحابة عهد الله بن عمر ، وأبو سعيد الخدري ، وشهدها أيضاً مروان بن الحكم ، وكان ابن عمر يسير أمامها ويكثر الترحم عليه ^(٦) .
وحمل ولد عثمان سريرته حتى بلغوا البقيع ، حفظاً بما كان من رأيه في عثمان ^(٧) .

(١) ٢ و ٣) اظهر البداية والنهاية من ١١٤ ج ٨ وتاريخ الإسلام من ٣٣٩ ج ٢ .
وطبقات ابن سعد من ٦٤ قسم ٢ ج ٤ وسير أعلام النبلاء من ٤٤٩ ج ٢ .

(٤) تهذيب التهذيب من ٢٦٦ ج ١٢ والإصابة من ٢٠٧ ج ٧ .

(٥) البداية والنهاية من ١١٤ ج ٨ .

(٦) اظهر طبقات ابن سعد من ٦٣ قسم ٢ ج ٤ .

(٧) اظهر المرجع السابق من ٦٣ قسم ٢ ج ٤ ، وتهذيب التهذيب من ٢٦٦ ج ١٢ .

٩ - حياته العلمية :

صحب أبو هريرة رسول الله صلى الله عليه وسلم أربع سنوات ، وسمع منه كثيراً ، وشاهد دقائق السنة ، ووعى تطبيق الشريعة ، وعرف رسول الله صلى الله عليه وسلم منزلته ، فأرسله مع العلاء الحضرمي إلى البحرين ، فكان مؤذناً وإماماً ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يتأخر في إجابته عما يسأل لما عرف من حرصه على طلب العلم . قال أبو هريرة ذات يوم - : (يا رسول الله ، من أسعدُ الناسِ بشفاعتِكَ يومَ القيامةِ ؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لقد ظننتُ يا أبا هريرةَ ألا يسألني عن هذا الحديثِ أحدٌ أولَ منك ، لما رأيتُ من حرصِكَ على الحديثِ ، أسعدُ الناسِ بشفاعتي يومَ القيامةِ من قال : لا إله إلا الله خالصاً من قلبه أو نفسه » ^(١)) .

وكان همه طلب العلم ، وأمله التفقه في الدين ، فقد جاء رجل إلى زيد بن ثابت فسأله عن شيء ، فقال له زيد : (عليك أبا هريرة ، فإني بينا أنا وأبو هريرة وفلان في المسجد ذات يوم ندعوا الله تعالى ونذكره إذ خرج علينا النبي صلى الله عليه وسلم حتى جلس إلينا ، فسكتنا ، فقال : « عودوا إلى الذي كنتم فيه » قال زيد : فدعوت أنا وصاحبي قبل أبي هريرة ، وحمل رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤمن - (يقول آمين) - على دعائنا ، ثم دعا أبو هريرة ، فقال : اللهم إني أسألك ما سألك صاحباي ، وأسألك علماً لا ينسى ، فقال صلى الله عليه وسلم :

(١) فتح الباري ص ٢٠٣ ج ١ ، وأوله فيه قال أبو هريرة : قبل يا رسول الله ، ونحوه في مسند الإمام أحمد ص ٢٠٢ حديث ٨٠٥٦ ج ١٤ وطبقات ابن سعد ص ١١٨ قسم ٢ ج ٢ وص ٥٦ قسم ٢ ج ٤ .

آمين . قلنا : يا رسول الله ، ونحن نسأل الله علما لا يفسى ، قال : « سَبَقَكُمْ
بها الغلام الهوسي ^(١) » .

عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له : « ألا تسألني
من هذه الغنائم التي بسألتني أصحابك ؟ » قلت : أسألك أن تعلمني مما علمك الله ،
ففرع نمرة كانت على ظهري ، فبسطها بيني وبينه ، حتى كأني أنظر إلى القمل
يدب عليها ، فحدثني حتى استوعبت حديثه ، قال : « اجعما فصرها إليك »
فأصبحت لا أسقط حرفا مما حدثني ^(٢) .

هذه الأخبار — وغيرها كثير — تثبت حرص أبي هريرة للشديد على
طلب العلم ، ودعاء الرسول له بتحقيق ما أراد .

وقد عرف الصحابة منزلته بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكان
يحدث في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويقف الناس بحضرة علماء
الصحابة ، وكبارهم وكان بعضهم كزيد بن ثابت وعبد الله بن عباس يحيلون
السائلين عليه ، فمن معاوية بن أبي عياش الأنصاري : أنه كان جالسا مع
ابن الزبير ، جاء محمد بن إياس بن بكير ، فسأل عن رجل طلق ثلاثا قبل
الدخول ، فبعثه إلى أبي هريرة وابن عباس — وكانا عند عائشة — فذهب
فسألهما ، فقال ابن عباس لأبي هريرة : أفته يا أبا هريرة ، قد جاءتك معضلة ،
فقال : الواحدة تبيها ، والثلاث تحرمها ^(٣) . لعل أبا هريرة أفنى بهذا بعد أن

(١) تهذيب التهذيب ص ٢٦٦ ج ١٢ وفيه سائر أصحابي والتصحيح من فتح الباري
ص ٢٢٦ ج ١ وسير أعلام النبلاء ص ٤٣٢ ج ٢ .

(٢) حلية الأولياء ص ٣٨١ ج ١ وتذكرة الحفاظ ص ٣٢ ج ١ ، وسير أعلام النبلاء
ص ٤٢٩ ج ٢ والنمرة : شقة فيها خطوط بيض وسود . والمحدث صحيح أخرجه البخاري . انظر
فتح الباري ص ٢٢٥ ج ١ .

(٣) سير أعلام النبلاء ص ٤٣٧ ج ٢ ،

أجرى عمر رضى الله عنه إيقاع الثلاث زجراً للناس ، أو أن السائل كان قد طلقه ثلاثاً في مجالس متفرقة .

ويصف لنا محمد بن عمار بن عمرو بن حزم مجلساً لأبي هريرة ، فيقول : إنه قد في مجلس فيه أبو هريرة ، وفيه مشيخة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بضعة عشر رجلاً ، فجعل أبو هريرة يحدثهم عن النبي صلى الله عليه وسلم بالحديث ، فلا يعرفه بعضهم ، ثم يتراجعون فيه فيعرفه بعضهم ، ثم يحدثهم بالحديث ، فلا يعرفه بعضهم ، ثم يعرفه ، حتى فعل ذلك مراراً ، قال : فعرفت يومئذ أنه أحفظ الناس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم^(١) .

وكان الناس يتواعدون لينطلقوا إليه فيسمعوا حديثه عن الرسول صلى الله عليه وسلم ، ومن ذلك ما روى عن مكحول ، قال : (تواعد الناس ليلة من الليالي إلى قبة من قباب معاوية ، فاجتمعوا فيها ، فقام أبو هريرة ، فحدثهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . حتى أصبح)^(٢) .

ومن محمد بن سيرين أن أبا هريرة كان يقوم كل خميس فيحدثهم^(٣) . وكان أبو هريرة أميناً في حديثه عن الرسول الكريم ، وإذا قال في شيء برأيه قال : (هذه من كبى)^(٤) وقد ثبت هذا بأدلة كثيرة ، وأخبار عدة . منها : ما رواه بكير بن الأشج ، قال : قال لنا بشر بن سعيد : (اتقوا الله وتحفظوا من

(١) انظر سير أعلام النبلاء ص ٤٤٤ ج ٢ . وقد أخرجه البخاري في تاريخه والبيهقي في

المدخل انظر فتح الباري ص ٢٢٥ ج ١ .

(٢) سير أعلام النبلاء ص ٤٣٢ ج ٢ وانظر البداية والنهاية ص ١٠٦ ج ٨ . والجامع

لأخلاق الراوى وآداب السامع ص ١١٤ : آ .

(٣) انظر الجامع لأخلاق الراوى وآداب السامع ص ١١٣ : ب .

(٤) إعلام الموقعين ص ٦٤ ج ١ .

الحديث ، فوالله لقد رأيتنا نجالس أبا هريرة ، فيحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويحدثنا عن كعب الأحمار ثم يقوم ، فأسمع بعض من كان معنا يجمل حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كعب ، وحديث كعب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . . . فاتقوا الله وتحفظوا في الحديث (١) .

وقد روى كثيرٌ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان يقول : (ما من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أحدٌ أكثر حديثاً عنه مني إلا ما كان من عبد الله بن عمرو ، فإنه كان يكتب ولا يكتب) (٢) .

وقد استكثر بعض الصحابة حديث أبي هريرة عن الرسول صلى الله عليه وسلم حين كانت سياستهم الاقلال من الرواية ، كيلا ينصرف الناس عن القرآن . وخوفاً من أن يشغلوا بغيره . فقال لهم أبو هريرة : (انكم لتقولون : أكثر أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم ، والله الموعود ، وتقولون : ما للمهاجرين لا يحدثون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الأحاديث ، وإن أصحابي من المهاجرين كانت تشغلهم أرضهم والقيام عليها ، وإنى كنت أمراً مسكيناً) (ألزم رسول الله صلى الله عليه وسلم على ملء بطنى (٣)) وكنت أكثر بحالة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أحضر إذا غابوا ، وأحفظ إذا نسوا) (٤) ثم ذكر قصة المرة ، ودعاء الرسول له ، ثم قال : (فوالله ما كنت نسيت شيئاً سمعته منه) (٥) .

(١) البداية والنهاية ص ١٠٩ ج ٨ ونحوه في سير أعلام النبلاء ص ١٣٦ ج ٢ .

(٢) فتح الباري ص ٢١٧ ج ١ ومسنَد الإمام أحمد ص ١١٩ حديث ٧٣٨٣ ج ١٣ رواه الإمام أحمد في مسند عبد الله بن عمرو كثيراً انظر رقم : ٦٥١٠ و ٦٨٠٢ و ٦٩٣٠ و ٧٠١٨ .

(٣) هذه العبارة من رواية الزهري في مسند الإمام أحمد ص ٢٦٨ حديث ٧٢٧٣ ج ١٢ لم يذكرها ابن سعد .

(٤ و ٥) طبقات ابن سعد ص ٥٦ قسم ٢ ج ٤ و ص ١١٨ قسم ٢ ج ٢ وانظر فتح الباري ص ٢٢٤ ج ١ ومسنَد الإمام أحمد ص ٢٧٠ ج ١٢ وحلية الأولياء ص ٣٧٨ ج ١ وتاريخ الإسلام ص ٣٣٤ ج ٢ .

وكان يقول : وإني لأبلى آية في كتاب الله ما حدثكم بشيء أبداً ،
ثم بئلو : « إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه
للناس في الكتاب أولئك يلعنهم الله وبلعنهم اللاعنون ^(١) » .

وروى الوليد بن عبد الرحمن أن أبا هريرة حدث عن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : (من صلى على جنازة لله قبراً ط ، ومن صلى عليها وتبعها لله قبراً طان فقال عبد الله بن عمر : انظر ما تحدث ، فإنك تكسر من الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم ، فأخذه بيده ، فذهب به إلى عائشة ، فألها عن ذلك فقالت : صدق أبو هريرة ! ثم قال يا أبا عبد الرحمن ، إنه والله ما كان يشغلي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الصق في الأسواق ، إنما كان يهمني كلمة من رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمنيها ، أو لقمة يطعمنيها ^(٢) ، وفي رواية : إنه لم يكن يشغلي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم غرس بالوادي ، وصق بالأسواق ^(٣) . فقال ابن عمر : (أنت أعلمنا - يا أبا هريرة - رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأحفظنا لحديثه) ^(٤) .

وقد شهد له إخوانه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بكثرة سماعه ، وأخذه عن رسول الله ، وهذه الشهادات تدفع كل ريب أو ظن حول كثرة حديثه ، حتى إن بعض الصحابة رَوَوْا عنه لأنه سمع من النبي الكريم صلى الله

(١) مسند الإمام أحمد ص ١٢٣ حديث ٧٦٩٦ ج ١٤ وانظر فتح الباري ص ١٤٤ ج ١ ، والآية المذكورة هي الآية (١٥٩) من سورة البقرة .

(٢) طبقات ابن سعد ص ٥٧ قسم ٢ ج ٤ ، ونحوه بإسناد صحيح في مسند الإمام أحمد ص ١٧٥ حديث ٧١٨٨ ج ١٣ .

(٣ و ٤) البداية والنهاية ص ١٠٧ ج ٨ وطبقات ابن سعد ص ١١٨ قسم ٢ ج ٢ . وقال الترمذي في قول ابن عمر (نحن) انظر فتح الباري ص ٢٢٥ ج ١ .

عليه وسلم ، ولم يسموا ، من هذا أن رجلا جاء إلى طلحة^(١) بن عبيد الله ، فقال : (يا أبا محمد ، أرايت هذا اليماني - يعني أبا هريرة - أهو أعلم بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم منك نسمع منه أشياء لا نسمعها منك ، أم هو يقول عن رسول الله ما لم يقل ؟ قال : أما أن يكون سمع ما لم نسمع فلا أشك ، سأحدثك عن ذلك : إنا كنا أهل بيوتات وغم وعمل ، كنا تأتي رسول الله صلى الله عليه وسلم طرفي النهار وكان مسكينا ضيقا على باب رسول الله ، يده مع يده ، فلا نشك أنه سمع ما لم نسمع ولا تجد أحدا فيه خير يقول عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما لم يقل^(٢)) .

وروى أشعث بن سليم عن أبيه قال : (سمعت أبا أيوب « الأنصاري » يحدث عن أبي هريرة ، فقيل له : أنت صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتحدث عن أبي هريرة ؟ فقال : إن أبا هريرة : قد سمع ما لم نسمع ، وإنني أن أحدث عنه أحب إلي من أن أحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم - يعني ما لم أسمعه منه^(٣)) .

وكان جريئا ، يسأل النبي صلى الله عليه وسلم عن أشياء لا يسأله عنها غيره^(٤) كما كان يسأل الصحابة الذين سبقوه إلى الإسلام . وكان كثير العلم واسع المعرفة ، يحدث إخوانه وطلابه ، وقد يقول لهم : رب كيس عند أبي هريرة لم يفتحه - يعني من العلم^(٥) . وكان يقول : (حفظت من رسول الله صلى الله عليه

(١) في سير أعلام النبلاء (طليعة) والاصواب طلحة كما في فتح الباري ص ٢٥٥ ج ١ .

(١) سير أعلام النبلاء ص ٤٣٦ ج ٢ والبداءة والنهاية ص ١٠٩ ج ٨ .

(٢) البداءة والنهاية ص ١٠٩ ج ٨ وسير أعلام النبلاء ص ٤٣٦ ج ٢ .

(٣) انظر سير أعلام النبلاء ص ٤٥١ ج ٢ .

(٤) انظر المرجع السابق ص ٤٣٠ ج ٢ رواه محمد بن راشد من مكحول .

وسلم وعاءين ، فأما أحدهما فبئته ، وأما الآخر فلو بئته لقطع هذا البلعوم ^(١) .

فكان أبو هريرة حريصاً على أن يحدث الناس بما تدركه عقولهم ،
وحريصاً على ألا يحدثهم إلا بما ينتفعون به ، لذلك أبى أن يحدثهم
بكل ما يعلم .

(١) طبقات ابن سعد ص ٥٧ قسم ٢ ج ٤ و ص ١١٨ قسم ٢ ج ٢ . وانظر فتح الباري
ص ٢٢٧ ج ١ وحلية الأولياء ص ٣٨١ ج ١ . والبداية والنهاية ١٠٥ ج ٨ . وتذكرة الحفاظ
ص ٣٤ ج ١ . لقد بث أبو هريرة بين الناس وعاء مما سمع من رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
ولم يث الوعاء الآخر ، خوفاً من أن يكذبه الناس فقد قال في رواية : لو أنباءكم بكل ما أعلم
لرمانى الناس بالحرق ، وقالوا : أبو هريرة مجنون . وفي رواية قال : « لم يسموني بالعر » . قال الحسن
- راوى الخبر - صدق والله لو أخبرنا أن يث الله يهدم أو يحرق ما صدقه الناس . طبقات ابن
سعد ص ٥٧ قسم ٢ ج ٤ و ص ١١٩ قسم ٢ ج ٢ .

لقد خاف أن يكذبه الناس ، وخاف أن يقضى على حياته ولا بد للرد أن يتساءل : ما هو
ذلك الوعاء المملوء علماً الذى لم يث أبو هريرة ؟ وهل خصه رسول الله صلى الله عليه وسلم
دون الأمة بذلك .

نظم من حديث أبى هريرة أن الرسول حمله نوعين من العلم ، كل نوع لو كتبه إنسان لكان
جراً كبيراً ، أحدهما بئته ، والثانى لم يثته ، أما أن يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم قد
اختص أباً هريرة بسمى من الأحكام فغير معقول ، لأنه يناق تناقض الرسالة ، وهل ما اختص به
من الآداب ؟ إن هذا بعيد جداً لأن الرسول صلى الله عليه وسلم إنما جاء ليتم مكارم الأخلاق ،
ومنه ذلك عن الأمة يناق تناقض الرسالة ، فليس من المنصور أن يلحق الرسول الكريم بعض
ما يتعلق بالأخلاق والآداب أباً هريرة ، ويفرك الأمة من غير أن يفيد ما يسمى من هذا ١١
من هنا يتأكد أن الوعاء الثانى لم يكن فيه ما يتعلق بالأحكام ولا بالآداب والأخلاق ،
ويرجح أن يكون بعض ما يتعلق بأحكام الساعة أو بعض ما يقع للأمة من فن ، ومن يلونها
من أسراء السوء ، ويلقى هذا عندى أن أباً هريرة كان يكنى عن بعض ذلك ، ولا يصحح به
خوفاً على نفسه من يثته ما يقوله ، كقوله (أعوذ بالله من رأس الدين وإمارة الصبيان) وقوله
(ويل للعرب من شر قد انترب) انظر فتح الباري ص ٢٢٧ ج ١ وسير أعلام النبلاء ص ٤٣٠
ج ٢ ، وليس هذا الحديث ذريعة لمن يجعل للدين ظاهراً وباطناً حتى يتهى به إلى الشغل من الدين ،
فأبو هريرة كان يحب أن يحدث الناس بما يعرفون حتى لا يكذب الله ورسوله إذا أخبرهم بما
لا تتصوره عقولهم ، وقد ذكر ابن تيمية بعض تنبؤات الرسول صلى الله عليه وسلم التى
أخبر عنها ووفت فيما بعد في كتابه (الرد على المنطقيين ص ٤٥) .

١٠ - حفظ أبي هريرة :

كان أبو هريرة حافظاً متقناً ، ضابطاً لما يروى ، دقيقاً في أخباره ، فقد اجتمعت فيه صفتان عظيمتان تتم إحداهما الأخرى ، الأولى سعة علمه وكثرة مروياته ، والثانية قوة ذاكرته وحسن ضبطه ، وهذا غاية ما يتمناه أولو العلم . وسبق أن ذكرت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا له بعلم لا ينسى .

وإلى جانب هذا ، نشاط أبي هريرة وحرصه على طلب العلم ، وفي ذلك يقول : (صحبت النبي ثلاث سنين ما كنت سنوات قط أعقل مني ، ولا أحب إلي أن أعي ما يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهن)^(١) .

وكان يذكر ما يسمعه من الرسول الكريم ، فيقضي شطراً من ليله في هذا ، قال أبو هريرة : جزأت الليل ثلاثة أجزاء ، ثلثاً أصلي ، وثلثاً أنام وثلثاً أذكر فيه حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم^(٢) .

ويذكر لنا أبو الزعزعة كاتب مروان ما ثبت اتقانه وحفظه فيقول : دعا مروان أبا هريرة فجعل يسأله ، واجلسني خلف السرير ، وجعلت أكتب عنه ، حتى إذا كان رأس الحول ، دعا به ، فأقعدته من وراء الحجاب ، فجعل يسأله عن ذلك الكتاب ، فما زاد ولا نقص ، ولا قدم ولا آخر^(٣) . وقد شهد له بذلك الصحابة والتابعون وأهل العلم من بعدهم^(٤) .

(١) طبقات ابن سعد ص ٥٤ قدم ٢ ج ٤ رواه قيس بن أبي حازم عن أبي هريرة .

(٢) انظر سنن الدرامي ص ٨٢ ج ١ ، والجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع ص ١٨٠ ب - ١٨١ آ .

(٣) البداية والنهاية ص ١٠٦ ج ٨ وسير أعلام النبلاء ص ٤٣١ ج ٢ وقفة جمعت

بين الروايتين .

(٤) بعد قليل أذكر هنا تحت عنوان التناهي على أبي هريرة .

١١ - أبو هريرة والفتوى :

لم يكن أبو هريرة راوية للحديث فقط، بل كان من رؤوس العلم في زمانه ، في القرآن والسنة والاجتهاد ، فإن صحبته وملازمته لرسول الله صلى الله عليه وسلم أتاحت له أن يتفقه في الدين ، ويشاهد السنة العمالية ، عظيمها ودقيقتها فتكونت عنده حصيلة كثيرة من الحديث الشريف ، كما اطلع على حلول أكثر المسائل الشرعية ، التي كانت تعرض للمسلمين في عهد الرسول عليه الصلاة والسلام .

كل ذلك هياً أبا هريرة لأن يفتي المسلمين في دينهم نيفاً وعشرين سنة ، والصحابة كثيرون آنذاك يقول زياد بن مينا : (كان ابن عباس ، وابن عمر ، وأبو سعيد ، وأبو هريرة ، وجابر ، مع أشياء لهم - يفتون بالمدينة ، ويحدثون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، من لدن توفي عثمان إلى أن توفوا . قال : هؤلاء الخمسة إليهم صارت الفتوى . ^(١)) .

وولى البحرين لعمر ، وأفتى الناس فيها ، وكانت فتاواه تتلاقى وفتاوى عمر بن الخطاب . ^(٢) وكان يفتي بحضور ابن عباس ^(٣) . وإن المقام يضيق بنا عن حصر فتاواه ، وإن نفرط في القول فندعي أنه كان من المكثرين في الفتيا ، بل كان من المتوسطين في ذلك ، كما ذكر الإمام أبو محمد بن حزم إذ قال : (والمتوسطون منهم فيما روى عنهم من الفتيا : أبو بكر ، وأم سلمة ، وأنس بن مالك ، وأبو سعيد الخدري ، وأبو هريرة ، وعثمان بن عفان . . . ف هؤلاء ثلاثة عشر يمكن أن يجمع من فتيا كل واحد منهم جزء صغير جداً) ^(٤) .

(١) تاريخ الإسلام ص ٣٣٧ ج ٢ وسير أعلام النبلاء ص ٤٣٧ ج ٢ .

(٢) انظر سير أعلام النبلاء ص ٤٤٥ و ٤٤٦ ج ٢ .

(٣) انظر سير أعلام النبلاء ص ٤٣٧ و ٤٤٥ ج ٢ .

(٤) إلام الموفى ص ١٦ ج ١ وسير أعلام النبلاء عن الإحكام في أصول الأحكام ص ٤٥١ ج ٢ .

١٢ - شيوخه ومن روى عنه :

روى أبو هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الكثير الطيب ، وروى عن بعض الصحابة كأبي بكر الصديق ، وعمر بن الخطاب ، والفضل بن عباس ابن عبد المطلب ، وأبي بن كعب ، وأسامة بن زيد ، وعائشة أم المؤمنين ، وبصرة ابن أبي بصرة ، وروى عن كعب الخبر وهو من التابعين .

وقد روى عنه بعض الصحابة ، وأشهر من روى عنه منهم : ابن عباس ، وابن عمر ، وأنس بن مالك ، ووائل بن الأسقع ، وجابر بن عبد الله الأنصاري^(١) وأبو أيوب الأنصاري^(٢) .

وروى عنه خلق كثير من التابعين ، قال البخاري : (روى عنه نحو من ثمانمائة رجل أو أكثر من أهل العلم ، من الصحابة والتابعين وغيرهم)^(٣) .
ففيهم أئمة التابعين وأعلامهم في الحديث والفقه ، منهم : بشير بن بهيك ، والحسن البصري ، وزيد بن أسلم ، وزيد بن أبي عتاب ، وسعيد المقبري ، وسعيد بن يسار ، وسعيد بن المسيب ، وسليمان بن يسار ، وشفي بن مانع ، وشهر بن حوشب ، وعاصم الشعبي ، وعبد الله بن سعد مولى عائشة ، وعبد الله ابن عتبة الهذلي ، وعبد الرحمن بن هرمز الأعرج ، وعبد العزيز بن مروان ، وعروة بن الزبير ، وعطاء بن أبي رباح ، وعطاء بن يسار ، وعمر بن خلدة قاضي المدينة ، وعمر بن دينار ، وانقاسم بن محمد ، وقبيصة بن ذؤيب ، وكثير بن مرة ، ومحمد بن سيرين ، ومحمد بن مسلم الزهري - ولم يلحقه -

(١) انظر الإصابة ص ٢٠١ ج ٧ وتهذيب التهذيب ص ٢٦٣ ج ١٢ .

(٢) انظر سير أعلام النبلاء ص ٤٣٦ ج ٢ .

(٣) انظر المراجع المذكور في الهامش التالي .

وعمد بن المنكدر ، ومروان بن الحكم ، وميمون بن مهران ، وهام
ابن منبه - وقد كتب عن أبي هريرة صحيفة مشهورة - وأبو إدريس
الخلولائي ، وأبو بكر بن عبد الرحمن ، وأبو سعيد المقبري ، وأبو صالح
السمان ، وغيرهم^(١) .

١٣ - عدة ما روى عنه من الحديث :

أبو هريرة أكثر الصحابة حديثاً عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
ولن نستغرب هذا بعد أن عرفنا ملازمته لرسول الله صلى الله عليه وسلم ،
وجرأته في السؤال ، وجهه للعلم ، ومذاكرته حديث الرسول الكريم في كل
فرصة تسنح له .

روى له الإمام أحمد بن حنبل في مسنده (٣٨٤٨) حديثاً ، وفيها مكرر
كثير باللفظ والمعنى ، ويصفو له بعد حذف المكرر خير كثير .

وروى له الإمام بقى بن مخلد (٢٠١ - ٢٧٦ هـ) في مسنده (٥٣٧٤)
خمس آلاف حديث وثلاثمائة وأربعة وسبعين حديثاً . وله في الصحيحين (٣٢٥)
ثلاثمائة وخمس وعشرون حديثاً ، وانفرد البخاري أيضاً : (٩٣) ثلاثة وتسعين
حديثاً ومسلم : (١٨٩) تسع وثمانين ومائة حديث^(٢) .

(١) ما ذكرتهم هم بعض من روى عن أبي هريرة ، وأحاديثهم في كتب الأئمة الستة راجع
تهذيب التهذيب من ٢٦٣ - ٦٦٥ ج ١٢ والإصابة من ٢٠١ - ٢٠٢ ج ٧ وسير أعلام
النبل من ٤١٨ - ٤٢٣ ج ١

(٢) انظر البارع القصيص في شرح الجامع الصحيح مخطوط دار الكتب المصرية ص ٩ : ب
عن مسند الإمام بقى بن مخلد في تاريخ الإسلام ص ٣٣٤ ج ٢ عدد أحاديثه (٥٣٧٠)
حديثاً ، وانظر شذرات الذهب ص ٦٣ ج ١ ، وفي سير أعلام النبلاء المتفق في البخاري ومسلم
منها (٣٢٦) حديثاً وانفرد البخاري بثلاثة وتسعين ومسلم بثمانية وتسعين . وانظر الفصل في المثل
والأهواء راجع لابن حزم ص ١٣٨ ج ٤ .

١٤ - الثناء على أبي هريرة:

قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: « لقد ظننت يا أبا هريرة ألا يسألني عن هذا الحديث أحد أول منك ، لما رأيت من حرصك على الحديث ^(١) . »

وعن أبي سعيد الخدري ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
(أبو هريرة وعاء من العلم ^(٢)) .

قال أبو هريرة : ما أحد من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أكثر حديثاً مني عنه ، إلا ما كان من عبد الله بن عمرو - رضى الله عنه - فإنه كان يكتب وكنيت لا أكتب ^(٣) .

وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه قد نهى أبا هريرة عن الإكثار من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كما نهى غيره ، لأن سياسة عمر وبعض الصحابة الإِفلال من رواية الحديث ، لأن الإكثار مظنة الخطأ ، وفيه شغل الناس بالحديث عن القرآن . ومع هذا فقد سمح عمر رضى الله عنه لأبي هريرة بالتحدث ، بعد أن عرف ورعه وتقواه ، قال أبو هريرة : (بلغ عمر حديثي . فأرسل إلى فقال : كنت معنا يوم كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيت فلان ؟ قلت : نعم . وقد علمت لأى شيء سألتني . قال : ولم سألتك ؟ قلت : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يومئذ : من كذب على متعمداً ، فليترأ مقعده من النار .

(١) فتح الباري ص ٢٠٤ ج ١ وسير أعلام النبلاء ص ٤٣٠ ج ٢ وهو صحيح .

(٢) سير أعلام النبلاء ص ٤٣٠ ج ٢ في استاده مقام ، لاختلافهم في (زبد العمى) أحد رجال سنده أنظر ميزان الاعتدال ص ٣٦٣ ج ١ .

(٣) فتح الباري ص ٢١٧ ج ١ ، وجامع بيان العلم ص ٧٠ ج ١ .

قال : أما لا ، فاذهب فحدث^(١) . وهذا السماح توثيق لأبي هريرة من أمير المؤمنين .

قال عبد الله بن عمر : (يا أبا هريرة ، كنت أؤمن برسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأعلمنا بحديثه^(٢)) .

وقيل لابن عمر : (هل تذكر مما يحدث به أبو هريرة شيئا ؟ فقال : لا ، ولكنه اجتأ وجينا^(٣)) .

وفي رواية قال ابن عمر : (أبو هريرة خير مني وأعلم بما يحدث^(٤)) . وكان يكثر الترحم عليه ، ويقول : كان ممن يحفظ حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم على المسلمين^(٥) .

قال أنس بن كعب : كان أبو هريرة جريئا على النبي صلى الله عليه وسلم يسأله عن أشياء لا نسأله عنها^(٦) .

وحين أرسل ابن عمر يستفهم من السيدة عائشة عن حديث الجنازة الذي رواه أبو هريرة ، قالت : صدق أبو هريرة^(٧) .

(١) سير أعلام النبلاء من ٤٣٤ ج ٢ إلا أن في سنده (يحيى بن سعيد الله) اختلف فيه انظر ميزان الاعتدال : من ٢٩٧ ج ٣ . ولكنه ثابت من طريق آخر .
(٢) المحدث الفاضل من ١٣٤ آ ، وسير أعلام النبلاء من ٤٣٥ ج ٢ ونحوه في طبقات ابن سعد من ١١٨ قسم ٢ ج ٢ ، وفي فتح الباري (أعرفنا بحديثه) وقال في الترمذي (حسن) من ٢٢٥ ج ١ .

(٣) سير أعلام النبلاء من ٤٣٧ ج ٢ .

(٤) الإصابة من ٢٠٤ ج ٧ وتهذيب التهذيب من ٢٦٧ ج ١٣ .

(٥) انظر طبقات ابن سعد من ٦٣ قسم ٢ ج ٤ ، وسير أعلام النبلاء من ٤٣٥ ج ٢ والبدية والنهاية من ١٠٧ ج ٨ .

(٦) سير أعلام النبلاء من ٤٥١ ج ٢ .

(٧) طبقات ابن سعد من ٥٧ قسم ٢ ج ٤ والإصابة من ٢٠٥ ج ٢ .

قال طلحة بن عبيد الله : لا نشك أنه سمع ما لم نسمع ^(١) .

قال زيد بن ثابت لرجل سأل عن شيء : عليك بأبي هريرة ^(٢) .

جاء رجل إلى ابن عباس في مسألة ، فقال ابن عباس لأبي هريرة : أنته يا أبا هريرة ، فقد جاءتك معضلة ^(٣) .

قال كعب الأحبار : ما رأيت أحداً لم يقرأ التوراة أعلم بما فيها من أبي هريرة ^(٤) .

وقال محمد بن عمار بن عمرو بن حزم : فعرفت يومئذ أنه أحفظ الناس عن رسول الله ^(٥) . وذلك حين حضر مجسسه الذي كان فيه مشيخة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأبو هريرة يحدّثهم ، فلا يعرف بعضهم الحديث ، ثم يتراجعون فيه ، فيعرفونه .

قال أبو صالح السمان : كان أبو هريرة من أحفظ أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم .

قال الإمام الشافعي : أبو هريرة أحفظ من روى الحديث في دهره ^(٦) .

(١) سير أعلام النبلاء ص ٤٣٦ ج ٢ رواه عن طلحة والنصحج من الإصابة ص ٢٠٤ ج ٧ وتهذيب التهذيب ص ٢٦٦ ج ١٢ وتاريخ الإسلام ص ٣٣٦ ج ٣ وطلحه هذا صوابي جليل رضى الله عنه توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو راض عنه .
(٢) سير أعلام النبلاء ص ٤٣٢ و ٤٤٣ ج ٢ وتهذيب التهذيب ص ٢٦٦ ج ١٢ والإصابة ص ٢٠٤ ج ٧ .

(٣) سير أعلام النبلاء ص ٤٣٧ ج ٢ .

(٤) الإصابة ص ٢٠٥ ج ٧ وسير أعلام النبلاء ص ٤٣٢ ج ٢ .

(٥) سير أعلام النبلاء ص ٤٤٤ ج ٢ وفتح الباري ص ٢٢٥ ج ١ .

(٦) تذكرة الحفاظ ص ٣٤ ج ١ وسير أعلام النبلاء ص ٤٣٠ ج ٢ .

(٧) تذكرة الحفاظ ص ٣٤ ج ١ والبداية والنهاية ص ١٠٦ ج ٨ وسير أعلام النبلاء ص ٤٣٢ ج ٢ .

قال البخاري : روى عنه نحو الثمانمائة من أهل العلم ، وكان أحفظ من روى الحديث في عصره ^(١) .

وقال الإمام الذهبي (٦٧٣ - ٧٤٨ هـ) : أبو هريرة إليه المنتهى في حفظ ماسمعه من الرسول عليه السلام ، وأدائه بحروفه ^(٢) ، وقال في موضع آخر : كان أبو هريرة وثيق الحفظ ، ما علمنا أنه أخطأ في حديث ^(٣) .

وقال ابن كثير (٧٧٤ هـ) : وقد كان أبو هريرة من الصدق والحفظ والديانة والعبادة والزهادة والعمل الصالح على جانب عظيم ^(٤) .

وقال الحافظ ابن حجر العسقلاني (٧٧٣ - ٨٥٢ هـ) : إن أبا هريرة كان أحفظ من كل من يروى الحديث في عصره ، ولم يأت عن أحد من الصحابة كلهم ما جاء عنه ^(٥) .

هذا غيض من فيض ، شهد به رؤوس العلم لأبي هريرة ، فسعة علمه وكثرة حديثه لا تخفى على مسلم ، وما سفته من ثناء عليه إنما كان على سبيل الذكرى ، وإلا فاني أظلم راوية الإسلام إذا حاولت أن أحصر من أثنى عليه .

١٥ - أصح الطرق عن أبي هريرة :

حكى عن ابن المديني أن من أصح الأسانيد (إطلاقاً) حماد بن زيد عن أيوب عن محمد بن سيرين عن أبي هريرة ^(٦) .

(١) تهذيب التهذيب ص ٢٦٥ ج ١٢ .

(٢) سير أعلام النبلاء ص ٤٤٥ ج ٢ .

(٣) سير أعلام النبلاء ص ٤٤٦ ج ٢ .

(٤) البداية والنهاية ص ١١٠ ج ٨ .

(٥) تهذيب التهذيب ص ٢٦٦ ج ١٢ .

(٦) تدريب الراوي ص ٣٦ ، والكفاية ص ٣٩٨ .

وقال سليمان بن داود : أصح الأسانيد كلها يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة
عن أبي هريرة^(١) .

وأصح ما روى من الحديث عن أبي هريرة ما جاء عن :

الزهرى ، عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة .

أبي الزناد ، عن الأعرج — عبد الرحمن بن هرمز — عن أبي هريرة .

ابن عون ، وأيوب عن محمد بن سيرين ، عن أبي هريرة^(٢) .

مالك عن الزهرى عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة .

سفيان بن عيينة عن الزهرى عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة .

معمر عن الزهرى عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة .

إسماعيل بن أبي حكيم عن عبيدة بن سفيان الحضرمي عن أبي هريرة .

معمر عن همام بن منبه عن أبي هريرة^(٣) .

(١) السكافية ص ٣٩٨ .

(٢) تدريب الراوى ص ٣٦ ، وسيد أعلام النبلاء ص ٤٣٨ ج ١ وتوضيح الأفتكار ص

١٠٣٥ .

(٣) هذه الأسانيد خرجها الشيخ أحمد محمد شاكر رحمه الله من مسند أبي هريرة في مسند

الإمام أحمد وهي من أصح الأسانيد لا سوء قدم الرواة فيها وثناء العلماء عليهم . انظر مسند

الإمام أحمد ص ١٤٩ — ١٥٠ ج ١ .

الرد على شبه التي أُثِرَتْ حول أبي هريرة

ذلكم أبو هريرة الذي عرفناه قبل إسلامه وبعده ، عرفناه في هجرته ومحبتته
لِلرَّسُولِ الْكَرِيمِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فكان للصاحب الأمين ، والطالب المجتهد ،
النَّزَمُ السَّنَةُ الْمُطَهَّرَةُ ، فِي شَبَابِهِ وَهَرَمِهِ ، وَفِي غِنَاهُ وَفَقْرِهِ ، فَكَانَ وَرَعًا تَقِيًّا ،
كَرِيمًا مُتَوَاضِعًا ، لَهُ مَوَاقِفُهُ الْمُشْرِفَةُ فِي الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ ، عَرَفْنَا
اعْتِزَالَهُ لِلْفِتَنِ ، وَحُبَّهُ لِلْجَمَاعَةِ ، وَسَعْيَهُ لِلْخَيْرِ ، وَكَشْفَنَا عَنْ رُوحِهِ الطَّيِّبَةِ الْمَرَحَةَ ،
وَنَفْسِهِ الصَّافِيَةَ ، وَأَخْلَاقَهُ الْكَرِيمَةَ ، وَزَهْدَهُ فِي الدُّنْيَا ، وَفَنَائِهِ فِي الْحَقِّ وَعَرَفْنَا
مَكَانَتَهُ الْعَالِمِيَّةَ ، وَكَثْرَةَ حَدِيثِهِ ، وَقُوَّةَ حَافِظَتِهِ ، وَرَأْيَانَا مَنْزِلَتَهُ بَيْنَ أَصْحَابِهِ ، وَثَنَاءُ
الْعُلَمَاءِ عَلَيْهِ .

ولكن بعض الباحثين لم يسرُم أن يروا أبا هريرة في هذه المكانة السامية ،
والمُرْتَلَةِ الرَّفِيعَةِ ، فَدَفَعْتُهُمْ مَيُولُهُمْ وَأَهْوَاؤُهُمْ إِلَى أَنْ يَصُورُوهُ صُورَةً تُخَالِفُ
الْحَقِيقَةَ الَّتِي عَرَفْنَاهَا ، فَرَأَوْا فِي مُحَبَّتِهِ لِلرَّسُولِ الْكَرِيمِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غَايَاتٍ
خَاصَّةً لِأَبِي هُرَيْرَةَ ، لِيشيع بطنه ويروى نهمه ، وَصُورُوا أَمَانَتَهُ خِيَانَةً ،
وَكَرَمَهُ رِيَاءً ، وَحَفَظَهُ تَدْجِيلًا ، وَحَدِيثَهُ الطَّيِّبَ الْكَثِيرَ كَذْبًا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَبَهْتَانًا ، وَرَأَوْا فِي فَقْرِهِ مَطْعَمًا وَعَارًا ، وَفِي تَوَاضُعِهِ ذِلًّا ،
وَفِي مَرَحِهِ هَذَرًا ، وَصُورُوا أَمْرَهُ بِالْمَعْرُوفِ وَنَهْيِهِ عَنِ الْمُنْكَرِ لَوْثًا مِنَ الْاِحْتِيَالِ
لِخِدَاعِ الْعَامَةِ ، وَرَأَوْا فِي اعْتِزَالِهِ الْفِتَنِ تَحْزُبًا ، وَفِي قَوْلِهِ الْحَقِّ انْحِيَاظًا ، وَاعْتَبَرُوهُ
صَنِيعَةَ الْأُمُويِّينَ الَّذِينَ طَوَّوهُ تَحْتَ جَنَاحِهِمْ ، فَكَانَ أَذَانُهُمُ الدَّاعِيَةُ لِمَآرِسِهِمْ

السياسية ، فهو في نظرهم من الكاذبين الواضعين للأحاديث على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، افتراء وزورا ،

هكذا رآه بعض أهل الأهواء قديماً كالنظام ، والمريسي ، والبلخي ، وتابعهم في هذا المصير بعض المستشرقين أمثال (جولد تسهر) و (شبرنجر) وأغرب من هذا أن يطعن فيه وفي السنة بعض من ينسب إلى العلم ، فقد عثرت على كتاب تحت عنوان (أبو هريرة) ألفه عبد الحسين شرف الدين العاملي . وافترى فيه على أبي هريرة افتراءات يندى لها جبين العلم ، ونحو ضمير العلماء ، وتجرح الحق ، ولا تتفق معه ، حتى انتهى إلى تكفير أبي هريرة ، وقد حمله على هذا عاملان : أولهما هواء ، وثانيهما تأويلاته التي لا تتماشى مع الحق ، ولا توافق التاريخ . .

وقد استقى من هذا الكتاب أيضاً محمود أبورية صاحب كتاب « أضواء على السنة المحمدية » . فكان أشد على أبي هريرة من أستاذة ، وأكثر مجانبة للصواب ، كما أن الأستاذ أحمد أمين كشف عن جانب من سيرة أبي هريرة دون أن يكشف عن الجوانب الأخرى فلم تكن صورته عنده مطابقة للحقيقة التاريخية .

ومن الصعب أن أفند جميع الشبهات التي أخذها بعضهم على أبي هريرة في هذا الكتاب ، لأنها تحتاج إلى كتاب ينفردها^(١) ، لذلك أردت هنا رداً مجملاً على أهم الشبهات التي أثاروها حوله ، ولولا مكانة أبي هريرة ونقله جانباً عظيماً من السنة لترك الرد على هذه الشبه ، ولكني رأيت من الواجب أن أبين الحق لأن الطعن فيه طعن صريح في جميع مروياته ، وترك الجانب لا يستهان به من السنة .

(١) منذ ما أثاره هؤلاء في كتاب تحت عنوان « أبو هريرة راوية الإسلام » .

١ - عمر وأبو هريرة رضي الله عنهما :

اتهم عبد الحسين شرف الدين وأبورية^(١) أبا هريرة بأنه سرق عشرة آلاف دينار حينما ولي البحرين لعمر ، فعزله وضربه بالدرة حتى أدماه .

لقد ذكرت جميع الروايات^(٢) المعتمدة أن عمر رضي الله عنه قاسمه كما قاسم غيره من الولاة^(٣) . وليس فيها أنه ضربه حتى أدماه . وكان أبو هريرة يقول : اللهم اغفر لأمر المؤمنين^(٤) . لم يحقد على عمر رضي الله عنه مع أنه يعلم أن ما قاسمه إياه إنما هو عطاياه وأسمه وبعض غلة رقيقته . ولو أن عمر شك في أمانة أبي هريرة بعض الشك لحاكمه وعاقبه العقوبة للشرعية ، ولكنه عرف فيه الأمانة والإخلاص فماد إليه بعد حين يطلبه للولاية فأبى أبو هريرة قبولها كما أسلفنا ١١

هذا وجه الحق الذي أخفاه عبد الحسين وأبورية ، فعبد الحسين نقل رواية واحدة عن العقد الفريد لابن عبد ربه^(٥) ، حيث وجد فيها ما يوافق هوام ، ولم

(١) انظر : (أبو هريرة) عبد الحسين شرف الدين ص ١٤ - ١٥ وانظر أضواء على السنة المحمدية ص ١٩٢ - ١٩٣ .

(٢) انظر في هذا الكتاب القسم الأول من ترجمة أبي هريرة ص ٤١٥ وما بعدها .

(٣) يقول ابن عبد ربه : (ولا عزل عمر أبا موسى الأشعري من البصرة ، وشاطرته ماله ، وعزل أبا هريرة من البحرين وشاطرته ماله وهزل الحارث بن كعب بن وهب وشاطرته ماله) . انظر العقد الفريد ص ٣٣ > ١ وروى ابن عمر أن عمر قاسم سعد بن أبي وقاص ماله حين عزله من العراق . (طبقات ابن سعد ص ١٠٥ قسم ١ ص ٣) . فعمر لم يتهم أبا هريرة ولم يشاطره ماله وحده ، بل تلك كانت سياسته مع ولاة ، كيلا يطمع امرؤ في مال الله ، ويحفر سميات . وكان يعزل ولاة لا عن شبهة بل من باب الإجهاد وحسن رعاية أمور المسلمين ، انظر ذلك في العقد الفريد ص ٣٤ - ٣٥ و ٦٠ ص ١ .

(٤) انظر طبقات ابن سعد ص ٦٠ قسم ٢ ص ٤ .

(٥) العقد الفريد ص ٣٤ ص ١ .

يتعرض لبقية الروايات التي تبين الحقيقة^(١) ، واكتفى أبو ريرة بالنقل عن عبد الحسين من غير أن يشير إلى المصدر ومن غير بحث أو مقارنة وتمحيص !!

٢ - هل تشيع أبو هريرة للأمويين ؟

ومما اتهم به أبو هريرة أنه تشيع للأمويين وروالاهم ، ووضع الحديث على الرسول صلى الله عليه وسلم ضد خصومهم وتأييداً لسياساتهم^(٢) .

ويظهر بطلان هذه الشبهة إذا علمنا أنه لا دليل على تشيع أبي هريرة للأمويين بل ثبتت معارضته لهم في كثير من تصرفاتهم ، ولم يكن دائماً على صلة حسنة بمعاوية وإذا كان معاوية قد جعله على المدينة فقد كان يعزله كلما غضب عليه ، ويولي مروان بن الحكم مكانه ، كما أن أبا هريرة لم يكن يكره علماً وأهله إرضاء للأمويين ، بل كان محباً لأهل البيت ، ومن هذا ما رواه ابن كثير مما دار بين مروان بن الحكم وأبي هريرة حين أراد المسلمون دفن الحسن مع النبي صلى الله عليه وسلم . فكان مما قاله لمروان : (والله ما أنت بوال ، وإن الوالي أنيرك ، فدعه ، ولست بك تدخل فيما لا يعنيك ، إنما تريد بهذا إرضاء من هو غائب عنك ، يعني معاوية^(٣)) .

وكذلك نرى أبا هريرة ينكر على مروان في مواضع عدة ، فقد أنكر عليه عندما رأى في داره تصاوير ، فقال له : (سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : يقول الله عز وجل : ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقى ! فليخلقوا

(١) انظر طبقات ابن سعد ص ٥٩ قسم ٢ ج ٤ ، وتاريخ الإسلام ص ٣٣٨ ج ٢ ، وحلية الأولياء ص ٣٨٠ ج ١ ، والبداية والنهاية ص ١١١ ج ٨ .

(٢) انظر : (أبو هريرة) لعبد الحسين ص ٢٦ - ٣١ وما بعدها ، وأخبار أضواء على السنة المحمدية ص ١٨٥ - ١٩٠ .

(٣) البداية والنهاية ص ١٠٨ ج ٨ .

ذرة^(١) . ، كما أنكر عليه حين أبطأ بالجمعة ، فقام إليه قائلاً : (أنظروا عند ابنة فلان تروحك بالمراوح وتسقيك الماء البارد ، وأبناء المهاجرين والأنصار يصهرون من الحر ؟ لقد هممت أن أفعل وأفعل ، ثم قال : اسمعوا من أميركم^(٢) .

فهل هذا موقف التشيع لبني أمية ، النازل على رغباتهم في الحديث ، الداعي لهم أن هذا موقف ملتزم الحق ؟

لقد أنكر على الأمير تأخره ، وحفظ له حقه فأمر المسلمين بالسمع إليه ، وهذا دليل آخر على مكانة أبي هريرة بين المسلمين ، فلو كان حقيراً مهيناً — كما صورته أعداؤه — ما سمع منه المسلمون ، وما تحمله مروان .

وكان يجدر بمن اتهم أبا هريرة بالتشيع الأمويين أن يتهمه بالتشيع لأهل البيت لما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في مناقبهم ومدحهم ، مما ورد في صحاح السنة^(٣) ، فهذا أولى لهم من أن يتبعوا الأحاديث الضعيفة والموضوعة على أبي هريرة في مدح الأمويين ، ليتهموه بموالاةهم وتأيدهم مع وضوح وضع تلك الأحاديث ، ومعرفة الكذبة الواضحة لها ، وجلاء أمرها ، ونتيجة لهذا المنهج المتقوى حكم عليه عبد الحسين وأبورية .

ومما قاله عبد الحسين في أبي هريرة والأمويين : (استعبد بنو أمية أبا هريرة ببرهم ، فأسكوا فيأده ، واحتلوا سمه وبصره وفؤاده ، فإذا هو لسان دعايتهم في سياستهم ، يتطور فيها على ما تقتضيه أهواؤهم . فتسارة يفتتت

(١) مسند الإمام أحمد من ١٤٨ حديث ٧١٦٦ ج ١٢ باسناد صحيح ورواه البخاري .

(٢) المقدم الفريد من ٤٢ ج ١ .

(٣) انظر على سبيل المثال لأبي حنبل المصنف : مسند الإمام أحمد من ١٢٩ حديث ٧٣٩٢

ومن ١٩٥ حديث ٧٤٥٥ ج ١٣ ومن ٦٩ حديث ٧٦٣٦ ، ومن ٢٦٠ حديث ٢٨٦٣

ج ١٤ وفتح الباري من ٧٦ ج ١٤ و ٨ ج ١٤

الأحاديث في فضائلهم . . . وتارة يلفق أحاديث في فضائل الخلفيتين نزولاً على رغائب معاوية وفتنه الباغية^(١) .

هكذا أراد أن يصوره عبد الحسين شرف الدين ، وقد عرفنا في سيرته وأخلاقه ما يدفع هذا الافتراء .

٣ - هل وضع أبو هريرة الأحاديث كذباً على رسول الله صلى الله

عليه وسلم ؟

لقد اتهم عبد الحسين ، وأبو رية أبا هريرة بالكذب على رسول الله لإرضاء للأمويين ونكابة بالعلويين .^(٢) وأبو هريرة من كل هذا براء . ولكنهما أوردا أخباراً ضعيفة وموضوعة لأصل لها . من هذا ما ذكره عبد الحسين فقال : (قال الإمام أبو جعفر الاسكافي : إن معاوية حمل قوماً من الصحابة وقوماً من التابعين على رواية أخبار قبيحة في علي ، تقتضي الطعن فيه ، والبراءة منه ، وجعل لهم على ذلك جعلاً يرغب في مثله ، فاختلفوا له ما أَرْضاه ، منهم أبو هريرة ، وعمر بن العاص ، والمغيرة بن شعبة ، ومن التابعين عروة بن الزبير إلى آخر كلامه .)^(٣)

وقال : (لما قدم أبو هريرة العراق مع معاوية عام الجماعة جاء إلى مسجد الكوفة ، فلما رأى كثرة من استقبله من الناس جثا على ركبتيه ، ثم ضرب صلته مراراً ١١ وقال : يا أهل العراق^(٤) أنزعون أني أ كذب على الله ورسوله

(١) أبو هريرة لعبد الحسين ص ٣٥ وما بعدها .

(٢ و ٣) انظر (أبو هريرة) لعبد الحسين ص ٣٥ وما بعدها ، وأضواء على السنة المحمّدية ص ١٩٠ وما بعدها .

(٤) سائق مؤلف (أضواء على السنة) هذه الروايات في ص ١٩٠ - ١٩١ ومما في =

وأحرق نفسى بالنار؟ والله لقد سمعت رسول الله يقول: إن لكل نبي حرماً، وإن المدينة حرمى، فمن أحدث فيها حدثاً فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين. قال: وأشهد بالله أن علياً أحدث فيها ١١ فلما بلغ معاوية قوله أجازته وأكرمه وولاه إمارة المدينة^(١).

هذه أخبار مختلفة استشهد بها عبد الحسين ليدعم زعمه أن أبا هريرة كان عميلاً للأمويين، وضاعاً للحديث ولسكن هذه الأخبار مردودة سنداً ومتناً.

١ - أما من حيث السند: فإن ابن أبي الحديد صاحب شرح نهج البلاغة نقل هذه الأخبار عن شيخه محمد بن عبد الله أبي جعفر الإسكافي (٢٤٠هـ - ٣٤٠هـ) وهو من أئمة المعتزلة المنشيعين، والعداء مستحكم بين المعتزلة وأهل الحديث من أواخر القرن الأول الهجرى ثم أصبح متوارثاً بعد هذا القرن، وأترك التعريف بأبي جعفر وتركته لتلميذه ابن أبي الحديد إذ يقول: ذكر شيخنا أبو جعفر الإسكافي رحمه الله تعالى، وكان من المتحقيقين بموالاته على عاينه السلام والمبالغين في تفضيله، وإن كان القول بالتفضيل عاماً شائعاً في البغداديين من أصحابنا كافة، إلا أن أبا جعفر أشدهم في ذلك قولاً، وأخلصهم فيه اعتقاداً^(٢).

== الهامش على هذا الخبر فقال: يدل هذا القول على أن كذب أبي هريرة على النبي قد اشتهر حتى علم الأفاق، لأنه قال ذلك وهو بالعراق وأن الناس جميعاً كانوا يتعدون عن هذا الكذب في كل مكان. هامش الصفحة ١٩٠ من أضواء على السنة. انظر إلى هذا اللؤاب الذى أخذ من أستاذه وتفوق عليه بالاستنباطات الخيالية، من غير أن يثبت من صحة الرواية، ولكن له وقفة بين يدي الله تعالى.

(١) أبو هريرة لعبد الحسين ص ٣٨ - ٣٩

(٢) شرح نهج البلاغة ص ٤٦٧ ج ١ طبعة بيروت، وأظن ترجمته في إسان الميراث

ص ٢٢١ ج ٢

هذه شهادة تليد لأستاذ لا يرق إليها الشك ولا يعتريها الظن والتأويل ،
 فالأستاذ من أهل الأهواء داع إلى هواه ، بل متمصب في ذلك ، بشهادة أقرب
 الناس إليه ، وأعرفهم به ، فإذا سبق لأمثاله أن كذبوا الصحابة في الحديث
 بل في نقل القرآن ، فليس بعيداً أن يكذبوا على أبي هريرة ، ويفتروا عليه وعلى
 بعض الصحابة والتابعين . لكن روايته مردودة لسببين :

الأول : ضعف الإسكافي لعاملين :

العامل الأول : إنه معتزلي يناسب أهل الحديث العداء .
 والعامل الثاني : إنه شيعي محترق . فقد اجتمع فيه عاملان يكفي أحدهما
 لرد روايته .

الثاني : لم تذكر هذه الروايات في مصدر موثوق بسند صحيح علماً بأن الإسكافي
 لم يذكر لها سنداً ، وهذا يرجح أنها موضوعة أو هي على الأقل ضعيفة لا يحتاج بها .
 ٢ - وأما من حيث المتن ، فلم يثبت أن معاوية حل أحداً على الطعن في
 أمير المؤمنين على رضي الله عنه ، ولم يثبت عن أحد من الصحابة أنه تطوع بذلك ،
 أو أخذ أجراً مقابل وضع الحديث ، والصحابة جميعاً أسمى وأرفع من أن ينحطوا
 إلى هذا الخفض ، ومعاذ الله أن يفعل هذا إنسان صاحب رسول الله وسمع
 حديثه وزجره عن الكذب ، وإن جميع ما جاءنا من هذه الأخبار الباطلة إنما
 كان عن طريق أهل الأهواء الداعين إلى أهوائهم ، المتعصبين لمذاهبهم ،
 فتجبرؤوا على الحق ، ولم يعرفوا للصحة حرمتها ، فتكلموا في خيار الصحابة ،
 وأنهموا بعضهم بالضلال والفسق ، وقذفوا بعضهم بالكفر ، وافتروا على أبي
 بكر وعمر وعثمان وغيرهم ^(١) .

وقد كشف أهل الحديث من هؤلاء الكذبة ، لذلك ناصبت أكثر الفرق أصحاب الحديث العداء ، فتنبعوا أحوالهم واخترعوا الأباطيل ، لتفقد الأمة الثقة بهم ، ومن ذلك ما فعله المعتزلة والروافض وبعض فرق الشيعة ، ومن أراد الاطلاع على بعض هذا فليراجع كتاب (قبول الأخبار) لأبى القاسم الباقى .

ولكن الله أبى إلا أن يكشف أسر هذه الفرق ، ويميط اللثام عن وجوه المستترين وراءها ، فكان أصحاب الحديث هم جنود الله عز وجل ، بينوا حقيقة هؤلاء ، وأظهروا نواياهم وميولهم ، فما من حديث ، أو خبر يطعن فى صحابه ، أو يشكك فى عقيدة ، أو يخالف مبادئ الدين الحنيف إلا بين جهاذة هذا الفن يد صانعه ، وكشفوا عن علقته .

فادعاء هؤلاء مردود حتى يثبت زعمهم بحجة صحيحة مقبولة ، وكيف تتصور معاوية يجرس الصحابة على وضع الحديث كذباً وبهتاناً وزوراً ، ليطعنوا فى أمير المؤمنين على رضى الله عنه ، وقد شهد ابن عباس رضى الله عنهما لمعاوية بالفضل والعقل والفقه ^(١) ، وقد ذكر ذلك البخارى فى صحيحه ، فهل هؤلاء أن يتهموا حبر الأمة وعالمها بالكذب ، أو بالتشيع لمعاوية ^(٢) ؟ ! هذا لا يمكن ، وشهادة ترجح القرآن صحيحة ، وهذا نفى تهمة عبد الحسين .

وقد افترى الإسكافى على الصحابة الذين ذكرهم ، وبين ابن العربى فى المواضع من القواصم جانباً من أسرهم ومكانتهم ووعدهم ، كما بينت كتب التراجم

(١) انظر فتح البارى ص ١٠٤ - ١٠٥ .

(٢) انظر أصواء على التاريخ ص ١٩١ وما بعدها . فلاستاذ محب الدين الخطيب كلمة قيمة فى معاوية يجرس الاطلاع عليها .

سيرتهم ، ثم إن روايات أهل الأهواء تسربت إلى التاريخ الإسلامى ، وخاصة ما يتعلق بأخبار الأمويين ، لأن كتب التاريخ كتبت بعد بنى أمية ، فشوهت سيرتهم ^(١) ، ومع هذا لم يعدم التاريخ الرجال الأمناء المخلصين ، الذين دونوا حوادثه بأسانيدها حتى يتميز الحق من الباطل ، فليس كل خبر فى كتاب يقبل ويؤخذ به ، بل لابد من دراسته دراسة علمية - حسب منهج المحدثين الدقيق - سنداً ومقتناً .

ثم إنا نستبعد صحة هذا الخبر ، فإن عروة ولد سنة (٢٢ هـ) ، فكان عمره فى فتنة عثمان رضى الله عنه (١٣) سنة ، وعندما استشهد أمير المؤمنين على رضى الله عنه كان عمره (١٨) سنة ، فكيف يحمل خليفة معاوية عروة ابن الزبير على وضع أحاديث تطعن فى على رضى الله عنه ولا يزال عروة يافعا على عتبة العلم لم يشهر بعد ؟ ! فكان أخرى بمعاوية - لو صح الخبر - أن يفرى من هو أشهر منه وأعلم من كبار الصحابة والتابعين ، وإن قال قائل إنما استعان به أيام خلافته بعد استشهاد الخليفة الراشد الرابع ، فالجواب بدهى فى أن كلمة المسلمين اجتمعت سنة (٤٠ هـ) عام الجماعة ، حين بايع الحسن معاوية بالخلافة وثبتت دعائم الحكم ، فلم تبقى هناك أية ضرورة للدعاية للأمويين وهم الحكم ويبدم الزمام .

ولو سلمنا جدلا أن عروة قد قام بما ادعاه المؤلف - فهل يسكت عنه علماء الأمة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ وبينهم الأبطال الشجعان ، وفيهم الأقوياء والأفئدة ؟ ! لقد كانت الأمة الإسلامية واعية فى ذلك العصر ، عرف أبنائها الحوادث جميعها وعاصروها واختبروها ، فلم تعد تخفى دقائقها

(١) انظر المواسم من القوامع ص ١٢٧ .

على أحد ، وعرف المسلمون قاذمهم من محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
فلم يكن من السهل أن يتغير بعض الصحابة والتابعين وجه الحق - كإزعم
عبد الحسين - لإرضاء الخليفة وإشباع ميوله ورغباته ، وإن من يحاول إثبات
صحّة هذا الخبر ليتجنّى على الأمة جميعها ، ويجعل من عاصروا تلك الحوادث
بأنهم مغفلين ، يُعتمى عليهم الحق بالدعايات السكاذبة ، والأخبار الموضوعة ،
والواقع ثبت خلاف ذلك ، وثبت وضع الخبر وعدم صحته .

ثم إن الخبر الثاني - وهو قدوم أبي هريرة العراق - من رواية الإسكافي ،
وهو مردود عندنا ، اضعف راويه ، ولو سلمنا صحته فليس في هذا ما يضير أبا
هريرة ، لأنه يدفع عن نفسه ما أشاعه بعض خصوم الأئمة حول ، وإن الحديث
الذي روى عن أبي هريرة ليس فيه الزيادة التي اختلفت في ذم الإمام علي^(١) ،
إينال أبو هريرة أجره من معاوية أو غيره .

٤ - كثرة حديثه :

أخذ النظام المعتزلي على أبي هريرة كثرة حديثه ، وتابته بعض المعتزلة
قديماً ، ومنهم بشر المربسي ، وأبو القاسم الباخي .^(٢) وقد ردّ ابن قتيبة على
النظام في كتابه (تأويل مختلف الحديث) ، واقمت هذه الشبهة صدى في
نفوس بعض المتأخرين كمحمد الحسين شرف الدين الذي سود صفحات كثيرة
من كتابه (أبو هريرة^(٣)) ، يشكك في مروياته ويستكثرها ، ويوم القاريء
أن مارواه أبو هريرة أكثر مما رواه الصحابة الذين اشتهلوا بأمور الدولة

(١) انظر صحيح مسلم ص ٩٩٩ - حديث ٤٦٩ ج ٢ .

(٢) انظر كتابه في قول الأخبار ومعرفة الزيادة .

(٣) انظر كتابه (أبو هريرة) ص ٤٥ وما بعدها .

وسياستها ، ويشير هذه الشبهة نفسها محمود أبو رية في كتابه (أضواء على السنة الحمديدية^(١)) ، ويستشهد هؤلاء جميعاً بأخبار ضعيفة أو موضوعة أحياناً ، وبتأويلات وموازنات باطلة أحياناً أخرى ، وتلتقى أهواء هؤلاء بأهواء بعض المستشرقين أمثال (جولد تسيهر) الذي استكثر أيضاً مرويات أبي هريرة^(٢) .

وقد حل لواء الدفاع عن الحق قديماً وحديثاً بعض العلماء الذين كشفوا عن نوايا هؤلاء ، وبينوا الحق من الباطل ، ومازوا الخبيث من الطيب^(٣) .

وخلاصة أقوالهم ، أن أبا هريرة تأخر إسلامه ، وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم (٥٣٧٤) حديثاً ، وهي أكثر كثيراً مما رواه الخلفاء الأربعة وغيرهم من الصحابة الذين سبقوه إلى الإسلام ، ومما يقوله عبد الحسين في هذا : فلينظر ناظر بعقله في أبي هريرة ، وتأخره في إسلامه ، وخوله في حسبه ، وأميته ، وما إلى ذلك مما يوجب إقلاقه ، ثم لينظر إلى الخلفاء الأربعة ، وسبقهم واختصاصهم ، وحضورهم تشريع الأحكام ، وحسن بلائهم في اثنتين وخمسين سنة ، ثلاث وعشرين كانت بمجدة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتسع وعشرين من بعده ، ساسوا فيها الأمة ، وسادوا الأمم . . فكيف يمكن والحال هذه ، أن يكون المأثور عن أبي هريرة وحده أضعاف المأثور عنهم جميعاً ؟ أفنونا

(١) انظر أضواء على السنة الحمديدية ص ١٦٢ وما بعدها .

(٢) انظر دائرة المعارف الإسلامية - مادة حديث .

(٣) تعرض هؤلاء قديماً ابن قتيبة في كتابه تأويل مختلف الحديث ، والداري في كتابه (رد الداري على بشر للرئيسي) وتفرقت بعض الردود في كتب الصحاح وشروحاتها كفتح الباري . ومن الماصرين من تولي الرد على هؤلاء : فلقد كتبه مصطفى السباعي (السنة ومكانتها و التشريع الإسلام) رد فيه على المستشرقين وعلى أبي رية ، ولحمد عبد الرزاق حزة (ظلمات أبي رية) ولعبد الرحمن العلي البياضي (الأوار الكاشفة لما في كتاب أضواء على السنة من الزلل والنضيل والجزلة) رداً على أبي رية .

يا أولى الألباب !!؟ وليس أبو هريرة كعائشة ، وإن أكرت أيضاً فقد تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل إسلام أبي هريرة بعشر سنين ، فكانت في مهبط الوحي والتنزيل ، ومختلف جبرائيل وميكائيل ، أربعة عشر عاماً ، وماتت قبل موت أبي هريرة بيسير) ، ثم وازن بينهما في الذكاء والفطنة ، ثم قال : (على أنها اضطرت إلى نشر حديثها ، إذ بشت دعائها في الأمصار ، وقادت إلى البصرة ذلك العسكر الجرار ، ومع هذا فإن جميع ما روى عنها إنما هو عشرة مسانيد ومائتا مسند وألفا مسند ، لحديثها كله أقل من نصف حديث أبي هريرة . . .) ثم يرى بعد ذلك أن حديث أبي هريرة (ما من أصحاب النبي أحد أكثر حديثاً عنه مني إلا ما كان من عبد الله بن عمرو فإنه كان يكتب ولا أكتب) - يعارض كثرة حديث أبي هريرة ، ويرى أنه إقرار صريح من أبي هريرة بأن ابن عمرو أكثر منه حديثاً ، وقد باغ مسند عبد الله بن عمرو (٧٠٠) حديث .

ثم يزعم أن العلماء حاروا في أمر أبي هريرة ، ولم يروا مخرجاً له ، اللهم إلا إعلانه ابن حجر القسطلاني والشيخ زكريا الأنصاري ، بأن عبد الله بن عمرو قطن مصر بينما سكن أبو هريرة المدينة مقصد المسلمين ، ومع هذا يرى كلام أبي هريرة صريحاً يحبط تأويل واعتذار القسطلاني والأنصاري .

ويعود ليقارن بين مقام أبي هريرة في المدينة وعبد الله بن عمرو في مصر ، وينغمز جانب أبي هريرة ، ويجهله من المهملين عند من يفد إلى المدينة ويقول : (وكثيراً ما كانوا يقيمون عليه إكثاره على رسول الله ﷺ فيقولون : إن أبا هريرة يكثر الحديث ، ويقولون : ما المهاجرين والأنصار لا يحدثون مثل حديثه . . .) وينتهي عبد الحسين من تحقيقه هذا في كثرة أحاديث أبي هريرة

إلى النتيجة الآتية حيث يقول : (والحق أن أبا هريرة إنما اعترف لعبد الله في أوائل أمره بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم حين لم يكن مفرطاً هذا الإفراط الفاحش ، فإنه إنما تفاقم لإفراطه وطلعت فيه على عهد معاوية ، حيث لا أبو بكر ولا عمر ولا علي ولا غيرهم من شيوخ الصحابة الذين يخشاهم أبو هريرة ^(١)) .

من الغريب أن يعجب الكاتب لكثرة حديث أبي هريرة ، ومن العجيب أن يثير هذا في القرن العشرين !! فهل يعجب من قوة ذاكرة أبي هريرة أن تجمع (٥٣٧٤) حديثاً أم يعجب أن يحمل هذه الكثرة عن الرسول صلى الله عليه وسلم خلال ثلاث سنوات ؟ .

إذا كان يعجب من قوة حافظة أبي هريرة فليس هذا مجالاً للدهشة والطمع ، لأن كثيراً من العرب قد حفظوا أضعافاً مضاعفة ما حفظه أبو هريرة فكثير من الصحابة حفظوا القرآن الكريم ، والحديث الشريف والأشعار ، فاذا يقول المؤلف في هؤلاء ؟ ماذا يقول في حفظ أبي بكر أنساب العرب ؟ وعثثة رضى الله عنها شعرهم ؟ وماذا يقول صاحبنا في حماد الراوية الذي كان أعلم الناس بأيام العرب وأشعارها وأخبارها وأسابيحها ولغاتها ؟ وماذا يقول فيه إذا علم أنه روى على كل حرف من حروف المعجم مائة قصيدة كبيرة سوى المقطعات ، من شعر الجاهلية دون الإسلام ^(٢) ؟ وماذا يقول في حفظ حبر الأمة عبد الله بن عباس ؟ وحفظ لإمام الزهري والشعبي وقادة بن دعامة السدوسي ؟ لحفظ أبي هريرة ليس بدعاً وليس غريباً وخاصة إذا عرفنا أن تلك الأحاديث الـ (٣٧٤) ، مروية عنه ولم تسلم جميع طرقها ، فأبو هريرة لا يهتم في حفظه وكثرة حديثه من هذا الوجه .

(١) انظر (أبو هريرة) لعبد الحين ص ٥٥ وما بعدها .

(٢) انظر الأعلام ص ٣٠١ - ٢٠٢ .

وإذا كان المؤلف بمجب من تحمل ألى هريرة هذه الأحاديث الكشيرة
عن الرسول صلى الله عليه وسلم خلال ثلاث سنوات ، فقد ظاب عن ذهنه أن أبا
هريرة صاحب الرسول صلى الله عليه وسلم فى سنوات ذات شأن عظيم ، جرت
ففى أحداث اجتماعية وسياسية وتشريعية هامة ، وفى الواقع أن رسول الله صلى
الله عليه وسلم قد تفرغ فى تلك السنوات الدعوة والتوجيه بعد أن هادته قرىش ،
فى السنة السابعة وما بعدها انتشرت رسله فى الآفاق ، ووفدت إليه القبايل
من جميع أطراف جزيرة العرب ، وأبو هريرة فى هذا كله يرافق الرسول عليه
الصلاة والسلام ، ويرى بمبنيه ، ويسمع بأذنيه ، ويبى بقلبه .

ثم إن مارواه لم يكن جميعه عن النبى صلى الله عليه وسلم ، بل روى
عن الصحابة رضى الله عنهم ، ورواية بعض الصحابة عن بعض مشهورة مقبولة
لامأخذ عليها ، فإذا عرفنا هذا زال العجب العجاب الذى تصوره مؤلف
كتاب (أبو هريرة) وغيره .

ومن الخطأ الفاحش أن يقارن الخلفاء الراشدون وأبو هريرة فى مجال
الحفظ وكثرة الرواية ، لأسباب عدة أهمها :

١ - صحيح أن الخلفاء الراشدين الأربعة رضى الله عنهم سبقوا أبا هريرة
فى صحبتهم وإسلامهم ، ولم يرو عنهم مثل ماروى عنه ، إلا أن هؤلاء اهتموا
بأمور الدولة ، وسياسة الحكم ، وأنفذوا العلماء والقراء والقضاة إلى البلدان ،
فأدوا الأمانة التى حلوها ، كما أدى هؤلاء الأمانة فى توجيه شئون الأمة فسكا
لأنوم خالد بن الوليد على قلة حديثه عن الرسول صلى الله عليه وسلم لانشغاله
بافتوحات لأنوم أبا هريرة على كثرة حديثه لانشغاله بالعلم ، وهل لأحد
أن يلوم عثمان بن عفان أو عبد الله بن عباس رضى الله عنهما لأهمهما لم يحملا

لواء الفتوحات شرقاً وغرباً ١١١ لا ، فكل امرئ ميسر لما خلق له .
 ٢ - انصراف أبو هريرة إلى العلم والتطعيم واعتزاله السياسة ، واحتياج
 الناس إليه لامتداد عمره ، يجعل الموازنة بينه وبين غيره من الصحابة السابقين
 أو الخلفاء الراشدين غير صحيحة ، بل هي خطأ كبير .

ثم إن عبد الحسين شرف الدين وأبا رية بطعنانه عليه في هذا المجال
 في حبه ونسبه وأميته ، فهل لهذه النواحي أثر في كثرة الرواية وقلتها ؟
 لم يقل بهذا أحد .

وما رددنا به عليه بالنسبة لمقارنته بالخلفاء الراشدين ، يرد بالنسبة لمقارنته
 بالسيدة عائشة رضي الله عنها ، ونضيف أن السيدة عائشة كانت تقي الناس
 في دارها ، وأما أبو هريرة فقد اتخذ حلقة له في المسجد النبوي ، كما كان أكثر
 احتكاكا بالناس من السيدة أم المؤمنين بصفته رجلا ، كثير التدوير والروح ،
 وأضيف إلى هذا أن السيدة الجليلة كان جل همها موجه نحو نساء المؤمنين ،
 وكان يتمتع بدخول كل إنسان عليها ، ومع هذا لم يكف المؤلف لكتاب
 (أبو هريرة) لسانه عنها ، بل رأى أنها أكثر أيضا ١١ وهو في هذا
 يناقض نفسه .

أما أنه يرى حديث أبي هريرة أكثر من حديث السيدة عائشة وأم سلمة ،
 وحديث بقية أمهات المؤمنين والحسنين وأمهات مع حديث الخلفاء الأربعة -
 فقد سبق الرد عليه ، وأضيف إلى ذلك أن أم سلمة لم تكن مرجعا للناس
 كالسيدة عائشة رضي الله عنهما ، وأما الحسنان فهما من صفار الصحابة ،
 وقد اشتغلا في الأمور السياسية فبدهى أن تكون مروياتهما قليلة ،
 ومثل هذا يقال في أمهات سيدة نساء العالمين ؛ التي لم تمش سوى ستة شهور

بعد وفاة الرسول الكريم عليه وعلى آله أفضل الصلاة وأتم التسليم .

فالأمر ليس خطيرا يحتاج إلى تفكير أرباب العقول كما ادعى ١٩١
وهل يقصد بأرباب العقول النظام والملاحظ ٩١

إن نظرة مجردة عن الهوى تدرك أن ما روى عن أبي هريرة من الأحاديث
لا يشير العجب والدهشة ، ولا يحتاج إلى هذا الشغب الذي اصططنه أهل
الأهواء ، وأعداء السنن ، وإن مارواه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
سواء أسمعته منه أم من الصحابة لا يشك فيه لقصر صحبته ، بل إن صحبته تحتمل
أكثر من هذا ، لأنها كانت في أعظم سنوات دولة الإسلام دعوة ونشاطاً ،
وتعليماً وتوجيهاً في عهد رسول الله عليه الصلاة والسلام .

وأما طعنهم في حديث الوعائين ، وسهكهم على أبي هريرة ، واستهزؤهم
بما في وعائه من العلم الذي لم ينشره ، وتساؤلهم عن ذلك العلم فكل هذا
قد طرّفه العلماء ، وبينوا أن ما عنده مما لم ينشر لا يتعلق بالأحكام أو الآداب ،
وليس مما يقوم عليه أصل من أصول الدين ، بل هو بعض أمثراط الساعة ،
أو بعض ما يقع الأئمة من الفن^(١) ، ويدل على ذلك حديثه الذي ذكر بعضه
مؤلف كتاب (أبو هريرة^(٢)) ولم يذكر تعليق راويه الذي يبين قصد أبي
هريرة ، قال أبو هريرة : (لو حدثتكم بكل ما في جوفى لم يمتدحوني بالبحر . قال
الحسن - راوى الحديث عن أبي هريرة - : صدق ، والله لو أخبرنا أن بيت
الله يهدم أو يحرق ماصدقه الناس^(٣)) (١١)

(١) انظر هامش (١) ص ٦٢ : من هذا الكتاب ، وراجع فتح الباري ص ٢٢٤ ج ٦
والرد على المنتقدين ص ٤٤٥ - ٤٤٦ .

(٢) انظر (أبو هريرة) لعبد الحدين شرف الدين ص ٥٠ - ٥٢ .

(٣) طعنت ابن سعد ص ٥٧ قسم ٢ ج ٤ ص ١١٩ قسم ٢ ج ٢ .

وأبو هريرة ليس بدعا في قوله ، فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يختص ببعض أصحابه بأشياء دون الآخرين ، من هذا حديثه لمعاذ بن جبل رضى الله عنه : (ما من أحد يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله صدقا من قلبه إلا حرمه الله على النار . قال : يا رسول الله ، أفلا أخبر به الناس ، فيستبشروا ؟ قال : إذا يتكلموا^(١)) . وأخبر به معاذ عند موته تأمناً وخوفاً من أن يكون قد كتم العلم ولم يكن معاذ ولى عهده ولا خليفته من بعده ، فالأمر لا يحتاج إلى ولاية عهد ، ولا إلى وصاية ، فلم ينكر المؤلف مثل هذا على أبي هريرة ، ولا ينكره على غيره ؟ ثم ليعرف المؤلف الأمين الذى أساء كثيراً إلى أبي هريرة ، وشتمه وكال له السباب كيلا — أن كتمان أبي هريرة لهذا الوعاء لم يكن لخوفه ألا يسمع الناس له ، لمهاتته وضعفه فيرمونه بالبعر وبالمزابل ، بل لأنه أراد أن يحدث الناس على قدر عقولهم ، وأن يخاطبهم بما يفهمون ويعرفون ، وبهذا أوصى أمير المؤمنين على رضى الله عنه^(٢) .

أما قول أبي هريرة : إن أبا هريرة لا يكتم ولا يكتب . فلا يتعارض مع حديث الوعاءين لأن أبا هريرة لا يكتم العلم النافع الضروري ، وما كتمه لم يكن من هذا ، بل كان بعض أخبار الفتن والملاحم وما سبق للناس ، مما لا يتوقف عليه شيء من أصول الدين أو فروعه ، وهذا النوع من العلم يجدر كتمه ، ومن الصواب عدم نشره وإعلانه .

وأما ما استشهدوا به لدعم طعنهم في كثرة مرويات أبي هريرة ، واحتجاجهم بما قاله أبو هريرة نفسه : (ما من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم

(١) فتح البارى ص ٢٣٦ ج ١ .

(٢) انظر فتح البارى ص ٢٣٥ ج ١ .

أحد أكثر حديثاً عنه منى إلا ما كان من عبد الله بن عمرو ، فإنه كان يكتب ولا يكتب^(١)) وبأن مرويات ابن عمرو لا تتجاوز سبعمائة حديث واستنباطهم من هذا أن أبا هريرة يقر ويعترف بقوله على رسول الله صلى الله عليه وسلم ما لم يقل - فهو استشهاد في غير موضعه بنى على تصور باطل ، وفهم للحديث على خلاف الواقع .

إن قول أبي هريرة يدل على أن عبد الله بن عمرو كان أكثر أخذاً للحديث من أبي هريرة ، لأنه كان يكتب وأبو هريرة لا يكتب ، وبمقتضى أن يكون قول أبي هريرة هذا في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم ، قبل أن يدعو له بالحفظ أو قبل أن يكون لديه من الحديث من الكثرة ما أصبح عنده بعد حين ، وإذا استبعدنا هذا الفرض فشكل ما في الأمر أن عبد الله بن عمرو حمل من الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أكثر من أبي هريرة . إلا أنه لم يتيسر له نشره لأسباب أهمها :

١ - أن اشتغال عبد الله بن عمرو بالعبادة كان أكثر من اشتغاله بالتعليم ، ولذلك قلت الرواية عنه ، وإن لم يقل نعمه .

٢ - كان مقامه بعد فتوح الأمصار في مصر والطائف ، وكان مقام أبي هريرة في المدينة متصدراً فيها للفتوى ، والتحديث إلى أن توفي ، وكان طلاب العلم يقصدون المدينة مهجر الرسول وعاصمة الإسلام ، أكثر مما يقصدون غيرها من بلاد الإسلام .

وأضيف إلى هذا ما اختص به أبو هريرة من دعوة الرسول صلى الله عليه وسلم له بأن لا ينسى ما يسمعه منه ، وربما قلت الرواية عن عبد الله

ابن عمرو ، لأنه كان قد ظفر في الشام بحمل جل من كتب أهل الكتاب ، فكان ينظر فيها ، ويحدث منها ، فتجنب الأخذ عنه لذلك كثير من أئمة التابعين ^(١) .

والى جانب هذا لم يكن عبد الله بن عمرو على وفاق مع معاوية وابنه يزيد ، فلم يفسح له مجال التحديث والاشتغال بالتعليم ^(٢) .

لقد تصافت هذه العوامل فجعلت مرويات ابن عمرو أقل من مرويات أبي هريرة ، ولا ينبغي أن يثير هذا أى شك ، أو يدخل أية شبهة على مرويات أبي هريرة للكثرة مع نصريحه بكثرة حديث عبد الله بن عمرو .

٥ - هل كان الصحابة يكذبون أبا هريرة ويردون أحاديثه ؟

ذكر إبراهيم بن سيار النظام أبا هريرة فقال : أكذبه عمر وعثمان وعلى وعائشة ^(٣) رضوان الله عليهم أجمعين .

وقال بشر المريسي عن عمر بن الخطاب أنه قال : (أكذب المحدثين أبو هريرة ^(٤)) .

وقال أحمد أمين : وقد أكثر بعض الصحابة من نقد أبي هريرة على الإكثار من الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وشكوا فيه ،

(١) انظر فتح الباري ص ٢١٧ ج ١ .

(٢) انظر مسند الإمام أحمد ص ٦٤ ج ١٠ ص ١٥٥ و ١٥٦ و ١٧٢ حديث ٦٩٥٢ .

ج ١١ وحديث ٦٨٦٥ منه أيضا .

(٣) تأويل مختلف الحديث ص ٢٧ .

(٤) رد الداعي على بشر المريسي ص ١٣٢ .

كما يدل على ذلك ما روى مسلم في صحيحه أن أبا هريرة قال : (إنكم تزعمون أن أبا هريرة يكثر الحديث عن رسول الله ...) وفي حديث آخر : (يقولون : إن أبا هريرة قد أكثر ...)^(١)

وقال عبد الحسين شرف الدين : (أنكر الناس على أبي هريرة واستغفروا حديثه على هذه ... وحسبك أن في مكذبيه عطاء الصحابة^(٢)) ، ثم قال : (وبالجملة فإن إنكار الأجلاء « من الصحابة والتابعين » عليه وأتباعهم إياه مما لا ريب فيه ، ما تورع منهم عن ذلك أحد حتى مضوا لسبيلهم ... ولعل جل المعترلة على هذا الرأي ، قل الإمام أبو جعفر الإسكافي ما هذا نصه : وأبو هريرة مدخول عند شيوخنا في مرضى الرواية ، (قال) ضربه عمر بالدرة ، وقال : قد أكرت من الرواية فأحربك أن تكون كاذباً على رسول الله صلى الله عليه وسلم ...)^(٣) .

وأما أبو رية فقد ساق بعض الأقوال السابقة ، وبعض استدلالات الصحابة على أبي هريرة ... واستشهد بقترات لـ (جولد تسيهر) و (شبرنجر) ، وسرد أقوالاً مختصرة لبعض ما دار بين الصحابة وأبي هريرة ليسكون من ذلك رأيه في أبي هريرة ، ويعمله أول رواية آتهم في الإسلام^(٤) .

كما سبق تبين لنا الشبه التي أوردها بعضهم على موقف الصحابة من أبي هريرة ، وقد ساقوا تلك الشبه من غير أن يبينوا لنا أسبابها ، وإن بين

(١) جاز الإسلام من ٢١٨ .

(٢) أبو هريرة لعبد الحسين من ٢٦٢-٢٦٤ .

(٣) أبو هريرة لعبد الحسين من ٦٧٢-٦٦٨ .

(٤) انظر أسواق على السنة المحمدية من ١٦٦-١٧٢ .

بعضهم ذلك فإنما يحمل الحاشية على غير محلها .

لذلك سأبين موقف الصحابة من أبي هريرة وحديثه ، وقد اضطر إلى ذكر بعض الأحاديث والأخبار التي دارت بينهم ، أو اختلفوا من أجلها ، لأكشف عن حقيقة أسهم من رواية الإسلام ، ولا بد لي أن أشير إلى أن الصحابة ، لم يقفوا من أبي هريرة موقفاً خاصاً ، كما أنهم لم ينظروا إليه من زاوية معينة ، أو بمنظار الشك والريبة ، ولن أطيل بذكر مالا يقتضيه البحث .

(١) هل ضرب عمر أبا هريرة لكثرة روايته ؟

لم يثبت قط أن عمر رضى الله عنه ضرب أبا هريرة بدته لأنه أكثر الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وما ذكره أبو هريرة في (ص ١٦٣) وما ذكره عبد الحسين في (ص ٢٦٨) من ضرب عمر لأبي هريرة رواية ضعيفة ، لأنها من طريق أبي جعفر الإسكافي ، وهو غير ثقة .

وأما تهديد عمر رضى الله عنه لأبي هريرة بالنفي - فهو ما رواه السائب بن يزيد إذ قال : (سمعت عمر بن الخطاب يقول لأبي هريرة : لتتركن الحديث عن رسول الله أو لألحقنك بأرض دوس ، وقال الكعب الأحبار لتتركن الحديث عن الأول أو لألحقنك بأرض القردة^(١)) ، ولكن عبد الحسين وأبارية قالوا إنه قال لأبي هريرة : (لألحقنك بأرض دوس أو بأرض القردة) قلا عن ابن عساكر ، وأشار أوردية إلى البداية والنهاية وليس فيها هذا .

(١) البداية والنهاية ص ١٠٦ ج ٨

وليس في آية رواية تكذيب عمر لأبي هريرة أو ضربه ، وكل ما في
الأسر أنه نهاء عن كثرة الرواية ، وقد قال ابن كثير عقب خبره : (وهذا
محمول من عمر على أنه خشي من الأحاديث التي قد تضعها الناس على غير
مواضعها ، وأنهم يتكلمون على ما فيها من أحاديث الرخص ، وأن الرجل إذا
أكثر من الحديث ربما وقع في أحاديثه بمض الغلط ، أو الخطأ ، فيحملها الناس
عنه أو نحو ذلك . اهـ^(١)) .

وروى أن عمر أذن لأبي هريرة بعد ذلك في التحديث ، بعد أن عرف
ورعه وخشيته الخطأ ، قال أبو هريرة : (بلغ عمر حديثي فأرسل إلي ، فقال :
كنت معنا يوم كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيت فلان ؟ قال ،
قلت : نعم . وقد علمت لم تسألني عن ذلك ؟ قال : ولم سألتك ؟ قلت :
إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يومئذ : « من كذب على متعمداً فليتبوأ
مقدمه من النار . » قال : أما إذن فاذهب فحدث^(٢)) .

فعمر لم يطعن في أبي هريرة ، وكل ما صدر منه إنما كان تطبيقاً لمنهجه
من الثبوت في السنة والإفلال من الرواية . وأبو هريرة نفسه كان يذكر لأصحابه
شدة عمر في تطبيق منهجه^(٣) .

ويدل على أن عمر لم يكذبه ، ولم يطعن فيه ، ولم يهدده بالنفي إلى جبال
دوس — هذا الحديث الذي رواه الإمام أحمد عن أبي هريرة قل : (أخذت

(١) البداية والنهاية ص ١٠٧ ج ٨ .

(٢) البداية والنهاية ص ١٠٧ ج ٨ وانظر سير أعلام النبلاء ص ٤٣٤ ج ٢ .

(٣) انظر البداية والنهاية ص ١٠٧ ج ٨ وانظر ما ساقه أبو العباس المصنف في كتابه قبول

الأخبار ص ٥٧ - ٥٨ محاولة الطعن في أبي هريرة ولكه لم يوفق . وقد أساء أبو رية بدم
قوله النعمان كلمة من ابن كثير .

الناس ربح بطريق مكة ، وعمر بن الخطاب حاج ، فاشتدت عليهم ، فقال عمر لمن حوله : من يحدثنا عن الريح ؟ فلم يرجعوا إليه شيئاً ، فبلغني الذي سأل عنه عمر من ذلك ، فاستحثت راحلتى حتى أدركته ، فقلت : يا أمير المؤمنين ، أخبرتك أنك سألت عن الريح ، وإنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : «الريح من روح الله ، تأتي بالرحمة ، وتأتى بالعذاب ، فإذا رأيتوها فلا تسبوها ، وسلوا الله خيرها ، واستعيذوا به من شرها»^(١) . ، إنه لم يجب عمر سوى أنى هريرة ، فهل يعقل بعد هذا أن يكذبه عمر ، أو يهدده بالنفى وقد عرف حفظه واثقانه ؟ !!

وأما ادعاء بشر المربى تكذيب القارق لأنى هريرة - فهو باطل ، لا أصل له ، وما رواه عن عمر ، أنه قال : أكنب المحدثين أبو هريرة . لم يذكر سنده . وقد تصدى له عثمان بن سعيد الدارمى (٢٠٠ - ٢٨٠ هـ) فرد عليه رداً قوياً^(٢)

(ب) أبو هريرة وعثمان بن عفان :

لم يذكر مصدر موثق به أن عثمان كذب أبا هريرة كما ادعى النظام وغيره ، كما لم يثبت أنه طعن فيه ، أو منعه من التحديث . وكل ما هنالك رواية ذكرها الرامهرمزي قال : حدثنا عبيد الله بن هارون بن عيسى - يترك جبل رامهرمز - حدثنا إبراهيم بن بسطام ، حدثنا أبو داود عن عبد الرحمن بن أبي الزناد عن محمد قال : أظنه ابن يوسف ، قال : سمعت السائب بن يزيد يحدث قال : (أرسلنى عثمان بن عفان إلى أنى هريرة قال :

(١) مسند الإمام أحمد من ٥٢ حديث ٧٦١٩ ج ١٤ .

(٢) انظر رد الدارمى على بشر المربى من ١٢٢ وما بعدها .

قل له : يقول لك أمير المؤمنين : ما هذا الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ لقد أكرت لثنتين أو لألحقنك بجمال دوس^(١) . . .) ولكن هذا الخبر روى عن عمر بن الخطاب ، ولم نر إلا هذه الرواية عن عثمان رضى الله عنه ، ولو صحت فليس فيها طعن في أبي هريرة ، لأنه ينهيه عن الإكثار من الرواية عندما لا تكون هناك حاجة إلى الإكثار منها ، وأبو هريرة نفسه لم يرف في هذا مطعناً ، ولم يترك كل هذا أثراً في نفسه ، فترام يوم الدارين من الخليفة الراشد الثالث رضى الله عنهما .

(ح) أبو هريرة وعلى بن أبي طالب رضى الله عنهما :

لم يذكر في مصدر موثوق به ما يدل على أن علياً رضى الله عنه كذب أبا هريرة أو نهاه عن التحديث ، ولكن بعض أعداء أبي هريرة يستشهدون برواية ضعيفة عن أبي جعفر الإسكافي ، وهي أن علياً لما بلغه حديث أبي هريرة قال : ألا إن أكذب الناس — أو قال أكذب الأحياء على رسول الله — أبو هريرة الدوسي^(٢) . فهذه رواية مردودة لا تقبلها عن الإسكافي ، لأنه صاحب هوى داع إلى هواه .

وقد رد ابن قتيبة على جميع ما ألصقوه بالإمام على طعناً في أبي هريرة^(٣) .

(١) المحدث الفاصل بين الراوى والواعى ص ١٣٣ .

(٢) شرح منہج البلاغة طبعه بيروت ص ٤٦٨ - ١٠ وأبو هريرة ص ٢٧٣ .

(٣) انظر تأويل مختلف الحديث ٢٧ ص ٥١ وما بعدها ، وما يؤسف له أن عدداً من أبي هريرة أعين بصيرتهم فساقهم هوام إلى اختلاق أخبار على أمير المؤمنين على رضى الله عنه ثبت مخالفة السنة في سبيل معارضته أبا هريرة رضى الله عنه ، وأمير المؤمنين من كل هذا برآء ، انظر كتابنا أبو هريرة زاوية الإسلام الفصل الثانى (أبو هريرة وعلى رضى الله عنهما) .

(٥) أبو هريرة وعائشة رضي الله عنهما :

لقد طالت حياة عائشة أم المؤمنين وحياة أبي هريرة ، فكانت حاجة الناس إليهما بمقدار حياتهما فيهم ، ولهذا روى عنهما من الحديث ما لم يرو عن غيرها ، وقد كان أبو هريرة يحدث فتستدرك عليه السيدة عائشة تارة ، وتوافقه أخرى ، كما كان يحدث مع غيره من الصحابة ، فقد استدركت عائشة على أبي بكر وعمر وعثمان وعلي ، وعلى ابن عمر ، وعلى أبي هريرة^(١) . . . وكل ذلك كان من باب النفاخ والسؤال عن الحديث ، أو البحث عن الدليل في المسألة التي يفتي فيها ، كما استدرك غيرها عليها ، وكما كانت أحياناً توجه من يسألها إلى من هو أعرف منها بالمسئول عنه ، كما وجهت من سألها عن مسح الخلف إلى علي رضي الله عنهما^(٢) . وفي كل هذا لم يشر الصحابة بقضاة أو حرج ، لأن هدفهم جميعاً واحد ، هو تطبيق الشريعة ، وما كان الصحابة يكذب بعضهم بعضاً ، إلا أن من جاء بعدهم من أهل الأهواء الذين استغلوا ما دار بين الصحابة من نقاش علمي ، أو تثبت في الحديث ، وجعلوا منه مادة ينفذون حتى خلالها إلى مآربهم ، ويحققون غاياتهم ، ولكنهم لم يفلحوا ، لأن الأمة لم تعد العلماء المختصين ، الساهرين النابهين ، الذين يبنوا الحق من الباطل ، ووضوا كل شيء في موضعه .

وما من حادثة وقعت لأبي هريرة مع السيدة عائشة إلا بين العشاء وجه الحق فيها ، ولم يروا في عائشة موقف المكذب لأبي هريرة الطامع

(١) جمع الإمام بدر الدين الزركشي كتاباً في هذا سماء (الإجابة لإيراد ما استدركته عائشة من الصحابة) .

(٢) انظر مسند الإمام أحمد من ١٧٥ حديث ٩٠٦ ج ٢ ، ورواه الإمام مسلم .

في الحديث^(١) ، ولم يفهم أحد عما دار بينهما أن أبا هريرة كذب بجهه الصحابة في صدقه وعظه ، لم يفهم هذا إلا أهل الأهواء ، وأعداء السنن .

وعما يؤسف له أنهم كانوا يؤولون الأخبار كما يريدون ، ويضربون الأحاديث كما يرغبون ، ويظنون إلى جانب واحد من موقف الصحابة من أبي هريرة ، وهو جانب المائعات العلمية ، فيحبسون أنهم وقعوا على غيبة دسمة ، وينظنون الأخبار الصحيحة ، التي تبين صدق أبي هريرة وأمانته ، وثبات الصحابة عليه ، ويستشهدون ببعض الروايات الضعيفة ، ويختارون من الثابت منها ما يحقق مآزيرهم ، وأضراب لهذا مثلا :

قالوا : إن عائشة أنكرت عليه حديثه ، فإذا أنكرت ؟ وكيف أنكرت عليه ؟

عن ابن شهاب أن عروة بن الزبير حدثه أن عائشة قالت : (ألا يسجيك أبو هريرة ! جاء فجلس إلى جانب جبرتي ، يحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يسئني ذلك ، وكنت أسبح^(٢) ، فقام قبل أن أفضي سبحتي ، ولو أدركته لرددت عليه : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن يسرد الحديث كسردي^(٣) .) كأنها تنقذ أبا هريرة في سرعة إلقائه .

إن إنكار عائشة رضي الله عنها على أبي هريرة لم يكن موجها إلى ما يحدث

(١) انظر جليل هذه الروايات والرد عليها في كتابنا (أبو هريرة راوية الإسلام) الفصل

الثاني فقرة (أبو هريرة وعائشة) .

(٢) مني أسبح أملي ثالثة ، وهي السجدة ، قيل للراد عنها صلاة الضحى . انظر فتح الباري

ص ٣٩٠ ج ٢ .

(٣) الإجابة لإيراد ما استدرجته عائشة على الصحابة ص ١٣٥ انظر صحيح مسلم ص ١٩٤٠

حديث ١٤٩٣ ج ٢ ، وفتح الباري ص ٣٩٠ ج ٢ .

به ، إنما أنكرت عليه أنه يسرد الحديث ، ويظهر هذا فيما روى عنها :
 (إنما كان النبي صلى الله عليه وسلم يحدث حديثا لوعده العاد لأحصاه ^(١)) .
 ولو أنكرت عائشة عليه غير سرده للحديث لقالت وينت ، وهي الجريئة الصريحة ،
 فأبو هريرة لم يكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إنما كان يسرد
 الحديث ويكرر منه في مجلسه . فأى شيء يضيره إذا كان متيقظا متنبها عارفا
 لما يروى ؟

قال ابن حجر : (واعتذر عن أبي هريرة بأنه كان واسع الرواية ، كثير
 المحفوظ ، فكان لا يتمكن من المهل عند إرادة التحديث ، كما قال بعض
 البلغاء : أريد أن اقتصر فتزاحم القوافي على في) ^(٢) .

وقد أنثت عائشة على أبي هريرة وصدقته ، من هذا أنه بلغ عبد الله بن عمر
 حديث عن أبي هريرة وهو (من خرج مع جنازة من يثنها وصلى لميها ثم تبعها
 حتى تدفن كان له قيراطان من أجر ، كل قيراط مثل أحد ، ومن صلى عليها
 ثم رجع كان له من الأجر مثل أحد ^(٣)) فأرسل ابن عمر إلى عائشة يسألها عن
 قول أبي هريرة . فقالت لرسوله : صدق أبو هريرة . فضرب ابن عمر الأرض
 بحصى كان في يده ثم قال : (لقد فرطنا في قراريط كثيرة ^(٤)) . وفي رواية
 قال ابن عمر : (أنت أعلمنا يا أبا هريرة برسول الله صلى الله عليه وسلم
 وأحفظنا لحديثه ^(٥)) .

(١) فتح الباري ص ٣٨٩ ج ٧ .

(٢) فتح الباري ص ٣٩٠ ج ٧ .

(٣ و ٤) الإجابة لابن أبي عمير ما استدركته عائشة على الصعبة ص ١١٧ وتدريب السامع .

واظفر ص ١٢٤ من هذا الكتاب .

(٥) اظفر طبقات ابن سعد ص ١١٨ قدم ٢ ج ٢ والبداية والنهاية ص ١٠٧ ج ٨ .

فتح الباري ص ٢٢٥ ج ١ .

إن أعداء السنن يابون أن يذكروا مثل هذه الرواية التي تقوض ما يبنيون ،
وتأني على أساس ما يدعون ، فلم يكذب الصحابة أباً هريرة ولم ينهوه ،
وإن موقف ابن عباس منه وابن عمر والزبير وسروان بن الحكم وغيرهم لا يبدو
موقف المنشئ المتوخى للحق ، ولا يقصر عن موقف للعالم الزينة ، وقد ثبت
— فيما سبق — ثناء الصحابة والملاء عليه ، فهل يعقل أن يطنوا فيه تارة ويثنوا
عليه أخرى ^(١) ؟

ومع هذا فإن بعض الكتاب والمؤلفين أمثال عبد الحسين وأبي رية لم يأبهوا
بكل هذا ، واستنبجوا من تلك المناقشات العلمية كذب أبي هريرة ، حتى إن
عبد الحسين رأى في دار بين أبي هريرة والصحابة دليلاً قاطعاً على تجريمه ،
قل : (واهيك تكذيب كل من عمرو وثمان وعلي وعائشة له ، وقد تقرر
بالإجماع تقديم الجرح على التعديل في مقام التضارب ، على أنه لا تضارب هنا
قطباً . . . ^(٢)) أي تكذيب هذا ؟ وأي تجريح بعد أن عرفنا حقيقة موقف
الصحابة من أبي هريرة ؟ فهل ندع هذه الأدلة الصحيحة ، التي تثبت إجلال
الصحابة له ، واحترامهم إياه ، وروايتهم عنه وتقبل ادعاءات وأهية لا تقوم
على دلائل أو برهان ؟

ثم إن نحامل أعداء أبي هريرة واضح جداً ، فقد أنهموه بالتلفظ على
كعب الأحبار لروايته بعض الأحاديث التي وافقه عليها كعب ، وأنكروا
عليه إنكاراً شديداً ، علماً بأنه لم يتفرد بروايتها ، فلم يقفوا منه هذا
الموقف ولا يقفوه من غيره من الصحابة الذين رووا ما رواه أبو هريرة ؟

(١) انظر كتابنا (أبو هريرة راوية الإسلام) حيث تفصل ما دار بينه وبين الصحابة ،
الفصل الثاني تحت عنوان : هل كان الصحابة يكذبون أباً هريرة ، ويردون أحاديثه ؟ .
(٢) أبو هريرة لعبد الحسين ص ٢٧٩ .

مثال ذلك قول أبي رية (وإليك مثلاً من ذلك نخم به ما نقله من الأحاديث التي رواها أبو هريرة عن النبي وهي في الحقيقة من الاسرائيليات حتى لا يطول بنا القول : روى الإمام أحمد عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (إن في الجنة لشجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام . اقرؤا إن شئتم وظل ممدود . ولم يكذب أبو هريرة بروي هذا الحديث حتى أسرع كعب فقال : صدق والذي أنزل التوراة على موسى ، والفرقان على محمد . . . (١)) .

ما وجه الإنكار لهذا الحديث . وقد رواه غير أبي هريرة من الصحابة ؟ رواه سهل بن سعد وأبو سعيد الخدري (٢) ، فهل خدع كعب هذين الصحابين أيضاً ؟ وما هي غاية كعب في قوله هذا ؟ إنى أعجب من إنكار الكاتب عليه هذا الحديث ، فهل أنكر على أبي هريرة هذا الحديث لضخامة الشجرة ؟ وهل يستغرب وجود مثل هذه الشجرة في جنة قال فيها الله عز وجل : « . . . وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ، ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ ، وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ » (٣) ؟ أم أنكر عليه أن يسير الراكب مائة عام في ظلها ؟ أم أنكر عليه كل هذا لأنه لم يعمد في حياته مثلها ؟

هل يريد هؤلاء أن ينفوا كل ما لم تتصوره عقولهم وتفكيرهم ؟ فإن أرادوا هذا وجب عليهم أن ينفوا كثيراً من المخترعات التي نسمع بها ولا تراها ، أو ينفوا كثيراً مما جاء في القرآن الكريم ، بل على مثل هذا الكاتب أن

(١) أضواء على السنة المحمدية ص ١٧٧ ، وانظر مما استشهد به ص ١٩٨ وما بعدها .

(٢) انظر صحيح مسلم ص ٢١٧٥ و ٢١٧٦ ج ٤ .

(٣) ٢١ : الحديد . وأول الآية « سابقوا إلى مفرة من ربكم وجنة عرضها . . . »

يترك جانباً عظيماً من اللغة العربية ، ذلك لأن بعض ما جاء في السنة من ألفاظ وعبارات إنما جاء على نسق وسنن ما حكاه القرآن الكريم من عبارات سبقت من باب المجاز لا من باب الحقيقة ، تخاطب الإحساسات النفسية ، والنفوس البشرية ، لتتصور عظمة ما يمثله القرآن الكريم من الثواب والعقاب . . . لذلك وجب علينا أن نصرف الألفاظ والعبارات التي لا تطابق الحقيقة إلى المجاز ، فللمد مدعى خاص لا يتناول غيره ، وقد أجمع المفسرون على أن بعض ما ذكر من الأعداد في القرآن الكريم إنما جاء للتكثير لا للحصر ، وكذلك ما جاء في السنة - في مثل هذا المقام - من العبارات للكثرة التي لا تتناول حقيقة العدد . وهنا إنما ورد للتكثير وبيان اتساع ذلك الظل الذي أعده الله تعالى للمؤمنين ، فمن الخطأ أن يحمل المؤلف الحقيقة والواقع ميزانا لتلك الألفاظ التي وردت من باب المجاز ، لأنه في ذلك سيجانب القواعد المسلمة في اللغة ، ويقع معها في أخطاء فادحة ، لا يقره عليها أحد ، ويلزم من هذا عدم فائدة الاستعارات والكنايات والمجازات العقلية ، التي تشكل جانباً عظيماً في تراثنا الأدبي ، مادام المؤلف سيصرف كل لفظ إلى حقيقته ! !

وقد سبق أن ذكرت ثناء الصحابة والعلماء على أبي هريرة ، وأكرر هنا قول الحافظ الذهبي فيه ، ليكون رداً قاصداً لأهل الأهواء - : (وقد كان أبو هريرة وثيق الحفظ ما علمنا أنه أخطأ في حديث ^(١)) .

وهكذا نجا أبو هريرة من تلك الأعاصير التي عصفت حوله ، ومن تلك الأمواج التي تلاطمت على قدميه ، فبقى صامداً لها ، وانهار ما ادعاه أعداؤه أمام الصرح الشامخ الذي يحمي عدالته ، وتحطمت سهامهم الواهية على الحصن

النيع الذي بناه بصدقه وأمانته واستقامته . فبقى أحد أعلام السنة وراويته
الإسلام يحترمه الجمهور ، ويعرفون مكانته ومنزلته رضى الله عنه وأرضاه .

ولسكن شهادة ابن خزيمة^(١) مسك الختام في أبي هريرة ، ومن خلالها
نظهر منزلته ومكانته ، قال : (وإنما يتكلم في أبي هريرة ، لدفع أخباره ،
من قد أعى الله قلوبهم ، فلا يفهمون معاني الأخبار :

إما معطل جهى ، يسمع أخباره التي يرونها خلاف مذهبهم — الذي هو
كفر — فيشتمون أبا هريرة ، ويرمونه بما الله تعالى قد نزهه عنه ، تمويهها على
الرءاء والسفل ، أن أخباره لا تثبت بها الحجة ا

وإما خارجي ، يرى السيف على أمة محمد صلى الله عليه وسلم ، ولا يرى
طاعة خليفة ولا إمام ، إذا سمع أخبار أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم ،
خلاف مذهبهم الذي هو ضلال ، لم يجد حيلة في دفع أخباره بحجة ، كان مفزعه
الوقية في أبي هريرة ا

أو قدرى ، اعتزل الاسلام وأهله ، وكفر أهل الإسلام الذين يتبعون
الأقدار الماضية ، التي قدرها الله تعالى ، وقضاها قبل كسب العباد لها ،
إذا نظر إلى أخبار أبي هريرة ، التي قد رواها عن النبي صلى الله عليه وسلم
في إثبات القدر ، لم يجد بحجة تؤيد^(٢) صحة مقالته التي هي كفر

(١) هو أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة السلمي (٢٢٣ — ٣١١ هـ) ، أحد مشايخ
شيوخ الحاكم ، كان إمام نيسابور في عصره ، جمع بين الفقه والاجتهاد ، عالم بالحديث ، رحل
إلى بلاد كثيرة منها العراق ، والشام ، والجزيرة ومصر ، أقره السبكي بإمام الأئمة ، له مصنفات
كثيرة تروى على (١٤٠) اظر طبقات السبكي ص ١٣٠ - ٢ .

(٢) في الأصل : (يريد) وما أنذناه أسوأ .

وشرك ، كانت حجته (عند نفسه ^(١)) . أن أخبار أبي هريرة لا يجوز الاحتجاج بها .

أو جاهل يتعاطى الفقه ويطلبه من غير مظارنه ، إذا سمع أخبار أبي هريرة فيما يخالف مذهب من قد اجتنب مذهبه واختاره ^(٢) تقليداً بلا حجة ولا برهان - تسكلم ^(٣) في أبي هريرة ، ودفع أخباره التي تخالف مذهبه ، ويحتج بأخباره عن مخالفه إذا كانت أخباره موافقة لمذهبه ۱۱۱

وقد أنكر بعض هذه الفرق على أبي هريرة أخباراً لم يفهموا معناها ۱۱
أنا إذا كر بعضها بمشيئة الله عز وجل ... ^(٤))

• • •

(١) هكذا في الأصل .

(٢) في الأصل (أخباره) . وما أبتناه أكثر مناسبة للمعنى .

(٣) في الأصل (كم) . وما أبتناه أصوب .

(٤) المستدرك على الصحيحين للحاكم ص ١٣٠ ج ٣ .

عبد الله بن عمر بن الخطاب

(١٠ ق ٨ - ٨٧٣)*

أسلم عبد الله بن عمر صغيراً ، وهاجر إلى المدينة مع أبيه وقيل قبله ، وهو ابن إحدى عشرة سنة ، عرض على رسول الله يوم بدر ويوم أحد فاستصغره ، وأجاز له يوم الخندق وهو يومئذ ابن خمس عشرة سنة ، فشهد الخندق وما بعدها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وشهد بعهده اليرموك وفتح مصر وشمال أفريقيا .

اشتهر ابن عمر بحرصه على اتباع سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم والناسي به ^(١) . وكان يحضر مجالس رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويسأل من حضر إذا غاب عنها ، وفيه قال ابن الحنفية : (كان ابن عمر حبر هذه الأمة) .

روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وروى عن أبي بكر وعمر وعثمان وأبي ذر ومعاذ وعائشة وغيرهم .

وروى عنه خلق كثير ، منهم جابر بن عبد الله ، وعبد الله بن عباس ،

(*) انظر ترجمته في طبقات ابن سعد من ١٠٥ - ١٣٨ قسم ١ ج ٤ ، وحلية الأولياء من ٢٩٢ - ٣١٤ ج ١ ، وتذكرة الحفاظ من ٣٥ - ١ ، والإصابة من ١٠٧ ج ٤ والجمع بين رجال الصحابين من ٢٣٨ ج ١ ، والبارع الفصيح من ٩ : ب والرياض المستطابة من ٥١ . وأسماء الصحابة الرواة وما لكل واحد من العدد من ١ .

(١) انظر بعض ما روى عنه في من ٨٥ - ٩٠ من هذا الكتاب ، وكان يحضر لرسول الله صلى الله عليه وسلم وكان إذا ذكره بكى وما مر على ربه إلا غمض عينيه . انظر تذكرة الحفاظ من ٣٦ ج ١ .

وبنوه سالم وعبد الله وحزمة وبلال ، ومولاه نافع ، وأسلم مولى عمر ، وابن أخيه
حفص بن عامر .

وروى عنه من كبار التابعين سعيد بن المسيب وعطمة بن وقاص^(١) ،
وأبو عبد الرحمن النهدي ، ومسروق ، وجبير بن نفير ، وعبد الرحمن بن
أبي لبل ، وروى عنه عن بعدم عبد الله بن دينار ، وزيد وخالد ابنا أسلم ،
وعروة بن الزبير ، وبشر بن سعيد ، وعطاء ، ومجاهد ، ومحمد بن
سيرين ، وغيرهم .

قال فيه ابن مسعود : (إن أملك شباب قريش لنفسه عن الدنيا عبد الله بن عمر)
وعن سالم بن أبي الجعد عن جابر قال : (ما منا من أحد أدرك الدنيا إلا مالت
به ومال بها غير عبد الله بن عمر .)

وكان جريئاً في الحق لا يخاف فيه لومة لائم ، وله مواقف كثيرة في ذلك .
وعن أبي سلمة بن عبد الرحمن قال : (كان عمر في زمان له فيه نظراء ،
وكان ابن عمر في زمان ليس له فيه نظير) .

كان مثلاً رائعاً في الورع والتقوى والعبادة ، وكان إذا قرأ : « أَلَمْ يَأْنِ
لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ^(٢) » بكى حتى يغليه البكاء ،
وكان لا يصوم في السفر ولا يكاد يفطر في الحضر .

وكان كثير التواضع والتسامح والرحمة والكرم ، يكثر التصديق بما يشبهه
من الطعام ويتقرب إلى الله بما يعجبه من ماله ، أتته في ليلة عشرة آلاف درهم ،

(١) هو عطمة بن وقاص اللبني ، وليس ابن أبي وقاص الزهرى انظر تذكرة الحفاظ

ص ١٠٠

(٢) ١٦ : الحديد .

فأبات حتى وزعها ، وكان في مجلس فأتى بيضة وعشرين ألفاً فما قام من مجلسه حتى فرقها وزاد عليها ، وقد ينفد ما معه فيستدين ليعطى ذوى الحاجات . وكان لا يأكل طعاماً إلا على خوانه يقيم ، وما مات ابن عمر حتى أعتق ألف إنسان أو يزيد .

رشحه بعض الصحابة للخلافة بعد أبيه ، فأبى عمر وجعلها شورى بين الستة ، فوقف عبد الله بن عمر بعيداً عن جميع الفتن ، وتفرغ للعلم والعبادة . لذلك كان من المكثرين من الرواية ، وساعده على هذا تقدم إسلامه ، وطول عمره ، ومخاطبته للرسول صلى الله عليه وسلم ، فقد كانت اخته حفصة زوجة النبي عليه الصلاة والسلام فسهل عليه دخوله وخروجه على الرسول الكريم .

روى عنه (٢٦٣٠) حديثاً ، أخرج له الشيخان البخارى ومسلم (٢٨٠) حديثاً ، اتفقاً على (١٦٨) حديثاً منها ، وانفرد البخارى بـ (٨١) حديثاً ، ومسلم بـ (٣١) حديثاً ، وأحاديثه في الكتب الستة ، والمسانيد ، وسائر السنن . توفي في مكة سنة (٥٧٣ هـ) بعد مقتل عبد الله بن الزبير بثلاثة أشهر ، وقيل سنة (٥٧٤ هـ) ، وعمره أربعة وثمانون عاماً .

أنس بن مالك

(١٠ ق هـ - ٩٣ هـ)*

هو أنس بن مالك بن النضر بن ضمضم الأنصاري الخزرجي النجاري ،
وأمه أم سليم بنت ملحان ، جاءت به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم مقدمه
المدينة وقالت : يا رسول الله ، هذا غلام يخدمك فقبله صلى الله عليه وسلم ،
فنشأ في بيت النبوة ، وأحبه الرسول صلى الله عليه وسلم ، وفي هذا يقول أنس :
(خدمت رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر سنين ، فما أمرني بأمر توانيت
عنه ، أو صنعت فلامني ، وإن لامني أحد من أهله قال : دعوه فلو قدر
— أو قال قضي — أن يكون لسان .) ، فشهد أنس ما لم يشاهده غيره .

روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعن أبي بكر ، وعمر ، وعثمان ،
وعبد الله بن مسعود ، وعبد الله بن رواحة ، وعن فاطمة الزهراء ، وعبد الرحمن
ابن عوف ، وعن غيرهم من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وروى عنه الحسن ، وسليمان التيمي ، وأبو قلابة ، وأبو مجلز ، وعبد العزيز
ابن صهيب ، وإسحاق بن أبي طلحة ، وأبو بكر بن عبد الله المزني ، وقتادة
وثابت البناني ، ومحمد بن سيرين ، وأنس بن سيرين ، وابن شهاب الزهري ،
وربيعة بن عبد الرحمن ، ويحيى بن سعيد الأنصاري ، وسعيد بن جبير ،
وخلق كثير غيرهم .

(*) أهم مراجع ترجمته : طبقات ابن سعد ص ١٠ ج ٢ وتذكرة الحفاظ ص ٤٢ ج ١
وتهذيب التهذيب ص ٣٧٦ ج ١ والبارع النصح ص ٩ ج ١ . وأسماء الصحابة الرواة وما لكل
واحد من المدد ص ١ ، والرائض المتطابقة ص ٨ .

كان كثير العبادة قليل الكلام ، قال فيه أبو هريرة : (ما رأيت أحدا أشبه صلاة برسول الله صلى الله عليه وسلم من ابن أم سليم .

وقد بعثه أبو بكر للسعاية^(١) على البحرين ، ثم استقر بالبصرة بعد المدينة ، وأصبح محط أنظار أهل العلم ، فروى عنه (٢٢٨٦) حديثاً وأخرج له الشيخان (٣١٨) حديثاً واتفقا على (١٦٨) حديثاً منها ، وانفرد البخاري بـ (٨٠) حديثاً ومسلم بـ (٧٠) حديثاً .

وتوفي أنس في البصرة (سنة ٨٩٣) وهو آخر من توفي بالبصرة من الصحابة .

عن قتادة قال : لما مات أنس بن مالك قال مودق : ذهب اليوم نصف العلم قيل : كيف ذاك ؟ قال : كان الرجل من أهل الأهواء إذا خالفنا في الحديث قلنا : تعال إلى من سمعه من النبي صلى الله عليه وسلم .

• • •

(١) السعاية : يقال لما مل الصدقات ساع وجمعه سعاة ، وسمي الصدق بسعي سعاية إذا عمل على الصدقات وأخذها من أغنيائها وردّها في فقرائها . انظر لسان العرب مادة (سعي)

س ١٠٨ - ١١٩ .

عائشة أم المؤمنين

(٩ ق ٥ - ٥٥٨ هـ)*

هي عائشة بنت أبي بكر الصديق ، إحدى أمهات المؤمنين ، بنى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم في شوال بعد وقعة بدر ، فأقامت في محبته ثمانية أعوام وخمسة أشهر ، وكانت أحب نساءه إليه ، وهي الطاهرة التي برأها القرآن الكريم عما رماها به أهل الأفك .

كانت ذكية فطنة طالبة للعلم ، يسر لها زواجها من رسول الله صلى الله عليه وسلم واختلاطها به معرفة كثير من أحكام الإسلام . ولها الفضل الكبير في نقل كثير مما يتعلق بأمور النساء ، لذلك كانت أكثر نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم رواية عنه ، وتعد من أئمة الصحابة ، وقد شهد بعلمها وفقها الصحابة والتابعون ، كما كان لها علم بالطب ، قال عروة : ما رأيت أحدا أعلم بالطب منها ، وقال علي بن مسهر : أخبرنا هشام عن أبيه (عروة) أنه قال : ما رأيت أحدا من الناس أعلم بالقرآن ولا بقرضه ولا بحلال وحرام ولا بشعر ولا بحديث العرب والنسب من عائشة .

فلا غرابة أن يرى الصحابة والتابعين يلتفون حولها يتفقهون بها ، ويرجعون إليها في أمورهم . وفي هذا يقول قبيصة بن ذؤيب : كانت عائشة أعلم الناس بسألها أكابر الصحابة .

(*) أهم مصادر ترجمتها : طبقات ابن سعد ص ٣٩ ج ٨ ، ونذكرة الحفاظ ص ٢٦ ج ١ ، والإصابة ص ١٣٩ ، ترجمة (٧٠١) ج ٨ ، تهذيب التهذيب ص ٤٣٣ ترجمة ٢٨٤١ ج ١٢ ، وأربع الفصح ص ٩ ، والجيم بين رجال الصحابين ص ٦٠٩ ج ٢ ، والرياض المستطابة ص ٨٢ .

وعن أبي موسى قال : ما أشكل علينا أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم حديث قط فسألنا عائشة إلا وجدنا عندها منه علما .

وكانت كريمة وقوراً ، يحترمها كل من يلقاها ، وقد كرمها الصحابة والتابعون ، روت عائشة رضى الله عنها عن الرسول الكريم الكثير الطيب ، وروت عن أبيها ، وعن عمر ، وفاطمة ، وسعد بن أبي وقاص ، وأسيد بن حضير ، وجذاعة بنت وهب ، وحزمة بن عمرو .

وروى عنها من الصحابة عمر ، وابنه عبد الله ، وأبو هريرة ، وأبو موسى ، وزيد بن خالد ، وابن عباس ، وربيعة بن عمرو الجرشي ، والسائب بن يزيد ، وغيرهم .

وروى عنها من كبار التابعين القاسم وعبد الله ابنا محمد بن أبي بكر ، وعروة ابن الزبير ، وعمرة بنت عبد الرحمن ، ومواليها : أبو بكر ، وذكوان وأبويونس . وسميد بن المسيب ، وعمرو بن ميمون ، وعلقمة بن قيس ، ومسروق ، وعبد الله ابن حكيم ، والأسود بن يزيد ، وغير هؤلاء خلق كثير .

روى لها (٢٢١٠) ألفان ومائتان وعشرة أحاديث ، لها في الصحيحين (٣١٦) حديثاً ، اتفق الشيخان على (١٩٤) حديثاً منها ، وانفرد البخارى بـ (٥٤) حديثاً ، ومسلم بـ (٦٨) حديثاً ، وأحاديثها في الكتب الستة وسائر كتب السنن . توفيت سنة ثمان وخمسين ليلة الثلاثاء لسبع عشرة خلت من رمضان عند أكرمهم ، وقال بعضهم سنة سبع وخمسين .

عبد الله بن عباس

(٣٠٨ - ٦٨ هـ)

هو أبو العباس عبد الله بن عباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف القرشي الهاشمي ، ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وابن أخت زوجته ميمونة بنت الحارث الهلالية أم المؤمنين . ولد بالشعب حين حصرت قريش بني هاشم ، وكانت سنة عند وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث عشرة سنة . وقد ضمه الرسول عليه الصلاة والسلام إليه وقال : اللهم علمه الحكمة .

كان طلبة للعلم ، وكان اقربته من رسول الله صلى الله عليه وسلم واختلاطه به أثر بعيد في تحمله الكثير الطيب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى أصبح ترجمان القرآن ، وكان يقال له الحبر والبحر لكثرة علمه . ولم يأل جهداً — بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم — في طلب العلم ، فكان يقصد الصحابة ويسألهم ، حتى إنه ينتظر الصحابي في قيلولته ، فيتوسد رداءه على بابه ، والريح تسمى القراب على وجهه حتى يخرج إليه فيخبره بما أراد . ويقول له الصحابي : هلا أرسلت إليّ فأتيتك ؟ فيقول : لا ، أنا أحق أن أتيتك . قال عمرو بن دينار : ما رأيت مجلساً كان أجمع لكل خير من مجلس ابن عباس ، الحلال والحرام ، والعربية ، والأنساب ، والشعر .

وكان عمر رضي الله عنه إذا أعضلت عليه قضية دعا ابن عباس ، وقال له :

(*) أهم مصادر ترجمته : سير أعلام النبلاء ص ٢٢٤ ج ٣ ، وتذكرة الحفاظ ص ٣٧ ج ١

والإمامية ص ٩٠ ج ١ . وتهذيب التهذيب ص ٢٧٦ ج ٥ . والجمع بين رجال الصحبة ص ٢٣٩

ج ١ والبارع الفصيح ص ٩ ج ١ ، والرياض المتطابقة ص ٨٢

أنت لها ولأمثالها ، ويأخذ بقوله وكان قوى الذاكرة ، سريع الحفظ .

روى عن النبي صلى الله عليه وسلم ، وعن أبيه ، وأمه أم الفضل ، وعن أخيه الفضل ، وخالته ميمونة ، وعن أبي بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلي ، وعبد الرحمن ابن عوف ، ومعاذ بن جبل ، وأبي ذر الغفاري ، وأبي بن كعب ، وعن تميم الداري ، وخالد بن الوليد ، وهو ابن خالته ، وأسامة بن زيد ، وأبي سعيد الخدري ، وأبي هريرة ، ومعاوية بن أبي سفيان ، وعن كثير غير هؤلاء .

وروى عنه خلق كثير ، من أشهرهم من الصحابة عبد الله بن عمرو بن نعلبة بن الحكم الليثي ، والمسور بن مخرمة ، وأبو الطفيل ، وغيرهم ، ومن كبار التابعين سعيد بن المسيب ، وعبد الله بن الحارث بن نوفل ، وأبو سلمة بن عبد الرحمن ، والقاسم بن محمد ، وعكرمة ، وعطاء ، وطاوس ، وكريب ، وسعيد ابن جبير ، ومجاهد ، وعمرو بن دينار ، وغيرهم .

وقد قال فيه ابن عمر : (ابن عباس أعلم أمة محمد بما أنزل على محمد) .

وقد روى له (١٦٦٠) حديثاً ، أخرج له الشيخان منها (٢٣٤) حديثاً ، انفقاً على (٧٥) حديثاً منها ، وانفرد البخاري بـ (١١٠) حديث ، ومسلم بـ (٤٩) حديثاً ، وأحاديثه في الكتب الستة ركتب السنن .

استعمله على رضي الله عنه على البصرة أميراً ، ثم فارقها قبل استشهاده على رضي الله عنه وعاد إلى مكة يعلم الناس ، وكف بصره في آخر أيامه ، وتوفي بالطائف سنة (٦٨ هـ) ، وصلى عليه محمد بن الحنفية وقال : اليوم مات رباني هذه الأمة .

جابر بن عبد الله الأنصاري

(١٦ ق ٥ - ٥٧٨)*

هو أبو عبد الله جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام الأنصاري السلمي
 للفقهاء مفتي المدينة في زمانه ، كان مع من شهد العقبة في السبعين من الأنصار ،
 توفي والده في غزوة أحد وترك عيالا ودينا ، فسرى عنه الرسول صلى الله عليه
 وسلم وشمله بعطفه وكرمه ، ورعاه بعنايته حتى قضى دينه ، وكان يحب رسول الله
 صلى الله عليه وسلم وشهد معه المشاهد كلها إلا غزوة بدر وأحد فإن أباه خلفه
 على إخوانه .

إن ضيق الحياة لم يمنع جابرا عن طلب العلم وتحصيله ، فتحمل حديثا
 كثيرا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ورحل في طلب العلم بعد وفاته
 حيث سمع من كبار الصحابة ، فروى عن الرسول الكريم ، وعن أبي بكر ،
 وعمر ، وعلي ، وعن أبي عبيدة ، وطلحة ، ومعاذ بن جبل ، وعمار بن
 ياسر ، وخالد بن الوليد ، وأبي هريرة ، وأبي سعيد ، وعبد الله بن
 أنيس ، وغيرهم .

وروى عنه أولاده : عبد الرحمن وعقيل ومحمد ، وسعيد بن المسيب ،
 ومحمود بن أبيد ، وعمرو بن دينار ، وأبو جعفر الباقر ، وابن عمه محمد بن

(*) أهم مصادر ترجمه أسماء الصحابة الرواة من ١ والإصابة من ٢٢٢ ج ١ وتهذيب التهذيب
 من ٣٩ ج ٢ وتذكرة الحفاظ من ٤٠ ج ١ والبارع الفصيح من ٩ ج ١ والجمع بين رجال
 الصحابة من ٧٢ ج ١ والرياس المستطابة من ١٠ ج ١ .

عمرو بن الحسن ، ومحمد بن المنكدر ، وعاصم الشعبي ، وغيرهم . وكان له حلقة
في المسجد النبوي يؤخذ عنه فيها العلم

روى له من الحديث (١٥٤٠) حديثا ، روى له الشيخان منها (٢١٢)
حديثا ، اتفقا على (٦٠) حديثا منها ، وانفرد البخاري بـ (٢٦) حديثا ،
ومسلم بـ (١٢٦) حديثا ، وله من مك صغير في الحج أخرجه الإمام مسلم
في صحيحه .

عاش جابر (٩٤) سنة وكف بصره في أواخر حياته وتوفي سنة
(٨٧٨) على أرجح الأقوال رضى الله عنه وأرضاه . وهو آخر من توفي
من الصحابة .

• • •

أَبُو سَعِيدٍ الْخَدْرِيُّ

(١٢ ق ٥ - ٥٧٤ هـ)*

هو سعد بن مالك بن سنان بن عبيد بن ثعلبة الخدري الأنصاري الخزرجي المدني ، استشهد والده في غزوة أحد ، فقامى أبو سعيد شظف العيش ، وروى أنه كان من أهل الصفة ، استصفر يوم أحد ، ثم شهد معظم الغزوات مع النبي صلى الله عليه وسلم ، وشهد بيعة الرضوان ، وكان يحضر حلقات الرسول صلى الله عليه وسلم ، فتعمل عنه الكثير الطيب حتى عد في المكثرين عنه .

روى عن الرسول صلى الله عليه وسلم وعن أبي بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلى ، وعن زيد بن ثابت ، وغيرهم من الصحابة وروى عنه من الصحابة ابن عباس ، وعبد الله بن عمر ، وجابر ، وعمود بن أبيد ، وأبو أمية بن سهل ، وأبو الطفيل ، ومن كبار التابعين سعيد بن المسيب ، وأبو عثمان النهدي ، وطارق بن شهاب ، وغيرهم ، ومن بعدهم عطاء ، وعياض بن أبي مروح ، ومجاهد ، وغيرهم .

روى له من الحديث (١١٧٠) حديثاً ، أخرج له منها الشيخان (١١١) حديثاً ، اتفاقاً على (٤٣) حديثاً منها ، وانفرد البخاري بـ (١٦) حديثاً ، ومسلم بـ (٥٢) حديثاً ، أحاديثه في الكتب الستة ، وروى عنه جميع أصحاب المسانيد والسنن .

عرف أبو سعيد باستقامته الشديدة ، وحرصه على الحق ، فكان يصدع به لا يخاف في الله لومة لائم ، وتوفي رضي الله عنه بالمدينة سنة (٥٧٤ هـ) ، وسنة (٨٦) سنة .

* * *

(*) حلة الأولياء ص ٣٦٩ ج ١ ، وتهذيب التهذيب ص ٣٧٩ ج ٣ ، ونذكره الحفاظ ص ٤١ ج ١ ، والإصابة في تمييز الصحابة ص ٨٥ ج ٣ ، الجمع بين رجال الصحيحين ص ٦٢١ ج ٢ ، والرياض المستطابة ص ٢٤ والبارع المصباح ص ٩ ج ٢ .

الفصل الثاني

بعض أعلام الرواة من التابعين

من يعد تابعيا : وأشهر التابعين :

- | | |
|-----------------------------------|-----------------------------|
| ١ - سعيد بن المسيب | ٢ - عروة بن الزبير |
| ٣ - ابن شهاب الزهري | ٤ - نافع مولى ابن عمر |
| ٥ - عبيد الله بن عبد الله بن عتبة | ٦ - سالم بن عبد الله بن عمر |
| ٧ - إبراهيم النخعي | ٨ - عامر الشعبي |
| ٩ - علقمة النخعي | ١٠ - محمد بن سيرين |

من بعد تابعيا :

قال الخطيب البغدادي : (التابعي من صحب صحابيا^(١)) ، ولا يكفي مجرد الائتفاء ، بخلاف الصحابي فقد اكتفى فيه بذلك ، لشرف لقاء النبي صلى الله عليه وسلم ، والاجتماع به ، أو رؤيته ، فإن لذلك أثرا كبيرا في إصلاح القلوب وزكية النفوس ، مما لا يتهيأ لمن يلقي الصحابي من غير متابعة له ، وطول أخذ عنه .

وقال أكثر المحدثين : (إن التابعي من لقي واحداً من الصحابة فأكثر) وإن لم يصحبه ، ولهذا ذكر مسلم وابن حبان - سليمان بن مهران الأعمش في طبقة التابعين ، وقال ابن حبان : أخرجناه في هذه الطبقة لأن له اقياً وحفظاً ، رأى أنس بن مالك وإن لم يصح له سماع المسند عنه . كما عده الحافظ عبد الغنى بن سعيد - يحيى بن أبي كثير من التابعين ، لأنه لقي أنسا ، وعده فيهم موسى بن أبي عائشة ، لكونه لقي عمرو بن حريث ، وعده فيهم جرير بن أبي حازم لكونه رأى أنسا . وهذا إقرار منهم بأن التابعي من رأى الصحابي

واشترط ابن حبان أن يكون رآه في سن من يحفظ عنه ، أي أن يكون مميزاً ، فإن كان صغيراً لم يحفظ عنه فلا عبرة برؤيته ، كخلف بن خليفة ، فإنه عده من أتباع التابعين وإن كان رأى عمرو بن حريث ، لكونه كان صغيراً لا يميز .

قال العراقي : وما اختاره ابن حبان له وجه ، كما اشترط في الصحابي

(١) أظن تدريب الراوي ص ٤١٦ .

رؤيته وهو مميز ، قال : وقد أشار النبي صلى الله عليه وسلم إلى الصحابة والتابعين بقوله : « طُوبَى لِمَنْ رَأَى وَأَمَّنَ بِي ، وَطُوبَى لِمَنْ رَأَى مِنْ رَأَى الْحَدِيثِ » فَاكْتَفَى فِيهِمَا بِمَجْرَدِ الرُّؤْيَةِ^(١).

وعدد التابعين يفوق الحصر ، لأن كل من رأى صحابياً كان من التابعين ، وقد توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ياف ومائة ألف من الصحابة ، رحلوا إلى مختلف البلدان ، وانتشروا في جميع الآفاق ، ورآهم الوف الأنباع .

ولرجال الحديث اهتمام كبير بمعرفة الصحابة والتابعين لأن بهما يعرف المرسل والمتصل من الأخبار .

ثم إن التابعين طبقات جعلها الحاكم خمس عشرة طبقة ، آخرهم من لقي أنس ابن مالك من أهل البصرة ، ومن لقي عبد الله بن أبي أوفى من أهل الكوفة ، ومن لقي السائب بن يزيد من أهل المدينة ، ومن لقي عبد الله بن الحارث بن جزء من أهل مصر ، ومن لقي أبا أمامة الباهلي من أهل الشام^(٢) وذكر الحاكم غير هؤلاء في بعض البلدان الأخرى^(٣).

والعلماء كلام طويل في أفضل التابعين^(٤).

وسنذكر فيما يلي بعض أعلام الرواة من التابعين :

(١) انظر فتح الميث من ٥٢ - ٥٣ ج ٤ ، وتدريب الراوى ص ٤١٦ .

(٢) انظر معرفة علوم الحديث ص ٤٢ ، وفتح الميث ص ٤٥٣ ، وتدريب الراوى ص ٤١٧ .

(٣) انظر معرفة علوم الحديث ص ٤٣ .

(٤) انظر الراجع السابقة في ذلك : تدريب الراوى ص ٤٢١ ، والبراهن الحديث ص ١٩٠ .

وفتح الميث ص ٥٥ - ٥٦ .

سعيد بن المسيب

(١٥ - ٨٩٤) *

هو أبو محمد سعيد بن المسيب بن حزن بن وهب القرشي الخزومي المدني ، أحد أعلام الدنيا ، وسيد التابعين . ولد سعيد سنة (٨١٥) لستين مضت من خلافة عمر بن الخطاب ، وسمع منه ، ومن عثمان بن عفان ، وعلى ، وزيد ابن ثابت ، وعائشة ، وسعد بن أبي وقاص ، وأبي هريرة ، وابن عباس . وابن عمر ، وجل روايته عن أبي هريرة ، فقد كان سعيد زوج ابنته .

كان غزير العلم ، قال فيه ابن عمر : (لو رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا لسه) ، وقال مكحول وقتادة والزهرى وغيرهم ، (ما رأينا أعلم من ابن المسيب) ، وقال ابن المديني : (لا أعلم في التابعين أوسع علماً منه ، وهو عندى أجل للتابعين) .

وكان من أحفظ التابعين لأفضية الرسول صلى الله عليه وسلم ، والخلفاء الراشدين ، وكان يفتى وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أحياء ، وكان يقدم على فقهاء عصره . وكان عمر بن عبد العزيز يحمله ويحترمه ، وقد اشتهر بعبادته وورعه ، وعرف بجرأته في الحق ، وأبى أن يبايع بعض أولى الأمر ، وجلد على ذلك ، وبقي صامداً ثابت المزمعة^(١) .

(٥) طبقات ابن سعد ص ٨٨ - ١٠٦ ج ٥ ، الجمع بين رجال الصحيحين ص ١٦٨ ج ١ ، سير أعلام النبلاء مخطوط ص ١٩٢ - ١٩٩ قسم ٢ ج ٤ ، وتذكرة الحفاظ ص ٥١ - ٥٣ ج ١ . وتهذيب التهذيب ص ٨٤ ج ٤ ، وشذرات الذهب ج ١ ص ١٠٣ .
(٦) انظر بحثه هذه . سير أعلام النبلاء ص ١٩٥ قسم ٢ ج ٤ .

أشهر من روى عنه :

روى عن سعيد بن المسيب جماعات من كبار التابعين ، من أشهرهم
محمد بن مسلم الزهري ، وعمر بن دينار ، وخطاء بن أبي رباح ، ومحمد
الباقر ، وقحادة بن دعامة السدوسي ، وبكير بن الأشج ، ويحيى بن سعيد
الأنصاري ، وغيرهم .

أجمع العلماء على إمامته وعلو مكانته ، فقد كان رأس المدينة في الفقه
والفتوى حتى كانوا يسمونه « نفيه الفقهاء » .

أجمع أهل الحديث على ثقته وورعه وضبطه ، وشدة حرصه على السنة ،
ودأبه على العلم والمعبادة ، حتى إنه كان لا يفارق المسجد من العتمة
إلى العتمة . وقد ترفع عن قبول أموال المسلمين ، فكان لا يأخذ المطاء ،
له أربعمائة دينار يتجر بها في الزيت ، ويتعيش مما نفعه له . توفي سنة (٩٣ هـ) ،
وقيل (٩٤ هـ) رضى الله عنه وأرضاه .

• • •

عروة بن الزبير

(٢٢ - ٨٩٤) *

هو أبو عبد الله عروة بن الزبير بن العوام الأسدي المدني التابعي الجليل ،
الفتية الحافظ ، ولد في آخر خلافة عمر سنة (٢٢ أو ٢٣ هـ) وقيل في خلافة عثمان
ابن عفان سنة (٢٩) (١).

حفظ عن والده وأمه وخالته عائشة . وروى عن علي وعبد بن مسلمة
وأبي هريرة وعن زيد بن ثابت ، وأسامة بن زيد ، وعبد الله بن الأرقم ،
وأبي أيوب ، والثمان بن بشير ، ومعاوية ، وعبد الله بن عمر ، وعبد الله
ابن عباس ، والمصور بن مخزومة ، وزينب بنت أبي سلمة ، وبشير بن أبي
مسعود الأنصاري .

وكان عروة طلبة للعلم ، كثير التردد على خالته عائشة أم المؤمنين ،
دقيقاً في تحمله ، ضابطة ، وقد شهد له بذلك أعلام عصره . حتى أصبح
أحد الفقهاء السبعة في المدينة ، وكان ممن اختارهم عمر بن عبد العزيز - أمير
المدينة آنذاك - في مجلس شورى المدينة .

وفيه قال الإمام الزهري : (رأيت بحراً لا تسكده الدلاء) ، وقال ابن
عينة : (كان أعظم الناس بحديث عائشة - ثلاثة : القاسم ، وعروة ، وعمرة) .

(*) طبقات ابن سعد ص ١٣٥ ج ١ ، والجمع بين رجال الصحيحين ص ٣٩٤ ج ٢ ، وسير
أعلام النبلاء مخطوط ص ٢٤٥ - ٢٥٠ قدم ٢ ج ٤ ، وتذكرة الحافظ ص ٥٨ - ٥٩ ج ١ ،
وتحبيب التمهيد ص ١٨٠ ج ٧ ، وفضائل الذهب ص ١٠٣ ج ١ .
(١) في سير أعلام النبلاء : ولادة سنة ٢٣ .

وقال ابنه هشام : (والله ما تعلمنا منه جزءا من ألفي جزء من حديثه)

وقال محمد بن سعد : « كان ثقة كثير الحديث ، فقيها مأمونا عالما ثبتا » .

وإلى جانب حفظه للحديث الشريف كان عالما بالسيرة ، حافظا للقرآن ، عابدا يصوم الدهر ، وتوفى وهو صائم .

وعرف بحبه لنشر العلم ، فكان يتألف الناس على حديثه ، وبذا كر
أبناءه الحديث

وأشهر من روى عنه أولاده : عثمان وعبد الله وهشام ويحيى ومحمد ، وحفيده
عمر بن عبد الله ، والزهرى ، وسليمان بن يسار ، وأبو الزناد ، وابن أبي مليكة ،
وابن المنكدر ، وغيرهم كثير .

جمع عروة العلم والسيادة والعبادة ، وتوفى عن نيف وستين سنة ، سنة (٩٤ هـ)
على أحد الأقوال .

• • •

محمد بن مسلم بن شهاب الزهري

(٥٠ - ١٢٤ هـ) *

١ - التعريف به - ولادته - نشأته

هو أبو بكر محمد بن مسلم بن عبيد الله بن شهاب بن عبد الله بن الحارث ابن زهرة بن كلاب بن مرة القرشي الزهري المدني.

ولد الزهري سنة (٥٠) هـ على الأرجح ، في خلافة معاوية بن أبي سفيان ، ويروى أنه وفد على مروان بن الحكم في خلافته ، سنة (٦٤) وهو غلام محتم ، وكان أبوه على قيد الحياة ، لأنه كان إلى جانب عبد الله بن الزبير في ثورته على عبد الملك بن مروان ، ثم وفد على عبد الملك بعد وفاة والده ، وكان ذلك سنة (٨٢) هـ على أرجح الروايات .

٢ - طلبه العلم :

حفظ القرآن في ثمانين يوماً ، وطلب الحديث في أواخر عصر الصحابة ، وله ثيف وعشرون سنة ، وسمع من بعضهم ، وروى عنهم ، ومنهم أنس بن مالك ،

(*) أم المراجع التي اعتمدت عليها في ترجمة ابن شهاب : طبقات ابن سعد ص ١٣٥ قسم ٢ ج ٢ وما بعدها جامع بيان العلم وفضله ص ٧٣ و ٧٦ ج ١ ، وترتيب الثقات لابن حبان الجزء الثالث مخطوط ، والجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع ص ١٥٤ : آ و ١٥٥ : ب و ١٧٧ : آ و ١٨١ : آ وغيرها وحيمة الأرباب ص ٣٦٩ وما بعدها ج ٣ ، والجرح والتعديل ص ٧١ - ٧٤ ثم ج ١ ص ٤٠٤ . وتاريخ دمشق مخطوط ، نسخة دار الكتب المصرية ص ٤٨٧ - ٦١٩ ج ٣١ ، وتاريخ الإسلام ص ١٣٦ ج ٥ وتهذيب التهذيب ص ٤٤٨ ج ٩ ، وسأذكر موضع بعض الأخبار والنصوص عند الضرورة .

وعبد الله بن عمر ، وجابر بن عبد الله ، وسهل بن سعد ، وأبو الطفيل ، والمصور ابن مخزومة ، وغيرهم .

وروى عن كبار التابعين ، ومنهم : أبو إدريس الخولاني ، وعبد الله بن الحارث بن نوفل ، والحسن وعبد الله ابنا محمد بن الحنفية ، وحرمة مولى أسامة ابن زيد ، وعبد الله وعبيد الله وسالم بنو ابن عمر ، وعبد العزيز بن مروان ، وخارجة بن زيد بن ثابت ، وسعيد بن المسيب ، وسليمان بن يسار ، وعبد الله ابن أبي بكر بن حزم ، وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة ، وعروة بن الزبير ، والأعرج بن عبد الرحمن بن هرمز ، وعطاء بن أبي رباح ، والقاسم بن محمد بن أبي بكر ، والمحرر بن أبي هريرة ، ومحمد ونافع ابنا جبير بن مطعم ، وعروة بنت عبد الرحمن ، وروى عن غيرهم .

وقد سمع الزهري كثيراً من إمام التابعين سعيد بن المسيب ، وفي هذا يقول : (مست ركبتي ركة سعيد بن المسيب ثمانى سنين .) وقال : (تبعت سعيد بن المسيب في طلب حديث ثلاثة أيام) ، ولزم عبيد الله بن عبد الله ابن عتبة وخدمه ، وكان يستقي له الماء ليمسح به ، وكان لا يفارقه — قال الزهري — : حتى إن خادمه ليخرج فيقول من الباب ؟ فتقول الجارية : غلامك الأعرج — فتظن أني غلامه — وإن كنت لأخدمه حتى لأستقي له وضوءه .

وكالزم ابن المسيب وعبيد الله لزم عروة بن الزبير ، وفيه يقول : (عروة بحر لا ينزف) ، و (أما عروة فبحر لا تسكدره الدلاء) .

وكان جريئاً في طلب العلم ، يسأل عما يريد . وكان عبد الملك بن مروان قد أمره بطلب العلم — عند ما وفد عليه أول مرة — فقال له : (فاطلب

العلم ، ولا تشاغل عنه شيء ، فإني أرى لك هينا حافظه ، وقلها ذكيا ، وأنت الأنصار في منازلهم .

وقال صالح بن كيسان : (اجتمعت أنا والزهرى نطلب العلم ، فقلنا : السنن ، فكتبنا ما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم قال : نكتب ما جاء عن الصحابة فإنه سنة ، فقلت أنا : ليس بسنة فلا نكتبه ، قال فكتب ولم اكتب ، فأبجح وضيعت .)

ويروى عن الزهرى أنه كان يكتب الحديث ، ويتذكره ، فإذا حفظه محام . وكان من أنشط طلاب العلم في طلب الحديث يتردد كثيرا على حلقات العلماء ولا يترك أحدا يعرف عنده شيئا من العلم إلا قصده ، وفي هذا قال إبراهيم بن سعد بن إبراهيم : (قلت لأبي : بم فاقم ابن شهاب ؟ قال : كان يأتي المجالس من صدورهما ، ولا يلقى في المجلس كهلا إلا ساءله ولا شابا إلا ساءله ، ثم يأتي الدار من دور الأنصار فلا يلقى فيها شابا إلا ساءله ولا كهلا ولا مجوزا ولا كهلا إلا ساءله حتى يحاول ربات المجالس^(١) .)

قال أبو الزناد : (كنا نكتب الحلال والحرام ، وكان الزهرى يكتب كل ما سمع فلما احتيج إليه علمت أنه أعلم للناس^(٢) .)

٣ - حفظه :

اشتهر الزهرى بذاكرته القوية ، وسرعة حفظه ، وكان يقول : ما استودعت قلبي شيئا قط فأنسيته ، وقال لما استمدت حديثا إلا مرة ، فسألت صاحبي . فإذا هو كما حفظت .

(١) تهذيب التهذيب ص ٤٤٩ ج ٩ .

(٢) الجامع لأخلاق الراوى وآداب السامع ص ١٥٥ : ب .

وقد سأله هشام بن عبد الملك أن يملئ على بعض ولده شيئا من الحديث ،
فدعا بكتاب ، وأملئ عليه أربعمائة حديث ، فخرج الزهري من عند هشام فقال :
أين أنت يا أصحاب الحديث ؟ فحدثهم بتلك الأربعمائة ، ثم أتى هشاماً بعد شهر
أو نحوه ، فقال للزهري إن ذلك الكتاب قد ضاع ، فقال : لا عليك ، فدعا
بكتاب فأملأها عليه ، ثم قابل هشام بالكتاب الأول فما غادر حرفاً واحداً^(١) .
قال الإمام مالك بن أنس : (حدث الزهري بمائة حديث ، ثم التفت ،
فقال : كم حفظت يا مالك ؟ قلت : أربعين حديثاً ، قال فوضع يده على جبهته
ثم قال : إنا لله كيف نقص الحفظ !!) .

وكان كثيراً ما يذكر قصة الحديث ، قال الليث بن سعد : جلس الزهري
ذات ليلة يذكر قصة الحديث ، فإزال ذلك مجلسه حتى أصبح .

وكان أحياناً (يبتنى العلم من عروة وغيره ، فيأتي جارية له نائمة فيوقظها
فيقول لها : حدثني فلان بكذا وفلان بكذا ، فتقول : مالي ولهذا ؟ فيقول
قد علمت أنك لا تنفعين به ، ولكن سمعت الآن فأردت أن أستذكركه .)

٤ - علمه وآثاره :

اشتهر الزهري بوزارة علمه ، وطار صيته في الآفاق ، وأصبح محط أنظار
أهل الشام والحجاز ، قال الإمام مالك : (كان الزهري إذا دخل المدينة لم
يحدث بها أحد من العلماء حتى يخرج منها ، وأدركت بالمدينة مشايخ أبناء سبعين
وثمانين لا يؤخذ عنهم ، ويقدم ابن شهاب ، وهو دونهم في السن فيزدحم عليه) .
وكان يقول : (بقي ابن شهاب ، وماله في الدنيا نظير)^(٢) .

(١) الحديث الفاضل نسخة دمشق ص ٩ : ١ - ١ .

(٢) مقدمة المعركة لكتاب الخرج والتعديل ص ٢٠ .

وقال عمر بن عبد العزيز لجلسائه : هل تأتون ابن شهاب ؟ قالوا : إنا لنفعل ، قال : فأتوه ، فإنه لم يبق أحد أعلم بسنة ماضيه منه ، قال الراوى : والحسن وضرباؤه يومئذ أحياء

وقال مكحول : ما رأيت أحدا أعلم بسنة ماضيه من الزهرى ١١

وقال عمرو بن دينار : جالست جابرا وابن عمرو ابن عباس وابن الزبير ، فلم أر أحدا أنسق للحديث من الزهرى ، وقال فى رواية — : ما رأيت أنص وأبصر بالحديث من الزهرى

وقال أيوب السخيتى : ما رأيت أحدا أعلم من الزهرى

وكان بارعا فى مختلف علوم الإسلام . وفى هذا يحدنا الليث بن سعد فى قول : (ما رأيت عالما قط أجمع من ابن شهاب ، يحدث فى التريغيب فتقول لا يحسن إلا هذا ، وإن حدث عن العرب والأنساب قلت : لا يحسن إلا هذا ، وإن حدث عن القرآن والسنة كان حديثه نوعا جامعا .)

والى جانب علمه بالسنة النبوية وعلوم الإسلام كان أحد الأعلام بالشعر والأنساب والديرة ، وقيل إنه أول من ألف فى السير ، وقال بعضهم أول سيرة أنفت فى الإسلام سيرة الزهرى ^(١)

ولسمو مكانته ولأه يزيه بن عبد الملك القضاء ، ثم اختاره الخليفة هشام بن عبد الملك مؤدبا ومعلما لأولاده ، يفقههم ويعلمهم ويحج معهم فلم يفارقهم حتى مات ، ولذلك ذكره ابن حبيب مع أشرف المعلمين وفقهائهم ^(٢)

(١) انظر الرسالة المنطوية من ٧٩ - ٨٠ .

(٢) انظر الخبر من ٤٧٦ .

وكان متمسكا بالسنة^(١) ، روى عنه الإمام الأوزاعي قوله : (من الله القول ، وعلى الرسول البلاغ ، وعلينا التسليم ، أمروا حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم كما جاء بلا كيف^(٢))
ومن آثاره في السنة :

١ - كان الزهري أول من استجاب لطلب الخليفة عمر بن عبد العزيز ، فدوّن له السنن في دفاتر ، ثم وزع الخليفة على كل أرض له عليها سلطان دفقرا ، وأجمع العلماء على أنه كان أول من دَوّن السنة ، وقد بينت أنه أول من دَوّنها رسمياً بأمر الخليفة . وفصلت القول في ذلك في ، (خدمة عمر بن عبد العزيز للسنة) .

٢ - تفرّد ابن شهاب بسنن لولاه لصاعت ، قال الليث بن سعد : قال لي سعيد بن عبد الرحمن : يا أبا الحارث ، لولا ابن شهاب لصاعت أشياء من السنن ، وقال الإمام مسلم : (وللزهري نحو من تسعين حديثاً يرويه عن النبي صلى الله عليه وسلم ، لا يشاركه فيه أحد بأسانيد جباد^(٣)) ، وقال الحافظ الذهبي : (وقد انفرد ابن شهاب بسنن كثيرة ، وبرجال عدة لم يرو عنهم غيره ، منهم مسلم ، وعدتهم بضع وأربعون نفساً^(٤)) .

٣ - كان ممن يحرص على ذكر الإسناد ، ويبحث العلماء وطلاب العلم على

(١) انظر تاريخ دمشق ص ٥٧٨ ج ٣١ .

(٢) تاريخ الإسلام ص ١٤٤ ج ٥ وحلية الأولياء ص ٣٦٩ ج ٣ .

(٣) صحيح الإمام مسلم ص ١٢٦٨ ج ٣ .

(٤) تاريخ الإسلام ص ١٥١ ج ٥ .

للتزامه ، سمع الزهري إسحاق بن عبد الله بالمدينة يحدث فيقول : (قال رسول
 صلى الله عليه وسلم ، فقال له : مالك قاتلك الله يا ابن أبي فروة ، ما أجراك
 على الله ؟! اسند حديثك ، نحدثونا بأحاديث ليس لها خطم ولا أزمة^(١)) ،
 وقال الوليد بن مسلم : (خرج الزهري من الخضراء من عند عبد الملك بن
 مروان ، فجلس عند ذاك العمود فقال يأيها الناس إنا كنا قد منعناكم شيئا قد
 بذلناه لهؤلاء ، فتعالوا حتى أحدثكم ، قال وسمعتهم يقولون : قال رسول
 الله صلى الله عليه وسلم ، فقال يا أهل الشام ، مالي أرى أحاديثكم ليس لها
 أزمة ولا خطم ، قال الوليد : فتمسك أصحابنا بالأسانيد من يومئذ^(٢)) .
 وقال الإمام مالك : (أول من أسند الحديث ابن شهاب^(٣)) . فيحمل قوله
 على أنه من أوائل من التزموا الإسناد . وقد بينت هذا عندما تسكمت عن جهود
 الصحابة والتابعين لمقاومة الوضع .

٤ - كان الزهري يشجع طلاب العلم على دراسة الحديث ، ويتفق على
 بعضهم ، قل له أحدم : لا مال عندي حتى أطلب العلم ، فقال له : اتبعني
 واكفيك نفقتك .

وكان يكرم أصحاب الحديث ويطعمهم الثريد ويسقيهم العمل ، وكان إذا
 أبى أحد من أصحاب الحديث أن يأكل طعامه حلف أن لا يتحدث عشرة أيام .
 قال مالك بن أنس : (كان ابن شهاب يجمع الأعراب فيذاكرهم حديثه ، فإذا

(١) عليه الأوباء من ٣٦٥ هـ ، ٣ ، والخطام جمع خطام وهو الجبل الذي يقاد به البعير .

انظر لسان العرب مادة (خطم) من ٧٧ هـ ، ١٥ . والأزمة جمع زمام والزمم مثل الخطام .

انظر لسان العرب مادة (زمم) من ١٦٤ هـ ، ١٥ . أقول كثي الزهري بهذا عن الأسانيد .

(٢) تاريخ الإسلام من ١٤٨ هـ ، ٥ .

(٣) مقدمة المعرفة لسكزاد الجرح والتعديل من ٢٠ .

كان الشفاء شق لهم المكمل^(١) وجاءهم بالزبد ، وإذا كان الصيف شق لهم^(٢)
وجاءهم بالسمن^(٣) .

وكان كريما جوادا ، سمح النفس ، وأخبار سخائه كثيرة وقادر مثلها ، حتى
كان يحمود بما عنده ، قال الليث ابن سعد : (وكان ابن شهاب من أسخى من
رأيت ، كان يعطى كل من جاء ، فإذا لم يبق معه شيء اقترض .) ، فكان
لا يخشى الفقر ، ولا يرضن بالقليل ، ويأتيه السائل - وقد نفذ ما عنده -
فيقول له : أبشر فسوف يأتي الله بخير .

٥ - عدة حديثه ومنزلة روايته :

قال علي بن المديني له نحو ألفي حديث ، وقال أبو داود : حديثه ألفان
ومائتا حديث ، النصف منها مسند ، وتعتبر أسانيد الزهري من أحسن الأسانيد
قال الإمام أحمد : (الزهري أحسن الناس حديثا وأجود الناس اسنادا) .
وقال النسائي : (أحسن أسانيد تروى عن رسول الله صلى الله عليه وآله
وسلم أربعة :

للزهري عن علي بن الحسين بن أبيه عن جده ، والزهري عن عبيد الله
عن ابن عباس ، وأيوب عن محمد عن عبيدة عن علي ، ومنصور عن إبراهيم

(١) في الأصل (المكمل) وما أنبتناه أصوب . فالمكمل والمكملان التزيل . وقيل
المكمل شبه التزيل مع خمسة عشر صاعا . انظر لسان العرب مادة (كمل) ص ١٠٢ ج ١ ،
والتزيل والتزيل الجراب وقبل الوعاء يحمل فيه . انظر لسان العرب مادة (زيل) ص ٣٢٠ ج ١ .
(٢) أى شق لهم الجراب أو الوعاء . وربما كانت أوعية من جلد كتلك التي يضع فيها
الأغراب سمنهم وحبهم .

(٣) تاريخ دمشق ص ٦٠٩ ج ٣١ .

عن علقمة عن عبد الله^(١) .

قال أبو حاتم الرازي (أثبت أصحاب أنس الزهري) .

قال الحاكم : (وأصح أسانيد المكثرين من الصحابة ، لأبي هريرة - الزهري عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة . . . ومن أصح الأسانيد أيضا محمد بن مسلم بن عبيد الله بن شهاب بن زهرة القرشي عن عروة بن الزبير بن العوام بن خويلد القرشي عن عائشة . . . وأصح أسانيد أنس - مالك بن أنس عن الزهري عن أنس^(٢)) .

وقال الحاكم أيضا : (أصح أسانيد عمر - الزهري عن سالم عن أبيه عن جده^(٣)) .

وقال السيوطي : (وقيل أصحها - أي الأسانيد - مطلقا ما رواه أبو بكر محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب الزهري عن سالم بن عبد الله بن عمر عن أبيه ، وهذا مذهب أحمد بن حنبل ، وإسحاق بن راهويه ، صرح بذلك ابن الصلاح^(٤)) .

وقال ابن حزم : (أصح طريق يروى في الدنيا عن عمر - الزهري عن السائب ابن يزيد عنه^(٥)) .

٦ - أشهر من روى عنه :

روى عن الزهري خلق كثير من مختلف الأقاليم الإسلامية ، وأكثر عنه

(١) تهذيب التهذيب ص ٤٤٨ ج ١

(٢) معرفة علوم الحديث ص ٥٥ .

(٣) تدريب الراوي ص ٣٦ .

(٤) المرجع السابق ص ٣١ - ٣٢ .

(٥) تدريب الراوي ص ٣٦ .

الحجازيون والشاميون ، ومن أشهر من روى عنه - عطاء بن أبي رباح ،
وأبو الزبير المكي ، وعمر بن عبد العزيز وعمرو بن دينار ، وصالح بن كيسان
وأبان بن صالح ، ويحيى بن سعيد الأنصاري ، ويزيد بن أبي حبيب ،
وأبيوب السخيتاني ، ومعمار بن راشد ، وأبو عمرو الأوزاعي ، وعبد الملك
ابن جريح ، ومالك بن أنس ، والليث بن سعد ، وسفيان بن عيينة ، وعبد الله
ابن مسلم الزهري أخوه ، وغيرهم .

٧ - أقوال العلماء في ابن شهاب الزهري :

إلى جانب ما سقناه عن منزلة الزهري وعلمه نذكر آراء مشهورى العلماء
والنقاد فيه .

قال أبوب السخيتاني : (ما رأيت أحدا أعلم من الزهري ، فقال
له صخر بن جويرية : ولا الحسن ؟ قال : ما رأيت أحدا أعلم من
الزهري^(١)) .

قال ابن سعد : (قالوا^(٢) : وكان الزهري ثقة كثير الحديث والعلم
والرواية فقيها جامعاً^(٣)) .

وقال الإمام الأوزاعي : (ولا أدركت خلافة هشام - (ابن عبد الملك) -
أحدا من التابعين أفقه منه^(٤)) .

(١) الجرح والتعديل ص ٧٣ قسم ١ ج ٤ .

(٢) هكذا في الأصل ، والقائلون هم أهل العلم ممن يثق بهم ابن سعد .

(٣) تاريخ الإسلام ص ١٤٤ ج ٥ . وتهذيب التهذيب ص ٤٤٨ ج ٩ .

(٤) تاريخ دمشق ص ٥٩٣ ج ٣١ .

وقال ابن حبان : (وكان من أحفظ أهل زمانه ، وأحسنهم سياقا لمتون الأخبار ، وكان فقيها فاضلا^(١)) .

قال الإمام ابن تيمية : (حفظ الزهري الإسلام نحواً من سبعين سنة^(٢)) .

وقال الحافظ الذهبي : (الزهري علم الحفاظ) ، وقال : (الإمام أبو بكر القرشي الزهري أحد الأعلام وحافظ زمانه^(٣)) .

وقال ابن حجر : (محمد بن مسلم . . . القرشي الزهري الفقيه ، أبو بكر الحافظ المدني أحد الأئمة الأعلام ، وعالم الحجاز والشام^(٤)) .

وقال ابن الجزري : (أبو بكر الزهري المدني أحد الأئمة الكبار وعالم الحجاز والأمصار تابعي^(٥)) .

وقال ابن العماد : (الإمام أبو بكر الزهري المدني أحد الفقهاء السبعة وأحد الأعلام المشهورين^(٦)) .

وأحاديثه في الكتب الستة ، وفي سنن البيهقي ، وموطأ الإمام مالك ، ومسند الإمام أحمد ، وفي سائر كتب السنن والمسانيد .

وقد جمع أبو عبد الله محمد بن يحيى بن عبد الله بن خالد بن فارس بن ذؤيب الدهلي النيسابوري أحد أعلام الحفاظ (- ٢٥٢ هـ) أحاديث

(١) ترتيب الثقات لابن حبان مخطوط نسخة دار الكتب المصرية .

(٢) شذرات الذهب ص ١٦٣ ج ١ .

(٣) تاريخ الإسلام ص ١٣٦ ج ٥ .

(٤) تهذيب التهذيب ص ٢٤٥ ج ٩ .

(٥) غاية النهاية في طبقات القراء ص ٢٦٢ ج ٢ .

(٦) شذرات الذهب ص ١٦٢ ج ١ .

الزهرى فى مجلدين سميت (الزهريات) ، وكان قد اعتنى به ، وهو أعلم الناس بحديثه ^(١) .

كما جمع الإمام أبو على الحسن بن محمد الماسرجسى أحاديث الزهرى وزاد على الذهلى ، وكان جمعه فريداً لم يسبق إليه أحد .

وجمع حديث الزهرى أيضاً أبو بكر بن مهران النيسابورى ^(٢) .

٨ - وفاته :

توفى الإمام الزهرى بعد حياة علمية رفيعة ، عن نيف وسبعين سنة ، ليلة الثلاثاء ، لتسع عشرة (أو لسبع عشرة) ليلة خلت من شهر رمضان سنة أربع وعشرين ومائة على أرجح الأقوال فى قرية (أدامى ^(٣)) وهى خلف (شنب) و (بدآ ^(٤)) أول عمل فلسطين وآخر عمل الحجاز ، وبها ضيعة الزهرى ، وقد أوصى أن يدفن على قارعة الطريق ، ليمر مار فيدهو له .

• • •

(١) انظر تاريخ الإسلام ص ١٥١ ج ٥ والرسالة المستطرفة ص ٨٢ - ٨٣ .

(٢) انظر الرسالة المستطرفة ص ٨٢ - ٨٣ .

(٣) انظر تاريخ دمشق مخطوط نسخة دار الكتب المصرية ص ٦١١ ج ٣١ وقد شاهد الحسن بن المتوكل السفلى قبر الزهرى فيها . وانظر تاريخ الإسلام ص ١٥٢ ج ٥ ، وفى روايات أخرى أنه توفى بشنب ، انظر تاريخ دمشق ص ٥٠٩ و ٦١٨ ج ٣١ ، وقال ياقوت (شنب) وهى ضيعة خلف وادى القرى كانت لزهري وبها قبره . انظر معجم البلدان ص ٣٠٢ ج ٣ ولا خلاف بين القواين فمن قال شنب ذكر اسم المنطقة ومن قال (أدامى) عين القرية أو الضيعة فى تلك المنطقة .

(٤) بدأ بالفتح والقصر . وأدقرب (أيلة) من ساحل البحر وقيل بوادى القرى وقيل بوادى عنزة قرب الشام . انظر معجم البلدان ص ٨٧ ج ٢ . و (أيلة) مدينة صغيرة . . . قبل من آخر الحجاز وأول الشام . انظر معجم البلدان ص ٣٩١ ج ١ .

رَدُّ الشُّبُهَاتِ الَّتِي أَثِيرَتْ حَوْلَ الزُّهْرِيِّ

أقد عرفنا الزهري في نشأته ، وعرفناه في طلبه العلم ، واطلعنا على كثير من أخلافه ومزايده ، وأدركنا منزلته العلمية ، وقيمته بين علماء التابعين ، ومكانته بين أعلام رواة الحديث الشريف ، وخدماته الجليلة للسنة النبوية ولطلاب العلم ، فكان بحق أحد أعلام الحفاظ الذين لمح اسمهم في صفحات التاريخ ، ورفعهم شهرتهم العظيمة إلى مرتبة الإمامة ، فكان بحق حافظ زمانه ، وإمام عصره .

إلا أنه لم يسلم من اتهامات وجهها إليه بعض أتباع الفرق ، وأعداء الإسلام ، فظنهم بعض الشيعة بالسوء في دكاب الأمويين وإرضائهم بوضع ما يروق لهم من الأحاديث التي تثبت دعائم ملكهم ، وترد على خصومهم ، ويرى هؤلاء في ادعائهم هذا أن الأمويين استعانوا ببعض العلماء من الصحابة والتابعين لإلباس حكمهم ثوب المشروعية الدينية ، وساعدوهم في نشر سلطانهم ، وتلقف بعض المنتسقين هذه الأفسكار ، وبنوا عليها أبحاثهم التي انتهت بنتائج تخالف النتائج التي وصل إليها العلماء المسلمون ، فشكوا في كثير من الأخبار ، وادعوا وضع كثير من أحاديث الصحاح^(١) ، وأنهموا بعض الرواة بما لا يتفق مع الواقع التاريخي ، وقد تولى كبر ذلك المنتسرق (جولده نسيهر) ، ولم يكن بمحنة إلا حلقة في سلسلة الأبحاث التي ترمى إلى هدم الجانب التشريعي من الإسلام ، فكما افترى أعداء الإسلام على الصحابي الجليل أبي هريرة - افتروا على التابعي

(١) تعرضت لذلك ورددته في الفصل الثاني من الباب الثالث من هذا الكتاب ، انظر

المشهور الإمام الزهري ، قاصدين من وراء ذلك تشكيك المسلمين في مروياتهم
وهما اللذان رويا كثيرا من الحديث النبوي ، ونقلا إلى التابعين وأنباغهم جانباً
عظيماً من السنة ، فإذا ما شك المسلمون في أوثق الرواة وأحفظهم شكوا في
جميعهم واستهانوا بمروياتهم . وحينئذ يتحقق لأعداء الإسلام بعض هدفهم ،
وهو تخلي المسلمين وإغراضهم عن الحديث الشريف ، الذي كان تطبيقاً عملياً
للشريعة الإسلامية ، وشرحاً وافياً وبياناً واضحاً للقرآن الكريم ، فإذا عرض
المسلمون - لاسمح الله - عن السنة انسعت الهوة بينهم وبين الكتاب الكريم ،
وسهل على المبشرين زعزعة العقيدة في نفوس الناشئة ، وبث الإلحاد الذي يجر
وراءه العقائد الدخيلة ، والنظريات التي تخدم أهدأنا ، وفي هذا الطامة الكبرى
والخسارة العظمى للمسلمين في دينهم ودنياهم ، ولولا خطورة هذه الشبهات وبمدها
عن الحق ما ندرضنا لها ، فكما رددنا ما أثير حول ابن هريرة من شبهات
مصطنعة ، وعرفنا وجه الصواب ، رد ما أثير حول الزهري من شبهات أيضاً ،
ونحن في هذا لا نتمصب لأحد ، وإنما نقوخي الحق وسواء السبيل ، خدمة
للسنة الطاهرة .

قال اليعقوبي (- ٢٩٢ هـ) المؤرخ الشيعي : (وضع عبد الملك أهل الشام
من الحج ، وذلك أن ابن الزبير كان يأخذهم إذا حجوا بالبيعة ، فلما رأى
عبد الملك ذلك منعهم من الخروج إلى مكة ، فضج الناس وقالوا : نمنعنا من
حج بيت الله الحرام وهو فرض من الله علينا ، فقال لهم : هذا ابن شهاب الزهري
يحدثكم أن رسول الله قال : لا تشدُّ الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد : المسجد
الحرام ، ومسجدي ، ومسجد بيت المقدس ، وهو يقوم لسكم مقام المسجد الحرام
وهذه الصخرة التي يروي أن رسول الله وضع قدمه عليها لما صعد إلى السماء تقوم

اسم مقام السكبة ، فبنى على الصخرة قبة ، وعلق عليها ستور الديباج ، وأقام لها سدة ، وأخذ الناس بأن يطوفوا حولها كما يطوفون حول السكبة ، وأقام بذلك أيام بنى أمية ^(١)

وتبنى هذا الرأي (جولد تسهر) وقد نقله أستاذنا الدكتور مصطفى السباعي في كتابه السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي عن مسودة لأستاذه الدكتور (على حسن عبد القادر) كما أقيم على طلابه في الدرس ، ولا تزال المسودة بخط الدكتور (عبد القادر) محفوظة عند أستاذنا الدكتور السباعي .

وقد رد عليه الدكتور السباعي ردا علميا ، وفند افتراءه الكثيرة ودحضها بحجج علمية قوية ، وأذكر هنا بعض ما جاء في مسودة الدكتور (عبد القادر) من رأى جولد تسهر قال : (إن عبد الملك بن مروان منع الناس من الحج أيام فتنه ابن الزبير ، وبنى قبة الصخرة في المسجد الأقصى ليحج الناس إليها ويطوفون حولها بدلا من السكبة ، ثم أراد أن يحمل الناس على الحج إليها بعقيدة دينية ، فوجد الزهرى - وهو ذائع الصيت في الأمة الإسلامية - مستعدا لأن يضع له أحاديث في ذلك ، فوضع أحاديث ، منها حديث « لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد : مسجدى هذا ، والمسجد الحرام ، والمسجد الأقصى » ، ومنها حديث : (الصلاة في المسجد الأقصى تعدل ألف صلاة فيما سواه) وأمثال هذين الحديثين . والدليل على أن الزهرى هو واضع هذه الأحاديث أنه كان صديقا لعبد الملك ، وكان يتردد عليه ، وأن الأحاديث التي وردت في فضائل بيت المقدس مروية من طريق الزهرى فقط ^(٢) . . .)

لم أعثر على ما ذهب إليه اليعقوبي في تاريخه في أى مصدر إسلامي موثوق

(١) تاريخ اليعقوبي ص ٧ - ٨ - ٩

(٢) السنة ومكانتها في التشريع الإسلامى ص ٣٦٩ .

به ، فلم ينص الطبري ، ولا ابن سعد ، ولا ابن الأثير ، ولا ابن كثير ، ولا الذهبي - على شيء صريح مما ادعاه اليعقوبي كما أنه لم يعز لنا هذا الخبر إلى مصدره ، وبرجح عندي أن (جولدنسيهر) اطلع على رأى اليعقوبي ، فرأى فيه ما يؤيد نظريته في وضع الحديث ، تلك النظرية التي تعرضت لها في بحث (الوضع في الحديث) وبينت بطلانها ، فتعلق به ، وسنعرض هذا الخبر على الحقائق التاريخية ونناقشه ، ليظهر لنا وجه الحق فيه ، وتتجلى لنا من هذا الخبر للنقاط الآتية :

- ١ - منع عبد الملك أهل الشام من الحج
- ٢ - بنى عبد الملك قبة للصخرة في المسجد الأقصى ليحج الناس إليها بدلا من السكبة .
- ٣ - حاول حمل الناس على ذلك ، بوضع أحاديث من قبل الزهري المحدث المعروف في الأوساط الإسلامية .
- ٤ - الدليل على أن الزهري هو واضع هذه الأحاديث أنه كان صديقا لعبد الملك ، وأنه كان يتردد عليه ، وأن الأحاديث التي وردت في فضائل بيت المقدس مروية من طريق الزهري فقط . .
- ١ - أما أن يمنع عبد الملك أهل الشام من الحج فغير معقول ، لأن الحج فريضة على كل مسلم قادر ، فكيف بمطل عبد الملك شعار الله ، ويمنع إقامتها ، وقد عرف بالعبادة والصلاح ، حتى عد من فقهاء المدينة ، قال أبو الزناد : (كان فقهاء المدينة أربعة : سعيد بن المسيب ، وعروة بن الزبير ، وقبيصة ابن ذؤيب ، وعبد الملك بن مروان ^(١)) . وقد نافع : (لقد رأيت عبد الملك

ابن مروان وما بالمدينة شاب أشد تشميراً ولا أطلب للعلم منه^(١)، ولا يعقل أن يمنع عبد الملك أهل الشام من الحج وفيهم أئمة التابعين، ويستكون عنه فلا ينكرون عليه أو يشقون عصا للطاعة . وهناك ما يثبت أن عبد الملك لم يمنع أهل الشام من الحج ، فقد ورد في الطبري : (وفي هذه السنة - (سنة ٦٨) - وافت عرفات أربعة ألوية ، قال محمد بن عمر حدثني شرحبيل بن أبي عون عن أبيه قال : وقعت في سنة (٦٨) بعرفات أربعة ألوية : ابن الحنفية في أحبابه في لواء . . . وابن الزبير في لواء . . . ونجدة الحروري خلفهما ، ولواء بني أمية عن يسارهما^(٢) .)

٢ - لم تذكر المصادر الإسلامية أن عبد الملك هو الذي بنى قبة الصخرة ، بل ذكرت ابنه الوليد^(٣) ، ويقول الدكتور الدباغى : (ولم يحدهم ذكروا ولو رواية واحدة نسبة بنائها إلى عبد الملك ، ولا شك أن بناءها - كما يزعم جولد تسهر - لتكون بمثابة الكعبة يحجج الناس إليها بدلا من الكعبة - حادث من أكبر الحوادث وأهمها في تاريخ الإسلام والمسلمين ، فلا يعقل أن يمر عليه هؤلاء المؤرخون من الكرام ، وقد جرت عادتهم أن يدونوا ما هو أقل من ذلك خطراً أو أهمية ، كتدوينهم وفاة العلماء ، وتولى القضاة ، وغير ذلك ، فلو كان عبد الملك هو الذي بناها لذكروها ، ولكننا نراهم ذكروا بناءها في تاريخ الوليد ، وهؤلاء مؤرخون أثبات في كتابة التاريخ ، نعم جاء في كتاب الحيوان للدميري نقلاً عن ابن خلسكان : أن عبد الملك هو الذي بنى القبة وعبارته هكذا « بناها عبد الملك وكان الناس

(١) طبقات ابن سعد ص ١٧٤ ج ٥ .

(٢) تاريخ الطبري ص ٥٩٥ ج ٤ .

(٣) انظر السكامل لابن الأثير ص ١٣٧ ؛ والبداية والنهاية ص ١٦٥ ج ٩ .

يقفون عندها يوم عرفة ، ورغمما عما في نسبة بنائها لعبد الملك من ضعف ، ومن مخالفته لما ذكره أئمة التاريخ ، فإن هذا النص لا غبار عليه ، وليس فيه ما يدل على أنه بناها ليفعل الناس ذلك ، بل ظاهره أنهم كانوا يفعلون — هذا — من تلقاء أنفسهم ، وليس فيه ذكر الحج عند القبة بدلا من السكبة ، بل فيه الوقوف عندها يوم عرفة ، وهذه العادة كانت شائعة في كثير من أمصار الإسلام ، نص الفقهاء على كراهتها ، وفرق كبير بين الحج إليها بدلا من السكبة ، وبين الوقوف عندها تشبها بوقوف الحج في عرفة ، ليشارك من لم يستطع الحج الحاج في شيء من الأجر والثواب ، ولم يكن ذلك مقصورا على قبة الصخرة ، بل كان كل مصر إسلامي يخرج أهله يوم عرفة إلى ظاهر البلد فيقفون كما يقف الحاج^(١) .

ثم إن بناء عبد الملك قبة الصخرة ليحج الناس إليها بدلا من الحج إلى البيت الحرام كفر صريح لا يمكن أن يصدر عن مثله ، وهو الذي عرفنا مكانته العلمية وورعه .

ومما يدل على بطلان ما ادعاه (جولد نسيهر) موقف خصوم الأمويين من عبد الملك ، الذين لم يذكروا شيئا من هذا في طعنهم له ، ولو صح بعض ما ادعاه اليعقوبي و (جولد نسيهر) لكان إعلان تكفير عبد الملك والتشهير به أول الطعن التي توجه إليه لاجترائه — حسب ادعاء جولد نسيهر — على حرمة الله ، والعبث بشعائر الإسلام .

ومما يدل على تحامل المستشرق (جولد نسيهر) على الأمويين ، وعلى عهد الملك ، وعلى الإمام الزهري — موقف غيره من المستشرقين الذين رجحوا

(١) السنة و مكانتها في التاريخ الإسلامي ص ٣٩٩ - ٤٠٠ .

الرأى القائل بأن عبد الملك هو الذى بنى قبة الصخرة ، ولكنهم لم يذهبوا إلى ماذهب إليه (جولد تسيمبر) فى ادعائه^(١) الذى افتراه على عهد الملك ، وإن كان أكثرهم يبتعدسواء فى بنى أمية ، يقول المستشرق (بوليوس فلهووزن) : «ولكى يزيد خلفاء بنى أمية فى رجحان كفة الشام من الناحية السياسية حاولوا فيما حاولوا نقل مركز الشعائر الدينية إلى الشام ، وكان مما استوجب ذلك ، أن ابن الزبير ظل يحتل البيت الحرام فى مكة قرابة من عشر سنين ، فلم يكن أهل الشام يستطيعون الحج ، ما داموا على ولائهم الأسرة الأموية إلا بمشقة ، وقد استغل عبد الملك ذلك لمنع رعاياه من الحج إلى مكة ، وحضهم على أن يحجوا إلى بيت الله المقدس بدلا من أن يحجوا إلى مكة ، وهذا ما يحكيه (أوتيجيوس) على الأقل (فى كتابه التاريخ) ، أما الذى لا شك فيه فهو أن عبد الملك جهد فى أن يجعل لبيت المقدس — باعتباره مكانا مقدسا فى نظر الإسلام — مظهرا أروع مما كان له ، وذلك أن الدليل على صدق الرواية القائلة بأنه هو الذى بنى قبة الصخرة موجود فى النقش الذى لا يزال باقيا فى الجزء القديم من هذا البناء ، أما النقش الحالى فيذكر فيه اسم المأمون الخليفة العباسي ، على أنه هو الباني ، واسكن (دى فوجي) اكتشف أن اسم المأمون إنما أدخل فى النقش الأصلي من طريق نصحيح اسكتابة سابقة ، وقد فات على المصححين أن يصححوا التاريخ القديم الذى يبين السنة التى كان فيها البناء ، ويمكن على هذا أن يكون النص الأصلي على القطع هكذا : بنى هذه القبة فى سنة ٧٢ هـ عبد الله عبد الملك أمير المؤمنين»^(٢).

(١) انظر المغازى الأولى وهؤلوهما حيث بين المستشرق (يوسف موروقنس) رأيه فى هذا ص ٥٢ .

(٢) تاريخ الدولة العربية من ظهور الإسلام إلى نهاية الدولة الأيوبية ص ٢٠٦ - ٢٠٧ .

وفرق كبير بين أن يعنى عبد الملك بيت المقدس ، وبطهره وبجبل له مظهراً أروع مما كان له - وبين أن يجعله كعبة المسلمين ، وهذا ما اعترف به (فلهوزن) وعقب به على رأى (أوتيوخوس) الذى يتفق مع رأى جولدميسير .
فلو صح نسبة بناء القبة إلى عبد الملك - وهو رأى يخالف المصادر الإسلامية الموثوق بها ومبنى على مجرد التخمين والاستنتاج - لكان قد بناها واعتنى بالمسجد الأقصى لمكانته عند المسلمين ، وهو أقدس الأماكن التى كانت تقع تحت سلطان عبد الملك آنذاك .

ومما يؤكد لنا أنه لم يحمل أحداً على الحج إليه ، بل كان عمله مجرد احترام لذلك المسجد - ما قام به بعد انتصاره على ابن الزبير سنة (٥٧٣) حين أمر بإعادة بناء الكعبة كما كانت عليه فى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ، وإزالة ما أدخله ابن الزبير فى بنائها سنة (٥٦٤) ، فن الواجب أن يفرق بين اعتنائه بالمسجد الأقصى وجهه محباً للمسلمين .

٣ - أما أنه حاول أن يحمل الناس على الحج إلى المسجد الأقصى بمساعدة الزهرى الذى وضع له الأحاديث فى ذلك فنبر صحيح قطعاً ، وسنثبت هذا من طريقين ، الأول فى بيان صلة الزهرى بالأمويين ، والثانى فى استحالة هذا تاريخياً .

(١) صلة الزهرى بالأمويين :

صحيح أن الزهرى كان يتردد بين الحجاز والشام ، وكان يدخل على خلفاء بنى أمية ، ولكنه لم يكن ذلك الرجل الذى يستجدى أكرههم ، أو الذى يبيع ديناه بدينه ، فالزهرى أرفع بكثير مما يتصوره أعداء الإسلام ، والزهرى أسمى مما يراه اليعقوبى ، و (جولدميسير) وغيرهما ، فقد كان الإمام

الرهري رجل صلاح واستقامة ، يبين للخلفاء الحق مهما كان سرا ،
وكان يحملهم على سواء السبيل ولا يذاهبهم أو يمالئهم ، ومن هذا ما رواه
ابن عساكر بسنده إلى الإمام الشافعي عن عمه قال : (دخل سليمان بن يسار
على هشام فقال : يا سليمان ، من الذي تولى كبره منهم ؟ فقال له : عبد الله
ابن أبي بن سلول ، فقال له : كذبت ، هو علي بن أبي طالب ، قال :
أمير المؤمنين أعلم بما يقول ، فدخل ابن شهاب ، فقال له : من الذي
تولى كبره منهم ، فقال له : عبد الله بن أبي بن سلول ، فقال له : كذبت ،
هو علي بن أبي طالب ، فقال له : أنا أكذب ، لا أبالك ؟ فوالله لو ناداني
مناد من السماء أن الله أحل الكذب ما كذبت ، حدثني مروة بن الوليد
وسعيد بن المسيب وعبيد الله بن عبد الله وعلمة بن وقاص كلهم عن عائشة
أن الذي تولى كبره منهم عبد الله بن أبي . فلم يزل القوم يفرون به ، فقال له
هشام : ارحل فوالله ما كان ينبغي لنا أن نحمل عن مثلك ، فقال ابن شهاب
ولم ذاك ؟ أنا اغتصبتك على نفسي ، وأنت اغتصبتني على نفسي ؟ فحل على ،
فقال له : لا ، ولكنك استدنت أني ألف . فقال : قد علمت وأبوك قبلك
أنى ما استدنت هذا المال عليك ولا على أبيك ، فقال : إنا نهيىج الشيخ ،
فيهم^(١) الشيخ ، ثم أمر^(٢) فقضى عنه من دينه ألف ألف ، وأخير^(٣) بذلك ،
فقال : الحمد لله « الذي هذا هو من عنده »^(٤) . (٥)

(١) في الأصل بهم ، وما أنبتاه أصوب لغة .

(٢) في الأصل (فأمر) . في الأصل (فأخير) وآثرنا تصحيفه كما أنبتناه .

لتقديم البارة .

(٤) هكذا النص .

(٥) تاريخ دمشق ص ٥٩٤ - ٥٩٥ م ٣١ .

هذا ابن شهاب ، وهكذا كانت صلته بالأمويين ، فهل يعقل أن يكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم ١١ وهو الذي أتى أن يدهن الخليفة هشام ابن عبد الملك ، بل قال له — حين كانت السلطة بيده — (لا أبالك . فوالله لو ناداني مناد من السماء أن الله أحل الكذب ما كذبت) ، ابن شهاب يخاطب أمير المؤمنين ، بل يشتمه عند ما يخالف الحق ، وهل أقسى من عبارة (لا أبالك) وهل أجراً من ابن شهاب بعد هذا ؟ وهل نصدق — بعد هذا — دعوى أعداء الإسلام وافتراءاتهم على إمام عصره وحافظ زمانه ؟

قال الإمام الأوزاعي : (ما أدهن ابن شهاب قط لك دخل عليه ^(١)) وقال أيوب : لو كنت كاتباً الحديث عن أحد كنت كاتبه عن الزهري ، من رجل أحيى علم تلك البلدة ، من رجل يصحب السلطان ^(٢)

وأما ما روى عن يزيد بن يحيى أنه قال : (قل قليله أى رجل هو لولا أنه أفسد نفسه بصحبة الملوك ^(٣)) ، فهذا الخبر ضعيف واه لا يعتمد عليه ، ففي إسناده مجهولون ، وفي إسناده العباس بن الوليد بن صبيح الخلال الدمشقي ، قال الآجري : (سألت أبا داود عنه فقال : كان غائبا بالرجال والأخبار لا أحدث عنه ^(٤)) .

وزيد بن يحيى بن الصباح نفسه لا يعرف ، وقال أبو حاتم : ليس بالقوى ^(٥) .

(١) تاريخ دمشق ص ٥٩٣ ج ٣١ .

(٢) تاريخ دمشق ص ٥٩٣ ج ٣١ .

(٣) تاريخ دمشق ص ٥٩٣ ج ٣١ .

(٤) ميزان الاعتدال ص ٢٠ ترجمة ١٤٥ ج ٢ .

(٥) الرجوع السابق ص ٣١٨ ترجمة ٢٧٤٩ ج ٣ .

فصلة الزهرى بالأمويين صلة شريفة سامية ، صلة العالم الصدوق الذى لا يجشى فى الله لومة لائم .

ولا يرد علينا هنا أنه كان يعلم أبناء هشام بن عبد الملك ، وأنه ولى القضاء ليزيد بن عبد الملك ، فأى شيء يضيره فى تعليم أبناء الخليفة وتهذيبهم ؟ وأى شيء ينقصه إذا أدب أبناء أولى الأمر وفقهم ، ونشأهم النشأة الإسلامية الصحيحة ؟ إن فى هذا خدمة كبيرة للإسلام والمسلمين ، حين يرضى الزهرى أن يعتمد أبناء الخليفة بالعناية والرعاية والعلم ، ويحبهم اللهو والانفاس فى الشهوات ، فهم الذين سيتولون أمور الأمة ، ويوجهون سياستها ، ولكن أعداء الإسلام لا يسرهم أن يروا ابن شهاب معلماً شريفاً ، ومؤدباً حكيماً ، وقد افتخر به ابن حبيب ، فذكره مع أشرف المعلمين وفقهائهم .

وأى عيب يعترفه الزهرى إذا ولى القضاء ، وهو الرجل الذى عرفنا استقامته وزاخرته وعدالته .

هذا هو وجه الإمام الزهرى فى علاقته مع البيت الحاكم ، وجه مشرق نير ، ورأس مرفوع إلى العلياء ، لم تخفضه يوماً منة الملوك ولم تطفىء نضارته وإشراقته أيديهم عليه ، وذلك سلوكه مع أمراء المؤمنين وولائهم ، لا تعتربه شائبة ، ولا يتناولوه شك .

كل هذا بنى عن إمامنا همة وضعه الحديث ، لإرضائهم ودعم ملكهم . وقد أثبت سابقاً أن الأمويين لم يشجعوا الوضع ^(١) .

(ب) استحالة ما ادعاه يعقوبى و (جولد تسير) تازنجيا :

قال جولد تسير : (فوجد — عبد الملك — الزهرى وهو ذائع الصيت فى

الأمة الإسلامية مستعدا لأن يضع له أحاديث في ذلك ، فوضع أحاديث منها . .) .

هذا غير معقول ، لأن ابن شهاب ولد سنة (٥٠ هـ) على أرجح الأقوال ، وكانت الخصومة بين ابن الزبير وعبد الملك بن مروان بين عامي (٦٥ و ٧٣) هـ . فإذا كان عبد الملك قد بنى قبة الصخرة - حسب ما ذهب إليه بعض المستشرقين - سنة (٨٧٢) هـ ، فيكون عمر الزهري آنذاك (٢٢) اثنتين وعشرين سنة ، ولم يكن بعد مشهورا ، بل ما زال في مستقبل العمر يطلب العلم ، لم يصل إلى مرتبة الشهرة في الأمة الإسلامية ، وكان هناك من هو أشهر منه ، من كبار التابعين ، كعبيد بن المسيب ، وقبيصة بن ذؤيب ، والقاسم بن محمد وغيرهم ، لم يحاول عبد الملك أن يستغل واحدا منهم ، علما بأن قبيصة بن ذؤيب كان على خاتمه ، ومن كبار العلماء حوله . وابن شهاب - فوق هذا - لم يفد عن عبد الملك قبل سنة ثمانين ، قال الليث بن سعد : وفي سنة اثنتين وثمانين قدم ابن شهاب على عبد الملك ^(١) ، وهي السنة التي ذكرها ابن شهاب نفسه فقال : (قدمت دمشق زمن قهرق ابن الأشعث ^(٢)) فهل يضع الزهري الحديث بعد وفاة ابن الزبير بنسب سنين ؟؟ ولو فرضنا أن الزهري وفد على عبد الملك قبل استشهاد ابن الزبير ، ووضع هذا الحديث على رسول الله صلى الله عليه وسلم ليحمل الناس على الحج إلى المسجد الأقصى - فهل سيصدق الناس ؟ وهل يسكت عنه صفار الصحابة وكبار التابعين في دمشق ؟ بل هل يسكت عنه علماء الحجاز والأمصار الأخرى ؟ وهل يعقل أن يخفى على الأمة صحة هذا الحديث ، وفي الأمة العلماء

(١) انظر تاريخ دمشق من ٤٩١ هـ - ٣١ .

(٢) التاريخ الصغير ص ٩٣ .

الحفاظ ، والجهالة النحارير ، والنقاد الأشداء ! هل يعقل أن يضع ابن شهاب حديثاً يُغَيَّر به مناسك الحج - كما يزعم جولد نسيهر - ثم يثق به العلماء وطلاب العلم ، ويزدحم عليه الجموع لتأخذ عنه كلما جاء إلى المدينة ، ويتركون كبار التابعين وشيوخ الصحابة ؟؟ وهل خفي على الأمة كلها بعد جيل ما اقترنه ابن شهاب ، ليكتشفه اليعقوبي ويؤيده جولد نسيهر ؟؟؟ أم أن كل من أخذوا عنه ، وتلقوا العلم في حلقاته لا يقولون ؟؟ ! أم أن من ابتدأ هذه الخبر مفتر ومن أبدعه متحامل لا يتوخى الحقيقة العلمية ؟!

لو صح شيء مما افتراه هؤلاء على الزهري لصرح به النقاد ، وتركوا حديثه ، وحذروا طلاب العلم منه ، أو على أقل تقدير يثور عليه شيخه سعيد بن المسيب الذي روى الحديث المذكور عنه ، ولكن شيئاً من هذا لم يكن ، فظهر بطلان ما ادعوا وافترء ما اقترفوا .

٤ - استدلل جولد نسيهر على صحة ما ادعاه من أن الزهري هو القى وضع أحاديث بيت المقدس ، بأنه كان صديقاً لعبد الملك ، وأنه كان يتردد عليه ، وأن الأحاديث التي وردت في فضائل بيت المقدس مروية من طريق الزهري فقط ، وهذا مردود تنفيه الآثار ، وتدحضه الأخبار التاريخية ، فالزهري عندما قدم دمشق أدخله قبيصة بن ذؤيب على عبد الملك ، ليروى له (قضاء عمر في أمهات الأولاد) ، فسأله عبد الملك عن نسبه ، وذكره بأن أباه اشترك في الثورة مع ابن الزبير ، وأمره بطلب العلم ... فلو كان صديقاً لعبد الملك لاحتاج إلى من يدخله عليه . كما لا يحتاج إلى أن يسأله عن نسبه . ويوصيه بطلب العلم . ثم كيف نصدق نشوء صداقة بين عبد الملك والزهري ؟ إذا كان مولد عبد الملك سنة (٢٦) - ست وعشرين من الهجرة ، وانتقاله مع أبيه إلى الشام سنة (٦٤) أربع وستين ، (٢٣ - السنة)

حين لم يجاوز الزهرى آنذاك أربعة عشر عاما ، فهل يعقل أن تنشأ صداقة بين رجل في الثامنة والثلاثين من عمره مع غلام في الرابعة عشرة ؟ فانفق العقل والنقل على عدم صحة قيام صداقة بين عبد الملك وابن شهاب قبل قدومه إلى دمشق .

ثم إن حديث (لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد . .) روى من طرق مختلفة كثيرة غير طريق للزهرى ، فلم ينفرد به ابن شهاب ، وروته كتب السنة كلها .

فقد أخرجه الإمام البخارى من غير طريق الزهرى عن أبي الوليد عن شعبة ابن الحجاج عن عبد الملك عن قزعة مولى زياد عن أبي سعيد الخدرى^(١) .

وأخرجه مسلم من ثلاث طرق ، أحداها من طريق الزهرى ، والثانية عن قتيبة بن سعيد وعثمان بن أبي شيبة جميعا عن جرير عن عبد الملك بن عمير ، عن قزعة ، عن أبي سعيد الخدرى^(٢) ، والثالثة عن هارون بن سعيد الأيلي عن ابن وهب عن عبد الحميد بن جعفر عن عمران بن أبي أنس ، عن سلمان الأغر ، عن أبي هريرة^(٣) .

وأخرجه الإمام أحمد والإمام مالك . والترمذى وأبو داود والداريمى والنسائى وابن ماجه^(٤) .

فالزهرى لم ينفرد بهذا الحديث ، كما زعم جولد نسيهر ، ولم يضعه إرضاء

(١) صحيح البخارى بشرح الهندى ص ٢٠٧ و ٣٤١ ج ١ .

(٢) صحيح مسلم ص ٩٧٥ - ٩٧٦ حديث ٤١٥ ج ٢ .

(٣) المرجع السابق ص ١٠١٥ حديث ٥١٣ ج ٢ .

(٤) انظر مفتاح كنوز السنة : مادة (المدينة) ص ٤٦١ .

لعبد المالك ، بل شاركه في روايته غيره من كبار الصحابة والتابعين ومن تبعهم ، فالحديث صحيح لا ريب فيه ، وزعم اليعقوبي وجولد تسهر بأطل لا أصل له .

وهكذا خرج الإمام الزهري عما أحبط به من افتراءات واتهامات مرفوع الرأس ، يسكلاه غار النصر ، يتمتع بالثقة التامة عند جميع المسلمين ، ورواد البحث العلمي النزيه . ويكفيه فخرا أن حفظ السنة سبعين عاما ، وسام في تدوينها ونشرها وتعليمها . وقد خلد التاريخ ذكره في مصاف العلماء العاملين ، والحفاظ المتقنين .

• • •

نافع مولى ابن عمر

(٠٠ - ١١٧ هـ)*

أبو عبد الله العدوي المدني مولى عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهم ، أحد أعلام التابعين . قيل أصله من المغرب . وقيل من الديلم شمالي العراق ، أسر في أحد الحروب بين المسلمين والفرس فكان من نصيب عبد الله بن عمر ، فلزمه ما يقرب من ثلاثين سنة ، أعلم خلالها القرآن والسنة .

روى عن ابن عمر وأبي هريرة وأبي سعيد الخدري ورافع بن خديج ، وعن عائشة وأم سلمة ، وعبد الله وعبيد الله وسالم وزيد أولاد عبد الله بن عمر ، وعن القاسم بن محمد ، وأسلم مولى عمر ، وعبد الله بن محمد بن أبي بكر الصديق وغيرهم .

وروى عنه من التابعين أبو إسحاق السبيعي والحكم بن عيينة ، ويحيى الأنصاري ومحمد بن عجلان والزهرى ، وصالح بن كيسان وأيوب وحيد الطويل ، وميمون بن مهران وموسى بن عقبة وابن عون والأعمش وغيرهم .

وروى عنه من غير التابعين ابن جريج والأوزاعي ومالك واليث ويونس ابن عبيد ، وبنوه عبد الله وعمر وأبو بكر ، وابن أبي ليلى وكثير غيرهم .

كان كثير الحديث ثقة ضابطا صحيح الرواية ، لا يعرف له خطأ في جميع ما رواه . قال عبد الله بن عمر (لقد من الله علينا بنافع) . وقال مالك

(٥) تاريخ الإسلام ص ١٠ ج ٥ . وتهذيب التهذيب ص ٤١٢ ج ١٠ . والجمع بين رجال الصحاح ص ٢٢٨ ج ٢ . وتذكرة الحفاظ ص ٩٤ ج ١ ، وخلاصة الخرج ص ٤٠٠ .

ابن أنس : (كنت إذا سمعت من نافع يحدث عن ابن عمر لا أبالي أن لا أسمعه من غيره) . وبلغ نافع مرتبة رفيعة من العلم فاختره عمر بن عبد العزيز ، وبعثه إلى مصر ليعلمهم السنن .

توفي نافع رحمه الله بالمدينة سنة (١١٧ هـ) على أرجح الأقوال .
قال الإمام البخاري : (أصح الأسانيد : مالك عن نافع عن ابن عمر .)
وسمى المحدثون هذا الإسناد سلاسل الذهب .

• • •

عُبَيْدُ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُتْبَةَ

(٥٠ - ٨٩٨) *

هو عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود الهذلي المدني التابعي الجليل ، أحد الفقهاء السبعة ، كان إمام المدينة في زمانه ، اتفق العلماء على إمامته وجلالته ، واتفانه للحديث ، وكثرة حفظه وضبطه له ، وكان ابن عباس يكرمه ، وفيه قال الإمام الزهري : (ما جالست عالماً إلا رأيت أني أتيت على ما عنده ، إلا عبيد الله بن عبد الله بن عتبة ، فإنني لم آتة إلا وجدت عنده علماً طريفاً) ولعلو مكانته وغزارة علمه اختاره عبد العزيز بن سروان مؤدباً لولده عمر بن عبد العزيز ، قال ابن سعد : (كان ثقة عالماً فقيهاً كثير الحديث) ، وإلى جانب هذا كان له شعر جيد ، أورد منه أبو الفرج في « أغانيه » .

تلقى عبيد الله علمه عن كثير من الصحابة ، منهم عبد الله بن عباس وأبو هريرة ، وعبد الله بن عمر ، وأبو سعيد الخدري ، وأبو واقد الليثي ، وزيد بن خالد ، وعائشة ، وفاطمة بنت قيس ، وأم قيس بن محسن ، وغيرهم من الصحابة .

وروى عنه كثير من التابعين أشهرهم الإمام الزهري ، وصالح بن كيسان وأبو الزناد وغيرهم .

وقد كفّ بصره وتوفي بالمدينة سنة (٨٩٨) على أرجح الأقوال .

* * *

(*) تذكرة الحفاظ ٧٤ ج ١ ، وسير أعلام النبلاء خطوط من ٢٥٨ - ٢٥٩ قسم ٢ ج ٤ ، والجمع بين رجال الصحيحين من ٣٠١ ج ١ ، وتهذيب التهذيب من ٢٣ ج ٧ ، وخلاصة الخرجي من ٢٥١ ، والأغانى من ١٣٩ ج ٩ .

سالم بن عبد الله بن عمر

(٠٠ - ١٠٦ هـ) *

هو الثابتي الجليل أبو عبد الله سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب القرشي العدوي ، كان إماماً عاملاً زاهداً ، يلبس الثوب بدرهمين ، وكان أبوه عبد الله يقبله ويقول : شيخ يقبل شيعاً ، تآق علمه في المدينة ، وسمع من الصحابة ، فروى عن أبيه وعن أبي أيوب الأنصاري ، وأبي هريرة ، وعائشة أم المؤمنين .

وروى عنه من التابعين عمرو بن دينار ، ونافع مولى ابن عمر ، والزهرى ، وموسى بن عقبة ، وحديد الطويل ، وصالح بن كيسان ، وغيرهم ، وروى عنه كثير من أتباع التابعين .

ولعلمه وجلالته عدوه من الفقهاء السبعة ، وكان ذا مكانة رفيعة حتى إن سليمان بن عبد الملك رحب به ، وأقدمه على سريره . قال محمد بن سعد : (كان سالم كثير الحديث عالماً في الرجال ورعاً) ، وقال إسحاق بن راهويه : أصح الأسانيد الزهرى عن سالم عن أبيه . توفي بالمدينة سنة (١٠٦ هـ) .

(*) طبقات ابن سعد من ١٤٤ - ١٤٩ ج ٥ ، وتذكرة الحفاظ من ٨٣ ج ١ وسير أعلام النبلاء من ٢٥٤ - ٢٥٧ قسم ٢ ج ٤ ، وتهذيب ابن عساكر من ٥٠ ج ٦ ، وحلية الأولياء من ١٩٣ ج ٢ وتهذيب التهذيب من ٤٣٦ ج ٣ والجمع بين رجال الصحابين من ١٨٨ ج ١ .

إبراهيم بن يزيد النخعي

(٤٦ - ١٩٦ هـ)*

هو أبو عمران إبراهيم بن يزيد بن قيس بن الأسود النخعي الكوفي ، أحد أعلام التابعين كان حافظاً ، كثير الحديث ، فقيها صالحاً قليل التكلف ، يتوفى الشهرة دخل على السيدة عائشة أم المؤمنين صغيراً قبل أن يحتمل عند ما كان يحج مع عمه وخاله طلحة والأسود . وسمع من طلحة وخاليه الأسود وعبد الرحمن بن يزيد ، وروى عن مسروق وأبي معمر وهام بن الحارث وشريح القاضي وغيرهم ، ولم يثبت له سماع من عائشة ، وروى عنه جماعة من التابعين منهم الأعمش ، ومنصور بن المعتمر ، وعبد الله بن عون وحامد بن أبي سليمان ، ومغيرة بن مقسم الضبي ، وحبيب بن أبي ثابت ، وسماك بن حرب وغيرهم .

وإبراهيم - وإن لم يتحدث عن أحد من الصحابة مع أنه أدرك جماعة منهم - كان على جانب عظيم من العلم ، وشهد له بذلك كبار علماء عصره ، قال الشعبي حين توفي إبراهيم : (ما ترك أحداً أعلم منه أو أفقه ، قيل ولا الحسن وابن سيرين ؟ قال : ولا الحسن وابن سيرين ، ولا من أهل البصرة ، ولا الكوفة ، ولا الحجاز ، ولا الشام) .

(*) طبقات ابن سعد ص ١٨٨ - ١٩٩ ج ٦ ، وتاريخ الإسلام ص ٣٣٥ ج ٣ ، وفكرة الحفاظ ص ٦٩ ج ١ ، وتهذيب التهذيب ص ١٧٧ ج ١ ، والجمع بين رجال الصحيحين ص ١٩ ج ١ .

وكان بارعا في الحديث حتى قال الأعمش فيه : (كان النخعي صيرفي الحديث) ، وقال أبو زرعة (النخعي علم من أعلام الإسلام) .

وكان يقتدى بالصحابة ، ومن قوله : (لو أن أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم لم يمسحوا إلا على ظفر ما غسلته التماس الفضل ، وحسبنا من إزراء على قوم - أن نسأل عن فقهم ونخافهم)

توفي بالكوفة مخنفياً من الحجاج سنة (٥٩٦ هـ) وهو ابن تسع وأربعين سنة لم يستكمل الحسين .

• • •

عاصم بن شراحيل الشعبي

(١٩ - ١٠٣هـ) *

عاصم بن شراحيل الجبيري الشعبي الكوفي أبو عمرو ، الإمام العالم . علامة التابعين ولد لست^(١) سنين خلت من خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، كان من أهل السنة والجماعة ، يكره الفرفة ، رحل إلى بلدان كثيرة ، وروى الحديث عن علي ، وسعد بن أبي وقاص ، وسعيد بن زيد ، وزيد بن ثابت ، وقيس ابن سعيد بن عباد ، وقرظة بن كعب ، وعباد بن الصامت ، وأبي موسى الأشعري ، وأبي مسعود الأنصاري ، وأبي هريرة ، والمغيرة بن شعبة ، وأبي سعيد الخدري ، وعائشة أم المؤمنين ، وأم سلمة وغيرهم . قال أدركت خمسمائة من الصحابة .

وروى عنه أبو إسحاق السبيعي ، وسعيد بن عمرو واسماعيل بن أبي خالد وسعيد بن مسروق التوري والأعمش ، ومنصور ، وسماك بن حرب ، وعبد الله ابن هون ، وشعبة بن الحجاج . والشعبي أكبر شيوخ أبي حنيفة .

كان قوى الذاكرة يمتاز بحفظه ويقول : (ما كتبت سوداء في بيضاء) ، كان ذكيا فقيها أصبح على جانب عظيم من العلم حتى إنه كان يفتى في زمن

(*) طبقات ابن سعد ص ١٧٢ ج ٦ ، وتذكرة الحفاظ ص ٧٥ ج ١ وسير أعلام النبلاء مخطوط ص ٢١٣ - ٢١٩ قسم ٢ ج ٤ ، والجمع بين رجال الصفيين ص ٣٧٧ ج ١ ، وفيه وفاته سنة (١٠٦هـ) وهذا بعيد ، وتهذيب التهذيب ص ٦٠ ج ١ . المرجع ص ١٨٤ .

(١) وقبل ولد سنة (٢١هـ) قاله شباب انظر سير أعلام النبلاء ص ٢١٣ قسم ٢ ج ١ .

الصحابة ، وقد اتفق العلماء على إمامته وثقته ، قال أبو مجاز : (ما رأيت
 فيهم أحق من الشعبي) ، وقال ابن عيينة : كانت الناس تقول : (ابن عباس
 في زمانه ، والشعبي في زمانه ، والثوري في زمانه) . وقال ابن سيرين لأبي بكر
 الهذلي : (الزم الشعبي فقد رأيتك يستقي والصحابة متوافرون) ، وأثنى معاصروه
 على علمه ونواضعه وفضله وأخلاقه . وقد ولي قضاء الكوفة اعمر بن عبد العزيز ،
 وتوفي بالكوفة سنة (١٠٣ هـ) رحمه الله .

• • •

علقمة بن قيس النخعي

(٢٨ ق ٥ - ٦٢ هـ)*

هو أبو شبل علقمة بن قيس بن عبد الله النخعي الكوفي التابعي الجليل ، وهو عم الأسود بن يزيد بن قيس ، وأحد الأعلام الحضرمين ، روى عن عمر ابن الخطاب ، وعثمان بن عفان ، وعلى ، وعبد الله بن مسعود ، وحذيفة ، وسلمان الفارسي ، وعن عائشة ، وأبي مسعود ، وأبي الدرداء ، وغيرهم . وروى عنه إبراهيم النخعي ، والشعبي ، ومحمد بن سيرين ، وابن أخيه عبد الرحمن بن يزيد .

كان علقمة من أصحاب ابن مسعود ، وأعلم الناس به ، وقد أجمع معاصروه على جلالته ووقاره وغزارة علمه . قال إبراهيم بن علقمة : (كان عبد الله - أي ابن مسعود - يشبه النبي في هديه ودلته ونسبته ، وكان علقمة يشبه بعبد الله .)

كان متواضعاً يثوق الشهرة ، قيل له : (لو صليت في المسجد وتجلس ونجاس منك ، فتسأل ؟ فقال : أكره أن يقال هذا علقمة) ، وقيل له : (لو دخلت على الأمير فأمرته بخير ؟ فقال : لن أصيب من

(*) طبقات ابن سعد ص ٥٧ - ٦٢ ج ٦ ، وتذكرة الحفاظ ص ٤٥ - ٤٦ ج ١ ، والجمع بين رجال الصحيحين ص ٣٩٠ ج ١ ، وفيه وفاته سنة اثنين وستين ومائة والأصح ما ذكرناه ورأى كان هذا خطأ من الناسخ . وتهذيب التهذيب ص ٢٧٦ ج ٧ ، وخلاصة الخزرجي ص ٢٧١ .

دينام شيئاً إلا أصابوا من ديني أكثر منه .) وكان ثقة كثير الحديث ،
 يحضّ طلابه على مذاكرة العلم ويقول : (تذاكروا العلم فإن حياته ذكره) .
 قال مرة : (كان علامة من الربانيين) .

توفي بالكوفة سنة (٦٢ هـ) اثنتين وستين عن (٩٠) سنة
 رحمه الله .

• • •

محمد بن سيرين

(٢٣ - ١١٠ هـ) *

هو أبو بكر بن أبي عمرة ، محمد بن سيرين التابعي الجليل البصري الأنصاري بالولاء ، كان أبوه مولى لأنس ، وقد ولد محمد لسنتين بقيتا من خلافة عثمان رضي الله عنه سنة (٥٣٣) ونشأ في كنف أنس ، وكان بزازا ، وتعلم القرآن وتفقه وحفظ كثيرا من الحديث ، وكان متقنا ضابطا ، يحدث بالحديث على حروفه ، وكان ورعا فقيها رأى ثلاثين صحابيا وروى عن أنس بن مالك ، وزيد بن ثابت ، والحسن بن علي بن أبي طالب ، وعن أبي هريرة ، وابن عباس ، وابن عمر ، وغيرهم .

وروى عنه عامر الشعبي ، وثابت البناني ، وخالد الحذاء ، وداود بن أبي هند ، وعبد الله بن عون ، ويونس بن عبيد ، والأوزاعي ، ومالك بن دينار ، وهشام بن حسان ، وخلق كثير غيرهم .

شهد له بالعلم والورع والفقه والضبط والمداة أئمة عصره . قال ابن عون : لم أر في الدنيا مثل ثلاثة : محمد بن سيرين بالعراق ، والقاسم بن محمد بالحجاز ، ورجاء بن حيوة بالشام ، ولم يكن في هؤلاء مثل محمد . وقال موري السجل : ما رأيت رجلا أفقه في ورعه ، ولا أورع في فقهه من محمد .

(٥) طبقات ابن سعد ص ١٤١ - ١٥٠ . قسم ١ ج ٧ ، ونذكرة الخناط ص ٧٣ ج ١ ، والمحرر ص ٣٧٩ و ٤٨٠ ، والجمع بين رجال الصحيحين ص ٤٣٩ ج ٢ ، وترتيب الثقات لابن حبان الجزء الثالث مخطوطة دار الكتب المصرية ، وتهذيب التهذيب ص ٢١٤ - ٢١٧ ج ٩ ، وشذرات الذهب ص ١٣٨ ج ١ والأعلاق النفيسة ص ٢١٦ .

كان كثير العبادة والصيام ، قيل كان يصوم يوماً ويفطر يوماً ، وكان شديد الحيلة في دينه . قال أنس بن سيرين : (لم يبلغ محمداً حديثان قط أحدهما أشد من الآخر إلا أخذ بأشدهما ، قال : وكان لا يرى بالآخر بأساً...) ، وقال أبو قلابة : وأينا يطيق ما يطيق محمد ! ! محمد يركب مثل حد السنان .

قال الشعبي : عليكم بذلك الأصم - يعني - محمد بن سيرين . كان حليماً وقوراً يتأذى بالرسول صلى الله عليه وسلم وبالخلفاء الراشدين والصحابة وكان يحث طلابه على التثبت في تحمل الحديث ، ويقول : (إن هذا العلم دين ، فانظروا عن تأخذونه) .

وإلى جانب هذا كان صرح النفس ، طيب المشر . احتل مكانه في نفوس العلماء وطلاب العلم ، وتسم ذروة الإمامة في عصره . قال محمد بن سعد : (كان ثقة مأموناً عالياً رفيقاً فقيهاً إماماً كثير العلم) .

توفي بالبصرة سنة (١١٠ هـ) رحمه الله .

هؤلاء من أشهر التابعين وأكثرهم حديثاً ، ويضيق المقام عن ذكرهم جميعاً ، فهناك من الأعلام المشهورين الحسن البصري ، وسليمان الأعمش ، وقتادة بن دعامة السدوسي ، وعبد الرحمن بن هرمز الأعرج ، وغيرهم ممن ساهموا في حفظ السنة ونقلها ، جزاهم الله عنا أحسن الجزاء ، وأسكنهم فسيح الجنان .

الخاتمة

بعد هذا العرض لحياة السنة قبل التدوين ، عرفنا في الباب الأول الحقيقية التي كانت عليها السنة في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ، وعرفنا شخصية الرسول الكريم من حيث هو معلم ومرب ، وموقفه من العلم ، وسمو منهجه عليه الصلاة والسلام في تبليغ الإسلام وتطبيق أحكامه ، ونشجيته على طلب العلم ، ومعاملته أصحابه رضى الله عنهم ، كما عرفنا كيف كان الصحابة يتلقون السنة عنه صلى الله عليه وسلم ، وعرفنا إخلاصهم في المحافظة على الشريعة الحقيقية ، وبذلهم السخى في سبيل ذلك ، وعرفنا عوامل انتشار السنة جنبا إلى جنب مع القرآن الكريم .

وعرفنا في الباب الثانى تأسى الصحابة والتابعين بالرسول صلى الله عليه وسلم ونمساكهم بسنته ، واحتياطهم وورعهم في رواية الحديث ، وتشبههم في قبول الأخبار ، وأن تشددهم في قبول بعض الآثار لم يكن من باب تركهم للسنة أو عدم الأخذ بها ، بل كان من باب المحافظة عليها ، والتثبت والاستيثاق لها ، وإذا كان بعضهم في بعض الحالات والمواقف قد طلبوا لقبول الحديث راويين أو غير هذا ، فقد كانوا يقبلون في غير تلك الحالات الخبر عن العدل إذا توافرت فيه شروط التحمل والأداء .

ولا يعنى تشددهم في قبول الحديث أن لغيرهم أن يظاھروا بالاحتياط للسنة ، وهو يرفض ما قبلوه ، فإنه لا ينبغي أن يتخذ تشددهم ذريعة لترك السنة ، في حين يجب أن يعتبر توثيقا لما قبلوه منها .

وقد عرفنا في هذا الباب أيضاً حرص الصحابة والتابعين ومن تبعهم على رواية الحديث بلفظه كما سمعوه ، وإجازة بعضهم للعالم بفقه الحديث روايته بالملحى إذا لم يحضره اللفظ ، ومنعهم هذا أمير العالم بفقهه ، خوفاً من التحريف وتغيير الأحكام ، وأن رواية الحديث بالملحى أحياناً لم تسمى إلى الحديث ، ولم تغير أحكامه كما ادعى بعض الباحثين .

ثم لسنا النشاط العلمي الواسع في عصر الصحابة والتابعين ، وأدركنا اهتمام الأمة بحديث رسولها الكريم ، عندما بحثنا انتشار الحديث في ذلك العصر ، والرحلة في طلبه ، فكانت صورة صادقة عن الحيوية العلمية آنذاك .

وعرفنا في الباب الثالث نشأة وضع الحديث وأسبابه ، وأثر الأحزاب السياسية في هذا ، وخلصنا إلى أن الشيعة الذين استغلوا اسم (أهل البيت) هم الذين أساءوا إلى السنة بوضعهم الحديث لدعم دعواهم ومذهبهم ، وعرفنا أن أهل البيت براء من هذا كله ، وانتهينا إلى أن الخوارج لم يضعوا الحديث ، لأن الكذب في عقيدتهم من الكبائر .

وعرفنا أثر أعداء الإسلام ، وأثر التفرقة العنصرية والتعصب القبلي والمذهبي والإقليمي ، والقصاصين ، وأثر الجهل مع الرغبة في الخير ، وأثر المبالاة والتقرب إلى الحكام — عرفنا أثر هذا كله في وضع الحديث ، ووقوف الأمة وعلماؤها أمام هذه الظاهرة ، ومقاومة الوضع باتباع أسلم قواعد التثبت العلمي من التزام الأسناد ، ومضاعفة النشاط العلمي ، وتبعية الكذبة ومعرفة أحوال الرواة ، ووضع علامات لتمييز الصحيح من السقيم والموضوع ، وبهذا سلكت السنة من أيدي أعدائها .

وعلى ضوء هذا نقدنا آراء جولد تسبير وغاستون ويت وأحمد أمين ،

وأكدنا اهتمام العلماء بمتن الحديث وسنده ، وبيننا أن السنة لم تكن نتيجة لنضوج الإسلام وتطوره ، ووضع الأجيال المتعاقبة كازعم جولد تسيهر ، وأثبتنا أنها التطبيق العملي للإسلام ، الذي تم على يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ورفضنا إدعاء جولد تسيهر الذي يتهم فيه أئمة المذاهب الفقهية بوضع الحديث لدعم مذاهبهم ، وأدحضناه بالحجج القوية .

وأدر كنا عظمة الجهود التي بذلها الصحابة والتابعون وأهل العلم من بعدهم في سبيل الحفاظ على السنة ، حينما عرضنا أشهر ما ألف في الرجال والموضوعات ، وعرفنا أن المسلمين أعظم أمة في التاريخ اهتمت بترانها التشريعي ، منذ عهد الرسول صلى الله عليه وسلم .

وأما تدوين السنة فقد عرضنا في الباب الرابع ماروى عن الرسول صلى الله عليه وسلم في الكتابة من أخبار حول منعها وإباحتها ، وخلصنا إلى أن الرسول صلى الله عليه وسلم أباح كتابة الحديث بعد منعها ، كما عرضنا ماروى عن الصحابة والتابعين في الكتابة ، وانهينا إلى أن جميع ماروى عنهم حول السماح بتدوين الحديث أو منع تدوينه لم يكن متعارضاً متضارباً ، بل كان متعاضداً في سبيل حفظ القرآن والسنة ، فنصوا الكتابة حين خشوا التباس القرآن بالسنة ، وانشغال الناس عن القرآن الكريم ، وسمحوا بها حين أمنوا ذلك . كما عرفنا خدمة عمر بن عبد العزيز للسنة بتكليفه ابن شهاب الزهري وغيره بجمع الحديث ، وتدوينه ، ثم توزيعه على الأقطار الإسلامية ، وعرفنا اهتمامه بالسنة حين أمر المسؤولين في مختلف أقاليم الدولة الإسلامية بالاعتناء بالحديث ، وتشجيع العلماء على عقد حلقات دراسته في المساجد . وعرفنا أن مطلع القرن الهجري الثاني كان بداية نهضة علمية في تصنيف الحديث وتبويبها ، وقد

ظهرت هذه المصنفات في أوقات متقاربة في مختلف مراكز الإشعاع العلمي بالدولة الإسلامية ، وعرفنا المصنفين الأوائل في الحديث .

وفي الفصل الثاني من الباب الرابع عرفنا حركة التدوين بذكر أشهر الصحف التي دوت في عهده صلى الله عليه وسلم وعهد الصحابة والتابعين ، وعرضها عرضاً تاريخياً دقيقاً ، وكان من أبرز ماعرضناه الصحيفة الصادقة لعبد الله بن عمرو بن العاص ، وهي من أقدم مادون بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعرفنا منزلتها وقيمتها ، والصحيفة الصحيحة لهمام بن منبه ، وهي من أقدم مادون في عهد الصحابة في النصف الأول من القرن الهجري الأول ، وعرفنا منزلتها وقيمتها ، وأكدنا وصولها منفردة إلينا بأسناد صحيح ، إلى جانب ذكرها جميعها أو بعضها في مسند الإمام أحمد ، وفي كتب السنن والمسانيد الأخرى .

وأطلعنا على مراحل التدوين وجمع الحديث واختيار الصحيح منه ، حتى وصلنا في المدونات المشهورة

وقد نحلى لنا من البحث كثرة الكتب والمدونات في أول القرن الهجري الثاني .

وعرضنا في الفصل الثالث من هذا الباب أيضاً بعض آراء في التدوين ، ولم نوافق الشيخ محمد رشيد رضا على رأيه : أن أول من كتب الحديث من التابعين في القرن الأول وجمل ما كتبه مصنفاً مجموعاً هو خالد بن معدان الحمصي ، وأثبتنا أن هناك من سبقه في حفظ مدوناته أمثال عبد الله بن عمرو بن العاص ، وهمام بن منبه ، وأنهينا إلى أن صحف خالد من أوائل الصحف التي ضمت إليه في ذلك القرن .

وعرضنا رأى السيد حسن الصدر ، الذى لا يوافق رأى جمهور المحدثين فى تدوين الحديث فى عهد عمر بن عبد العزيز ، وينكر ما ثبت هذا ، ليؤكد سبق الشيعة وتقدمهم فى جمع الأخبار ، وفندناه ورددنا عليه بالحجج والبراهين ، وأكدنا صحة ما ذهب إليه جمهور المحدثين ، وبيننا عدم تعارضه مع تدوين الإمام على وأصحابه ، وانهبنا إلى سبق أبى رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتأليف والتصنيف إذا صح خبر تصنيفه كتاباً فى الحديث . وأكدنا أن صحة هذا الخبر لا نحملها على أن ننفي ما ثبت تاريخياً من أخبار التدوين فى عهد عمر بن عبد العزيز .

ثم عرفنا مكانة الإمام زيد بن على ومجموعه ، وانهبنا إلى أن مجموعه دليل ماضى على ما صنف فى مطلع القرن الهجرى الثانى ، وقد عرضنا نماذج مما جاء فيه ، لنقف على حقيقته .

ثم عرضت رأبى فى التدوين الرسمى ، وهو ما تبين لى أثناء البحث حول محاولة أمير مصر عبد العزيز بن مروان تدوين الحديث ، بتكليف التابعى الجليل كثير بن مرة الحضرمى أن يكتب إليه ما سمع من حديث من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وانهبت إلى أنه إذا ثبت استجابة كثير بن مرة لطلب أمير مصر فقد ثبت أن بعض الحديث دون رسمياً قبل التدوين الرسمى المشهور بربع قرن . وأن اهتمام أمير مصر بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وتدوينه يزيدنا ثقة بأن التدوين قد سار جنباً إلى جنب مع الحفظ .

ثم عرضت آراء المستشرقين فى تدوين الحديث ، وناقشنا ، وعرفنا أن أبحاثهم لم تسلم من الخطأ ، وأن جولده تسيهر لم يصب فى استنباطه من الأخبار الواردة فى كراهة الكتابة واحتمالها . وتصوره قيام حزبين متخاصمين أهل رأى

يضعون ما ينفي التدوين ليطمئنون في بعض الأحاديث ويرفضوها ، تبعاً لميولهم ، وأهوائهم ، وأهل حديث يضعون ما يروق لهم من الأخبار التي تثبت التدوين ، ليحتجوا ببعض الأحاديث التي تخدم غاياتهم وأهواءهم . وأكدنا أن علماء المسلمين وفقهاءهم أرفع بكثير مما تصوره جولد تسيهر ، وانتهينا إلى أنهم نهجوا جميعاً المنهج العلمي الدقيق في سبيل الحفاظ على الشريعة الإسلامية

وعرفنا من الباب الخامس القلوب الواعية ، التي حفظت السنة ونقلتها ، وأدحضنا بالحجج والبراهين ما أثير من شبهات حول أبي هريرة وابن شهاب الزهري ، ورددنا كل ما أثاره أعداء السنن — من مستشرقين وباحثين مسلمين — حولها ، وظهرت لنا مكانتهما ، وتكشفت الغايات السيئة من وراء تلك الشبهات .

وعلى ضوء جميع ما تقدم أصبحنا على يقين من أن السنة حفظت على أصل القواعد العلمية ، واهتم بها المسلمون اهتمامهم بالقرآن ، ولم تهمل حتى قبض لها من يجمعها في مصنفات الحديث بعد أكثر من قرنين — كما يزعم الزاعمون — بل كانت مصدر التشريع الإسلامي إلى جانب القرآن الكريم ، يحلها المسلمون ، ويحترمونها ، ويدينون بها ، وستبقى كذلك إلى ما شاء الله .

وقبل أن اختتم الموضوع أذكر بعض المقترحات فيما يلي :

١ — أن تزداد العناية بدراسة الحديث ورجاله ، وخاصة الصحابة منهم ، في مختلف مراحل الدراسة ، بما يناسب المستويات التعليمية ، لتنشأ الأجيال المسلمة على هدى الرسول صلى الله عليه وسلم ، وهي على معرفة حسنة بمن نقل إليها أصول شريعته ، وألا يقتصر تدريس الحديث في المراحل الأولى على حصص مادة (التربية الإسلامية) بل يتمدها إلى حصص الأخلاق والتربية

الاجتماعية ، والمطالعة والتاريخ والصحة ، فيدرس في كل مادة ما يلائمها ،
ويسهل تطبيق هذا بتعاون المدرسين والمؤلفين .

٢ - أن يدرس تاريخ السنة بتوسع ، كما يدرس تاريخ الفقه في الكليات
المتخصصة ، كالكليات الشرعية ، ودار العلوم وأصول الدين ، وكليات الحقوق ،
والا يمكنني بدراسة احاديث الأحكام في الكليات الإسلامية المتخصصة ،
بل تقرر احاديث في التربية ومكارم الأخلاق والآداب . وان يؤلف كتاب
في السنة وتاريخها ، يشتمل على الأدلة والبراهين التي تثبت الحقيقة التاريخية
للسنة وحفظها وروايتها وانتقالها . . . وأرجو أن يهتم العلماء بهذا ، وحبذا
لو عنيت جهة إسلامية مسؤولة كالمجلس الأعلى للشئون الإسلامية بتوجيه جماعة
من العلماء المتخصصين إلى تأليف هذا الكتاب ، وطبعه ونشره ، ليصحح
بعض الأخطاء التي وقع فيها الباحثون المسلمون والمستشرقون .

٣ - وأرى أنما للفايدة العلمية التي وصلنا إليها من بحثنا هذا :

(١) أن يفرد بعض أعلام رواة الحديث من الصحابة والتابعين وتابعيهم ،
كعبد الله ابن عمر ، وابن شهاب الزهري ، وسفيان الثوري ، وعبد الله بن
المبارك ، وسفيان بن عيينة ، بدراسات تكشف عن جهودهم في حفظ السنة ،
والاستيثاق لها ، ونشرها .

(ب) أن تحقق وتنشر بعض أمهات الكتب التي مازالت مخطوطة مجهولة
لكثير من الباحثين أو العلماء ، مع فضلها وأثرها الواضح في نقل الحديث ،
وصيائنه وحفظه ، والتعميد لدراسته وروايته ، كالجامع لعبد الرزاق بن همام بن
نافع الجعفي ، وكتب العليل للإمام أحمد بن حنبل ويحيى بن معين وغيرهما ،
وكتاب المحدث الفاصل بين الراوي والواعي للرازي ، وكتاب الجامع

لأخلاق الراوى وآداب السامع للخطيب البغدادى ، وإنى لأرجو الله أن يوفقنى إلى متابعة عملى لإخراج السكتابين الأخيرين على نحو يخدم العلم والحقيقة إن شاء الله تعالى .

(ح) أن تفرد نشأة علم مصطلح الحديث ببحث واف ، يظهر تاريخ تفصيل قواعد مصطلح الحديث وأصوله ، التى صانت السنة وحفظتها وبينت صحيحها من سقيمها ، على سهج علمى يسهل الرجوع إليه ، ويتفق مع روح هذا العصر ، وإنى لأرجو الله أن أطرق هذا البحث ، فى متابعة دراسقى العليا إن شاء الله تعالى .

(د) أن يفرد مادون من الحديث فى عصر الرسول صلى الله عليه وسلم وعصر الصحابة بالمبحث ، يجمع فى مؤلف يكون وثيقة تاريخية قيمة عن اهتمام المسلمين بتدوين حديثهم منذ عهده صلى الله عليه وسلم .

وبهذا أرجو أن أكون قد رفقت إلى أداء واجبى ، ويكفينى منه أن عشت فى هذا الموضوع سنوات عدة ، مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، الربى العظيم ، والمعلم الخالد الأمين ، ومع حديثه الطاهر ، ومحابته وأتباعهم ، فانتقلت بمشاعرى وعواطفى إلى عالم عظيم ، يسوده الإخاء والبذل والوفاء فى سبيل الله ، وتلوه نسمات الأرواح السامية والنفوس الكبيرة ، والهمم العالية ، والعزائم الماضية ، فأفدت كثيراً ، ولهذا سأقف حيانى على خدمة السنة ، سائلاً الله العظيم أن يجمع الأمة العربية والإسلامية على القرآن الكريم ، والسنة التى نحت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأن يوفقنا إلى التأسى برسول الإنسانية والسير على هداى ، وفى هذا التوفيق والنجاح ، والحمد لله رب العالمين .

محمد صبح الخطيب

نم السكتاب بعون الله

ملحق

كنت قد ناقشت بعض من اشتبه عليه حديث « من اصطبح كل يوم سبع تمرات لم يضره سم ولا سحر ذلك اليوم إلى الليل » . وعرضت قول بعض العلماء ، فيه ، وأكدت صحته سنداً ومتناً في (ص ٢٥٧) وما بعدها من هذا الكتاب ، وبعد أن تم طبع ذلك نشرت « جريدة الأهرام » نصريحاً للدكتور عبد العزيز شرف يؤيد ما ذهبت إليه ، فرأيت إلحاقه هنا زيادة لفائدة .

كتبت الأهرام تحت عنوان « البلح - علاج لأمراض العيون والجلد والانيما والنزيف ولين العظام واليواسير - يساعد على الولادة بسهولة » .

(أثبتت الأبحاث العلمية التي أجريت أخيراً بالمركز القومى للبحوث أن البلح غذاء كامل ، ويفيد في وقاية الجسم وعلاجه من أمراض العيون وضعف البصر ، وعلاج الأمراض الجلدية كالبللجرا وأمراض الانيميا وحالات النزيف ولين العظام ، واليواسير ويساعد المرأة الحامل على الولادة بسهولة .

صرح بذلك الدكتور عبد العزيز شرف المشرف على وحدة بحوث الأدوية بالمركز القومى للبحوث ، وأضاف قائلاً : إن الأبحاث أثبتت كذلك أن البلح يعادل اللحم في قيمته الغذائية ، ويتفوق عليه بما يعطيه من سرعات حرارية ومواد معدنية وسكرية . وذلك بالإضافة إلى أنه غنى بالسكاليوم والفسفور والحديد ، ويحتوى على غالبية الفيتامينات المعروفة) . « جريدة الأهرام الإثني ١٢ ذو الحجة ١٣٨٢ الموافق (٦) مايو ١٩٦٣ السنة ٨٩ - العدد

فهارس الكتاب

- ١ - فهرس المصادر والمراجع .
- ٢ - فهرس الموضوعات .
- ٣ - فهرس آيات القرآن الكريم
- ٤ - فهرس الأحاديث الشريفة .
- ٥ - فهرس الأحاديث الموضوعة .
- ٦ - فهرس البلدان والأماكن والمشاهد والغزوات .
- ٧ - فهرس الكتب المعرف بها .
- ٨ - فهرس الأعلام .
- ٩ - فهرس الفهارس .

المصادر والمراجع^(١)

- ١ - القرآن الكريم :
- ٢ - أبو هريرة * : لعبد الحسين شرف الدين العاملى الطبعة الأولى - صيدا .
- ٣ - الإجابة لايراد ما استدركته عائشة على الصحابة : لبدر الدين الزركشى بتحقيق محمد سعيد الأفغانى طبع دمشق للمجمع العلمى .
- ٤ - الإحكام فى أصول الأحكام : لعلى بن أحمد (بن حزم) الأندلسى بتحقيق أحمد محمد شاكر الطبعة الأولى طبع الخانجى بالقاهرة - ١٣٤٥ هـ .
- ٥ - الإحكام فى أصول الأحكام : لسيف الدين على بن أبى على الأمدى طبع دار المعارف بالقاهرة ١٣٣٢ هـ - ١٩١٤ م .
- ٦ - أخبار أهل الرسوخ فى الفقه والتحديث بمقدار المنسوخ من الحديث : لأبى الفرج عبد الرحمن بن على بن الجوزى طبع مصر ١٣٢٢ هـ .
- ٧ - الآداب الشرعية : لمحمد بن مفلح المقدسى مصر ١٣٤٨ هـ .
- ٨ - الأدب المفرد : لمحمد بن اسماعيل البخارى واستوفى نخرىج أحاديثه بحب الدين الخطيب المطبعة السلفية بالقاهرة ١٣٧٩ .
- ٩ - ارشاد السارى : لشهاب الدين القسطلانى طبع مصر - ١٣٢٦ هـ .
- ١٠ - الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى : لأبى العباس أحمد بن خالد الناصرى سنة ١٩٥٤ طبع الدار البيضاء .

(١) تراجع الكتب المذكورة فى الفصل الرابع من الباب الثالث فقد آثرنا ألا ندرجها ثانية هنا .
(٢) رجعنا إليه الرد على ملجاء فيه من شبهات حول السنة ورواتها .

- ١١ - الاستيعاب في معرفة الأصحاب : لأبي عمر يوسف بن عبد البر على هامش الإصانة لابن حجر طبع مصطفى محمد بالقاهرة ١٣٥٨ هـ - ١٩٣٩ م .
- ١٢ - أسد الثابة في معرفة الصحابة لعز الدين أبي الحسن بن الأثير الجزري طبع القاهرة ١٢٨٦ هـ .
- ١٣ - أسماء الصحابة الرواة وما لسكل واحد من المدد لابن حزم الأندلسي مخطوط : دار الكتب المصرية .
- ١٤ - الإصابة في تمييز الصحابة لشهاب الدين أبي الفضل أحمد بن علي (بن حجر) المستقلاني طبع مصر ١٣٢٣ في ٨ مجلدات .
- ١٥ - أصول التشريع الإسلامي لفضيلة الأستاذ علي حسب الله الطبعة الثانية - دار المعارف بالقاهرة ١٣٧٩ هـ - ١٩٥٩ م .
- ١٦ - أضواء على التاريخ الإسلامي لفتحى عثمان طبع دار الجهاد : ١٣٧٦ هـ - ١٩٥٦ م .
- ١٧ - أضواء على السنة المحمدية^(١) لمحمود (أبورية) طبع دار التأليف بمصر ١٣٧٧ هـ ١٩٥٨ م .
- ١٨ - الأعلام النفيسة لأحمد بن عمر بن رسته طبع ليدن - ١٩٨١ م .
- ١٩ - إعلام الموقعين من رب العالمين لشمس الدين محمد بن أبي بكر (ابن قيم الجوزية) تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد - الطبعة الأولى مطبعة السعادة ١٣٧٤ هـ - ١٩٥٥ م .
- ٢٠ - الأعلام لخير الدين الزركلى الطبعة الثانية ١٣٧٣ هـ - ١٩٥٤ م .

(١) رجعتنا إليه للمرد على ما جاء فيه من شبهات حول السنة وروايتها .

- ٢١ - الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ لمحمد بن عبد الرحمن السخاوي طبع
دمشق : ١٣٤٩ هـ .
- ٢٢ - أقدم تدوين في الحديث النبوي (صيغة همام بن منبه) للدكتور محمد
حميد الله طبع المجمع العلمي العربي بدمشق ١٣٧٢ هـ - ١٩٥٣ م .
- ٢٣ - ألفية السيوطي للجلال الدين السيوطي تحقيق أحمد محمد شاكر طبع
عيسى الباني الحلبي بالقاهرة ١٣٥٣ هـ .
- ٢٤ - الأغاني لأبي الفرج الأصبهاني مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة
١٩٣٦ م .
- ٢٥ - الإمام زيد لمحمد أبوزهرة دار الفكر العربي بالقاهرة الطبعة الأولى
١٣٧٨ هـ - ١٩٥٩ م .
- ٢٦ - الأموال للقاسم بن سلام طبع مصر ١٣٥٣ هـ .
- ٢٧ - الأنوار الكاشفة لما في كتاب أضواء على السنة من الزلل والتضليل
والجوازفة لعبد الرحمن بن يحيى المعلى الباني طبع المطبعة السلفية
بالقاهرة : ١٣٧٨ هـ .
- ٢٨ - الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث (للحافظ بن كثير) لأحمد
محمد شاكر طبع محمد علي صبيح وأولاده بالقاهرة الطبعة الثانية :
١٣٧٠ - ١٩٥١ م .
- ٢٩ - البارع الفصيح في شرح الجامع الصحيح لأبي البقاء محمد بن خاف
الأحمدي مخطوط دار الكتب المصرية .
- ٣٠ - البداية والنهاية لأبي الفداء عماد الدين إسماعيل (بن كثير) مطبعة
للمادة بالقاهرة ١٣٥١ هـ - ١٩٣٢ م .

- ٣١ - تبيان والتعريف في أسباب ورود الحديث لإبراهيم بن كمال الدين
(ابن حمزة) طبع القاهرة ١٣٢٩ هـ .
- ٣٢ - تأسيس الشيعة لعلوم الإسلام للسيد حسن الصدر طبعة شركة الطباعة
والنشر العراقية ببغداد ١٩٥١ م .
- ٣٣ - تأويل مختلف الحديث لعبد الله بن مسلم (بن قتيبة الدينوري) مطبعة
كرديستان العلمية بمصر : ١٣٢٦ هـ .
- ٣٤ - تاريخ الإسلام للدكتور حسن إبراهيم حسن مطبعة لجنة البيان العربي
بالقاهرة الطبعة الرابعة : ١٩٥٧ م .
- ٣٥ - تاريخ الإسلام لحافظ شمس الدين الذهبي مكتبة القدسي بالقاهرة
الأجزاء (١ - ٥) ١٣٦٧ هـ - ١٩٤٧ م .
- ٣٦ - تاريخ الأمم والملوك لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري طبع بمصر :
١٣٥٧ هـ - ١٩٣٩ م .
- ٣٧ - تاريخ بغداد لأبي بكر أحمد بن علي (الخطيب البغدادي) طبع بمصر :
١٣٤٩ هـ - ١٩٣١ م .
- ٣٨ - تاريخ الزريعة الإسلامية للدكتور أحمد شلي مطابع دار الكشف
بيروت ١٩٥٤ م .
- ٣٩ - تاريخ التشريع الإسلامي لعبد الطيف محمد السبكي ومحمد علي السائس
ومحمد يوسف الدبري مطبعة الاستقامة بالقاهرة : الطبعة الثالثة :
١٣٦٥ هـ - ١٩٤٦ م .
- ٤٠ - تاريخ التشريع الإسلامي لمحمد الحضري مطبعة الاستقامة بالقاهرة
الطبعة السابعة : ١٩٦٠ م .

- ٤١ - تاريخ الخلفاء لجلال الدين السيوطي المطبعة النيرية بمصر : ١٣٥١ هـ .
- ٤٢ - تاريخ داريا للقاضي عبد الجبار بن عبد الله الخولاني : بتحقيق سعيد الأضاني دمشق المجمع العلمي ١٢٥٠
- ٤٣ - تاريخ دمشق لعل بن الحسن هبة الله (ابن عساكر) مخطوط دار الكتب المصرية .
- ٤٤ - تاريخ الدولة العربية ^(١) للمستشرق يوليوس فلهوزن تحقيق الدكتور محمد عبد الهادي أبو ريدة والدكتور حسين مؤنس : طبع مصر : ١٩٥٨ م .
- ٤٥ - التاريخ قصير للإمام محمد بن اسماعيل البخاري طبع الهند ١٣٢٥ هـ .
- ٤٦ - تاريخ الفقه الإسلامي للدكتور محمد يوسف موسى طبع دار الكتاب العربي بمصر : ١٣٧٨ هـ - ١٩٥٨ م .
- ٤٧ - تاريخ فنون الحديث لمحمد عبد العزيز الخولي طبع : مطبعة الإستقامة بالقاهرة الطبعة الثالثة .
- ٤٨ - التاريخ الكبير للإمام البخاري مخطوط دار الكتب تحت رقم (١٨٩٠) والجزء الأول منه طبع الهند سنة ١٣٦٠ - ١٣٦١ هـ .
- ٤٩ - التاريخ الكبير وهو (تهذيب تاريخ ابن عساكر) لعبد القادر بدران طبع دمشق مطبعة روضة الشام ١٣٢٩
- ٥٠ - تاريخ يعقوب ^(٢) لأحمد بن أبي يعقوب طبع النجف ١٣٥٨ هـ .
- ٥١ - التبصير في الدين لأبي المظفر السمعاني بتحقيق محمد زاهد الكوثري طبع الخابجي بالقاهرة ١٣٧٤ هـ - ١٩٥٥ م .

(١) رجعت إليه الرد على بعض الشبهات .

(٢) رجعت إليه الرد على بعض الشبهات .

٥٢ - تحذير الجواص من أكاذيب القصاص لجلال الدين السيوطى طبع
مصر : ١٣٥١ هـ .

٥٣ - تحذير المسلمين من الأحاديث الموضوعة على سيد المرسلين لعبد الله
محمد البشير ظافر : طبع مصر : ١٣٢١ هـ - ١٩٠٣ م .

٥٤ - تدريب الراوى لجلال الدين السيوطى بتحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف
مكتبة القاهرة بمصر الطبعة الأولى ١٣٧٩ هـ - ١٩٥٩ م .

٥٥ - تذكرة الحفاظ لشمس الدين أبى عبد الله محمد بن أحمد الذهبي طبع
الهند ١٣٣٣ هـ .

٥٦ - تذكرة الموضوعات لمحمد بن طاهر المقدسى طبع مصر ١٣٢٣ هـ .

٥٧ - تذكرة الموضوعات لمحمد بن طاهر الهندى (الفتنى) طبع مصر ١٣٤٣ هـ .

٥٨ - ترتيب الثقات لابن حبان : لعلى بن أبى بكر الهيثمى مخطوط دار
الكتاب المصرية .

٥٩ - تفسير أبى السعود (ارشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم) لأبى
السعود محمد بن محمد العمادى . مطبعة محمد على صبيح بالقاهرة .

٦٠ - تفسير الطبرى (جامع البيان من تأويل آى القرآن) لمحمد بن جرير
الطبرى بتحقيق ومراجعة محمود وأحمد محمد شاكر دار المعارف بالقاهرة .

٦١ - مقدمة المعرفة لكتاب الجرح والتعديل لعبد الرحمن بن أبى حاتم الرازى
طبع الهند ١٩٥٢ .

٦٢ - تقييد العلم لأبى بكر أحمد بن على بن ثابت (الخطيب للبغدادى)
بتحقيق الدكتور يوسف العش دمشق ١٩٤٩ .

٦٣ - تنقيح فہوم اہل الآثار لجمال الدین : ابن الجوزی مخطوط دار
الکتب المصریۃ .

٦٤ - تمیز المرفوع عن الموضوع للملا علی القاری مخطوط دار الکتب المصریۃ .

٦٥ - الذنیۃ والإشراف لأبی الحسن علی بن الحسین المسعودی طبع دار
الناوی بالقاہرۃ ١٣٥٧ھ - ١٩٣٨ م .

٦٦ - تزئین الشریعۃ المرفوعۃ عن الأخبار الشنیعۃ الموضوعۃ لعلی (بن عراق)
الکنتانی بتحقیق عبد الوہاب عبد اللطیف طبع مکتبۃ القاہرۃ ١٣٧٨ھ .

٦٧ - تہذیب التہذیب لشہاب الدین أحمد بن علی (بن حجر) العسقلانی
للطبعة الأولى بالمند حیدر آباد ١٣٢٥ھ .

٦٨ - توجیہ النظر إلى أصول الأثر للشیخ طاهر الجزاری مصر :
١٣٢٨ھ - ١٩١٠ م .

٦٩ - توضیح الأفکار لمآنی تنقیح الأنظار لمحمد بن اسماعیل الأمير الحسینی
الصنعانی بتحقیق محمد محیی الدین عبد الحمید مکتبۃ الخانجی بالقاہرۃ
الطبعة الأولى ١٣٦٦ھ .

٧٠ - الثقات لأبی حاتم بن حبان البستی مخطوط دار الکتب المصریۃ
(٢٠٨ طاعت مصطلح) .

٧١ - الثقافة المصریۃ (مجلۃ) نشأة تدوین العلم فی الإسلام للدکتور یوسف
العش العدد (٣٥٢ و ٣٥٣) السنة السابعة .

٧٢ - جامع بیان العلم وفضله لأبی عمر یوسف بن عبد البر مصر إدارة
المطبعة المنیریۃ .

- ٧٣ - الجامع لأخلاق الراوى وآداب السامع للخطيب البغدادى مصورة -
دار الكتب المصرية .
- ٧٤ - الجرح والتعديل لعبد الرحمن بن أبى حاتم الرازى ٨ مجلدات طبع
الهد : ١٣٧١ هـ - ١٩٥٢ م .
- ٧٥ - الجمع بين رجال الصحيحين لمحمد بن طاهر المقدسى طبع الهد ١٣٢٣ هـ .
- ٧٦ - حاشية لقط الدرر بشرح متن نخبة الفكر لعبد الله بن حسين طبع
مصطفى البابى الحلبي بالقاهرة ١٣٥٦ هـ - ١٩٣٨ .
- ٧٧ - الحديث والمحدثون للدكتور محمد محمد أبوزهو مطبعة مصر بالقاهرة
الطبعة الأولى ١٣٧٨ هـ - ١٩٥٨ م .
- ٧٨ - حسن المحاضرة فى أخبار مصر والقاهرة لجلال الدين السيوطى المطبعة
الشرفية سنة ١٣٢٧ هـ .
- ٧٩ - حلية الأولياء وطبقات الأصفياء لأبى نعيم الأصبهاني طبع مصر :
١٣٥١ هـ - ١٩٣٢ م .
- ٨٠ - خزنة الأدب لعبد القادر بن عمر البغدادى القاهرة المطبعة النثرية
الطبعة الأولى .
- ٨١ - خطط المقرئى = المواعظ والاعتبار : لأحمد بن على تقي الدين المقرئى
طبع مصر سنة ١٢٧٠ هـ - ١٨٥٣ م .
- ٨٢ - خلاصة تذهيب تهذيب الكمال لصفى الدين الخزرجى طبع مصر : ١٣٠١ هـ .
- ٨٣ - دائرة المعارف الإسلامية^(١) ترجمة أحمد الشفناوى وإخوانه .

(١) رجعت إليه للرد على ما جاء فيه من شهادات حول السنة وروايتها .

٨٤ - الرد على الجهمية (رد الدارمي على بشر المريسي) لعثمان بن سعيد
الدارمي مطبعة أنصار السنة المحمدية بالقاهرة : ١٣٥٨ هـ .

٨٥ - رسالة في الرواة الثقات لشمس الدين الذهبي مصر سنة ١٣٢٤ هـ .

٨٦ - الرسالة للإمام محمد بن إدريس الشافعي بتحقيق أحمد محمد شاكر الطبعه
الأولى ١٣٥٨ هـ - ١٩٤٠ م . مطبعة البابي الحلبي .

٨٧ - الرسالة المستطرفة لمحمد بن جعفر الكناني طبع بيروت ١٣٣٢ هـ .

٨٨ - رفع الملام عن الأئمة الأعلام : لشيخ الإسلام تقي الدين (ابن تيمية)
طبع الهند سنة ١٣١١ هـ .

٨٩ - الروض النضير شرح مجموع الفقه الكبير لشرف الدين الصنعاني
طبع مصر ١٣٤٧ هـ .

٩٠ - الرياض المستطابة في جملة من روى في الصحيحين من الصحابة ليحيى
العامري البني طبع الهند سنة ١٣٠٣ هـ .

٩١ - سبل السلام لمحمد بن اسماعيل الأمير الصنعاني طبع مصر مصطفى
البابى الحلبي .

٩٢ - سنن ابن ماجه بحاشية السندی لمحمد بن يزيد بن ماجه القزويني الطبعه
الأولى بالمطبعة الملية ١٣١٣ هـ .

٩٣ - سنن أبي داود للإمام أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني
طبع مصر ١٣٦٩ هـ .

٩٤ - سنن الدارمي لأبي محمد عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي مطبعة
الاعتدال بدمشق ١٣٤٩ هـ .

٩٥ - سنن النسائي بحاشية السندی لأبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي
المطبعة الميمنية ١٣١٢ هـ .

٩٦ - السنن الكبرى لأحمد بن الحسين البيهقي طبع الهند - حيدرآباد .

٩٧ - السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي للدكتور مصطفى السباعي دار
المروبة بالقاهرة ١٣٨٠ هـ - ١٩٦١ .

٩٨ - سير أعلام النبلاء اشمس الدين الذهبي الجزء (١ و ٢ و ٣) طبع
دار المعارف بالقاهرة ١٩٥٥ - ١٩٦٢ ، وبقية الأجزاء مخطوطة في دار
الكتب المصرية .

٩٩ - سيرة النبي صلى الله عليه وسلم لعبد الملك بن هشام بتحقيق محمد محي
الدين عبد الحميد المكتبة التجارية بالقاهرة ١٣٥٦ هـ - ١٩٣٧ م .

١٠٠ - شذرات الذهب لابن العماد الحنبلي طبع القدسي بالقاهرة ١٣٥٠ هـ .

١٠١ - شرح الأربعين النووية ليحيى بن شرف الدين النووي الطبعة الثانية
مركة الشمرلي بمصر .

١٠٢ - شرح نهج البلاغة لعز الدين أبي حامد الشهرستاني بابن أبي الحديد
بتحقيق نور الدين شرف الدين والشيخ محمد خليل الزين بيروت :
دار الفكر .

١٠٣ - شرف أصحاب الحديث للخطيب البغدادي مخطوط دار الكتب المصرية .

١٠٤ - صحيح البخاري بحاشية السندی لمحمد بن عبد الهادي السندی طبع
دار إحياء الكتب العربية بالقاهرة .

١٠٥ - صحيح مسلم الإمام مسلم بن الحجاج بتحقيق وتصحيح وتبويب

- محمد فؤاد عبد الباقي طبع دار إحياء الكتب العربية بالقاهرة
١٣٧٥ هـ - ١٩٥٦ م .
- ١٠٦ - صحيح مسلم بشرح النووي للإمام يحيى بن شرف الدين النووي
المطبعة المصرية بالقاهرة ١٣٤٩ هـ .
- ١٠٧ - ضحى الإسلام لأحمد أمين مكتبة النهضة المصرية بالقاهرة الطبعة
الخامسة ١٩٥٦ .
- ١٠٨ - طبقات الحفاظ لجلال الدين السيوطي طبع غوطا ١٨٣٣ م .
- ١٠٩ - طبقات علماء أفريقيا لأبي العرب محمد بن أحمد بن تميم التيمي (تحقيق
ونشر الشيخ محمد بن أبي شنب) طبع الجزائر سنة ١٣٣٢ هـ .
- ١٠٠ - الطبقات الكبرى لمحمد بن سعد كاتب الواقدي مطبعة بريل
بليدن ١٣٣٢ هـ .
- ١١١ - طبقات المدلسين لشهاب الدين أبي الفضل (بن حجر) العسقلاني
طبع مصر: ١٣٢٢ هـ .
- ١١٢ - ظلمات أبي رية لمحمد عبد الرزاق حمزة المطبعة السلفية بالقاهرة ١٣٧٩ هـ
- ١١٣ - المقد القرين لأحمد بن محمد بن عبدربه بتحقيق محمد سعيد العريان
الطبعة الثانية مطبعة الاستقامة بالقاهرة ١٣٧٢ هـ - ١٩٥٣ .
- ١١٤ - العقيدة والشريعة في الإسلام^(١) لأجناس جولد تسيهر ترجمة :
د محمد يوسف موسى ، وعلى حسن عبد القادر ، والأستاذ عبد العزيز
عبد الحق ، مطابع دار الكتاب العربي بمصر الطبعة الثانية
١٣٧٨ هـ ١٩٥٩ م .

(١) ورجعنا إليه للرد على بعض الشبهات التي أثيرت فيه - حول السنة ودوائها -

١١٥ - علم أصول الفقه لعبد الوهاب خلاف مطبعة النصر بالقاهرة الطبعة السابعة ١٣٧٦ هـ - ١٩٥٦ .

١١٦ - علوم الحديث = مقدمة ابن الصلاح تقي الدين الشهرزوري (ابن الصلاح) طبع مصر ١٣٢٦ هـ .

١١٧ - علوم الحديث ومصطلحه للدكتور صبحي الصالح مطبعة جامعة دمشق ١٣٧٩ هـ - ١٩٥٩ م .

١١٨ - العواصم من النواصم لأبي بكر بن العربي بتحقيق محب الدين الخطيب المطبعة السلفية بالقاهرة ١٣٧١ هـ .

١١٩ - عيون الأخبار لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري مطبعة دار الكتب المصرية ١٣٤٣ هـ - ١٩٢٥ م .

١٢٠ - غاية النهاية في طبقات القراء لشمس الدين (ابن الجزري) طبع مصر ١٩٣٥ م .

١٢١ - غوطة دمشق لمحمد كرد علي دمشق المجمع العلمي ١٩٥٢ م .

١٢٢ - فتح الباري لشهاب الدين بن حجر العسقلاني مطبعة مصطفى البابي الحلبي بالقاهرة ١٣٧٨ هـ - ١٩٥٩ م .

١٢٣ - فتح القفار بشرح المنار (مشكاة الأنوار في أصول المنار) لزين الدين ابن ابراهيم (ابن نجيم الحنفي) مطبعة مصطفى البابي الحلبي بالقاهرة ١٣٥٥ هـ - ١٩٣٦ م .

١٢٤ - فتح المنيث بشرح أنفية الحديث لعبد الرحيم العراقي طبع بالقاهرة : الطبعة الأولى : ١٣٥٥ هـ - ١٩٣٧ م .

١٢٥ - فتوح البازن لأبي الحسن البلاذري مطبعة السعادة بالقاهرة ١٩٥٩ م .

١٢٦ - فتوح مصر وأخبارها لعبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الله بن عبد الحكم طبع لبنان ١٩٢٠ م .

- ١٢٧ - فجر الإسلام لأحمد أمين هضة مصر بالقاهرة الطبعة السابعة : ١٩٥٩ م.
- ١٢٨ - الفرق بين الحديث القدسي والقرآن والحديث النبوي لنوح بن مصطفى القونوي مخطوط بدار الكتب المصرية .
- ١٢٩ - الفرق بين الفرق لعبد القاهر بن محمد البغدادي طبع دار المعارف بالقاهرة .
- ١٣٠ - الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة لمحمد بن علي الشوكاني بتحقيق عبد الرحمن بن يحيى الباني الطبعة الأولى ١٣٨٠ هـ - ١٩٦٠ م.
- ١٣١ - أوائج الرحموت في شرح مسلم الثبوت لعبد العلي محمد الكنوي طبع بالهند .
- ١٣٢ - قبول الأخبار ومعرفة الرجال لأبي القاسم عبد الله بن أحمد البلخي مخطوط - دار الكتب المصرية .
- ١٣٣ - قواعد التحديث لجمال الدين القاسمي طبع بدمشق ١٣٥٢ هـ - ١٩٣٥ م.
- ١٣٤ - القياس في الشرع الإسلامي لتقي الدين أحمد بن تيمية المطبعة السلفية بالقاهرة : ١٣٧٥ هـ .
- ١٣٥ - الكامل في التاريخ لعل بن محمد عز الدين (ابن الأثير) الجزري المطبعة المنيرية بالقاهرة ١٣٤٨ هـ .
- ١٣٦ - الكامل في معرفة ضعفاء الحديث وعلل الحديث لأبي أحمد عبد الله ابن عدى الجرجاني مخطوط دار الكتب المصرية ، تحت رقم (٩٥) مصطلح .
- ١٣٧ - كتاب العلم لزهير بن حرب مخطوط - المكتبة الظاهرية بدمشق .
- ١٣٨ - كتاب العلم لعبد الغني بن عبد الواحد المقدسي مخطوط - المكتبة الظاهرية بدمشق .

- ١٣٩ - الكشف الالمى عن شديد الضعف والموضوع والواهى لمحمد بن محمد السندروسى مخطوط - دار الكتب المصرية .
- ١٤٠ - الكفاية فى علم الرواية للخطيب البغدادى طبع بالهند : ١٣٥٧ هـ .
- ١٤١ - الآلى المصنوعة فى الأحاديث الموضوعة لجلال الدين السيوطى طبع بمصر ١٣١٧ هـ .
- ١٤٢ - لسان العرب لأبى الفضل محمد بن مكرم المعروف بابن منظور الأفرىقى الطبعة الأولى ١٣٠٢ هـ .
- ١٤٣ - لسان الميزان لابن حجر طبع الهند : ١٣٢٩ هـ .
- ١٤٤ - اللطائف فى دقائق المعارف من علوم الحفاظ الأعارف للحافظ محمد بن أبى بكر الأصبهانى المدنى . مخطوط الظاهرية بدمشق .
- ١٤٥ - مجمع الزوائد ومنبع الفوائد لنور الدين الهيثمى طبع القدس بالقاهرة ١٣٥٣ هـ .
- ١٤٦ - مجموعة الوثائق السياسية للدكتور محمد حميد الله الحيدر آبادى طبع لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة : الطبعة الثانية ١٩٥٨ م .
- ١٤٧ - المختبر لمحمد بن حبيب طبع بالهند ١٣٦١ هـ - ١٩٤٢ م .
- ١٤٨ - المحدث القاصل بين الراوى والواعى للحسن بن عبد الرحمن بن خلاد الرامهرمزي مخطوط - دار الكتب المصرية .
- ١٤٩ - مختصر كتاب المؤمل الرد إلى الأمر الأول لأبى القاسم عبد الرحمن ابن اسماعيل (أبو شامة) طبع مصر ضمن مجموعة : ١٣٢٨ هـ .
- ١٥٠ - المدخل إلى السنة وعلومها الدكتور محمد معروف الدواليبى مطبعة الجامعة السورية بدمشق : ١٣٧٥ هـ - ١٩٥٦ م .

- ١٥١ - المدخل إلى علم أصول الفقه للدكتور محمد معروف الدواليبي مطبعة
الجامعة السورية بدمشق الطبعة الثانية : ١٣٧٤ هـ - ١٩٥٥ م .
- ١٥٢ - المدخل في أصول الحديث لأبي عبد الله النيسابوري (الحاكم) طبع
بإشراف الشيخ راجب الطباطبائي بحلب .
- ١٥٣ - المدخل لدراسة القرآن الكريم للدكتور محمد محمد أبو شهبه مطبعة
الأزهر بالقاهرة : ١٣٧٧ هـ - ١٩٥٨ م .
- ١٥٤ - مسالك الأبصار في ممالك الأمصار لابن فضل الله العمري طبع دار
الكتب المصرية .
- ١٥٥ - المستدرك على الصحيحين لأبي عبد الله النيسابوري (الحاكم) طبع
حيدرآباد : ١٣٤١ هـ .
- ١٥٦ - مسند الإمام أحمد للإمام أحمد بن حنبل الشيباني بتحقيق أحمد محمد
شاذلي طبع دار المعارف بالقاهرة .
- ١٥٧ - مسند الإمام الشهيد زيد جمع عبد العزيز البغدادى طبع بالقاهرة :
١٣٤٠ هـ - ١٩٢٠ م .
- ١٥٨ - مسند عبد الله بن عمرو وصحيفته الصادقة للسيد محمد سيف الدين
عليش رسالة ماجستير في مكتبة كلية دار العلوم .
- ١٥٩ - مصادر الشعر الجاهلي للدكتور صادم الدين الأسد دار المعارف
بالقاهرة ١٩٥٦ م .
- ١٦٠ - المصباح المضيء لمحمد بن علي الأنصاري مخطوط - مكتبة الأوقاف بحلب .
- ١٦١ - مصنف ابن أبي شيبة لأبي بكر بن أبي شيبة مخطوط الظاهرية .
- ١٦٢ - معجم البلدان لياقوت الحموي مطبعة السعادة الطبعة الأولى :
١٣٢٣ هـ - ١٩٠٦ م .

- ١٦٣ - معجم المؤلفين لمررضا كحاله مطبعة الترقى بدمشق ١٣٧٦هـ - ١٩٥٧م
- ١٦٤ - معرفة السنن والآثار لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي فيلم في معهد المخطوطات بالجامعة العربية عن مخطوط بالجامعة الأميركية في بيروت.
- ١٦٥ - المغازى الأولى ومؤلفوها للمستشرق يوسف هورنيس ترجمة حسين نصار طبع مصطفى الباني الحلبي بالقاهرة .
- ١٦٦ - المقاصد الحسنة لشمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوى بتحقيق عبد الله محمد الصديق مصر ١٣٧٥هـ - ١٩٥٦م .
- ١٦٧ - مقدمة التمهيد لأبي عمر يوسف بن عبد البر مخطوط : مصورة معهد المخطوطات بالجامعة العربية .
- ١٦٨ - الملل والنحل لمحمد بن عبد الكريم الشهرستاني بتحقيق محمد بن فتح الله بدران الطبعة الأولى بمصر .
- ١٦٩ - المنار لأبي عبد الله محمد بن أبي بكر (ابن قيم الجوزية) مطبعة السنة المحمدية بالقاهرة .
- ١٧٠ - المنار (مجلّة) بحث للسيد رشيد رضا حول كتابة الحديث .
- ١٧١ - المنتقى من منهاج الاعتدال لتقى الدين أحمد بن تيمية اختصره الذهبي من منهاج السنة بتحقيق محب الدين الخطيب المطبعة السلفية بالقاهرة ١٣٧٤هـ .
- ١٧٢ - المنهج الحديث في علوم الحديث الدكتور محمد محمد السامح مطبعة الأزهر بالقاهرة : ١٣٧٧ - ١٩٥٨م .
- ١٧٣ - منهج ذوى النظر لمحمد محفوظ بن عبد الله الترمسى مطبعة مصطفى الباني الحلبي الطبعة الثالثة : ١٣٧٤هـ - ١٩٥٥م .

- ١٧٤ - الموطأ للإمام مالك بن أنس تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي طبع مصر
عيسى الحلبي ١٣٧٠ هـ .
- ١٧٥ - ميزان الاعتدال للحافظ شمس الدين الذهبي مطبعة السعادة بالقاهرة
الطبعة الأولى ١٣٢٥ هـ .
- ١٧٦ - النجوم الزاهرة ليوسف بن تقي بردي مطبعة دار الكتب المصرية
بالقاهرة ١٣٤٨ هـ - ١٩٢٩ م .
- ١٧٧ - نظرة عامة في تاريخ الفقه الإسلامي الدكتور على حسن عبد القادر
مطبعة العلوم بمصر الطبعة الثانية ١٣٧٥ هـ - ١٩٥٦ م .
- ١٧٨ - نور اليقين لمحمد الحضري بك طبع دار الأدب العربي بالقاهرة
الطبعة الثانية عشرة : ١٣٧٤ هـ - ١٩٥٥ م .
- ١٧٩ - وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان لأحمد بن محمود (ابن خلسكان)
مصر المطبعة الميمية : ١٣١٠ هـ .
- ١٨٠ - الولاة والقضاة : لأبي عمر محمد بن يوسف الكندي المصري تحقيق
(رفن كست) طبع بيروت سنة ١٩٠٨ م .

• • •

المراجع الأجنبية^(١)

Histoire Générale des religions - Paris (VIIe) 1948 -
Quillet.

Shorter Encyclopaedia of Islam by H. A. R. Gill,
I. H. Kramer, 1953 London.

(١) رجعت إليها لنقل آراء بعض المستشرقين وأورد عليها .

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
تقديم الكتاب بقلم فضيلة الأستاذ على حسب الله	١
الهدمة	١
التهيد ، وفيه :	٩
أولا - <u>التعريف بالسنة :</u>	١٤
١ - السنة في اللغة	١٤
٢ - السنة في الشرع	١٥
(أ) السنة في اصطلاح المحدثين	١٦
(ب) السنة في اصطلاح علماء أصول الفقه	١٦
(ج) السنة في اصطلاح الفقهاء	١٨
٣ - معنى الحديث والخبر والأثر	٢٠
الحديث القدسي	٢٢
ثانياً - <u>موضوع السنة ومكانها من القرآن الكريم</u>	٢٣
الباب الأول	
السنة في العهد النبوي	٢٩
تمهيد	٣١
١ - الرسول صلى الله عليه وسلم :	٣٢
(أ) معلم ومرب	٣٢
(ب) تجاوبه مع دعوته	٣٤

(ح) موقف الرسول صلى الله عليه وسلم من العلم : ٣٦

١ - حض الرسول صلى الله عليه وسلم على طاب العلم ٣٧

٢ - حضه صلى الله عليه وسلم على تبليغ العلم ٤٠

٣ - منزلة العلماء (المعلمين) ٤٢

٤ - منزلة طلاب العلم ٤٢

٥ - وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم بطلاب العلم ٤٤

(د) منهجه صلى الله عليه وسلم في التعليم ٤٦

تعليم النساء ٥١

٢ - مادة السنة ٥٦

٣ - كيف كان الصحابة يتلقون السنة عن رسول الله صلى الله

عليه وسلم ٥٧

(أ) حوادث كانت تقع الرسول نفسه صلى الله عليه وسلم

فيبين حكمها ٦٠

(ب) حوادث كانت تقع للمسلمين فيسألون الرسول صلى الله

عليه وسلم فيجيبهم ٦١

(ج) وقائع وحوادث شاهد فيها الصحابة تصرفات الرسول

صلى الله عليه وسلم ، فنقلوها إلى خلفهم ٦٥

٤ - انتشار السنة في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم : ٦٨

عوامل انتشار السنة : ٦٨

١ - نشاط الرسول صلى الله عليه وسلم ٦٩

- ٢ - طبيعة الإسلام ونظامه الجديد ٦٩
- ٣ - نشاط أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم ٦٩
- ٤ - أمهات المؤمنين رضي الله عنهن ٦٩
- ٥ - الصحابييات رضوان الله عليهن ٧٠
- ٦ - رسله صلى الله عليه وسلم وبموته وولاته ٧٠
- ٧ - غزوة الفتح الأعظم ٧٢
- ٨ - حجة الوداع ٧٣
- ٩ - الوفود بعد الفتح الأعظم وحجة الوداع ٧٣

الباب الثاني

السنة في عصر الصحابة والتابعين ٧٥

الفصل الأول، وفيه أربعة مباحث : ٧٧

بين يدي الفصل : ٧٧

المبحث الأول : اقتداء الصحابة والتابعين بالرسول صلى الله عليه وسلم

وتمسكهم بسنته ٨٠

المبحث الثاني : احتياط الصحابة والتابعين في رواية الحديث ٩٣

رأى ابن عبد البر في منهج عمر رضي الله عنه ٩٩

رأى الخطيب البغدادي في منهج عمر رضي الله عنه ١٠٣

مناقشة ما روى حول حبس عمر بعض الصحابة

لإكثارهم من رواية الحديث ١٠٦

المبحث الثالث : ثبت الصحابة والتابعين في قبول الحديث ١١٢

(١) ثبت أن بكر الصديق رضي الله عنه في قبول الأخبار ١١٢

الموضوع	الصفحة
(ب) تثبت عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى قبول الأخبار	١١٢
(ج) تثبت عثمان رضى الله عنه فى الحديث	١١٦
(د) تثبت على بن أبى طالب رضى الله عنه فى الحديث	١١٦
(هـ) تثبت التابعين فى قبول الأخبار	١٢٤
المبحث الرابع : كيف روى الحديث فى ذلك العصر باللفظ أم بالمعنى ؟	١٢٦
الفصل الثانى ، وفيه ثلاثة مباحث :	١٤٤
المبحث الأول : النشاط العلمى فى عصر الصحابة والتابعين	١٤٤
وفيه أم الأسس التربوية التى نهجها الصحابة والتابعون	
فى التعليم :	١٥٢
١ - مراعاة أحوال المحدثين	١٥٢
٢ - الحديث لمن هو أهل له	١٥٢
٣ - طلب الحديث بعد القرآن الكريم	١٥٥
٤ - عدم تنبع المنكر من الحديث	١٥٥
٥ - التنوع والتغيير دفعا للللل	١٥٦
٦ - احترام حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم	
وتوقيره	١٥٨
٧ - مذاكرة الحديث	١٥٩
المبحث الثانى : انتشار الحديث فى عصر الصحابة والتابعين	١٦٢
وفيه أم المراكز العلمية والقائمين عليها فى الأمصار الإسلامية :	١٦٤
١ - المدينة المنورة	١٦٤

١٦٥	٢ - مكة المكرمة
١٦٧	٣ - الكوفة
١٦٧	٤ - البصرة
١٦٨	٥ - الشام
١٧٠	٦ - مصر
١٧١	٧ - المغرب والأندلس
١٧٣	٨ - اليمن
١٧٣	٩ - خراسان
١٧٦	المبحث الثالث : الرحلة في طلب الحديث

الباب الثالث

١٨٥	الوضع في الحديث
١٨٧	الفصل الأول : ابتداء الوضع وأسبابه
١٨٧	أولاً - ابتداء الوضع
١٩٤	ثانياً - أسباب الوضع :
١٩٥	١ - الأحزاب السياسية :
١٩٥	(أ) أثر الشيعة وخصومهم في وضع الحديث
٢٠٤	(ب) الخوارج ووضع الحديث
٢٠٦	٢ - أعداء الإسلام (الزنادقة)
٢٠٨	٣ - التفرقة العنصرية والتنصب للقبيلة والبلد والامام
٢١٠	٤ - القصاصون

الموضوع	الصفحة
٥ - الرغبة في الخير مع الجهل بالدين	٢١٣
٦ - الخلافات المذهبية والكلامية	٢١٥
٧ - التقرب من الحكماء وأسباب أخرى	٢١٦
الفصل الثاني : جهود الصحابة والتابعين وأتباعهم في مقاومة الوضع	
وحفظ الحديث :	٢١٩
أولاً - التزام الاسناد	٢٢٠
ثانياً - مضاعفة النشاط العلمي والتثبت في الحديث	٢٢٦
ثالثاً - تتبع الكذبة	٢٣٠
رابعاً - بيان أحوال الرواة	٢٣٢
خامساً - وضع قواعد لمعرفة الموضوع من الحديث	٢٣٩
(أ) علامات الوضع في السند	٢٣٩
(ب) علامات الوضع في المتن	٢٤١
الفصل الثالث : آراء بعض المستشرقين وأشياءهم في السنة وقدها	
أولاً - رأى جولد تسيهر ، ومناقشته	٢٤٩
ثانياً - رأى غاستون ويت ، ومناقشته	٢٥٤
ثالثاً - رأى الأستاذ أحمد أمين ، ومناقشته	٢٥٥
الفصل الرابع : أشهر ما ألف في الرجال والموضوعات وهو نماز جهود	
العلماء في المحافظة على الحديث	٢٦٠
أولاً - أشهر الكتب التي ألفت في الصحابة	٢٦١
ثانياً - أشهر ماصنف في تواريخ الرجال وأحوالهم	٢٦٤

الصفحة	الموضوع
٢٦٥	(١) كتب في تواريخ الرجال وأحوالهم
٢٧٣	(ب) كتب في طبقات الرواة
٢٧٥	ثالثاً - كتب في معرفة الأسماء والكنى والألقاب والأنساب :
٢٧٦	(١) كتب في الأسماء والكنى والألقاب
٢٧٩	(ب) كتب الأنساب
٢٨٠	رابعاً - كتب في الجرح والتعديل
٢٨٧	خامساً - المؤلفات في الموضوعات

الباب الرابع

٢٩٣	متى دون الحديث ؟
٢٩٥	الفصل الأول : حول تدوين الحديث
٢٩٥	١ - الكتابة عند العرب قبيل الإسلام
٢٩٨	٢ - الكتابة في العصر النبوي وصدر الإسلام :
	أولاً - ما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
٣٠٢	في الكتابة
٣٠٣	(١) ما روى من كراهة للكتابة
٣٠٣	(ب) ما روى من إباحة الكتابة ، ومناقشة ذلك
٣٠٩	ثانياً - كتابة الحديث في عصر الصحابة :
	عرض ما روى عن الصحابة من أخبار في كراهة
	الكتابة وإباحتها ، ومناقشة ذلك

الموضوع	الصفحة
ثالثاً - التدوين في عصر التابعين :	٣٢١
عرض مازوى عن التابعين من كراهة الكتابة وإباحتها ومناقشة ذلك	
رابعاً - خدمة عمر بن عبد العزيز للسنة	٣٢٨
خامساً - المصنفون الأوائل في الحديث	٣٣٧
أم نتائج هذا الفصل	٣٤٠
الفصل الثاني : مادون في صدر الإسلام	٣٤٣
عرض تاريخي دقيق لأكثر الصحف التي دونت في عهده صلى الله عليه وسلم وفي صدر الإسلام	
ومن أبرز ما عرضناه :	
الصحيفة الصادقة لعبد الله بن عمرو بن العاص	٣٤٨
صحيفة جابر بن عبد الله الأنصاري	٣٥٢
الصحيفة الصحيحة لمهام بن منبه	٣٥٥
الفصل الثالث : آراء في التدوين :	٣٦٢
١ - رأى الشيخ محمد رشيد رضا ، ومناقشته	٣٦٢
٢ - رأى الشيعة في تدوين الحديث :	٣٦٤
(١) رأى السيد حسن الصدر، ومناقشته	٣٦٤
(ب) مجموع الإمام زيد :	٣٦٨
١ - الإمام زيد	٣٦٨
٢ - راوى المجموع	٣٦٩
٣ - المجموع	٣٧٠

الموضوع الصفحة

- ٣ - رأى في التدوين الرسمي : ٣٧٣
 وهو ماتبين لى أثناء البحث حول محاولة أمير مصر
 عبد العزيز بن مروان تدوين الحديث
 ٤ - المستشرقون وآراؤهم فى تدوين الحديث ٣٧٥
 نتائج هذا الفصل ٢٨١

الباب الخامس

- أعلام رواة الحديث من الصحابة والتابعين ٢٨٣
 للفصل الأول : بعض أعلام الرواة من الصحابة ٢٨٥
 ١ - تعريف الصحابي ، لغة وشرعاً ٢٨٧
 ٢ - طبقات الصحابة ٢٩١
 ٣ - كيف يعرف الصحابي ؟ ٢٩٣
 ٤ - عدالة الصحابة ٢٩٤
 ١ - أدلة عدالة الصحابة من الكتاب ٢٩٨
 ٢ - أدلة عدالة الصحابة من السنة ٤٠٠
 ٥ - عدد للصحابة ٤٠٥
 ٦ - علم الصحابي ٤٠٧
 ٧ - المكثرون من الصحابة : ٤٠٩
 ١ - أبو هريرة : ٤١١
 ١ - التعريف به ٤١١
 ٢ - إسلامه ٤١٢

الموضوع	الصفحة
٣ - فقره وعفاهه	٤١٣
٤ - كرمه	٤١٤
٥ - ولايته على البحرين	٤١٥
٦ - اعتزاله الفن	٤١٦
٧ - مرجه ومزاحه	٤١٧
٨ - وفاته	٤١٨
٩ - حياته العلمية	٤٢٠
١٠ - حفظ أبي هريرة	٤٢٧
١١ - أبو هريرة والفتوى	٢٤٨
١٢ - شيوخه ومن روى عنه	٤٢٩
١٣ - عدة ما روى عنه من الحديث	٤٣٠
١٤ - الثناء على أبي هريرة	٤٣١
١٥ - أصح الطرق عن أبي هريرة	٤٣٤
<u>الرد على الشبه التي أثبت حول أبي هريرة:</u>	٤٣٦
١ - عمر وأبو هريرة رضي الله عنهما :	٤٣٨
٢ - هل تشيع أبو هريرة الأمويين ؟	٤٣٩
٣ - هل وضع أبو هريرة الأحاديث كذباً على رسول الله	
صلى الله عليه وسلم ؟	٤٤١
٤ - كثرة حديثه : مناقشة ذلك	٤٤٦
٥ - هل كان الصحابة يكذبون أبا هريرة ويردون أحاديثه ؟	٤٥٥

- (أ) هل ضرب عمر أبا هريرة لكثرة روايته ؟ . . . ٤٥٧
- (ب) أبو هريرة وعثمان بن عفان . . . ٤٥٩
- (ج) أبو هريرة وعلى بن أبي طالب رضى الله عنهما . . . ٤٦٠
- (د) أبو هريرة وعائشة رضى الله عنهما . . . ٤٦١
- وضوح تحامل أعداء السنن على أبي هريرة . . . ٤٦٤
- شهادة ابن خزيمة في أبي هريرة . . . ٤٦٧
- ٢ - عبد الله بن عمر بن الخطاب . . . ٤٦٩
- ٣ - أنس بن مالك . . . ٤٧٢
- ٤ - عائشة أم المؤمنين . . . ٤٧٤
- ٥ - عبد الله بن عباس . . . ٤٧٦
- ٦ - جابر بن عبد الله . . . ٤٧٨
- ٧ - أبو سعيد الخدري . . . ٤٨٠
- الفصل الثاني : بعض أعلام الرواة من التابعين : . . . ٤٨١
- من بعد تابعياً - وأشهر التابعين : . . . ٤٨٣
- ١ - سعيد بن المسيب . . . ٤٨٥
- ٢ - عروة بن الزبير . . . ٤٨٧
- ٣ - ابن شهاب الزهري . . . ٤٨٩
- ١ - التعريف به - ولادته - نشأته . . . ٤٨٩
- ٢ - طلبه العلم . . . ٤٨٩
- ٣ - حفظه . . . ٤٩١

الموضوع

الصفحة

- ٤ - عله وآثره ٤٩٢
- ٥ - عدة حديثه ومنزلة روايته ٤٩٦
- ٦ - أشهر من روى عنه ٤٩٧
- ٧ - أقوال العلماء في ابن شهاب الزهري ٤٩٨
- ٨ - وفاته ٥٠٠
- رد الشبهات التي أثبتت حول الزهري ٥٠١
- رأى اليعقوبي وجولده نسيهر في ابن شهاب ٥٠٢
- تفنيد هذه الشبهات ، والرد عليها ٥٠٤
- ١ - ليس من المعقول أن يمنع عبد الملك بن مروان أهل الشام من الحج ٥٠٤
- ٢ - لم تذكر المصادر الإسلامية أن عبد الملك هو الذي بنى قبة الصخرة ٥٠٥
- ٣ - لم يحمل عهد الملك الناس على الحج إلى المسجد الأقصى والزهري أرفع من أن يكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم ٥٠٨
- (١) صلة الزهري بالأوبين ٥٠٨
- (ب) استحالة ما ادعاه اليعقوبي وجولده نسيهر تاريخياً ٥١١
- ٤ - لم يكن الزهري صديقاً قديماً لعبد الملك ، ولم يتفرد وحده برواية الأحاديث التي وردت في فضائل بيت المقدس ٥١٣

- ٤ - نافع مولى ابن عمر ٥١٦
- ٥ - عبيد الله بن عبد الله بن عتبة ٥١٨
- ٦ - سالم بن عبد الله بن عمر ٥١٩
- ٧ - إبراهيم بن يزيد النخعي ٥٢٠
- ٨ - عامر الشعبي ٥٢٢
- ٩ - عاقمة النخعي ٥٢٤
- ١٠ - محمد بن سيرين ٥٢٦
- الخاتمة ٥٢٨
- ملحق ٥٣٧

فهرس الآيات القرآنية الكريمة

الآية . . . الرقم والسورة . . . الصفحة

(أ)

٣٦	(١ : الملق)	إقرأ باسم ربك الذى خلق . . .
٢٩٧	(١٥٧ : الأعراف)	الذين يتبعون الرسول النبى الأمى . . .
٢٥٣ ، ٧٤	(٣ : المائدة)	اليوم أكلت لكم دينكم . . .
٣٠	(٦ : الكهف)	إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفا . . .
٢٩١	(٩ : الحجر)	إننا نحن نزلنا الذكر وإننا له لحافظون . . .
٤٧٠	(١٦ : الحديد)	ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم . . .
٢٤	(١٠ : الفتح)	إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله . . .
٤٢٤	(١٥٩ : البقرة)	إن الذين يكتبون ما أنزلنا من بينات والهدى . . .
٢٤٤	(٣٤ : لقمان)	إن الله عنده علم الساعة . . .
٣٥	(٥٦ : القصص)	إنك لا تهدى من أحببت . . .

(ش)

٣٦	(١٨ : آل عمران)	شهد الله أنه لا إله إلا هو . . .
----	-----------------	----------------------------------

(ف)

٣٦	(٤٣ : النحل)	فاسألوا أهل الذكر . . .
٧٠	(٨ : الانشقاق)	فسوف يحاسب حسابا يسيرا . . .
٧٧ ، ٢٤	(٦٥ : النساء)	فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك . . .
٣٥	(٦ : الكهف)	فلملك باخع نفسك . . .
٣٦	(١٢٢ : النوبة)	فلولا نفر من كل فرقة . . .

الآية الرقم والسورة الصفحة

(ق)

قال عليها عند ربى فى كتاب . . . (٥٢ : طه) ٣٣٦ ، ٣٢٨

قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون (٩ : الزمر) ٣٦

قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعاً . (١٥٨ : الأعراف) ٩

(ك)

كنتم خير أمة أخرجت للناس . . . (١١٠ : آل عمران) ٤٠٢ ، ١٣

(ل)

لقد رضى الله عن المؤمنين إذ يبايعونك . (١٨ : الفتح) ٣٩٩

لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة (٣١ : الأحزاب) ١٠١ ، ٨٦ ، ٨٥ ، ٨٠

للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم (٨ : الحشر) ٣٩٨

(م)

ما نصبهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى . (٣ : الزمر) ١١

محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار (٢٩ : التفتح) ٣٩٨

من يطع الرسول فقد أطاع الله . (٨٠ : النساء) ٢٤

(ن)

نحن نقص عليك أحسن القصص . . . (٣ : يوسف) ٣١٢

(هـ)

هو الذى بعث فى الأميين رسولا . . . (٢ : الجمعة) ٢٩٦ ، ٣٣

(و)

وإذا أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب (١٨٧ : آل عمران) ٣٦

وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله . . . (١٧٠ : البقرة) ١٢

وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله . . . (١٠٤ : المائدة) ١٢

الآية	الرقم والسورة	الصفحة
وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول	(١٣٢ : آل عمران)	٧٨
وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول	(٩٢ : المائدة)	٢٤
والذين آمنوا وهاجروا	(٧٤ : الأتقال)	٣٩٨
والذين تبوءوا الدار والإيمان	(٩ : الحشر)	٣٩٨
والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا	(١٠ : الحشر)	٣٩٩
والذين يكنزون الذهب	(٣٤ : التوبة)	٤١
والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار	(١٠٠ : التوبة)	٣٩٨
والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما	(٣٨ : المائدة)	٢٦
والفجم إذا هوى	(١ : النجم)	١٩٨
وأما بنعمة ربك فحدث	(١١ : الضحى)	٢٠
وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا	(٩ : الحجرات)	٤٠٤
وأندر عشيرتك الأقربين	(٣١٤ : الشعراء)	٩
وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة	(١١٣ : النساء)	٣٤
ولأنك لعل خلق عظيم	(٤ : القلم)	٣٤
وإنه لذكر لك ولقومك وسوف تسألون	(٤٤ : الزخرف)	١٣
وجنة عرضها كعرض السماء والأرض	(٢١ : الحديد)	٤٦٥
وداعياً إلى الله يأذنه	(٤٦ : الأحزاب)	٩
وقل رب زدني علماً	(١١٤ : طه)	٣٦
وكذلك جعلناكم أمة وسطاً	(١٤٣ : البقرة)	٤٠١
وما آتاكم الرسول فخذوه	(٧ : الحشر)	٧٧ ، ٢٤
(لا)		
لأن أكلوا أموالكم بينكم بالباطل	(٢٩ : النساء)	٢٦

الآية
(٥)
الرقم والسورة
الصفحة

- يأيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ . (٦ : الحجرات) ٢٣٥
يأيها الرسول بلغ ما أنزل إليك . . . (٦٧ : المائدة) ٩
يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أنو العلم درجات (١١ : المجادلة) ٣٦
يريدون أن يطفئوا نور الله . . . (٣٢ : التوبة) ٤٠٠
يسألونك عن الساعة أبان منساها . . . (١٨٧ : الأعراف) ٢٤٤
يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين (١١ : النساء) ٢٥

فهرس الأاجادفث النبوة

الصفحة	الحديث
(١)	
٦٢	أترطفن أنه فرجه
٤٨	أدنه . . . أتجه لأسك
١١٤	إذا أستاذن أحدكم . . .
٥٠	إذا تكلم ، تكلم ثلاثاً . . .
٤٣	إذا جاء الموت طالب العلم . . .
٥٤	إذا رأف الماء . . .
٣٣	إذا سر استنار وجهه . . .
١٢٠	إذا سمعتم به بأرض . . .
٣٣	إذا كره شيئاً عرف فى وجهه . . .
٣٩	إذا مات الإنسان انقطع عنه إلا من ثلاثة . . .
٧١	أذهب ، فإن الله تعالى سببب لسانك . . .
٢٧	أرأفب إذا منع الله الثرة . . .
٦١	أرجع فأحسن وضوءك . . .
٥٨	أرجعوا إلى أهلفكم . . .
٤٣٠	أستمع على حفظك . . .
١٧	أصبب السنة . . .
٣٨	أغد عالماً . . .
٦٥	أقرأ بأعشام . . .

الصفحة	الحديث
٣٠٤ ،	اكتب فو الذي نفسي بيده
٣٠٥ ،	اكتبوا لأبي شاه
٣٠٤ ،	اكتبوا ولا حرج
٣٠٠ ،	ألا تعلمين هذه رقية النملة
٧٣ ،	ألا هل بلغت ؟
٤٢ ،	العالم والمتعلم شريكان في الأجر
٤٢ ،	العلماء ورثة الأنبياء
٤٠٤	أبى هذا سيد ولعل الله أن يصلح به
٤٢١ ،	اجمعوا فصرها إليك
٦٤	ألا أخبرتها ؟
٤٢١ ،	ألا تسألني من هذه الغنائم التي يسألني أصحابك
٤٠١	الله في أصحابي
٤٧٦، ٣٥٢	اللهم الهمة الحكمة
٣٩	اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع
٣٧٢ ،	أما هذا فلو خشم قلبه لخشعت جوارحه
٨١ ،	أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله
١٢١ ،	أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فاطمة بأن تحمل
٣٧ ،	الناس معادن
٤٠١	النجوم أمانة للسماء
٦١ ،	إن أشد الناس عذاباً

الصفحة	الحديث
٢٣٥	إنَّ عبد الله رجل صالح
٤٦٥	إن في الجنة لشجرة يسير الراكب في ظلها
١٩١	إنَّ كذباً على ليس ككذب على أحد
٨٠	إنَّ الله عز وجل إذا أطعم
٦٣	إنَّ الله عز وجل لا يستحي من الحق
١٤٦	إنَّ النبي صلى الله عليه وسلم أخذ الجزية
٣٤٧	إنَّ لربكم في بقية دهركم نفحات
٤٤٢	إن لكل نبي حرماً وإن المدينة حرمى
٢٩٧	إنما أمة أمية لا يكتب
١١٦	إنما لانورث ما تركنا صدقة
٧١	إنك ستأتى قوماً
٥٣	إنما أنا لكم مثل الوالد
٤٦٣	إنما كان النبي صلى الله عليه وسلم يحدث حديثاً
٤٤	إنه سيأتى بعدى قوم
٦٦	أوتّر رسول الله صلى الله عليه وسلم
٧٨	أو صيكم ببقوى الله عز وجل
٨٧	إنها لاتصيد صيداً
٦٦	إني ذكرت أني كنت جنباً
١٤٦	إني لأعلم كلمة لا يقولها عبد
٣٠٩، ٣٠٥	إيتوى بكتاب اكتب لكم

(ب)

بئس أخو المشيرة ٢٣٥ ،

(ت)

تركت فيكم أمرين ٧٧ ،

تركت فيكم شيئين ١ ،

تسمعون ويسمع منكم ١٠٣ ، ٦٧ ،

تفترق أمتي ١٩ ،

(ح)

حج رسول الله صلى الله عليه وسلم ٩٠ ،

(خ)

خذوا عني في غير ما حدثت ١٠١ ،

خذوا عني مناسككم ٢٥ ،

خذوا القرآن من أربعة ١٦٦ ،

خير دينكم أيسره ٥٢ ،

خير القرون قرني ثم الذين يلونهم ٤٠١ ،

(د)

دعوه لو قدر أن يكون لكان ٤٧٢ ،

(ر)

رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ٦٦ ،

رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يستلمه ويقبله ٨٩ ،

الصفحة

الحديث

- رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يشرب قائماً ٨٤ ،
 رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يمسح ظاهرهما ٨٤ ،
 رأينا رسول الله صلى الله عليه وسلم قام فقمنا ٨٦ ،
 رجم رسول الله صلى الله عليه وسلم ١٤٦ ،
 رفع القلم عن ثلاث ١٢١ ،
 الريح من روح الله تأتي بالرحمة ٤٥٩

(س)

- سبقكم بها الغلام الدوسي ٤٢١ ،
 ستكون فنن القاعد فيها خير من القائم ٤١٧ ،
 مل عما بدا لك ٦٣ ،
 سنوا بهم سنة أهل الكتاب ١٢١ ،
 سيأتيكم أقوام يطلبون العلم ٤٥ ،

(ص)

- الصلاة الصلاة ٦٧ ،
 الصلاة في المسجد الأقصى تعدل ألف صلاة ٥٠٣ ،
 صلوا كما رأيتموني أصلي ٢٥ ،

(ط)

- طلب العلم فريضة ٣٧ ،
 طوبى لمن رأى وآمن بي، وطوبى لمن رأى من رأى ٤٨٤ ،

(ع)

- علموا وأبشروا ٥٢ ،

الصفحة

الحديث

- عليكم بسنتي وسنة الخلفاء المهديين ١٩
 عمل الرجل بيده وكل بيع مبرور ٣٧٢
 عودوا إلى الذي كنتم فيه ٤٢٠

(ف)

- فضل العلم خير من فضل العبادة ٤٣
 فقيه واحد أشد على الشيطان من ألف عابد ٣٧
 فيما سقت السماء والعيون ١٦٠

(ق)

- قتلوه !! قتلهم الله !! ألم يكن شفاء إلى السؤال ؟! ٢٨٠
 قضى فيه بئرة ١١٤
 قوموا عني ولا يبنني مندى التنازع ٣٠٥
 قيدوا العلم بالكتاب ٣٠٤

(ك)

- كان إذا تكلم بكلمة ٥١٠
 كان أشد حياء من العذراء ٣٣٠
 كان القرآن خنقة ٢٢٠
 كان النبي صلى الله عليه وسلم يتخولنا بأموظة ٤٨٠
 كان لا يسرد الكلام ٥١٠
 كتاب غير كتاب الله !! ٣٠٣
 كفى بالمرء كذبا أن يحدث بكل ما سمع ١٠٣

الصفحة

الحديث

- كلا إني رأيته في النار ٦١ ،
 كيف تصنع إن عرض لك قضاء ١٧ ،

(ل)

- لقد تحجرت واسماً ٥٢ ،
 لقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ٨٣ ،
 لقد ظننتُ يا أبا هريرة ألا يسألني عن هذا الحديث ٤٣١ ، ٤٢٠ ، ٢١ ،
 لم يكن صلى الله عليه وسلم فاحشاً ٢٣ ،
 ليس من أمي من لم يحمل كبيرنا ٤٢ ،
 ليس من امرئ من امصيام في امسفر ٥٠ ،
 ليس منا من غش ٦٠ ،

(م)

- ما أحبُّ لو أن لي هذا الجبل ذهباً ٨٤ ،
 ما خير بين أمرين إلا أخذ أيسرهما ما لم يكن إثماً ٥٢ ،
 ما من أحد يشهد أن لا إله إلا الله ٤٥٢ ،
 ما من امرأة تقدم ثلاثك من الولد ٥٤ ،
 ما من خارج خرج من بيته ١٨٠ ،
 ما من رجل يذهب ذنباً ١١٦ ،
 مثل الذي يتعلم علماً ٤١ ،
 مرحباً بطالب العلم ٤٤ ،

- معاذ بن جبل أعلم الناس بحرام الله وحلاله ١٦٦ ،
- معلم الخير يستغفر له كل شيء ٤٣ ،
- مامون من سرق نخوم الأرض ٣٤٣ ،
- من احتكر على المسلمين طعامهم ٨٢ ،
- من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد ١٨ ،
- من اصطبغ كل يوم سبع تمرات ٥٣٧ ، ٢٥٧ ، ٢٥٥ ،
- من القوم ؟ ٤٠ ،
- من نعد على كذباً ١٩١ ، ٩٤ ،
- من حوسب عذب ٧٠ ،
- من روى عن حديثاً وهو يرى أنه كذب فهو أحد الكاذبين ٩٥ ،
- من خرج مع جنازة من بيتها وصلى عليها ٤٦٣ ،
- من سئل عن علم فكتمه ٤١ ،
- من ستر مؤمناً ١٧٧ ،
- من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً ١٨٠ ،
- من سن سنة حسنة ١٤ ،
- من صلى على جنازة فله قيراط ٤٣٤ ،
- من طلب علماً فأدركه ٤٣ ،
- من غدا إلى المسجد ٤٣ ،
- من قال على ما لم يقل فقد تنبأ بمقده من النار ٩٨ ،

الصفحة

الحديث

- من قال لا إله إلا الله وحده ٢٢٢ ،
 من كتب عن غير القرآن فليمححه ٣٢٠ ،
 من كذب على متعمداً فليتبوأ مقعده من النار ، ٩٤ ، ٩٥ ، ١٠٨ ، ٢١٤ ، ٤٣١ ، ٤٥٨ ،
 من يرد الله به خيراً يفقه في الدين ٣٧ ،
 الموبقات : ترك السنة ١٤٥ ،
 موعد كن بيتُ فلان ٥٤ ،

(ن)

- نحن معاشر الأنبياء ٢٥ ،
 نضر الله امراً ١٣٤ ، ٤٠ ،
 نضر الله عبداً ١٠٣ ، ١٠١ ، ٤٠ ،
 نعم ، تربت يمينك ٥٤ ،
 نعم عبد الله وأخو العشرة ٨٠ ،

(هـ)

- هل لك من إبل ؟ ٤٩ ،
 هل هو إلا بضعة منك ؟ ٦٢ ،
 هو الطهور ماؤه ١٦ ،

(و)

- والله إني لأتقاكم الله ٦٤ ،
 ومن سلك طريقاً يلتمس فيه علماً ٤٣ ،

(٧)

٨٨٠	لا تبتاعوا الذهب بالذهب إلا مثلاً بمثل
٤٠٠٠	لا تسبوا أحداً من أصحابي
٥١٤، ٥٠٣، ٥٠٢	لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد
٥٣٠	لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى بن مريم
٣٠٧، ٣٠٣	لا تكتبوا عني ومن كتب عني غير القرآن فليمححه
٨٨٠	لا تمنعوا إماء الله أن يصلين في المسجد
٣٤٤٠	لا تنتفعوا من الميتة
٣٨٠	لا حسد إلا في اثنتين
١٦٠	لا ضرر ولا ضرار
١٤٦٠	لا تورث ما تركناه صدقة
١٦٠	لا وصية لوارث
٢٥٧، ٢٥٥	لا يبقى على ظهر الأرض بعد مائة سنة نفس منقوسة
٢٦٠	لا يرث القاتل
١٧٠	لا يصلين أحدكم العصر إلا في بني قريظة
٢٤٥٠	لا يعلم متى تقوم الساعة إلا الله
٣١١٠	لا يلبس الحرير في الدنيا إلا من ليس له في الآخرة منه شيء

(٨)

١٣٤	يا براء كيف تقول إذا أخذت مضجعتك؟
-----	-----------------------------------

الصفحة

الحديث

١٤٦	يا بابل! أصبحوا بالصبح
٣٩	يا يزيد تعلم لي كتاب يهود
٦٦	يا عمر، أتدري من السائل؟
٧١	يسرا ولا تعسرا
٨٥	يحب الرب من عبده
٦٢	يفضل ذكره ويتوضأ
٧٨	يوشك الرجل متكئاً على أريكته

فهرس الأحاديث الموضوعة

الصفحة	الحديث
	(١)
٢٠٠	أبشر يا أبا بكر ، الذى وضأك للصلاة جبريل .
٢٠٩	أبفض الكلام إلى الله الفارسية .
٢٠٣	أبو بكر أوزن أمتى وأرحمها .
٢٠٣	أبو بكر وزيرى .
٢٤٥	أخذ بيدى على . . وقال هذا وصي وأخى .
٢٠١	أخذ القلم من يد على فدفعه إلى معاوية .
٢٠٥	إذا أتاكم عنى حديث فاعرضوه على كتاب الله .
٢٠٩	أربع مدائن من مدن الجنة فى الدنيا .
٢٠١	الأمناء عند الله ثلاثة .
٢٠٣	ألا لعنة الله على مبهضى أبى بكر .
٢٤٢	الباذنجان شفاء .
٢٤٢	الباذنجان لما أكل له .
٢٠٢	اللهم أركسم فى الفتنة ركسا .
٢٤٣	المؤمن حلوى يحب الحلاوة .
٢٤٣ ، ٢٠٧	الحجرة التى فى السماء من عرق .
٢١٨	الناس أكفاء إلا حائك أو حجام .
١٩٨	النظر إلى على عبادة .
٢٤٢	المريسة تشد الظهر .

الصفحة	الحديث
٢٠٣	إن الله أمرني أن اتخذ أبا بكر والدًا
٢٠٠	إن الله جعل أبا بكر خليفتي
٢٠٠	إن الله في السماء يكره أن يُخطأ أبو بكر
٢٠١	إن جماعة من بني هاشم
٢١١	إن في الجنة شجرة . . . ومن أسفلها خيل باق
٢٠١	إن في السماء الدنيا ثمانين ألف ملك يستغفرون لمن أحب أبا بكر
١٩٧	إن لسكل نبي وصيًا ووارثًا
٢٠٩	إن كلام الذين حول العرش بالفارسية
	(ت)
٢٠٧	نحمله الهوام بقرونها
	(ث)
٢٤٣	ثلاثة تزيد في البصر
	(ج)
٢٠١	جاء جبريل إلى النبي بورقة آسن خضراء
	(ح)
١٩٨	حب علي يأكل الحديث كما نأكل النار الحطب
	(خ)
٢٠١	خذ هذا السهم حتى تلقاني به في الجنة
١٩٨	خلقت أنا وعلى من نور
٢١٨	خير نجار تكلم البز

(د)

دعوى من السودان ٢٠٩

(س)

ستكون فتنة فإن أدركها أحد منكم فعليه بمصليتين ١٩٨

سيأتي من بعدى رجل يقال له النعمان بن ثابت ٢١٠

(ع)

عرج بي إلى السماء . . . وأبو بكر الصديق من خلفي ٢٠٠

عوج بن عنق الطويل (حديث) ٢٤٣

(ق)

قيل يا رسول الله مم ربنا ؟ ٢٠٧

(ك)

كل ما في السموات والأرض فهو مخلوق غير الله والقرآن ٢١٦

(ل)

لما أمرى بي رأيت في السماء ٢٠٠

لما أن عرج بالنبي . . . في دار من وقع هذا للنجم فهو خليفتي . . . ١٩٧-١٩٨

لما عرج بي إلى السماء قلت: اللهم اجعل الخليفة من بعدى على بن أبي طالب، . . . ١٩٩

لو كان الأرض رجلا ٢٤٣

(م)

ما في الجنة شجرة إلا مكتوب ٢٠١

الصفحة	الحديث
١٩٨	مثل مثل شجرة أنا أصلها وعلى فرعها
٢١٨-٢١٧	معلمو صبيانكم شراركم
٢٤٤	مقدار الدنيا وأنها سبعة آلاف سنة
٢٤٣	من اتخذ ديكا أبهى لم يقربه شيطان
١٩٨	من أحبني فليحب علياً
١٩٨	من أراد أن ينظر إلى آدم في علمه . . . — فليُنظر إلى علي ، ١٩٨
٢١٦	من رفع يديه في الركوع فلا صلاة له
٢١٨	من سيادة المراء خفة عارضيه
٢٠٣	من شتم الصديق فإنه زنديق
٢٤٧ ،	من فعل كذا وكذا أعطى في الجنة سبعين ألف مدينة
٢٤٧	من قال لا إله إلا الله خلق الله من تلك الكلمة
٢١١	من قال لا إله إلا الله خلق الله من كل كلمة طيراً
١٩٨	من لم يقل علي خير الناس فقد كفر
١٩٨ ،	من مات وفي قلبه بغض لعلي فليمت يهودياً أو نصرانياً

(و)

١٩٧	وصبي وموضع سري . . . على
٢٤٥	وضع الجزية عن أهل خيبر (حديث)

(لا)

٢١٧	لا سبق إلا في نعل . . . أو جناح
-----	---------------------------------

(ى)

- يا أبا الحسن أحبهما فوجههما تدخل الجنة ٢٠١
- يا أبا هريرة إن في جهنم كلاباً زرق الأعين ٢٠٢
- يا على أخصك بالنبوة ١٩٧
- يا على إن الله غفر لك ١٩٩
- يركب هذا الفرس من يكون الخليفة من بعدى ١٩٩
- يكون في أمي رجل يقال له محمد بن أدریس أضر على أمي من إبليس ، ٢١٠
- ينادى مناد يوم القيامة . . أين أصحاب محمد ؟ فيؤتى بأبي بكر ٢٠٣

فهرس البلدان والأماكن والمشاهد والغزوات

إشبيلية	١٧٣
إصهان	٢٧٥
أرض دوس	٢٥٧
أرض الروم	٨٨
أرض القردة	٤٥٧
أفريقية	١٧١ ، ١٧٢ ، ١٧٣ ، ٢٧٥ ، ٤٦٩
ألمانيا	٢٧٧
الأردن	١٦٣ ، ١٦٩
الاتدلس	١٦٣ ، ١٧١ ، ١٧٣
بخارى	١٧٤
بدا	٥٠٠
برقة	١٧١
برلين	٣٥٦
بصرى	٧٢
بغداد	٢١٥ ، ٢٦٤ ، ٢٦٧ ، ٣٥٩
بلنسية	١٧٣
بيت المقدس	٢١٠ ، ٥٠٢ ، ٥٠٣ ، ٥٠٤ ، ٥٠٧ ، ٥٠٨ ، ٥١٢ ، ٥١٣
بيعة الرضوان	٣٩٢ ، ٣٩٣ ، ٣٩٥ ، ٣٩٧ ، ٤٨٠
البحرين	٧٢ ، ٤١٥ ، ٤١٦ ، ٤٢٠ ، ٤٢٨ ، ٤٣٨ ، ٤٧٣
البصرة	١٢٩ ، ١٥١ ، ١٦٦ ، ١٦٧ ، ١٦٨ ، ١٧٨ ، ١٨١ ، ٢٢٣
	٢٢٥ ، ٢٢٧ ، ٢٢٨ ، ٣٣٧ ، ٣٦٠ ، ٤٤٨ ، ٤٧٣ ، ٤٧٧
	٤٨٤ ، ٥٢٠ ، ٥٢٧
البقيع	٤١٧ ، ٤١٩
البيت الحرام	٢٢٤ ، ٢٤٦ ، ٣١٢ ، ٤٣٩ ، ٥٠٢ ، ٥٠٦ ، ٥٠٧ ، ٥٢٩

٢٤٦	تبوك (عام)
١٦٣	جبال البرانس
٤٦٠ ، ٤٥٨	جبال دوس
٤٦٣	جبل أحد
٤٥٩	جبل رامهرمز
٤٥٠ ، ٢٩٥ ، ١٦٤ ، ١٦٣ ، ٧٤ ، ٧٣ ، ٦٨ ، ١٢	الجزيرة العربية
١٥٠	الجمام
٤٠٦ ، ٣٩٢ ، ٢٤٥ ، ٧٣	حجة الوداع
١٤٤	حرب الردة
٣٤٧	حضر موت
١٥١ ، ٤	حلب
٣٧٤ ، ٣٧٣ ، ١٦٩ ، ١٥١	حصص
٢٦٦	حيدرآباد
٣٩٢ ، ٧٢	الحبشة
٤٩٩ ، ٤٩٢ ، ٣٦٨ ، ٢٥٩ ، ١٨٧ ، ١٧٧ ، ١٦٥ ، ١٢٩	الحجاز
٥٢٦ ، ٥٢٠ ، ٥١٢ ، ٥٠٨ ، ٥٠٠	
٣٩٩ ، ٢٩٧ ، ٣٩٥ ، ٣٩٢ ، ١٦٤ ، ٧٢ ، ٧١	الحديثة
٣٣٧ ، ١٩٠ ، ١٨٢ ، ١٧٣ ، ١٦٧ ، ٢٢ ، ٢١	خراسان
٦٨ ، ٤٧	دار الأرقم
١٩٤	دار الضرب
٢٩١ ، ٢٧٠	دار الكتب المصرية
٣٩٢	دار الندوة
١٦٩	داريا
٢٦٨ ، ٢٦٤ ، ٢٢٨ ، ٢١٠ ، ١٦٩ ، ١٥١ ، ١٠٤ ، ٧٢ ، ٤	دمشق
٥١٤ ، ٥١٣ ، ٥١٢ ، ٣٧٩ ، ٣٥٦ ، ٢٩١	
٥١٦	الديلم

الري	٣٣٨
سمرقند	١٦٣ ، ١٧٤
سوريا	١٦٣
شغب	٥٠٠
الشاس	١٧٤
الشام	٥٧ ، ١٢٠ ، ١٢٩ ، ١٦٣ ، ١٦٨ ، ١٦٩ ، ١٧٠ ، ١٧٧ ، ١٧٩ ، ١٨٠ ، ١٨١ ، ١٨٧ ، ١٩٠ ، ٢١١ ، ٢٢٨ ، ٢٦٨ ، ٢٣٧ ، ٣٦٩ ، ٤٥٥ ، ٤٨٤ ، ٤٩٢ ، ٤٩٥ ، ٤٩٩ ، ٥٠٢ ، ٥٠٤ ، ٥٠٥ ، ٥٠٧ ، ٥٠٨ ، ٥١٣ ، ٥٢٠ ، ٥٢٦
الشعب (شعب أبي طالب)	٤٧٦
صرار (مر)	٤٠٧
صفين (وقعة)	١٩٥ ، ٢٤٦
الصفة	٤١٢ ، ٤١٤ ، ٤٨٠
الصين	١٦٣
طرابلس (الغرب)	١٧١
الطائف	٤٥٤ ، ٤٧٧
عمان	٧٢
العراق	١٦٣ ، ١٦٧ ، ١٨٧ ، ١٩٠ ، ١٩٤ ، ١٩٦ ، ٢٣٠ ، ٣١٩ ، ٣٦٨ ، ٤٤١ ، ٤٤٦ ، ٥١٦ ، ٥٢٦
العقبة (بيعة العقبة — أهل العقبة)	٣٩٢ ، ٣٩٥
غرناطة	١٧٣
غزوة أحد	٥٧ ، ٣٩٣ ، ٤٦٩ ، ٤٦٨ ، ٤٨٠
غزوة بدر	٢٦٧ ، ٢٩٩ ، ٣٠٠ ، ٣٨٧ ، ٣٩٢ ، ٣٩٣ ، ٣٩٥ ، ٣٩٧ ، ٤٦٩ ، ٤٧٤ ، ٤٧٨
غزوة تبوك	٤٠٥
غزوة خيبر	٦١ ، ٢٤٥ ، ٢١٢
غزوة الخندق	٢٤٦ ، ٤٦٩

٢٧٥	غولة
١٦٣	فارس
١٧٤	فرياب
١٦٣ ، ١٦٩ ، ٥٠٠	فلسطين
٤٥١	الفسطاط
٣٩٢	قبا
٥٠٣ ، ٥٠٤ ، ٥٠٥ ، ٥٠٦ ، ٥٠٧ ، ٥٠٨ ، ٥١٢	قبة الصخرة
٤٢٢	قبة من قباب معاوية
١٧٣	قرطبة
٥٠٠	قرية أداى
٢٨٩ ، ٢٦٧ ، ٤	القاهرة
٢٢	القدس
١٧٣	القيروان
٢٣١	كلكتا
١١٩	كلية الشريعة بالأزهر
٥٠٨ ، ٥٠٦ ، ٥٠٥ ، ٥٠٤ ، ٥٠٣	الكمبة المشرقة
٩٧ ، ١٥٠ ، ١٥١ ، ١٦٠ ، ١٦٧ ، ١٨٠ ، ١٩٠ ، ٢٢٨	الكوفة
٢٣٧ ، ٢٦١ ، ٢٦٩ ، ٣٧١ ، ٣٩٣ ، ٤٤١ ، ٤٨٤ ، ٥٢٠	
٥٢١ ، ٥٢٣ ، ٥٢٥	
١٦٣	لبنان
٢٨٠ ، ٢٧٩ ، ٢٧٨ ، ٢٧٤	لیدن
١٩٠	مرج رامط
٢٦٢	مرو
١٧٩	مسجد دمشق
٢١١	مسجد الرصافة
٤٤١	مسجد الكوفة

مصر (الديار المصرية) ٧٢ ، ١٧٠ ، ١٦٣ ، ١٧١ ، ١٧٦ ، ١٧٧ ، ١٨٧ ، ٢٢٧ ،

٢٦٢ ، ٢٦٣ ، ٢٧٢ ، ٢٧٧ ، ٢٨٠ ، ٢٨٦ ، ٢٨٧ ،

٢٨٩ ، ٢٩٠ ، ٣٢٨ ، ٣٥١ ، ٣٦٠ ، ٣٧٣ ، ٣٧٥ ،

٣٨١ ، ٤٤٨ ، ٤٥٤ ، ٤٦٩ ، ٤٨٤ ، ٥١٧ ، ٥٣٢ ،

١٢ ، ٧٢ ، ٧٣ ، ٨٦ ، ٩٤ ، ١٢٧ ، ١٥١ ، ١٦٥ ،

١٨٢ ، ١٩٨ ، ٢٠٩ ، ٢٩٦ ، ٣٠٥ ، ٣١٢ ، ٣٣٧ ،

٣٦٠ ، ٣٩٢ ، ٣٩٧ ، ٤٠٦ ، ٤٥٩ ، ٤٧١ ، ٤٧٧ ،

٥٠٢ ، ٥٠٧ ،

مكة المكرمة

١٢ ، ٢٦ ، ٣٩ ، ٧٠ ، ٧٢ ، ٨٦ ، ٨٩ ، ٩٤ ، ٩٧ ،

١٠١ ، ١٠٩ ، ١٥١ ، ١٦٤ ، ١٦٥ ، ١٦٦ ، ١٧١ ،

١٧٢ ، ١٧٧ ، ١٧٨ ، ١٧٩ ، ١٨٠ ، ١٨٢ ، ١٩٤ ،

١٩٦ ، ٢٠٩ ، ٢٢٧ ، ٢٢٨ ، ٢٥٨ ، ٢٥٩ ، ٢٩٥ ،

٢٩٩ ، ٣٠٠ ، ٣٢٩ ، ٣٣١ ، ٣٣٧ ، ٣٤٥ ، ٣٥٥ ،

٣٦٠ ، ٣٦٨ ، ٣٦٩ ، ٣٧١ ، ٣٨١ ، ٣٩٢ ، ٤٠٦ ،

٤١٢ ، ٤١٥ ، ٤١٧ ، ٤٢٨ ، ٤٢٩ ، ٤٣٩ ، ٤٤٢ ،

٤٤٨ ، ٤٥٤ ، ٤٦٩ ، ٤٧٢ ، ٤٧٣ ، ٤٧٨ ، ٤٨٠ ،

٤٨٤ ، ٤٨٦ ، ٤٨٧ ، ٤٩٣ ، ٤٩٥ ، ٥٠٤ ، ٥٠٥ ، ٥٠٥ ،

٥١٣ ، ٥١٧ ، ٥١٨ ، ٥١٩ ،

المدينة المنورة

المركز القومي للبحوث ٥٣٧

المسجد الحرام ١٥١ ، ٢٢٩ ، ٥٠٣ ، ٥٠٣

المسجد النبوي ٣٥٣ ، ٤٢١ ، ٤٧٩ ، ٥٠٢ ، ٥٠٣

المغرب ١٧١ ، ٥١٦

المكتبة الظاهرية ٢٩١

نجران ٢٤٦

بغداد ١٧٤

بيدالرج ٣٦٠

الهند

٢٠١١ ، ١٦٧ ، ٢٦٢ ، ٢٦٣ ، ٢٦٦ ، ٢٦٨ ،

٢٧٢ ، ٢٧٥ ، ٢٧٦ ، ٢٧٧ ، ٢٨٢ ، ٢٨٤ ، ٢٨٦ ،

٢٨٩

٢٣٤ ، ٢٣٧

٨٢ ، ٤٦٩

١٢ ، ٧٠ ، ٢٤٤

٤١٦ ، ٤٦٠

٣٥٤

٥٠٦

٧٢ ، ١٨١ ، ٢٢٨

١٧ ، ٧١ ، ٨٩ ، ١٥١ ، ١٧٣ ، ١٧٩ ، ١٨١ ،

٢٢٨ ، ٢٤٦ ، ٣٠٥ ، ٣١٢ ، ٣٢٧ ، ٣٤٧ ، ٤١٢

واسط

وقعة اليرموك

يثرب

يوم حصار عثمان

يوم الحرة

يوم عرقة

اليامة

العين

فهرس الكتب المعرف بها

الصفحة	اسم الكتاب والمؤلف
٢٦٢	(أسد الغابة في معرفة الصحابة) لعلى بن محمد (ابن الأثير)
٢٧٣	(إسعاف المبطل برجال الموطأ) لجلال الدين السيوطي
٢٧٩	(اقتباس الأنوار والتماس الأزهار في أنساب الصحابة ورواة الآثار) للرشايطي
٢٨٨	(الأحاديث الموضوعة التي يرويها العامة والقصاص) لعبد السلام (ابن تيمية)
٢٦٢	(الاستيعاب في معرفة الأصحاب) ليوسف بن محمد (ابن عبد البر)
٢٧٦	(الأسماء والكنى) لعلى بن عبد الله المديني
٢٧٦	(الأسماء والكنى) لأحمد بن حنبل
٢٧٦	(الأسماء والكنى) للحاكم الكبير محمد بن محمد النيسابوري
٢٦٣	(الاصابة في تمييز الصحابة) لابن حجر العسقلاني
٢٨٦	(الاغنياء بمعرفة من رمى بالاختلاط) لسبط ابن العجني
٢٨٠	(الاكتساب في تلخيص كتب الأنساب) لمحمد بن محمد الخيضرى
	(الإكمال في رفع الارتياب عن المؤلفات والمختلف من الأسماء والكنى والأنساب) لابن مأكولا
٢٧٧	
٢٨٠	(الأنساب) لعبد الكريم السمعاني
٢٧٩	(الأنساب المتفقة في الخط المأثقة في الخط والضبط) لمحمد بن طاهر المقدسي
٢٨٨	(الباعث على الخلاص من حوادث القصاص) لعبد الرحيم العراقي
٢٦٣	(البدر المنير في صحابة البشير النذير) لمحمد قائم السندي
٢٨٥	(تاريخ أسماء الثقات ممن نقل عنهم العلم) لأبي حفص (ابن شاهين)
٢٧١	(تاريخ الإسلام وطبقات المشاهير والأعلام) لمذهبي

الصفحة	اسم الكتاب والمؤلف
٢٦٧	(تاريخ بغداد) للخطيب البغدادي
٢٦٨	(تاريخ دمشق) لعلی بن الحسین (ابن عساكر)
٢٦٥	(تاريخ الرواة) ليعبي بن معين
٢٨٢	(تاريخ للضعفاء والمتروكين) لأحمد بن علي النسائي
٢٨٢	(تاريخ) في الثقات والضعفاء لأحمد بن أبي خيثمة النسائي
٢٦٧	(تاريخ نيسابور) لمحمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري
٢٦٢	(تجريد أسماء الصحابة) لمحمد بن أحمد الذهبي
٢٨٩	(تحذير المسلمين من الأحاديث الموضوعة) لمحمد البشير ظافر
٢٧٨	(تحفة ذوي الأرب في مشكل الأسماء والنسب) لابن خطيب الممشة
٢٨٩	(تذكرة الموضوعات) لمحمد بن طاهر الفتى
٢٨٧	(تذكرة الموضوعات) لمحمد بن طاهر المقدسي
٢٧١	(تهذيب تهذيب الكمال) لمحمد بن أحمد الذهبي
٢٧٧	(تكملة المؤلفات والمختلف) للخطيب البغدادي
٢٧٧	(تلخيص المتشابه في الرسم في أسماء الرواة) للخطيب البغدادي
	(تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأخبار الشنيعة الموضوعة) لابن
٢٨٨	عراق السكتاني
٢٧٢	(تهذيب التهذيب) لابن حجر العسقلاني
٢٧٠	(تهذيب الكمال في أسماء الرجال) لجمال الدين المزي
٢٦٥	(التاريخ) لأحمد بن حنبل
٢٦٥	(التاريخ) لخليفة بن خياط الشيباني المصفرى

الصفحة	اسم الكتاب والمؤلف
٢٦٦	(التاريخ الكبير) لأبي عمر أحمد بن سعيد بن حزم
٢٦٥	(التاريخ الكبير) لمحمد بن اسماعيل البخاري
٢٨٦	(التبيين لأسماء المدلسين) لسبط ابن العجمي
٢٧٢	(التذكرة برجال العشرة) لمحمد بن علي الحسيني الدهشقي
٢٩٠	(التذكرة في الأحاديث المشتهرة) لبدر الدين الزركشي
٢٦٩	(التدوين في ذكر أخبار قزوين) لعبد الكريم القزويني
٢٧٠	(التقييد لمعرفة رواة السنن والمسانيد) لابن نقطة
٢٨٤	(الثقات) لأبي حاتم بن حبان البستي
٢٨٦	(الثقات ممن لم يقع في الكتب الستة) لقاسم بن قطلوبغا
٢٦٩	(جامع الأصول لأحاديث الرسول) لمحمد الدين (ابن الأثير)
٢٨٢	(الجرح والتعديل) لإبراهيم بن يعقوب الجوزجاني
٢٨١	(الجرح والتعديل) لأحمد بن حنبل
٢٨٢	(الجرح والتعديل) لعبد الرحمن بن أبي حاتم
٢٦٨	(الجمع بين رجال الصحيحين) لمحمد بن طاهر المقدسي
٢٦٣	(در السحابة في من دخل مصر من الصحابة) للسيوطي
	(الرياض المستطابة في جملة من روى في الصحيحين من الصحابة)
٢٦٣	للإمام العاصمي
	(السابق واللاحق في تباين ما بين وفاة الراويين عن شيخ واحد)
٢٦٧	للخطيب البغدادي
٢٨٢	(الضعفاء) لمحمد بن اسماعيل البخاري

الصفحة	اسم الكتاب والمؤلف
٢٨٢	(الضعفاء) لمحمد بن عبد الله البرقي
٢٨٥	(الضعفاء المتروكين - أو أسماء الضعفاء الواضعين) لابن الجوزي
٢٧٤	(طبقات التابعين) لمسلم بن الحجاج القشيري
٢٧٤	(طبقات الحفاظ) للذهبي
٢٧٥	(طبقات الحفاظ) للسيوطي
٢٧٤	(طبقات الرواة) لخليفة بن خياط
٢٧٤	(طبقات الحديث والرواة) لأبي نعيم الإصمعي
٢٧٣	(الطبقات الكبرى) لمحمد بن سعد
٢٧٦	(فتح الباب في الكنى والألقاب) لمحمد بن اسحاق بن منده الإصمعي
٢٨٩	(القوائد المجموعة في لأحاديث الموضوعه) لمحمد بن علي الشوكاني
٢٨٩	(قانون الأخبار الموضوعه والرجال الضعفاء) لمحمد بن طاهر الفتني
٢٧٤	(كتاب التابعين) لمحمد بن حبان البستي
٢٦٢	(كتاب المعرفة) لعبد الله بن عيسى المروزي
٢٧٦	(كتاب الكنى والأسماء) لمسلم بن الحجاج النيسابوري
٢٧٨	(كشف النقاب عن الأسماء والألقاب) لابن الجوزي
٢٨٥	(الكامل) لعبد الله بن محمد بن عدي
٢٨٩	(الكشف الإلهي عن شديد الضعف والموضوع والواهي) لمحمد السندروسى
٢٦٩	(الكامل في أسماء الرجال) لعبد القى المقدس
٢٧٦	(الكنى) للبخارى وغيره
٢٧٦	(الكنى والأسماء) لأبي بشر الدولابي
٢٨٦	(لسان الميزان) لابن حجر العسقلاني

الصفحة	اسم الكتاب والمؤلف
٢٨٨	(الآلاء المصنوعة في الأحاديث الموضوعة) للسيوطي . . .
٢٩٠	(الآلاء المنثورة في الأحاديث المشهورة) لابن حجر العسقلاني
٢٨٠	(للأب) لعلي بن محمد الشيباني الجزري . . .
	(ما اتفق من أسماء المحدثين وأنسابهم غير أن في بعضه زيادة حرف
٢٧٩	واحد) للخطيب البغدادي
٢٦١	(معرفة من نزل من الصحابة سائر البلدان) لعلي بن عبد الله المديني
٢٨٦	(ميزان الاعتدال) الذهبي
٢٧٧	(المؤتلف والمختلف في أسماء قلة الحديث) لعبد الفتي الأسدي .
٢٨٥	(المدخل) للحاكم محمد بن عبد الله النيسابوري
٢٧٨	(المستدرک على الاكمال لابن مأكولا) لابن نقطة
٢٧٨	(المشتبه في أسماء الرجال) الذهبي
٢٧٧	(المشتبه في النسبة) لعبد الفتي الأسدي
٢٦٩	(المعجم) في تاريخ المحدثين لعبد الكريم السمعاني
٢٨٨	(المغنى عن الحفظ والكتاب بقولهم لم يصح شيء في هذا الباب) لعمر الموصلي
٢٩٠	(المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشهورة على الألسنة) للسغاوي
٢٧٨	(الموضوعات الكبرى) لعبد الرحمن بن الجوزي
٢٨٧	(الموضوعات في الأحاديث المرفوعات) للحسين بن ابراهيم الجوزي
٢٧٩	(زهة الألباب في الألقاب) لابن حجر العسقلاني
٢٨٠	(نسبة المحدثين إلى الآباء والبلدان) لمحمد بن محمود (ابن النجار)
٢٦٦	(الهداية والإرشاد في معرفة أهل الثقة والصداد) لاسكلابادي . . .

فهرس الأعلام

- ١ - فهرس الأسماء .
- ٢ - فهرس الكنى .
- ٣ - من نسب إلى أبيه أو جده .

فهرس الاسماء

- آدم عليه السلام ١٩٨
 أبان بن سعيد بن العاص ٢٩٩
 أبان بن صالح ٤٩٨
 أبان بن عثمان ٢٢٩ ، ٢٣٠
 ابراهيم بن آدم ١٤٩
 ابراهيم بن بسطام ٤٥٩
 ابراهيم الخليل عليه السلام ١٩٨
 ابراهيم بن الزبرقان ٢٧٠
 ابراهيم بن سعد بن ابراهيم ٤٩١
 ابراهيم بن سيار النظام ٤٣٧ ، ٤٤٦ ، ٤٥٥ ، ٤٥٩
 ابراهيم بن طهمان ٣٥٩
 ابراهيم بن علقمة ٥٢٤
 ابراهيم بن محمد الحلبي (سبط ابن العجمي) ٢٨٦
 ابراهيم بن ميسرة ١٢٩
 ابراهيم بن يزيد التيمي ٣٢٢
 ابراهيم بن يزيد النخعي ٧ ، ١٣٢ ، ١٦١ ، ١٦٧ ، ٢٢٥ ، ٢٢٩
 ٢٣٧ ، ٢٣٢ ، ٢٣٣ ، ٤٨١ ، ٤٩٦ ، ٥٢٠ ، ٥٢١ ، ٥٢٤
 أبي بن كعب ١١٤ ، ١١٥ ، ١٦٦ ، ٤٢٩ ، ٤٣٢ ، ٤٧٧
 الأجرى ٥١٠
 أحمد بن أبي خيثمة النسائي ٢٨٢
 أحمد أمين ٢٠٥ ، ٢٠٦ ، ٢٥٩ ، ٤٢٧ ، ٤٥٥ ، ٦٢٩
 أحمد بن حفص الفقيه ١٧٤
 أحمد بن حنبل ١٠٣ ، ٢١١ ، ٢١٢ ، ٢٢٩ ، ٢٣٠ ، ٢٣٨ ، ٢٥٨
 ٢٦٥ ، ٢٧٢ ، ٢٧٦ ، ٢٨١ ، ٢٨٣ ، ٢٢٩ ، ٢٥٠

٢٥٦ ، ٣٨٧ ، ٤٣٠ ، ٤٥٨ ، ٤٦٥ ، ٤٩٦ ، ٤٩٧ ، ٤٩٩

٥١٤ ، ٥٣١ ، ٥٣٤

٢٦٦ أحمد بن سعيد بن حزم الصدفي

٢٣١ أحمد بن سنان

٢٤٠ أحمد بن شعيب الخراساني النسائي

٣٠٧ أحمد محمد شاكر

٢٦٦ أحمد بن محمد بن الحسين الكلاباذي

٢١٥ أحمد بن محمد بن غالب الباهلي (غلام خليل)

٢٦٨ أحمد بن علي الاصبهاني

أحمد بن علي بن ثابت = الخطيب البغدادي

٢٧٠ ، ٢٧٦ ، ٢٨١ ، ٢٨٢ ، ٤٩٦ ، ٥١٤ أحمد بن علي النسائي

١٠٤ أحمد بن يحيى

٧٤ أزد شنوءه (وفد)

٨٠ ، ١٦٣ ، ٤٢٩ ، ٤٧٧ ، ٤٨٧ أسامة بن زيد

٣٦٥ ، ٣٢٩ ، ٤٩٧ ، ٥١٩ اسحاق بن ابراهيم (ابن راهوية)

٤٧٢ اسحاق بن أبي طلحة

٤٩٥ اسحاق بن عبد الله

٢٨٣ اسحاق بن منصور

٣٢٩ أسد بن موسى الأموي

٢٠٠ اسرافيل (الملك)

٤٧٠ ، ٤١٦ أسلم مولى عمر

٣٤٦ أسماء بنت عيسى

٤٣٥ اسماعيل بن أبي حكيم

٥٣٢ اسماعيل بن أبي خالد

١٥٢ ، ١٦١ اسماعيل بن رجاء

٣٥٩ اسماعيل بن عبد الله بن أويس

- ١٧٢ اسماعيل بن عبيد
 ١٧٢ اسماعيل بن عبيد الله الأعور
 ٤٧٥ أسيد بن حضير
 ٤٢٥ أشعث بن سليم
 ١١٩ أشيم الضبابي
 ٤١٦ أميمة (أم أبي هريرة)
 ٥٩ أمية بن زيد (بنو)
 ٥٢٧، ٤٧٢، ١٥٠ أنس بن سيرين
 ١٣٢، ١٢٨، ٩٤، ٩٣، ٦٣، ٦٠، ٥٩، ٥٢، ٥١، ٦ أنس بن مالك
 ٢٢٩، ٢٢٥، ٢١٥، ٢١٢، ٢١١، ١٦٧، ١٦٠، ١٤٦
 ٣٤٤، ٣٢١، ٣٢٠، ٣١٧، ٣١٦، ٣٠٦، ٣٠٤، ٢٣٥، ٢٣٠
 ٤٧٢، ٤٢٩، ٤٢٨، ٤٠٧، ٣٩١، ٣٩٠، ٣٨٩، ٣٨٥
 ٥٢٦، ٤٩٧، ٤٨٩، ٤٨٤، ٤٨٣، ٤٧٣
 ٥٠٨، ٥٠٧ أوثيخوس
 ٤٣٤، ٣٥٤، ٣٢٦، ٣٣٥، ٢١٣، ١٦٨، ١٥٣، ١٣١ أيوب السخنياني
 ٥١٦، ٥١٠، ٤٩٨، ٤٩٦، ٤٩٣، ٤٣٥
 ٦٨ الأزرق بن عبد مناف
 ٣١٢ الأسود بن هلال
 ٣٢٤، ٥٢٠، ٤٧٥ الأسود بن يزيد النخعي
 ٣٥٨ الأشعث بن عبد الملك الحمراني
 ٢٢٤ الأصمعي
 = سليمان بن مهران الأعشى
 (ب)
 ١٤٦ بحالة بن عبدة
 ٣٦٢، ٣٥٤، ١٧٠ بحير بن سعيد الكلاعي

٢٩٠	بدر الدين الزركشى
١٧٣	بريدة بن حصيب الاسلمى
١١٦	بشر بن سعيد
٤٧٠ ، ٤٢٢	بشر بن سعيد
٢٩٥	بشر بن عبد الملك السكونى
٤٥٩ ، ٤٥٥ ، ٤٤٦ ، ٤٣٧ ، ٣٥١	بشر المريسى
٢٣٦	بشر بن المفضل
١١١	بشر بن الوليد
٤٨٧	بشير بن أبى مسعود الانصارى
٢٩٩	بشير بن سعد بن ثعلبة
٢٢٢	بشير العدوى
٤٢٩ ، ٣٤٨ ، ٣١٨	بشير بن نهيك
٤٢٩	بصرة بن أبى بصرة
٢٥٨	بقراط
٤٣٠ ، ١٧٣	بقي بن مخلد
٣٧٩	بقية الكلاعى
٤٨٦ ، ٤٢٢ ، ٣٥٥	بكير بن عبد الله بن الأشج
١٧٢	بلال بن حارث المزنى
١٦٩ ، ١٤٦	بلال بن رباح
٤٧٠	بلال بن عبد الله بن عمر
١٦٨	بهز بن حكيم القرشى
١٠١	بيان بن بشر

البخارى (محمد بن اسماعيل) الإمام ١١٨ ، ١٧٤ ، ٢٣٨ ، ٢٥٤ ، ٢٥٥ ، ٢٥٦ ،

٢٥٨ ، ٢٦٥ ، ٢٦٧ ، ٢٦٨ ، ٢٦٩ ، ٢٧٠ ،

٢٧٢ ، ٢٧٦ ، ٢٨١ ، ٢٨٢ ، ٢٨٣ ، ٣٠٦ ،

٣٣٩ ، ٣٤٦ ، ٣٥٦ ، ٣٦٤ ، ٣٧٧ ، ٣٨٠ ،

٤٣٤، ٤٣٠، ٤٢٩، ٤٠٥، ٤٠٠، ٣٨٧

٤٧٩، ٤٧٧، ٤٧٥، ٤٧٣، ٤٧١، ٤٤٤

٥١٤، ٤٨٠

١٤١

٣٤٠، ٢٢١، ١٣٤، ٥٩

٤٣٧

٣٩٠

٤٩٩

البدر الدمايني

البراء بن عازب

البلخي

البيروني

البيهقي

(ت)

٤٧٧

تميم الداري

٢٦٧، ٢٦٦

التاج السبكي

٧٤

تجيب (وفود)

٥١٤، ٤٠١، ٣٢٩، ٢٨١، ٢٧٠، ٢٣٨

الترمذي

(ث)

٥٢٦، ٤٧٢، ٣٥٣، ٢٣٠، ٩٤

ثابت بن أسلم البنانى

١٢٥

ثابت الحداد

٤١٨

ثعلبة بن أبي مالك القرظي

٧٤

ثعلبة (وفود)

١٧٠

ثور بن يزيد

(ج)

٢٣٦

جابر الجعفي

٣٢٤، ٢٢٢

جابر بن زيد

٣٥٣، ٣٥٢، ٢٢٧، ١٧٧، ١٦٠، ١٤٦، ٦، جابر بن عبد الله الأنصاري

٤٧٨، ٤٧٠، ٤٦٩، ٤٢٩، ٤٢٨، ٣٨٥، ٣٨١

٤٩٣، ٤٩٠، ٤٨٠، ٤٧٩

٢٥٨	جالينوس
٢٠٧ ، ٢٠٠ ، ٦٦	جبريل الملك
١٧٢	جبله بن عمرو
٤٩٠	جبير بن مطعم
٤٧٠	جبير بن نغير
٤٧٥	جذامة بنت وهب
٢٣١ ، ١٣١	جرير بن حازم
٥١٤ ، ٢٣٧	جرير بن عبد الحميد
٣٨٩	جرير بن عبد الله البجلي
- ١٤٦	جرير بن معاوية
٢٣٢ ، ٢٣١ ، ٢٣٠	جعفر بن الزبير
٣٦٨ ، ٣٥٨ ، ٣٥٥ ، ١٩٦ ، ١٣٢ ، ١٢٠	جعفر بن محمد (الصادق)
١٧٤	جعفر بن محمد القرباني
	جلال الدين السيوطي = السيوطي
٢٤٩ ، ٢٥٠ ، ٢٥١ ، ٢٥٢ ، ٢٥٤ ، ٢٧٦ ، ٢٧٧	جولد آسير
٢٧٨ ، ٢٧٩ ، ٢٨٢ ، ٤٣٧ ، ٤٤٧ ، ٤٥٦	
٥٠١ ، ٥٠٣ ، ٥٠٤ ، ٥٠٥ ، ٥٠٦ ، ٥٠٧ ، ٥٠٨	
٥١١ ، ٥١٣ ، ٥١٤ ، ٥١٥ ، ٥٢٩ ، ٥٣٠ ، ٥٣٣	

(ح)

١٧٢	حبان بن أبي جبلة
٢٤٦	حبة بن جوين
٥٢٠	حبيب بن أبي ثابت
٢٢٤	حبيب بن الشهيد
٥٢٤	حذيفة
٤٩٠	حرمله مولى أسامة بن زيد

٢٤٠	حسان بن زيد
٥٣٢ ، ٣٦٨ ، ٣٦٧ ، ٣٦٤	حسن الصلر
٢٥١	حسين بن شفي بن مائع الاصبحي
٣٢٦	حسين بن عقيل
٤٧٠	حفص بن عامر
٢٤٠ ، ١٥٥	حفص بن غياث
٤٧١ ، ٣٠٠	حفصة بنت عمر بن الخطاب
٤٠١	حكيم بن حزام
٥٢٠ ، ٢٢٥	حامد بن أبي سليمان
٤٤٩	حامد الراوية
٤٣٤ ، ٣٧٩ ، ٣٥٨ ، ٢٣١ ، ٢١٩ ، ٢٠٨ ، ١٩	حامد بن زيد
٢٣٦ ، ٢٢٥ ، ٢٠٥ ، ١٩٧ ، ١٥٢ ، ١٢٨	حامد بن سلة
٣٧٩ ، ٣٥٥ ، ٣٣٧ ، ٣٣٥	
٢٢٣	حامد بن سليمان
٢٣١	حامد المالكي
٢٣٢	حمزة الزيات
٤٧٠	حمزة بن عبد الله بن عمر
٤٧٥	حمزة بن عمرو
١٢٠	حمل بن مالك
٢٩٣	حممة بن أبي حممة الدوسي
٥١٩ ، ٥١٦	حميد الطويل
٧٤	حمير (ملوك)
٨١	حويطب بن عبد العزى
١٧١	حيوة بن شريح
٧٢	الحارث بن أبي شمر
٢٢٦ ، ٢٣٢	الحارث الأعور

الحاكم النيسابوري ١٠٣ ، ١١٨ ، ٢١٤ ، ٢١٧ ، ٢٦٧ ، ٢٨٥ ،
٣٠٩ ، ٣٩١ ، ٣٩٢ ، ٤٨٤ ، ٤٩٧

الحجاج بن يوسف الثقفي ١٩٠ ، ٣١٩

الحسن بن أبي بكر ١٠٤

الحسن البصري ١٣١ ، ١٣٢ ، ١٦٨ ، ٢٢٤ ، ٢٣١ ، ٢٤٠ ،

٢٤١ ، ٣٢٦ ، ٣٥٤ ، ٣٥٨ ، ٣٩٣ ، ٤٢٩ ،

٤٥٢ ، ٤٧٢ ، ٤٩٣ ، ٤٩٨ ، ٥٢٠ ، ٥٢٧

الحسن بن الحاجب ١٧٤

الحسن بن علي بن أبي طالب ١٧١ ، ١٩٦ ، ١٩٨ ، ٣١٧ ، ٣٢١ ، ٣٨٨ ،

٤٠٤ ، ٤٣٩ ، ٤٤٥ ، ٤٥١

الحسن بن محمد بن الحنفية ٤٩٠

الحسن بن محمد الماسرجسي ٥٠٠

الحسين بن إبراهيم الجوزقي ٢٨٧

الحسين بن علي بن أبي طالب ١٧١ ، ١٩٠ ، ١٩٦ ، ١٩٨ ، ٣٧٢ ، ٣٨٨ ،

٤٥١ ، ٥٢٦

الحسين بن محمد بن خسرو ٢٧٢

الحكم بن أبي العاص ١٦٦ ، ١٦٨

الحكم بن عتبة ٣٥٥

الحكم بن عمرو الغفاري ١٧٣

الحكم بن عيينة ٥١٦

(خ)

خارجة بن حذافة ١٧٠

خارجة بن زيد بن ثابت ٤٩٠

خالد بن أسلم ٤٧٠

خالد بن أسيد ١٦٦

خالد بن زيد الجهني ١٢٨

٦٢	خالد بن سعيد
١٤	خالد بن عتبة الهنلي
٥٣١ ، ٣٦٣ ، ٣٦٢ ، ٣٥٤ ، ٣٢٨	خالد بن معدان الكلاعي
٥٢٦ ، ٣٣٥ ، ١٦٨ ، ١١١	خالد بن مهران الحذاء
٤٧٨ ، ٤٧٧ ، ٤٥٠ ، ٣٩٢ ، ١٦٩ ، ٨٠	خالد بن الوليد
٤١٢	خباب بن عروة
٤٨٣	خلف بن خليفة
٢٧٤ ، ٢٦٥	خليفة بن خياط الشيباني المصفرى
١٧١	خير بن نعيم الحضرمي
٢٦١	خير الدين الزركلي
٣٩٣	الخطابي

الخطيب البغدادي (أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد البغدادي) ١٠٤ ، ١٠٣

٢٨٢ ، ٢٧٩ ، ٢٧٧ ، ٢٦٧ ، ٢٠٥ ، ١٢٩ ، ١٠٩ ، ١٠٦

٥٣٥ ، ٤٨٣ ، ٣٧٨ ، ٣٦٦ ، ٣٢١ ، ٣١٥ ، ٢٨٧

٢٩٠

الخليلي

(د)

٣١٠

وانيال

٥٢٦

داود بن أبي هند

٢٧٨

دوجونغ

٣٧٧

دوزي

٥٠٧

دى فوجي

الدارامي = عثمان بن سعيد

٥٠٥

الدميري

الدولابي (محمد بن أحمد) ٢٨١ ، ٢٧٦

(ذ)

ذكران مولى عمرة بنت عبد الرحمن ٤٧٥

الذهبي (شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد) ١٠٦ ، ١٠٧ ، ١٠٨ ،

١١٢ ، ١١٣ ، ١١٧ ، ١٢٢ ، ١٥٦ ، ٢٦٢ ، ٢٧١ ، ٢٧٤ ،

٢٧٨ ، ٢٨١ ، ٢٨٦ ، ٣٦٤ ، ٣٦٥ ، ٣٦٦ ، ٤٣٤ ، ٤٦٦ ،

٤٩٤ ، ٤٩٩ ، ٥٠٤

الذملي (محمد بن يحيى) ٤٩٩ ، ٥٠٠

(ر)

دافع بن خديج ٣٠٤ ، ٣٠٦ ، ٥١٦

ربيعه بن عبد الرحمن ٤٧٢

ربيعه بن عمرو الجرشي ٤٧٥

رجاء بن حيوة ١٢٩ ، ١٧٠ ، ١٨٠ ، ٢٢٨ ، ٣٢٧ ، ٤٢٦

رفاعة بن رافع ١٧٣

رفاعة القرظي ٦٢

الراهمرمزي (أبو محمد الحسن بن عبد الرحمن بن خلاد) ١١٠ ، ١٢٩ ، ١٣٣ ،

١٥٩ ، ٣٠٧ ، ٣٣٦ ، ٣٦٦ ، ٤٥٩

الربيع بن خثيم ١٦٧ ، ٢٢٢ ، ٢٤٧

الربيع بن صبيح ٣٣٧

(ز)

زائدة بن قدامة ٥١٤ ، ٣٥٩ ، ٣٧٩

زدر بن حبش ١٨٠

زدرارة بن أبي أوفى ١٣١

زكريا الأنصاري ٤٤٨

زهير بن معاوية ٢٦٦

زياد بن أبي سفيان ٣١٩

زيد بن أنعم المعافري ١٧٣

زياد بن الحارث الصدائي ١٧٠

٤٢٨
 ١٢٧، ٩٥
 ٢٣٣
 ٤٢٩
 ٤٧٠، ٤٢٩، ٣٥٨
 ٣٢٤، ٣١٣، ٣٠٢، ١٦٥، ١٣٦، ٣٩
 ٤٨٧، ٤٨٥، ٤٨٠، ٤٣٣، ٤٢١، ٤٢٠
 ٥٢٦، ٥٢٢
 ٥١٨، ٤٧٥، ٨٣
 ٥١٦
 ٣٧١، ٣٧٠، ٣٦٩، ٣٦٨، ١٩٦، ١٩٠
 ٥٣٢، ٣٨١، ٣٧٣، ٣٧٢
 ٢٢٩
 ٤٨٧
 ٨٩
 ٤٤٤، ١٧٠، ١١٦، ٩٤، ٩٢

(س)

٤٧٠
 ٤٧٠، ٣٤٥، ٢٢٤، ١٦٥، ٨٨، ٦٦، ٧
 ٥١٩، ٥١٦، ٤٩٧، ٤٩٠، ٤٨١
 ١٦٩
 ١٦٦
 ٤١٢
 ٣٤٧
 ١٧٣
 ١٠٩، ١٠٦

زياد بن مينا
 زيد بن أرقم
 زيد بن أبي أنيسة
 زيد بن أبي عتاب
 زيد بن أسلم
 زيد بن ثابت

زيد بن خالد الجهني
 زيد بن عبد الله بن عمر
 زيد بن علي

زيد بن وهب
 زينب بنت أبي سلمة
 الزبير بن عري
 الزبير بن العوام

سالم بن أبي الجعد
 سالم بن عبد الله بن عمر

سالم بن عبد الله المحارب
 سالم مولى أبي حذيفة
 سباع بن عرفة
 سبيعة الأسلمية
 سخاوي بن سعيد
 سعد بن إبراهيم

٥٧ ، ٩٤ ، ١١٦ ، ١٣١ ، ١٦٧ ، ٤٧٥ ،

٤٨٥ ، ٥٢٢

٢٩٩

٢٤١ ، ٢١٧

٢٤٦

٢٤٦

٢٣٧

٨٧ ، ٨٨ ، ١٥١ ، ١٦٠ ، ١٦٧ ، ٢٣٥ ، ٣١٣ ،

٣١٤ ، ٣٢٥ ، ٤٧٢ ، ٤٧٧

٩٢ ، ١٦٧ ، ٥٢٢

٤٩٤

٣٣٤

٥٢٢

١٧٣

٥٢٢

١٧٢

٧ ، ٨٤ ، ١١٩ ، ١٢٥ ، ١٥٨ ، ١٦٥ ، ١٧٨ ،

٢٢٥ ، ٢٢٨ ، ٢٣٥ ، ٢٢٤ ، ٣٢٥ ، ٣٨٨ ،

٣٨٩ ، ٣٩١ ، ٣٩٣ ، ٤١٤ ، ٤٢٩ ، ٤٣٥ ،

٤٧٠ ، ٤٧٥ ، ٤٧٧ ، ٤٧٨ ، ٤٨٠ ، ٤٨١ ،

٤٨٥ ، ٤٨٦ ، ٤٩٠ ، ٤٩٧ ، ٥٠٤ ، ٥٠٩ ،

٥١٢ ، ٥١٣

٤٢٩

٤٢٩

١٩ ، ١٥٣ ، ١٧٤ ، ١٨١ ، ٢٢٣ ، ٢٢٨ ،

٢٢٩ ، ٢٣١ ، ٢٣٢ ، ٢٣٣ ، ٢٣٤ ، ٢٣٦ ،

سعيد بن أبي وقاص

سعد بن الربيع الخزرجي

سعد بن طريف

سعد بن عبادة الأنصاري

سعد بن معاذ

سعيد بن أبي عروبة

سعيد بن جبير

سعيد بن زيد بن عمرو

سعيد بن عبد الرحمن

سعيد بن عبد العزيز

سعيد بن عمرو

سعيد بن محمد الحداد

سعيد بن مسروق الثوري

سعيد بن مسعود التجيبي

سعيد بن المسيب

سعيد المقبري

سعيد بن يسار

سفيان بن سعيد الثوري

٥٢٤، ٥٢٣، ٣٧٩، ٣٥٩، ٣٣٧، ٣٣٥، ٢٨٣
 ، ٢٣٦، ٢٣٤، ٢٢٤، ١٣٢، ١٢٩، ١٢٨
 ٥٣٤، ٥٢٣، ٤٩٨، ٤٨٧، ٤٣٥، ٢٨٣

سفيان بن عيينة

٥١٤ سليمان الأغر

٥٢٤ سلمان الفارس

١٧٢ سلة بن الأكوع

سليمان بن أيوب (صاحب البصري) ٢٥٨

٢٥٩ سليمان بن بلال

٤٧٢ سليمان التيمي

٣٣٩ سليمان بن الجارود الطيالسي

٤٣٥ سليمان بن داود

٢٤٨ سليمان بن سمرة بن جندب

٥١٩ سليمان بن عبد الملك

١١١، ١٢٩، ١٥٢، ١٥٣، ١٥٥، ١٥٨، ٢٢٣، ٢٢٤، ٢٢٥، ٢٢٩، ٢٣٦، ٣٥٤

٥٢٧، ٥٢٢، ٥٢١، ٥٢٠، ٥١٦، ٤٨٣، ٣٦١

١٢٤ سليمان بن موسى

١٧١، ١٧٢، ٤٢٩، ٤٨٨، ٤٩٠، ٥٠٩

سليمان بن الأشعث السجستاني (أبو داود) ٣٣٩

٣٥٣ سليمان اليشكري

٥٢٢، ٥٢٠ سمك بن حرب

٣٤٨، ٢٢٥ سمرة بن جندب

٤٩٠، ٤٦٥ سهل بن سعد

٣٧٦ سوفاجيه

٢٤١، ٢١٧ سيف بن عمر التيمي

١٧٢، ٤٥٧، ٤٥٩، ٤٧٥، ٤٨٤، ٤٩٧ السائب بن عامر بن هشام

٩٤ ، ٨١	السائب بن يزيد
٢٣٥ ، ٢٣٤	السخاوي
٢٥٩	السكري (أبو حمزة)
١٦٩	السمعاني
٢٩٠	السمهودي
٢٠٤ ، ١٣٥	السيوطي (جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي)
٣٦٥ ، ٣٦٤ ، ٢٩٠ ، ٢٨٨ ، ٢٧٥ ، ٢٧٣ ، ٢٦٤ ، ٢٦٣	
٤٩٧ ، ٢٦٦	

(ش)

٤٥٦ ، ٤٣٧ ، ٢٧٨ ، ٢٣٨	شبر نجر
٥٠٥	شرحبيل بن أبي عون
١٦٩	شرحبيل بن حسنة
٥٢٠	شريح القاضي
٢١٢ ، ١٦١ ، ١٥٤ ، ١٢٥ ، ١١٠ ، ١٠٧	شعبة بن الحجاج
٢٣٣ ، ٢٣٢ ، ٢٣١ ، ٢٣٠ ، ٢٢٩ ، ٢٢٥	
٢٣٥ ، ٢٨٣ ، ٢٤٠ ، ٢٣٧ ، ٢٣٦ ، ٢٣٤	
٥٢٢ ، ٥١٤ ، ٣٨٩ ، ٣٥٩ ، ٣٥٩ ، ٣٥٣	

٤٢٩	شفي بن مائع
٤٢٩	شهر بن حوشب
٢١١	شقيق
٢١٠ ، ١٩٧ ، ١٣٣ ، ١٣٢ ، ١٢٠	الشافعي (الإمام محمد بن ادریس)
٥٠٩ ، ٤٣٣ ، ٢٧٢ ، ٢٣٧ ، ٢٣٠	

٣٠٠	الشفاء بنت عبد الله
-----	---------------------

(ص)

٢٨٣	صالح بن أحمد بن خنبل
٥١٩ ، ٥١٨ ، ٥١٦ ، ٤٩٨ ، ٤٩١	صالح بن كيسان
٣٧٧	صبيح الصالح

صخر بن جويريه ٤٩٨

صفوان بن عسال المرادي ١٨٠ ، ٤٤

صفوان بن عيسى ١١٤

(ض)

ضراد بن مرة ١٥٨

ضمام بن ثعلبة ٢٩٢ ، ١٧٦ ، ٧٤ ، ٦٤ ، ٦٣

الضحاك بن سفيان ١١٩

الضحاك بن مزاحم ٣٣٣ ، ٣٢٦ ، ٣٠١

الضحاك بن قيس الفهري ١٩٠

(ط)

طارق بن شهاب ٤٨٠

طاوس بن كيسان ١٢٠ ، ١٢٤ ، ١٢٩ ، ١٦٦ ، ١٧٣ ، ٢٢٢ ،

٤٧٧ ، ٢٣٧

طلحة بن عبد الملك ١٢٩

طلحة بن عبيد الله ٤٧٨ ، ٤٢٣ ، ٤٢٥ ، ١١٦

طلحة بن نافع ٣٥٣

الطبراني ٢٨٧

الطبري ٥٠٥ ، ٥٠٤

الطفاوي ٤١٥

الطفيل بن عمرو الدوسي ٤١٢

(ع)

عائشة بنت أبي بكر أم المؤمنين ٦ ، ٥١ ، ٥٤ ، ٦٠ ، ٦٢ ، ٦٤ ، ٦٩ ،

١٢٣ ، ١٣١ ، ١٣٢ ، ١٣٦ ، ١٤٦ ، ١٥٧ ،

١٦٥ ، ٢٢٤ ، ٢٣٥ ، ٣٠٩ ، ٣١٨ ، ٣١٩ ،

٣٣١ ، ٣٨٥ ، ٤٠٨ ، ٤١٨ ، ٤١٩ ، ٤٢١ ،

٤٢٤ ، ٤٢٩ ، ٤٣٢ ، ٤٤٨ ، ٤٤٩ ، ٤٥١ ،

٤٥٥ ، ٤٦١ ، ٤٦٢ ، ٤٦٣ ، ٤٦٤ ، ٤٦٩ ،

٤٧٤ ، ٤٧٥ ، ٤٨٥ ، ٤٨٧ ، ٤٩٧ ، ٥٠٩ ،

٥١٦ ، ٥١٨ ، ٥١٩ ، ٥٢٠ ، ٥٢٢ ، ٥٢٤ ،

١٦٨ ، ٢١١

٣٧٩

١٧٢

٧ ، ٩٣ ، ١٠١ ، ١١٠ ، ١٣٢ ، ١٣٦ ، ١٥٤ ،

١٦٧ ، ١٧٨ ، ١٧٩ ، ١٩٦ ، ٢١١ ، ٢٢٢ ،

٢٢٨ ، ٢٣٠ ، ٢٣٤ ، ٢٣٥ ، ٢٢٣ ، ٢٢٥ ،

٢٣٨ ، ٢٥٢ ، ٢٦٨ ، ٢٩٣ ، ٤٢٩ ، ٤٤٩ ،

٤٧٩ ، ٤٨١ ، ٥٢٠ ، ٥٢٢ ، ٥٢٣ ، ٥٢٤ ،

٥٢٦ ، ٥٢٧

٢٣١

٨٨ ، ٨٩ ، ١٦٨ ، ١٧٠ ، ٢٣٥ ، ٥٢٢ ،

٢٨٣

٤٠٠ ، ٤٣٧ ، ٤٣٨ ، ٤٣٩ ، ٤٤٠ ، ٤٤١ ،

٤٤٢ ، ٤٤٤ ، ٤٤٦ ، ٤٤٧ ، ٤٤٨ ، ٤٥١ ، ٤٥٦ ،

٤٥٧ ، ٤٦٤

٣٠١

٥١٤

٢٨٩

٨٤

٤٥٩

١٧٢ ، ٣١٢

٤٧٨

٣٢٥

عاصم بن سليمان الاحول

عاصم بن ضمرة

عاصم بن عمر بن الخطاب

عامر بن شراحيل الشعبي

عباد بن عباد

عبادة بن الصامت

عباس الدوري

عبد الحسين شرف الدين

عبد الحكم بن عمرو الجحفي

عبد الحميد بن جعفر

عبد الحفي الكنوي

عبد خير بن يزيد الخيواني

عبد الرحمن بن أبي الزناد

عبد الرحمن بن الأسود

عبد الرحمن بن جابر

عبد الرحمن بن حرملة

- عبد الرحمن بن رافع التنوخي ١٧٢
 عبد الرحمن بن الزبير ٦٢
 عبد الرحمن بن زياد ١٧٣
 عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب ١٧٢
 عبد الرحمن بن سمرة ١٦٨
 عبد الرحمن بن شريح العافقي ١٧١
 عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود ٣١٣ ، ٣٤٥ ، ٣٥٩
 عبد الرحمن بن عمرو الأوزاعي ١٩ ، ٢٠ ، ١٧٠ ، ١٨١ ، ٢٢٣ ، ٢٢٨
 ٢٣٦ ، ٢٣٤ ، ٢٣٧ ، ٤٩٤ ، ٤٩٨ ، ٥١٠
 ٥١٦ ، ٥٢٦
 عبد الرحمن بن عوف ٨٣ ، ١١٥ ، ١٢٠ ، ١٢١ ، ١٤٦ ، ٤٧٣ ، ٤٧٧
 عبد الرحمن بن غنم ١٦٩
 عبد الرحمن بن القاسم ٢٢٤
 عبد الرحمن بن أبي ليلى ٩٤ ، ٩٥ ، ١٤٩ ، ١٦ ، ١٦١ ، ١٨٠ ، ١٨١
 ٣٤٤ ، ٤٧٠ ، ٥١٦
 عبد الرحمن بن مهدي ١٩ ، ١٩٤ ، ٢٠٥ ، ٢١٥ ، ٢٣١ ، ٢٣٣
 ٢٣٤ ، ٢٨٣
 عبد الرحمن بن هرمز (الأعرج) ٣٢٧ ، ٤٢٩ ، ٤٣٥ ، ٤٩٠ ، ٥٢٧
 عبد الرحمن بن يحيى الملقب بالثاني ١٣٩ ، ١٤٠
 عبد الرحمن بن يزيد الأزدي الداراني ١٦٩ ، ٢٧٨ ، ٢٨٧
 عبد الرحمن بن يزيد بن جابر ١٧٠
 عبد الرحمن بن يزيد النخعي ٥٢٠ ، ٥٢٤
 عبد الرزاق بن همام بن نافع الحيري ١٧٣ ، ٢١١ ، ٢٣٠ ، ٢٥٧ ، ٥٣٤
 عبد السلام بن عبد الله (ابن تيمية) الحراfi = ابن تيمية
 عبد العزيز بن أبي حازم ٣٥٩
 عبد العزيز شرف ٥٣٧
 عبد العزيز بن صهيب ٤٧٢

- عبد العزيز بن عبد الله الماجشون ٣٥٩
عبد العزيز بن مروان بن الحكم ٣٧٣ ، ٣٧٤ ، ٤٢٩ ، ٤٩٠ ، ٥١٨ ، ٥٣٢
عبد الغنى بن سعيد الأزدي ٢٧٧ ، ٢٧٨ ، ٤٨٣
عبد الغنى بن عبد الواحد المقدسي ٢٦٩ ، ٢٧٠
عبد القادر بدران ٢٦٨
عبد القادر البغدادي ١٤١
عبد القيس ٧٤ ، ٤٠
عبد الكريم بن أبي العوجاء ٢٠٤ ، ٢١٧ ، ٢١٩ ، ٢٣٩
عبد الكريم بن محمد بن أبي المظفر السمعاني ٢٨٠
عبد الكريم بن محمد القزويني ٢٦٩
عبد الكريم بن منصور السمعاني ٢٦٩
عبد الله بن أبي بن سلول ٥٠٩
عبد الله بن أحمد ٣٠٥
عبد الله بن أبي أوفى ٢٠١ ، ٣٤٦ ، ٤٨٤
عبد الله بن أبي بكر بن حزم ٤٩٠
عبد الله بن أبي بكر ١١٤
عبد الله بن الأرقم ٤٨٧
عبد الله بن إدريس ٢٧٩
عبد الله بن أنيس ١٧٧ ، ٢٢٧ ، ٤٧٨
عبد الله بن جراد ١٩٩
عبد الله بن جعفر ١٧١ ، ٢٠
عبد الله بن الحارث بن جزء ١٧٠ ، ٤٨٤
عبد الله بن الحارث بن نوفل ٤٧٧ ، ٤٩٠
عبد الله بن حكيم ٤٧٥
عبد الله بن خازن الأسلي ١٧٣ — ١٧٤
عبد الله بن خنيس ٣٣٠
عبد الله بن دينار ١٢٥ ، ٤٧٠

عبد الله بن ذكوان القرشي ٣٣٠

عبد الله بن الزبير

٩٤ ، ١٧١ ، ١٩٠ ، ٣٨٨ ، ٤٢١ ، ٥٤٤ ،

٤٧١ ، ٤٨٩ ، ٥٠٢ ، ٥٠٣ ، ٥٠٥ ، ٥٠٧ ،

٥٠٨ ، ٥١٢ ، ٥١٣

عبد الله بن رباح ٤٧٢

عبد الله بن سعد بن أبي سرح ١٧٠ ، ١٧١

عبد الله بن سعد مولى عائشة ٤٢٩

عبد الله بن السعدى ٨١

عبد الله بن سلام ٢٣٥

عبد الله بن سليمان الطويل ١٧١

عبد الله بن الشيخير ١٦٨

عبد الله بن شداد ١٦١

عبد الله بن طاهر ٢٦٥

عبد الله بن عامر اليحصبي ١٠٤

عبد الله بن عباس

٦ ، ٣٨ ، ٥٢ ، ٨٨ ، ٩٠ ، ١٢٠ ، ١٣٦ ،

١٤٤ ، ١٤٦ ، ١٤٨ ، ١٥٧ ، ١٦٠ ، ١٦١ ،

١٦٦ ، ١٦٧ ، ١٧١ ، ٢٠١ ، ٢١٥ ، ٢١٧ ،

٢٢٢ ، ٢٢٧ ، ٢٣٥ ، ٣٠٥ ، ٣٠٩ ، ٣١٣ ، ٣١٩ ،

٣٢١ ، ٣٢٤ ، ٣٥٢ ، ٣٨٥ ، ٣٨٨ ، ٤٠٦ ،

٤٢١ ، ٤٢٨ ، ٤٢٩ ، ٤٣٣ ، ٤٤٤ ، ٤٤٩ ،

٤٥٠ ، ٤٦٤ ، ٤٦٩ ، ٤٧٥ ، ٤٧٦ ، ٤٧٧ ،

٤٨٠ ، ٤٨٥ ، ٤٨٧ ، ٤٩٣ ، ٤٩٦ ، ٥١٨ ،

٥٢٣ ، ٥٢٦

عبد الله بن عبد الله بن أويس ٣٥٩

عبد الله بن عبد الله بن عمر ٤٧٠ ، ٤٩٠ ، ٥١٦

عبد الله بن عتبة الهذلي ٤٢٩ ، ٣٤٧

عبد الله بن عروة بن الزبير ٤٨٨

٣٤٤

عبد الله بن عكيم

عبد الله بن علي اللخمي الرشاطي ٢٧٩ ، ٢٨٠

عبد الله بن عمر

١٢١ ، ٩٤ ، ٩٣ ، ٩٠ ، ٨٩ ، ٨٨ ، ٨٧ ، ٨٥ ، ٦٦ ، ٦

٢٢٤ ، ١٦٥ ، ١٤٦ ، ١٣٦ ، ١٢٧ ، ١٢٥

٣٤٤ ، ٣٢٥ ، ٣٢٠ ، ٣١٤ ، ٣١٢ ، ٣١١

٤٢٨ ، ٤٢٤ ، ٤١٩ ، ٣٨٥ ، ٣٥٨ ، ٣٥٢

٤٦٩ ، ٤٦٤ ، ٤٦٣ ، ٤٦١ ، ٤٣٢ ، ٤٢٩

٤٨٥ ، ٤٨٠ ، ٤٧٧ ، ٤٧٥ ، ٤٧١ ، ٤٧٠

٥١٨ ، ٥١٧ ، ٥١٦ ، ٤٩٣ ، ٤٩٠ ، ٤٨٧

٥٣٤ ، ٥٢٦ ، ٥١٩

عبد الله بن عمرو بن ثعلبة بن الحكم الليثي ٤٧٧

عبد الله بن عمرو بن العاص ٩٠ ، ٩١ ، ١٧٠ ، ١٧١ ، ١٩٤ ، ٣٠٢

٣١٩ ، ٣٠٨ ، ٣٠٧ ، ٣٠٦ ، ٣٠٤ ، ٣٠٣

٣٥٦ ، ٣٥٢ ، ٣٥١ ، ٣٤٩ ، ٣٤٨ ، ٣٤٣

٤٣١ ، ٤٢٣ ، ٣٨١ ، ٣٦٧ ، ٣٦٣ ، ٣٥٧

٥٣١ ، ٤٥٥ ، ٤٥٤ ، ٤٤٩ ، ٤٤٨

٣٢٣ ، ١٦٨ ، ١٦١ ، ١٣٢ ، ١٢٩ ، ١٢٥

٥٢٦ ، ٥٢٢ ، ٥٢٠ ، ٥١٦ ، ٤٣٥

عبد الله بن عون

٣٦٢

عبد الله بن عيسى المروزي

عبد الله بن المبارك ١٩٦ ، ٢٢٠ ، ٢٢٣ ، ٢٢٤ ، ٢٣٦ ، ٢٣٧ ، ٣٥٩ ، ٥٣٤

عبد الله بن محمد بن أبي بكر الصديق ٤٧٥ ، ٥١٦

عبد الله بن محمد بن الأصهباني ٣٧٥

عبد الله بن محمد بن الحنفية ٤٩٠

عبد الله بن محمد السندی ١٧٤

عبد الله بن مسلم الزهري ٣٢٨ ، ٤٩٨

عبد الله بن مسعود ٢٠ ، ٤٠ ، ٤٨ ، ٥٨ ، ٩٣ ، ٩٦ ، ١٠٦

١٠٧ ، ١٠٨ ، ١٠٩ ، ١١٠ ، ١٣٠ ، ١٣٢ ،

١٤٧ ، ١٥٣ ، ١٦٦ ، ١٦٧ ، ١٧٩ ، ٢٠٣ ،

٢٢٤ ، ٢٣٥ ، ٢٤٦ ، ٢٤٧ ، ٣١١ ، ٣١٢ ،

٣١٧ ، ٣٢١ ، ٤٧٠ ، ٤٧٢ ، ٤٩٧ ، ٥٢٤ ،

٨٧ ، ٤٠١

عبد الله بن مغفل

عبد الله بن نافع مولى ابن عمر ٥١٦

٢٣٨

عبد الله بن وهب

٢٣٠

عبد الملك بن إبراهيم الجدي

٤٩٨

عبد الملك بن جريج

١٦٧ ، ٥١٤

عبد الملك بن عمير

١٥١ ، ١٧٢ ، ١٩٠ ، ٤٨٩ ، ٤٩٠ ، ٤٩٥ ،

عبد الملك بن مروان

٥٠١ ، ٥٠٣ ، ٥٠٤ ، ٥٠٥ ، ٥٠٦ ، ٥٠٧ ،

٥٠٨ ، ٥١١ ، ٥١٢ ، ٥١٣ ، ٥١٤ ، ٥١٥ ،

٣٢٧

عبيد الله بن أبي رافع

عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود ٧ ، ١٠٠ ، ١٦٥ ، ٤٨١ ، ٤٩٠ ،

٤٩٦ ، ٥٠٩ ، ٥١٨

٣٩٠ ، ٥١٦

عبيد الله بن عبد الله بن عمر

٢٠٤

عبيد الله بن عمرو

٢٣٤

عبيد الله بن معاذ المنبري

٣٣٩

عبيد الله بن موسى العبسي

٤٥٩

عبيد الله بن هارون بن عيسى

١٢٧ ، ١٥٧

عبد الله بن عمير

٤٥٥

عبيدة بن سفيان الحضرمي

١٨٠ ، ٢٢٨ ، ٢٢٢ ، ٤٩٦

عبيدة السلماني

١٦٦ ، ٤٠١

عتاب بن أسيد

١٦٨

عتبة بن غزوان

٣١١

عتبة بن فرقد

عثمان بن أبي شيبة ٥١٤ ، ٢٣٩
 عثمان بن سعيد الدارمي ٥١٤ ، ٤٥٩
 عثمان بن أبي طلحة ١٦٦
 عثمان بن أبي العاص ١٦٨
 عثمان بن أبي اليقظان ٢٤٠
 عثمان بن عروة بن الزبير ٤٨٨
 عثمان بن عفان

٥٧ ، ٥٨ ، ٨٣ ، ٨٤ ، ٩٧ ، ١١٦ ، ١٢١ ،
 ١٢٣ ، ١٤٤ ، ١٤٦ ، ١٦٣ ، ١٦٥ ، ١٧١ ،
 ١٨٧ ، ١٨٨ ، ١٨٩ ، ١٩٥ ، ١٩٩ ، ٢٠١ ،
 ٢٠٣ ، ٢٢٠ ، ٣١٥ ، ٣٤٥ ، ٣٩٣ ، ٤١٦ ،
 ٤١٧ ، ٤١٩ ، ٤٢٨ ، ٤٤٣ ، ٤٤٥ ، ٤٥٠ ،
 ٤٥٥ ، ٤٥٩ ، ٤٦٠ ، ٤٦١ ، ٤٦٤ ، ٤٦٩ ،
 ٤٧٢ ، ٤٧٧ ، ٤٨٠ ، ٤٨٥ ، ٤٨٧ ،
 ٥٢٦ ، ٥٢٤

عدي بن زيد العبادي
 عروة بن الزبير

٢٩٥
 ٧ ، ٦٢ ، ٨٨ ، ١٣١ ، ١٤٩ ، ١٦٥ ، ١٩١ ،
 ٣١٠ ، ٣١٨ ، ٣٥٤ ، ٤٢٩ ، ٤٤١ ، ٤٦٢ ،
 ٤٧٠ ، ٤٧٤ ، ٤٧٥ ، ٤٨١ ، ٤٨٧ ، ٤٩٠ ،
 ٤٩٢ ، ٤٩٣ ، ٤٩٧ ، ٥٠٤ ،
 ٥٠٩

عروة بن الوليد
 عطاء بن أبي رباح

١٥١ ، ١٦٦ ، ١٧٦ ، ٢٢٧ ، ٤٢٩ ، ٤٧٠ ،
 ٤٧٧ ، ٤٨٠ ، ٤٨٦ ، ٤٩٠ ، ٤٩٨

عطاء (بن أبي مسلم) الخراساني ٨٤

عطاء بن يزيد ٢٢٨ ، ١٨٠
 عطاء بن يسار ٤٢٩ ، ٢٩٣ ، ١٦٠
 عقبة بن عامر الجهني ٢٢٧ ، ١٧٦ ، ١٧٠
 عقبة بن نافع ١٧٧ ، ١٧١

عقيل بن جابر بن عبد الله الأنصاري ٤٧٨

عقيل بن خالد بن عقيل ٣٥٨

عكاشة بن محسن ٣٩٣

عكرمة بن عبد الله مولى ابن عباس ١٤٤ ، ١٦٦ ، ١٧٢ ، ٢١٥ ، ٢١٧ ، ٤٧٧

عكرمة بن عمار ٣٧٩

علقمة بن قيس النخعي ١٤٩ ، ١٨٠ ، ٢٢٨ ، ٣١٢ ، ٤٧٥ ، ٤٨١ ، ٥٢٥ ، ٥٢٤ ، ٥٢٠ ، ٤٩٧

علقمة بن وقاص الليثي ٤٧٠ ، ٥٠٩

علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب (زين العابدين) ١٢٠ ، ٤٩٦

علي بن ربيعة ٨٤

علي بن أبي طالب

٢٠ ، ٥٧ ، ٦٢ ، ٦٣ ، ٦٦ ، ٧١ ، ٨٤ ، ٨٦ ،

٩٦ ، ٩٨ ، ١١٦ ، ١٢٢ ، ١٢٣ ، ١٤٧ ، ١٥٦ ،

١٦٥ ، ١٦٧ ، ١٨٧ ، ١٨٨ ، ١٨٩ ، ١٩٥ ،

١٩٦ ، ١٩٧ ، ١٩٨ ، ١٩٩ ، ٢٠١ ، ٢٠٣ ،

٢٢١ ، ٢٢٤ ، ٢٢٥ ، ٢٢٧ ، ٢٣٥ ، ٢٤٥ ،

٢٤٦ ، ٣١٢ ، ٣١٧ ، ٣٢١ ، ٣٤٥ ، ٣٦٧ ،

٣٦٩ ، ٣٧١ ، ٣٧٢ ، ٣٧٣ ، ٣٩٣ ، ٣٩٥ ،

٤٣٩ ، ٤٤١ ، ٤٤٢ ، ٤٤٣ ، ٤٤٤ ، ٤٤٥ ،

٤٤٦ ، ٤٤٩ ، ٤٥٣ ، ٤٥٥ ، ٤٦٠ ، ٤٦١ ،

٤٦٤ ، ٤٧٧ ، ٤٧٨ ، ٤٨٠ ، ٤٨٥ ، ٤٨٧ ،

٤٩٦ ، ٥٠٩ ، ٥٢٢ ، ٥٢٤

٤

علي حسب الله

٢٤٩ ، ٥٠٣

علي حسن عبد القادر

٢٣٣ ، ٢٦١ ، ٢٧٦ ، ٢٨١ ، ٢٨٣ ، ٣٦٠ ،

علي بن عبد الله المديني

٣٦١ ، ٤١٩ ، ٤٣٤ ، ٤٨٥ ، ٤٩٦

علي بن محمد الشيباني الجزري ٢٨٠

علي بن محمد بن عراق الكنتاني ٢٨٨

علي بن مسهر ٤٧٤

عمار بن ياسر ٤٧٨

عمر بن أبي عيسى الأصهباني ٢٧٩

عمر بن أحمد بن عثمان بن شاهين ٢٨٥

عمر بن بندر الموصلي الحنفي ٢٨٨

عمر بن الحارث ١٧١

عمر بن الخطاب

١٩ ، ٢٠ ، ٥٩ ، ٦١ ، ٦٥ ، ٦٦ ، ٨١ ، ٨٢ ،

٨٣ ، ٨٦ ، ٨٨ ، ٨٩ ، ٩٠ ، ٩٢ ، ٩٦ ، ٩٧ ،

٩٨ ، ٩٩ ، ١٠٠ ، ١٠١ ، ١٠٢ ، ١٠٣ ،

١٠٤ ، ١٠٥ ، ١٠٦ ، ١٠٧ ، ١٠٨ ، ١٠٩ ،

١١٠ ، ١١٣ ، ١١٤ ، ١١٥ ، ١١٧ ، ١١٩ ،

١٢٠ ، ١٢١ ، ١٢٧ ، ١٤٤ ، ١٤٦ ، ١٤٧ ،

١٦٥ ، ١٦٧ ، ١٦٨ ، ١٦٩ ، ١٧٠ ، ١٧١ ،

١٩٩ ، ٢٠٠ ، ٢٠١ ، ٢٠٣ ، ٢٢٥ ، ٢٣٥ ،

٢٣٦ ، ٣٠٥ ، ٣١٠ ، ٣١١ ، ٣١٦ ، ٣١٧ ،

٣٤٤ ، ٣٤٥ ، ٣٦٦ ، ٣٩٢ ، ٣٩٣ ، ٣٣٥ ،

٤٠٣ ، ٤٠٨ ، ٤١٥ ، ٤١٦ ، ٤٢٢ ، ٤٢٨ ،

٤٢٩ ، ٤٣١ ، ٤٣٨ ، ٤٤٣ ، ٤٤٩ ، ٤٥٥ ،

٤٥٦ ، ٤٥٧ ، ٤٥٨ ، ٤٥٩ ، ٤٦٠ ، ٤٦١ ،

٤٦٤ ، ٤٦٩ ، ٤٧٠ ، ٤٧١ ، ٤٧٢ ، ٤٧٥ ،

٤٧١ ، ٤٧٧ ، ٤٧٨ ، ٤٨٠ ، ٤٨٥ ، ٤٨٧ ،

٤٩٧ ، ٥١٣ ، ٥٢٢ ، ٥٢٤

- عمر بن خلده ٤٢٩
عمر بن عبد العزيز ١٦٩ ، ١٧٠ ، ١٧٢ ، ٢٢٦ ، ٢٢٨ ، ٢٢٩ ،
٢٣٠ ، ٢٣٢ ، ٢٤١ ، ٢٤٥ ، ٢٥٧ ، ٢٦٣ ،
٢٦٤ ، ٢٦٥ ، ٢٦٦ ، ٢٦٨ ، ٢٧٥ ، ٢٧٦ ،
٤٨٥ ، ٤٨٧ ، ٤٩٣ ، ٤٩٤ ، ٤٩٨ ، ٥١٧ ،
٥١٨ ، ٥٢٣ ، ٥٣٠ ، ٥٣٢
- عمر بن عبد الله بن عروة بن الزبير ٤٨٨
عمر بن عبد المجيد المياجي ١١٨
عمر كحالة ٢٦١
عمر بن نافع مولى عبد الله بن عمر ٥١٦
عمران بن أبي أنس ٥١٤
عمران بن حدير ٢٣٢
عمران بن حصين ١٦٨ ، ٧٩
عمران بن عبد المعافى ١٧٣
عمران (بن مسلم) القصير ١٣١
عمرة بنت عبد الرحمن ٢٢٩ ، ٢٣١ ، ٤٧٥ ، ٤٨٧ ، ٤٩٠ ،
عمرو بن أمية الضمري ٣١٨
عمرو الأنماطي ٢٣١
عمرو بن أبي سفيان ٣١٦
عمرو بن حريث ٤٨٣
عمرو بن حزم ٣٠٥ ، ٣٤٧
عمرو بن خالد الواسطي ٢٦٩ ، ٢٧٠ ، ٢٧١
عمرو بن دينار ١٣٢ ، ٣٦٠ ، ٤٢٩ ، ٤٧٦ ، ٤٧٧ ، ٤٧٨ ،
٤٨٦ ، ٤٩٣ ، ٤٩٨ ، ٥١٩

- عمرو بن راشد بن مسلم الكثناني ١٧٣
 عمرو بن رفاعه بن التابوت ٢٠٢
 عمرو بن زرارة (الكاتب) ٢٩٥
 عمرو بن شعيب ٣٤٩
 عمرو بن العاص ١٤٨ ، ١٧٠ ، ١٧١ ، ١٩١ ، ٢٠٢ ، ٣٩٢ ، ٤٤١
 عمرو بن علي الفلاس ٢٨٣ ، ٢٨١
 عمرو بن مرة ١٣٢
 عمرو بن المهلب الأزدي ١٥٤
 عمرو بن ميمون الأودي ٩٣ ، ٢٢٢ ، ٤٧٥
 عمير بن هاني العنسي الداراني ١٦٩
 عوج بن عنق الطويل ٢٤٣
 عوف بن أبي جميلة العبدى ٣٥٨
 عوف بن مالك الأشجعي ١٦٩
 عون بن عبد الله ٣٢٦
 عياض بن أبي سرح ٤٨٠
 عياض بن غنم ١٦٩
 عيسى عليه السلام ٩
 عيسى بن موسى غنجار ١٧٤
 عيسى بن ميمون ٢٣١
 عيسى بن يونس ٣٧٩ ، ١٨١
 العباس بن عبد المطلب ٩٢ ، ١١٤ ، ٢١٧
 العباس بن الوليد الحلال الدمشقي ٥١٠
 العجلوني الجراحي ٢٩٠

٢٣٩ ، ٣٨٨ ، ٣٨٩ ، ٤٨٣

العراق

١٩ ، ٧٨ ، ١٦٩

العرباض بن سارية

٢٨١ ، ٢٨٧

العقيلي

٤١٥ ، ٤٢٠

العلاء الحضرمي

١٢٦

العلاء بن سعد

(ع)

٢٥٤ ، ٢٥٥ ، ٢٥٦ ، ٥٢٩

عاستون ويت

٢١٧

غياث بن إبراهيم

٢٩٠

الغزي العامري

(ف)

٥١٨

فاطمة بنت قيس

فاطمة بنت محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ٨٠ ، ١٩٩ ، ٢٢١ ، ٢٦٩ ،

٤٧٢ ، ٤٧٥

٨٢

فروخ مولى عثمان

١٢٣

الفريرة بنت سنان

الفضل بن العباس بن عبد المطلب ١٦٩ ، ٤٢٩ ، ٤٧٧

الفضيل بن حسن بن عمرو بن أمية الضمري ٣٤٧

(ق)

٢٨٦

قاسم بن قطلوبغا

١١٢ ، ٤٢٩ ، ٥٠٤ ، ٥١٢ ، ٥١٣

قبيصة بن ذؤيب

٥٩ ، ١٣١ ، ١٣٦ ، ١٥١ ، ١٦٨ ، ٢٠١ ،

قتادة بن دعامة السدوسي

٢١٢ ، ٢٢٣ ، ٢٢٥ ، ٢٢٩ ، ٢٢٧ ، ٣٥٣ ،

٣٦٠ ، ٣٩٣ ، ٤٤٩ ، ٤٧٢ ، ٤٧٣ ، ٤٨٥ ،

٤٨٦ ، ٥٢٧

٥١٤ ، ٢٢٢	قتيبة بن سعيد
١٧٤	قثم بن العباس
٥٢٢ ، ١٠١ ، ١٠٠ ، ٩٧	قرظ بن كعب
٥١٤	قزعة مولى زياد
٣٥٥	قيس بن سعد المكي
٥٢٢	قيس بن سعيد بن عبادة
٦٢	قيس بن طلق
١٠٢	قيس بن عبادة
٤١٩ ، ٣٦٦ ، ١٠٠	القاسم بن سلام (أبو عيينة)
٣٧٠ — ٣٦٩	القاسم بن عبد العزيز
٤٢٩ ، ٣٣١ ، ٤٢٩ ، ٣٠٩ ، ١٢٩ ، ٦٠	القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق
٤٧٥ ، ٤٧٧ ، ٤٨٧ ، ٤٩٠ ، ٥١٢ ، ٥١٦	
٥٢٦	

٢٣٩

القسم

(ك)

١٧٩	كثير بن قيس
٥٢٢ ، ٤٢٩ ، ٣٧٥ ، ٣٧٤ ، ٣٧٣	كثير بن مرة الحضرمي
٤٧٧	كريب بن أبي مسلم (مولى ابن عباس)
٢٩٥	كسرى
٨٣ ، ٨٤ ، ٤٢٣ ، ٤٢٩ ، ٤٣٣ ، ٤٥٧ ، ٤٦٤	كعب الجبر
٤٧٧ ، ٤٦٩ ، ٤٦٥	
٤٠٥	سعب بن مالك
١٦٧	كيل بن زيد النخعي

(ل)

١٧١ ، ٢٢٦ ، ٢٦٠ ، ٢٧٣ ، ٣٧٩ ، ٤٩٢ -

الليث بن سعد

٤٩٣ ، ٤٩٤ ، ٤٩٦ ، ٤٩٨ ، ٥١٢ ، ٥١٦

(م)

٢٨٠

مارجنيوس

١٩ ، ٢٠ ، ١٠٠ ، ١٠٢ ، ١٢٠ ، ١٣٠ ، ١٥٩ -

مالك بن أنس

١٧٠ ، ١٩٤ ، ١٩٧ ، ٢٢٤ ، ٢٣٤ ، ٢٣٦ -

٢٣٧ ، ٢٤١ ، ٢٢٧ ، ٢٣٨ ، ٢٥٩ -

٢٧١ ، ٢٧٩ ، ٤٣٥ ، ٤٩٢ ، ٤٩٥ ، ٤٩٧ -

٤٩٨ ، ٤٩٩ ، ٥١٤ ، ٦١٦ ، ٥١٧

١١٥

مالك بن أوس

٥٢٦

مالك بن دينار

٨٣

مالك بن عبد الله الزياتي

مبارك بن محمد (ابن الأثير) = ابن الأثير

١٥٤

مجالد بن سعيد

٨٥ ، ٩٤ ، ١٥١ ، ١٦٦ ، ٢٢٢ ، ٣١٩ -

مجاهد بن جبر

٢٤٨ ، ٢٤٩ ، ٣٥٢ ، ٣٥٦ ، ٤٧٠ ، ٤٧٧ -

٤٨٠

محمد بن عبد الله وسول الله صلى الله عليه وسلم : لم أشر إلى أرقام الصفحات التي تشرفت بذكر اسمه الكريم ، فلا تكاد تخلو صفحة من اسمه صلى الله عليه وسلم .

٢٨٣ محمد بن إبراهيم بن شعيب

٢٨٣ محمد بن أحمد بن البراء

محمد بن أحمد التيمي المغربي الإفريقي (أبو العرب) ٢٧٥

- محمد بن أحمد الحسيني الفاسي المالكي ٢٧٠
 محمد بن أحمد بن حماد بن سعد الأنصاري الدولابي (أبو بشر) ٢٧٦
 محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي = الذهبي
 محمد بن إدريس الشافعي = الشافعي
 محمد بن إسحاق ٢٣٧، ٢١٥
 محمد بن إسحاق بن منده الأصهباني ٢٧٧ - ٢٧٦
 محمد بن اسماعيل البخاري الإمام = البخاري
 محمد بن الأشعث ١٩٠
 محمد بن إياس بن بكير ٤٢١
 محمد الباقر = محمد بن علي
 محمد البشير ظافر المالكي ٢٨٩
 محمد بن جابر بن عبد الله الأنصاري ٤٧٨
 محمد بن جبير بن مطعم ١٩٠
 محمد بن حبان (أبو حاتم البستي) = ابن حبان
 محمد حميد الله ٢٥٦
 محمد بن الحنفية = محمد بن علي
 محمد أبو زهرة ٢٧٠
 محمد رشيد رضا ٥٣١، ٣٦٢
 محمد بن سعد بن منيع (كاتب الواقدي) ٢٢٥، ٢٧٣، ٢٧٤، ٣٥٢، ٢٩١
 ٤٨٨، ٤٩٨، ٥٠٤، ٥١٨، ٥١٩، ٥٢٧
 محمد بن سعيد ٣٤٦
 محمد بن سلام اليكندراني ١٧٤
 محمد الساجي ٤٠١
 محمد بن سودة ٣٥٨، ١٢٧

محمد بن سيرين

١٢٩، ١٣٠، ١٣١، ١٦٨، ١٨٠، ٢٢٠،

٢٢٤، ٢٢٨، ٢٣٥، ٢٣٧، ٢٤٨، ٢٩٣،

٤٢٢، ٤٢٩، ٤٣٤، ٤٣٥، ٤٧٠، ٤٧٢،

٤٨١، ٤٩٦، ٥٢٠، ٥٢٣، ٥٢٤، ٥٢٦، ٥٢٧،

محمد بن صالح الهاشمي ٢٦٠

محمد بن طاهر بن علي الفتني ٢٨٩

محمد بن طاهر المقدس (أبو الفضل) ٢٦٨، ٢٧٩، ٢٨٧،

محمد بن عبد الرحمن الأنصاري ٣٤٥، ٣٦٦،

محمد بن عبد الرحمن بن أبي ذئب ٣٣٧

محمد بن عبد الرحمن السخاوي ٢٩٠

محمد بن عبد الغني بن أبي بكر (معين الدين) = ابن نقطة

محمد بن عبد الله النيسابوري أبو عبد الله = الحاكم

محمد بن عبد الله بن عبد الرحيم البرقي الزهري ٢٨٢

محمد بن أبي عثمان الحازمي ١١٨

محمد بن مجلان ٥١٦

محمد بن عروة بن الزبير ٤٨٨

محمد بن عكاشة الكرماني ٢١٥

محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب (أبو جعفر) ٣٤٣، ٣٥٤،

٣٥٨، ٣٦٨، ٤٨٦،

محمد بن علي بن حمزة الحسيني الدمشقي ٢٧٢

محمد بن علي بن أبي طالب أبو القاسم (ابن الحنفية) ١٩٦، ٣٤٥،

٤٦٩، ٤٧٧، ٤٩٠، ٥٠٥،

٢٨٩

محمد بن علي الشوكاني

- محمد بن عمار ١١٤
 محمد بن عمار بن عمرو بن حزم ٤٢٢ ، ٤٢٣
 محمد بن عمر الواقدي = الواقدي
 محمد بن عمرو ١٢٩
 محمد بن عمرو بن الحسن ٤٧٨ - ٤٧٩
 محمد بن عيسى الترمذي = الترمذي
 محمد قائم بن صالح السندي ٢٦٣
 محمد الكتاني ٢٦١
 محمد بن كعب ٣٩٣
 محمد بن محمد بن أحمد النيسابوري (الحاكم الكبير) ٢٧٦
 محمد بن محمد الحسيني السندروسى ٢٨٩
 محمد بن محمد الخيضرى الشافعى ٢٨٠
 محمد بن محمود : محب الدين بن النجار ٢٨٠ ، ٢٨٨
 محمد بن مسلم (بن شهاب) الزهرى = ابن شهاب الزهرى
 محمد بن مسلمة ١١٢ ، ١١٤ ، ٣٤٦ ، ٤٨٧
 محمد بن المطهر ٣٧٠
 محمد بن المنكدر ١٦٥ ، ٢٢٤ ، ٤٣٠ ، ٤٧٩ ، ٤٨٨
 محمد بن نصر المروزي ١٧٤
 محمد بن يحيى بن سعيد القطان ٢١٤
 محمد بن يحيى بن عبد الله بن خالد الذهلى النيسابوري = الذهلى
 محمد بن يوسف القرياني ١٧٤
 محمد بن يوسف ٤٥٩
 محمود بن أحمد الهمداني (ابن خطيب الدهشة) ٢٧٩

٤٤٠، ٤٣٩، ٤٣٨، ٤٣٧، ١٤٠، ١٣٩، ١٣٨

محمود أبو ربة

٤٦٥، ٤٦٤، ٤٥٧، ٤٥٦، ٤٥١، ٤٤٧، ٤٤١

٤٨٠، ٤٧٨، ٩٧

محمود بن لييد

١٧٠

محمية بن جزء

٣٥٥

مخرمة بن بكير

مرة بن شراحيل الهمداني الكوفي ٣٢٢، ٣٢٥

٤١٩، ٤١٨، ٤١٧، ٣٢٤، ٣١٣، ١٩٠

مروان بن الحكم

٤٨٩، ٤٦٤، ٤٤٠، ٤٣٩، ٤٣٠، ٤٢٧

٣٣٩

مسدد البصري

مسروق بن الأجدع الهمداني ٥٢٠، ٤٧٥، ٤٧٠، ٤٠٧، ٢٢٨، ١٧٩، ١٧٨

٣٤٥، ٣١٣، ٢٢٩، ١٢٤

مسعر بن كدام

١٧٨

مسعود بن الأسود البلوي

١٦٠

مسلم البطين

مسلم بن الحجاج النيسابوري (الإمام) ١٠٢، ١٠٣، ١١٤، ١٢٨، ٢٢١

٢٦٨، ٢٦٧، ٢٥٤، ٢٤٦، ٢٣٤، ٢٣٢

٣٠٦، ٢٨١، ٢٧٦، ٢٧٤، ٢٧٠، ٢٦٩

٤١٩، ٤٠٠، ٣٩٠، ٣٨٠، ٣٥٢، ٣٢٩

٤٧٧، ٤٧٥، ٤٧٣، ٤٧١، ٤٥٦، ٤٣٠

٤٩٤، ٤٨٣، ٤٨٠، ٤٧٩

١٧٧، ١٧٦، ١٧٠

مسئلة بن مخلد

١٧٣

مسئلة بن يسار الإفريقي

٨١

مسيلة الكذاب

٥٠٥، ٥٠٣، ٢٥٩، ٢٥٧، ٢٠٥، ١١٩

مصطفى السباعي

١٩٠

مصعب بن الزبير

- مطرف بن عبد الله بن الشخير ٧٩ ، ١٥٢ ، ٢٢٥
 ١٧٠ معاذ بن أنس الجهني
 ١٧ ، ٧١ ، ١٠٣ ، ١٦٥ ، ١٦٦ ، ١٦٨ ،
 معاذ بن جبل ١٦٩ ، ١٧٣ ، ٤٥٣ ، ٤٦٩ ، ٤٧٧ ، ٤٧٨
 ١٧٠ ، ١٧١ معاوية بن حديج
 ٢٠٢ معاوية بن رافع
 ٨٨ ، ٨٩ ، ١٠٤ ، ١٦٩ ، ١٨٧ ، ١٨٨ ، ١٩٠ ،
 معاوية بن أبي سفيان ١٩١ ، ١٩٧ ، ١٩٩ ، ٢٠١ ، ٢٠٢ ، ٢٠٣ ،
 ٣١٨ ، ٤٠٤ ، ٤١٧ ، ٤٢٢ ، ٤٢٩ ، ٤٤١ ،
 ٤٤٢ ، ٤٤٣ ، ٤٤٤ ، ٤٤٥ ، ٤٤٦ ، ٤٤٩ ،
 ٤٥٥ ، ٤٧٧ ، ٤٨٧ ، ٤٨٩
 معاوية بن أبي عياش الأنصاري ٤٢١
 معبد بن العباس بن عبد المطلب ١٧٢
 ١٦٨ معقل بن يسار
 ١٠٠ ، ١٧٣ ، ٢٢١ ، ٢٢٥ ، ٢٢٩ ، ٢٣٠ ،
 معمر بن راشد ٢٣٦ ، ٢٣٧ ، ٣٥٧ ، ٤٣٥ ، ٤٩٨
 ٣١٣ ، ٣٤٥ معن بن زائدة
 ٥٢٠ مغيرة بن مقسم الضبي
 ٢١٧ مقاتل (بن سليمان)
 ١٣١ ، ١٥١ ، ١٧٠ ، ٢٣٧ ، ٣٥٤ ، ٤٢٢ ،
 مكحول الدمشقي ٤٩٣ ، ٤٨٥
 منصور بن المعتمر ٤٩٦ ، ٥٢٠ ، ٥٢٢
 مورك العجلي ٤٧٣ ، ٥٢٦
 موسى عليه السلام ١٩٨ ، ١٤٣ ، ٤٦٥

٣٨٩	جوسى السبلاني
٤٨٣	موسى بن أبى عائشة
٥١٠ ، ٥١٦ ، ٣٥٨	موسى بن عقبة
٢١٥	ميسرة بن عبد ربه
٨٤	ميسرة بن يعقوب الطهوى
٥١٦ ، ٤٣٠ ، ١٥١	ميمون بن مهران
٤٧٧ ، ٤٧٦	ميمونة بنت الحارث الهلالية
٥٠٧	المأمون (الخليفة العباسى)
٢٤٠	المأمور بن أحمد
١٣٤	المأوردى
٤٩٠	المحرر بن أبى هريرة
٢٣٦ ، ١٩٠	المختار الثقفى
٤١٩ ، ٢٢٤	المدائى
٢٩٨	المسودى
٤٩٠ ، ٤٨٧ ، ٤٧٧ ، ١٧٢ ، ١١٤	المسور بن مخزومه
٢١٥	المسيب بن واضح
٢٣٦	المعافى بن عمران الموصلى
١٧٣	المغيرة بن أبى بردة
١٧٣	المغيرة بن سلبة
١١٢ ، ٦٦٤ ، ٦٩١ ، ٣١٨ ، ٣٢٠ ، ٤٤١	المغير بن شعبه
٥٢٢	
١٧٨ ، ١٧٠ ، ١٢٣ ، ٦٢	المقداد بن الأسود
٧٢	المقوقس
٧٢	المنذر بن سارى

٢٩٠

المنوفى

المهدي (محمد بن عبد الله الخليفة العباسي) ٢١٧

المهدي (بن ميمون الأزدي) ٢٠٨

المولوى أمير على ٢٧٣

(ن)

٤٩٠ نافع بن جبير بن مطعم

٤٨١ ٤٧٠ ٣٥٨ ٣٤٤ ٣٢٧ ١٣٦ ٠٧ نافع مول بن عمر

٥١٩ ٥١٧ ٥١٦ ٥٠٤

٥٠٥

نجمدة الحوروى

١٤ نصيب (الشاعر)

٣٣٩ نعيم بن حماد الخزاعى المصرى

٧٢ النجاشى

الفسائى = أحمد بن على الفسائى

١٤٩ النضر بن الحارث

٢٨٧ النعمان بن بشير

(هـ)

٥١٤ هارون بن سعيد الأيلى

٢١٧ هارون بن أبى عبيد الله

٣٧٢ هرقل

٥٢٦ ١٦٨ هشام بن حسان

٦٥ هشام بن حكيم

٢٣٦ ٢٢٩ هشام الدستوائى

٤٩٣ ٤٩٢ ٣٦٨ ٣٣٤ ٣٢٧ ١٦٩ هشام بن عبد الملك

٥١١ ٥١٠ ٥٠٩ ٤٩٨

٥١٤ ، ٤٨٨ ، ٤٤٧ ، ٤١٩ ، ٤١٨ ، ٢٢٢	هشام بن عروة
٢٧٩ ، ٢٢٧ ، ٢٢٦	هشيم بن بشير
٥٢٠	همام بن الحارث
٢٨١ ، ٢٦٣ ، ٢٥٧ ، ٢٥٦ ، ٢٥٥ ، ١٧٣	همام بن منبه
٥٣١ ، ٤٣٥ ، ٤٢٠	
١٧٤	الهيثم بن كليب

(و)

٣٤٧	وائل بن حجر
٤٢٩ ، ١٣١	وائل بن الأسقع
٨٩	وبرة بن عبد الرحمن
٣٢٠	وراد (كاتب المغيرة بن شعبة)
٢٢٣	وكيع بن الجراح
٣٥٣ ، ١٧٢	وهب بن منبه
٢٧٧	وى دونهج
٢٢٧	الوليد بن أبي السائب
٤١٩ ، ٢٨٩ ، ٣٨٨	الواقدي (محمد بن عمر الواقدي)
٤٢٤	الوليد بن عبد الرحمن
٥٠٥	الوليد بن عبد الملك بن مروان
٤٩٥ ، ١٦٨	الوليد بن مسلم
٣٥٥	الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان

(ي)

٢٦٣	يحيى بن أبي بكر العامري البني
٢٥٨ ، ٢٨٢ ، ٢٨١ ، ٢٢٤ ، ٢٢٣ ، ١٣٢	يحيى بن سعيد القطان

فهرس الكنى

من أسماء الرجال

٤٩٠ ، ٤٣٠ ، ١٦٩	أبو إدريس الخولاني
٢٨٢ ، ٢٨١	أبو إسحاق الجوزجاني السعدي (لإبراهيم بن يعقوب)
٢٨٢ ، ٢٨١ ، ٢٢٤ ، ٢٢٣ ، ١٦٧	أبو إسحاق السبيعي (عمرو بن عبد الله)
٥٢٢ ، ٥١٦	
٢٣٦	أبو إسحاق الفزاري
٤٨٠	أبو أمامة بن سهل
٤٨٤ ، ١٤٨	أبو أمامة الباهلي
١٧٦ ، ١٧٧ ، ٢٢١ ، ٢٢٣ ، ٢٢٧ ، ٤٢٥	أبو أيوب الأنصاري
٥١٩ ، ٤٨٧ ، ٤٢٩	
٢١١	أبو الأحوص
١٣١	أبو الأزهر
١٧٣ ، ١٦٨	أبو برزة الأسلمي
٣٥٣	أبو بشر
١٧٠	أبو بصرة الغفاري
٢٢٩	أبو بكر بن الأنرم
=	أبو بكر بن حزم
٢٣٤	أبو بكر بن خلاد
٣٠٠	أبو بكر بن سليمان بن أبي حشمة
٤٣٠ ، ٣٤٦	أبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث
٤٧٢	أبو بكر بن عبد الله المزني
٣٦٤ ، ٣٦٣ ، ٣٢٢ ، ٣٣١ ، ٣٢٩	أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم

أبو بكر بن محمدان النيسابوري ٥٠٠

أبو بكر مولى عمرة بنت عبد الرحمن ٤٧٥

أبو بكر بن نافع مولى ابن عمر ٥١٦

أبو بكر الباقلائي ٣٩٠

أبو بكر الصديق (رضي الله عنه) ١٩ ، ٢٠ ، ٦٢ ، ٦٦ ، ٨٠ ، ٨٣ ، ٨٨ ،

٩٢ ، ٩٧ ، ٩٩ ، ١١٢ ، ١١٣ ، ١١٦ ، ١١٧ ،

١٢٢ ، ١٤٤ ، ١٤٦ ، ١٦٣ ، ١٦٥ ، ١٩٩ ،

٢٠٠ ، ٢٠١ ، ٢٠٣ ، ٣١٥ ، ٣١٦ ، ٣١٧ ،

٣٤٤ ، ٣٩٢ ، ٣٩٣ ، ٤٠٨ ، ٤٢٨ ، ٤٢٩ ،

٤٤٣ ، ٤٤٩ ، ٤٦١ ، ٤٦٩ ، ٤٧٢ ، ٤٧٣ ،

٤٧٤ ، ٤٧٧ ، ٤٧٨ ، ٤٨٠

أبو بكر الهذلي ٥٢٣

أبو جزي ٢٣٩

أبو جعفر الإسكافي (محمد بن عبد الله) ٤٤١ ، ٤٤٢ ، ٤٤٣ ، ٤٤٤ ، ٤٤٦ ،

٤٥٦ ، ٤٥٧ ، ٤٦٠

أبو جعفر الباقر ٤٧٨

أبو جعفر (شيخ محمد بن سرقه: قيل هو كثير بن جهان ، وقيل الباقر) ١٢٧

أبو جعفر بن محمد الطيالسي ٢١١

أبو حنيفة ٢٩٥

أبو حاتم البستي = ابن حبان

أبو حاتم الرازي (محمد بن إدريس) ٢٨٢ ، ٤٩٧ ، ٥١٠ ،

أبو حنيفة النعمان (الإمام الفقيه) ١١١ ، ١٧٠ ، ٢١٠ ، ٢١٥ ، ٢٢٦ ،

٢٧٢ ، ٥٢٢

أبو حكم الهمداني ٢٢٧

١٤١	أبو حيان
١٥٧	أبو خالد الوالى
٢١٢	أبو خليفة
٣١٧ ، ٢٨١	أبو خيشمة
٤٥٩ ، ٢٨٧ ، ٢٧٠ ، ٢٢٣ ، ٢٠٥ ، ١٠٣	أبو داود السجستاني (الإمام)
٥١٤ ، ٥١٠ ، ٤٩٦	
٥٧	أبو دجانه
٩٣ ، ١٠٦ ، ١٠٧ ، ١٠٨ ، ١٠٩ ، ١١٠	أبو الدرداء
١٣٠ ، ١٣٢ ، ١٥١ ، ١٥٧ ، ١٦٨ ، ١٦٩	
١٧٩ ، ٢٠٣ ، ٢٢٨ ، ٣١٢ ، ٥٢٤	
٨٣ ، ٨٤ ، ١٠٧ ، ١٠٨ ، ١٤٧ ، ٢٠٣	أبو ذر الغفارى
٤٧٧ ، ٤٦٩	
٤١٨	أبو رافع (تابعى)
٣٦٨ ، ٣٦٧ ، ٣٤٦ ، ٣١٩	أبو رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم
٥٣٢	
٢١٩ ، ٢١٦	أبو رجاء القدرى
٢٨١ ، ٢٨٢ ، ٢٨٣ ، ٣٩٠ ، ٤٠٥ ، ٤٠٦	أبو زرعة الرازى
٥٢١ ، ٥١٢	
٢٢٣ ، ١٦٨	أبو زيد الأنصارى
٤٩٨ ، ٣٥٣	أبو الزبير المكي
٤٢٧	أبو الزعيرة
٣٣١ ، ٤٣٥ ، ٤٨٨ ، ٤٩١ ، ٥٠٤ ، ٥١٨	أبو الزناد
١٧٠	أبو سعد الخير
١٧٠ ، ٤٤ ، ٤٥٠ ، ١١٣ ، ١١٧ ، ١٢٢	أبو سعيد الخدرى

١٤٦ ، ١٤٨ ، ١٦٥ ، ٣٠٣ ، ٣٠٦ ، ٣٠٧

٣٠٨ ، ٣١٤ ، ٣٢٠ ، ٣٢١ ، ٣٨٥ ، ٤٠٠

٤١٩ ، ٤٢٨ ، ٤٣١ ، ٤٦٥ ، ٤٧٧ ، ٤٧٨

٤٨٠ ، ٥١٤ ، ٥١٦ ، ٥١٨ ، ٥٢٢

٤٣٠ أبو سعيد المقبري

أبو سفيان بن أمية بن عبد شمس ٢٩٥

٤٣٥ ، ٤٧٠ ، ٤٧٧ أبو سلة بن عبد الرحمن

١٦٩ أبو سليمان الداراني

٣٠٥ ، ٣٠٦ ، ٣٠٧ ، ٣٠٨ ، ٣٠٩ أبو شاه

٢٣٤ أبو شيبه (قاضي واسط)

٢٨٨ أبو الشيخ

٢٣٠ أبو صالح (صاحب التفسير)

١٦٠ ، ٤٣٠ ، ٤٣٣ أبو صالح السمان

٤٧٧ ، ٤٨٠ ، ٤٩٠ أبو الطفيل (عامر بن وائلة)

٢١٤ أبو عاصم النبيل

١٥٩ ، ١٧٨ ، ٢٢٣ ، ٢٢٧ أبو العالية

٥٨ ، ٢١١ أبو عبد الرحمن السلي

٤٧٠ أبو عبد الرحمن النهدي

١١٠ أبو عبد الله بن البري

١٧٤ أبو عبد الله بن عبد الله بن عبد الرحمن الداري

٢١٥ أبو عبد الله النهاوندي

أبو عبيد = القاسم بن سلام

٩٢ ، ١٢٠ ، ١٦٩ ، ١٧٨ أبو عبيدة بن الجراح

٣١١ ، ٤٨٠ أبو عثمان النهدي

أبو عصمة (نوح بن أبي مريم) ٢١٥ ، ٢٣٩

أبو علي الطوماري ١٠٤

أبو عمار المروزي ٢١٥

أبو عمرو الأوزاعي = عبد الرحمن بن عمرو الأوزاعي

أبو الفرج الأصهباني ٥١٨

أبو قلابه ١١١ ، ١٤٧ ، ١٧٨ ، ٣٢٦ ، ٣٣٥ ، ٣٥٤

٤٧٢ ، ٥٢٦

أبو قيس بن عبد مناف بن زهرة ٢٩٥

أبو القاسم البلخي ٢٠٧ ، ٤٤٤ ، ٤٤٦

أبو مجلز ٤٧٢ ، ٥٢٣

أبو محمد بن حزم = ابن حزم

أبو مسعود الأنصاري ١٠٦ ، ١٠٧ ، ١٠٨ ، ١٠٩ ، ٥٢٢ ، ٥٢٤

أبو مسلم ١٩٠

أبو معشر ٤١٩

أبو معمر ٥٢٠

أبو منصور (والد يزيد بن منصور) ١٧٢

أبو موسى الأشعري ٧١ ، ١٠٥ ، ١١٣ ، ١١٤ ، ١١٧ ، ١٢٢

١٦٧ ، ١٧٣ ، ٢٣٦ ، ٢١٤ ، ٣٩٣ ، ٤٠١

٤٧٥ ، ٥٢٢

أبو المظفر السمعاني المروزي ٣٨٨

أبو نصر الكلاباذي ٢٦٨

أبو نضرة ٧٩ ، ٣١٤

أبو نعيم (أحمد بن عبد الله بن أحمد) الأصهباني ٢٤٦ ، ٢٧٤ ، ٢٨٧

أبو هارون العبدى ٤٤

٦ ، ٤١ ، ٤٣ ، ٤٩ ، ٥٢ ، ٥٤ ، ٦٠ ، ٩٥ ،
 ٩٦ ، ١٠٨ ، ١٣٦ ، ١٦٥ ، ١٩١ ، ٢٠٢ ،
 ٢١٧ ، ٢٢١ ، ٢٤١ ، ٢٠٣ ، ٢٠٤ ، ٢٠٥ ،
 ٢٠٧ ، ٢١٣ ، ٢١٨ ، ٢٢٧ ، ٢٤٧ ، ٢٥٥ ،
 ٢٥٦ ، ٢٥٧ ، ٢٧٣ ، ٢٨١ ، ٢٨٥ ، ٢٩٢ ،
 ٣٩٩ ، ٤٠٧ ، ٤٠٨ ، ٤١١ ، ٤١٢ ، ٤١٣ ،
 ٤١٤ ، ٤١٥ ، ٤١٦ ، ٤١٧ ، ٤١٨ ، ٤١٩ ،
 ٤٢٠ ، ٤٢١ ، ٤٢٢ ، ٤٢٣ ، ٤٢٤ ، ٤٢٥ ،
 ٤٢٦ ، ٤٢٧ ، ٤٢٨ ، ٤٢٩ ، ٤٣٠ ، ٤٣١ ،
 ٤٣٢ ، ٤٣٣ ، ٤٣٤ ، ٤٣٥ ، ٤٣٦ ، ٤٣٧ ،
 ٤٣٨ ، ٤٣٩ ، ٤٤٠ ، ٤٤١ ، ٤٤٢ ، ٤٤٣ ،
 ٤٤٤ ، ٤٤٦ ، ٤٤٧ ، ٤٤٨ ، ٤٤٩ ، ٤٥٠ ،
 ٤٥١ ، ٤٥٢ ، ٤٥٣ ، ٤٥٤ ، ٤٥٥ ، ٤٥٦ ،
 ٤٥٧ ، ٤٥٨ ، ٤٥٩ ، ٤٦٠ ، ٤٦١ ، ٤٦٢ ،
 ٤٦٣ ، ٤٦٤ ، ٤٦٥ ، ٤٦٦ ، ٤٦٧ ، ٤٦٨ ،
 ٤٧٣ ، ٤٧٥ ، ٤٧٧ ، ٤٧٨ ، ٤٨٥ ، ٤٨٧ ،
 ٤٩٧ ، ٥٠١ ، ٥٠٢ ، ٥١٤ ، ٥١٦ ، ٥١٨ ،
 ٥١٩ ، ٥٢٢ ، ٥٢٦ ، ٥٣٣

أبو هلال الراسي (محمد بن سليم) ٢٢٩

أبو وائل ٢٤٦ ، ٢١١

أبو واقد الليثي ٥١٨

أبو الوليد (الطيالسي) ٥١٤ ، ٢١٢

أبو يحيى الأعرج ١٦٠

أبو يعلى القرظي ٢٧٨

أبو يوسف (الفقيه صاحب أبي حنيفة) ١١١

أبو يونس مولى عمرة بنت عبد الرحمن ٤٧٥

الكنى من أسماء النساء

أم إسحاق (عليهما السلام) ٣٦٩

أم إسماعيل (عليهما السلام) ٣٦٩

أم سلة أم المؤمنين رضى الله عنها (هند بنت أمية بن المغيرة المخزومية)

٥٢٢ ، ٥١٦ ، ٤٥١ ، ٤٢٨ ، ٤١٩ ، ٦٤

أم سليم بنت ملحان الأنصارية (والدة أنس بن مالك) رضى الله عنهما

٤٧٣ ، ٤٧٢ ، ٥٤

أم سليمان اليشكرى ٣٥٣

أم الفضل (زوج المباس بن عبد المطلب) وأخت ميمونة زوجة الرسول

صلى الله عليه وسلم ٤٧٧

أم قيس بنت محسن (الأسدية) ٥١٨

من نسب إلى أبيه أو جده

ابن الأثير (عز الدين علي بن محمد) المؤرخ الحافظ ٢٦٢، ٢٨٠، ٣٤٩، ٥٠٤

ابن الأثير (محمد الدين مبارك بن محمد) الحافظ ٢٦٩

ابن الأشعث (عبد الرحمن بن محمد) ٥١٢

ابن البيع = الحاكم النيسابوري

ابن تيمية (أحمد بن عبد الحلیم) ١٨٩، ١٩٦، ٢٠٤، ٢٨٨، ٤٩٩

ابن تيمية (عبد السلام بن عبد الله) ٢٨٨

ابن جبار الله ٢٩٠

ابن جريج (عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج البصري) ١٢٩، ٣٣٧، ٥١٦

ابن الجوزي ٤٩٩

ابن الجوزي (عبد الرحمن بن علي أبو الفرج) ١٩٦، ٢١١، ٢٤٤، ٢٤٧

٢٧٨، ٢٨٥، ٢٨٧، ٢٨٨

ابن أبي حاتم (عبد الرحمن بن أبي حاتم) الرازي ٢٧٦، ٢٨٢، ٢٨٣

ابن حبان (محمد بن حبان أبو حاتم البستي) ٢١٢، ٢٣٩، ٢٤٦، ٢٦٢

٢٧٤، ٢٨١، ٢٨٧، ٢٨٤، ٢٨٥، ٤٠١

٤٨٣، ٤٩٩

ابن حبيب (محمد بن حبيب) ١٧٣، ٤٩٣، ٥١١

ابن حجر (شهاب الدين أحمد بن علي الكنتاني العسقلاني) ١١٨، ٢٣٢

٢٣٨، ٢٤٢، ٢٦٣، ٢٧٢، ٢٧٣، ٢٦٩

٢٨٦، ٢٩٠، ٣٥٣، ٣٥٧، ٣٦٤، ٣٦٥

٣٨٩، ٤٣٤، ٤٦٣، ٤٩٩

ابن حجر القسطلاني (شهاب الدين: أحمد بن محمد بن أبي بكر القسطلاني) ٤٤٨

ابن حزم (أبو محمد علي بن حزم الإمام الظاهري) ١٠٧، ١٢٢، ٣٩٥، ٣٩٧

٤٩٧، ٤٢٨، ٤٠٨، ٤٠٧، ٣٩٩

٤٤٢، ١٩٩، ١٩٥

ابن أبي الحديد

ابن الحنفية = محمد بن علي

٤٦٧، ٣٩٣، ٢٨١

ابن خزيمة

ابن خطيب النمشه = محمود بن أحمد الحمداني الفيومي .

٥٠٥، ٢٧٨

ابن خلكان

٢٦٦

ابن خير

٢٤٢

ابن دقيق العيد

١٣٦

ابن أبي ربيعة (عمر الشاعر)

١٩٠

ابن زياد

ابن الزبير = عبد الله

ابن سعد = محمد بن سعد

ابن شهاب الزهري (محمد بن مسلم بن عبيد الله بن شهاب) الإمام الحافظ ٧،

١٥٧، ١٣٦، ١٢٩، ١٢٨، ١١٢، ١٠٠

١٩٤، ١٨١، ١٨٠، ١٧٨، ١٦٥، ١٦١

٣٢٩، ٣٢٨، ٣٦٠، ٣٢٨، ٣٢٤، ٣٢٣

٣٤٥، ٣٤١، ٣٣٤، ٣٣٢، ٣٣١، ٣٣٠

٣٦٤، ٣٦٣، ٣٦٢، ٣٦٠، ٣٥٨، ٣٥٥

٤٧٣، ٤٦٣، ٤٤٩، ٤٣٥، ٤٢٩، ٣٦٥

٤٨٩، ٤٨٨، ٤٨٧، ٤٨٦، ٤٨٥، ٤٨١

٤٩٥، ٤٩٤، ٤٩٣، ٤٩٢، ٤٩١، ٤٩٠

٥٠١، ٥٠٠، ٤٩٩، ٤٩٨، ٤٩٧، ٤٩٦

٥٠٩، ٥٠٨، ٥٠٦، ٥٠٤، ٥٠٣، ٥٠٢

٥١٦، ٥١٥، ٥١٣، ٥١٢، ٥١١، ٥١٠

٠ ٥١٨ ، ٥١٩ ، ٥٣٠ ، ٥٣٣ ، ٥٣٤ .

ابن الصلاح (عثمان بن عبد الرحمن الشهر ذوري) ١٤٢ ، ١٤٣ ، ٢٣٩ ،

٠ ٢٣٦ ، ٣٨٨ ، ٤٩٧ .

١٤١

ابن الضائع

١٧٣

ابن طاوس

ابن عبد البر (أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر القرطبي) حافظ

٠ ٩٩ ، ١٠٢ ، ١٠٦ ، ١١١ ، ٣٢٢ ، ٢٢٤ ،

المغرب

٠ ٢٢٥ ، ٢٦٢ ، ٢٦٤ ، ٢٤٣ ، ٣٦٥ .

ابن عبد ربه (أحمد بن محمد بن عبد ربه) ٤٣٨

ابن عدى (أبو أحمد عبد الله بن محمد) ٢٣٥ ، ٢٨١ ، ٢٨٥ ، ٢٨٦ ، ٢٨٧ .

ابن عساكر (علي بن الحسن : هبة الله ابن عساكر) ٢٦٨ ، ٢٨٨ ، ٤٥٧ ،

٠ ٥٠٩

٠ ١٧٧

ابن عقيل

ابن علي (إسماعيل بن إبراهيم) ٣٧٩ .

ابن عون = عبد الله بن عون

ابن عيينه = سفيان بن عيينه .

٠ ١١٨ ، ٤٤٤

ابن العربي

٠ ٣٦٨ ، ٤٩٩

ابن الهادي الخليلي

٠ ٢٣١

ابن أبي غنية

٠ ٢٦٤

ابن فتحون الأندلسي

٠ ٢٦٦

ابن الفرزي

ابن قتيبة (عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري) ٩٢ ، ٣٠٧ ، ٣٠٨ ، ٤٤٦ ، ٤٦٠ .

ابن قيم الجوزية (محمد بن أبي بكر : شمس الدين) ١٢٣ ، ٢٤١ ، ٢٤٢ ، ٢٤٣ ،

٢٤٤ ، ٢٤٦ ، ٢٥٨ .

ابن كثير (عماد الدين إسماعيل) ٤١٩ ، ٤٣٤ ، ٤٣٩ ، ٤٥٨ ، ٥٠٤ .

ابن لهيعة (عبد الله) ١٧ ، ٢٠٤ ، ٢٠٥ ، ٢٦٠ .

ابن أبي ليلى = عبد الرحمن .

ابن مأكولا (علي بن هبة الله بن جعفر البغدادي) ٢٧٧ ، ٢٧٨ .

ابن ماجه (محمد بن يزيد بن ماجه القزويني) الحافظ ٢٧ ، ٣٤٠ ، ٥١٤ .

ابن مالك (النحوي) ١٤١ ، ١٤٢ .

ابن محيريز ١٨٠ ، ٢٢٨ .

ابن مردويه ٢٨٧ .

ابن أبي مليكة (عبد الله بن عبيد الله) ٦٩ ، ١١٣ ، ٢٢٧ ، ٤٨٨ .

ابن الماجشون ٢٣٦ .

ابن المديني = علي بن عبد الله

ابن المنكدر = محمد بن المنكدر

ابن المهلب ١٩٠

ابن أبي نجيع ١٣٢

ابن قطعة (محمد بن عبد الفتى البغدادي) ٢٧٠ ، ٢٧٨ .

ابن التجار = محمد بن محمود .

ابن وهب ٣٥٩ ، ٥١٤ .

بنو إسرائيل ٣١٤

بنو أمية ٥٩ ، ٢١٦ ، ٣٦٣ ، ٣٦٤ ، ٤٤٠ ، ٤٤٥ .

٥٠٣ ، ٥٠٥ ، ٥٠٧ ، ٥٠٨ .

بنو خيفة ٧٤

بنو سعد بن بكر ٦٤ ، ٧٤

٧٤	بنو طی
٣٦٤ - ٣٦٥ .	بنو العباس
٤٩	بنو فزاره
١٧	بنو قریظه
٧٤	بنو کنده
٤٧٦	بنو هاشم

فهرس الفهارس

الصفحة	الفهرس
٥٤٠	١ - فهرس المصادر والمراجع
٥٥٧	٢ - فهرس الموضوعات
٥٧٠	٣ - فهرس الآيات القرآنية
٥٧٤	٤ - فهرس الأحاديث الشريفة
٥٨٥	٥ - فهرس الأحاديث لموضوعة
٥٩٠	٦ - فهرس البلدان والأماكن والمشاهد والغزوات
٥٩٦	٧ - فهرس الكتب المعرف بها
٦٠١	٨ - فهرس الأعلام

رقم الايداع بدار الكتب ٣٤٥٩ / ٨٨

الترقيم الدولي ١٣٧-٥-٣٠٧-٩٧٧